المجلد الثاني عشر — الجزء ٧ و ٨



انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة سنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في الشهر

تموز — آب سنة ١٩٣٢ م

ربيع الاول وربيع الآخر سنة ١٣٥١ هـ

دمشق :

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي	في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً
الدفع مقدماً	وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

في الداخل	٥٠٠	من السنة الاولى الى الخامسة	الى كل سنة منها
«	٣٠٠	« السادسة الى الحادية عشرة	«
في الخارج	٦٠٠	« الاولى الى الخامسة	«
«	٣٥٠	« السادسة الى الحادية عشرة	«

الحكيم ابو نصر الفارابي (١)



لا خلاف بين المؤرخين في أن اسم الفارابي (محمد) وانه ملقب (بابي نصر) وقد اختلفوا بعد ذلك في نسبه ، فمنهم من يقول هو ابو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان كما في (عيون الانباء) لابن ابي أصيبعة ، ومنهم من يقول هو ابو نصر محمد بن طرخان بن أوزلغ كابن خلكان ، ومنهم من يقول هو ابو نصر محمد بن محمد بن طرخان كالقفطي والبيهقي ، ومنهم من يقول هو ابو نصر محمد بن محمد بن محمد بن طرخان كابن النديم في (الفهرست) ، ومنهم من يقول : هو ابو نصر محمد بن محمد بن نصر كصاعد في (الطبقات) ويقول صاعد في موضع من كتابه أبو نصر محمد بن نصر .

فلا اتفاق على تسمية آبائه ولا على ترتيبهم ، واذا كان اسم ابيه موضع خلاف فلا غرو أن احداً من المؤرخين لم يشر الى اسم أمه ولا الى نسبها .

واكثر المترجمين للفارابي يذكرون أنه تركي لكن صاحب طبقات الأطباء يقول : (وكان ابوه قائد جيش وهو فارسي المنتسب) ولا سبيل الى تحقيق نسبه من هذه الناحية لتقارب البلادين واشتراك الأعلام فيهما ، واذا صح ان أباه كان قائد جيش فهو لم يكن من كبار القواد الذين يشيد بذكرهم التاريخ .

ولعل فيما امتاز به الفارابي من الشجاعة والصبر على احتمال متاعب الدرس ومشاق الأسفار وشظف العيش ما يشعر بانه سليل أبطال .

ولم يقف الخلاف في أمر الفارابي عند حد التضارب في نسبه فقد اختلف المؤرخون في وطنه الأول ايضاً .

---

(١) للاستاذ المحقق الشيخ مصطفى عبد الرازق من اعضاء المجمع العلمي العربي .

والفارابي منسوب الى (فاراب) ولم يشذ عن القول بذلك الا ابن النديم في الفهرست فانه يقول : أصله من الفارياب من أرض خراسان ، والا البيهقي في كتابه المخطوط في تاريخ الحكماء فانه يذكر أن الفارابي من فارياب (تركستان) لان النسبة الى فارياب هي : فاريابي . وقد ذكر معجم البلدان أسماء جماعة من الأئمة نسبوا اليها : منهم محمد بن يوسف الفاريابي .

وفاراب التي ينسب اليها فيلسوفنا وتسمى (باراب) ايضاً هي ناحية كبيرة واسعة وراء نهر جيحون (أموداريا) كذا يقول ياقوت عند الكلام على (باراب) ولكنه يقول عند ذكر فاراب : « ولاية وراء نهر سيحون ». (سرداريا) في تخوم بلاد الترك وهي أبعد من الشاش قريبة من بلاساغون ومقدارها في الطول والعرض أقل من يوم الا أن بها منعة وبأساً وهي ناحية سبخة لها غياض ولهم مزارع في غرب الوادي تأخذ من نهر (الشاش) والشاش هي مدينة بما وراء النهر ثم ماوراء نهر سيحون متاخمة لبلاد الترك . ويتبين من ذلك ان لا خلاف بين عبارتي ياقوت فان (فاراب) وراء نهري جيحون وسيحون معاً ثم ان فاراب على جانبي الفرع الاكبر لنهر سيحون وهي في طرف بلاد الترك (تركستان) .

ويقول ابن حوقل الذي ظهر نحو سنة ٣٦٧ هجرية ٩٢٧ ميلادية أن على الشاطئ الغربي من سرداريا كانت توجد مدينة (وسيج) التي ولد بها الفيلسوف أبونصر الفارابي .

والمستشرقون يعتمدون هذا القول لكن كثيرين من مؤلفي العربية كالقفطي وابن ابي أصيبعة وابن خلكان صرحوا بان الفارابي من مدينة (فاراب) وقال ابن خلكان أن هذه المدينة تسمى لعهده (أطرار) ويقول الاستاذ (بارتولد) في الفصل الذي كتبه في دائرة المعارف الاسلامية : « ان الاصطخري الذي وجد في أوائل القرن العاشر يذكر أن قصبة ولاية فاراب كانت مدينة تسمى (قَدَر) في شرق نهر سرداريا على نصف فرسخ من مجراه وعلى الشاطئ الغربي من هذا النهر على فرسخين دون (قدر) توجد (وسيج) التي هي حصن صغير .

اما المقدسي الذي نبغ في أواخر القرن العاشر الميلادي فهو يذكر ان قصبة (فاراب) كانت تسمى باسم الولاية وعنده أن (قدر) مدينة حديثة النشأة .

ويرجح الاستاذ (بارتولد) أن تكون فاراب التي لم يذكرها ابن حوقل ولا

الاصطخري هي المدينة الحديثة النشأة أما (قدر) فهي المدينة القديمة و (أطرار) هي نفس مدينة (فاراب) وهي أحدث منها » .

وعلى ذلك فالراجح أن الفارابي ولد بوسيج كما ذكره ابن حوقل ونسب الى ولاية (فاراب) لا الى المدينة المسماة بهذا الاسم التي حلت محل مدينة (قدر) ثم حلت محلها (أطرار) .

ولسنا نعرف مولد الفارابي الا بالتقريب استنتاجاً مما ذكره المؤرخون في وفاته فقد ذكر ابن خلكان أنه توفي سنة ٣٣٩ هـ (٩٥٠ — ٩٥١ م) وقد ناهز ثمانين سنة ويكون إذاً مولده حول سنة ٢٥٩ هـ ٨٧٢ — ٨٧٣ م .

ولا يعرف شيء عن طفولته وشبابه انما يقول المؤرخون : انه خرج من بلده وانتقلت به الأسفار الى ان وصل بغداد وهو يعرف اللسان التركي وعدة لغات غير العربي فتعلمه وأتقنه ثم اشتغل بعلوم الحكمة على ابي بشر متى بن يونس وهو مسيحي نسطوري معروف بين تراجمة الكتب اليونانية واليه انتهت رئاسة المنطقيين في عصره ، وعلى الطبيب المنطقي المسيحي يوحنا بن حيلان ولم يذكر له المؤرخون أساتذة غيرهما .

واذا كنا لا نعرف التاريخ الذي خرج فيه الفارابي من بلده ولا التاريخ الذي وصل فيه الى بغداد فانا نستطيع ان نتلمس بعض هذه التواريخ استنباطاً من ثنايا كلام المترجمين للفارابي .

ويقول صاعد في « طبقات الأمم » (أخذ أي الفارابي صناعة المنطق عن يوحنا بن حيلان المتوفى بمدينة السلام في أيام المقتدر) والخليفة المقتدر توفي سنة ٣٢٠ هـ ٩٣٢م ويقول ابن خلكان : ان الفارابي ارتحل من بغداد الى مدينة حران وفيها يوحنا بن حيلان فأخذ عنه طرفاً من المنطق . ويؤخذ من ذلك أن يوحنا كان يشتغل بحران أولا ثم انتقل الى بغداد ومات بها قبل سنة ٣٢٠ هـ .

اما ابو بشر متى بن يونس فقد كان شيخاً كبيراً يقرأ في بغداد كتاب أرسطاطاليس في المنطق ويملي على تلامذته شرحه فحضر أبو نصر دروسه زمناً قبل انتقاله الى حران ولعلنا نستطيع أن نقدر زمن درسه ببغداد ثم اشتغاله بحران ثم انتقال أستاذه يوحنا بن حيلان الى بغداد ومقامه فيها الى أن مات بنحو عشر سنين فيكون دخول الفارابي الى

بغداد لأول مرة حوالى سنة ٣١٠ هـ ولا يكون هذا الفرض جزافاً اذا راعينا ما ينقله ابن ابي أصيبعة من أن الفارابي كان يجتمع بأبي بكر بن السراج فيقرأ عليه صناعة النحو وابن السراج يقرأ عليه صناعة المنطق وابو بكر بن السراج توفي سنة ٣١٦ هـ فلا بد أن يكون تبادل التعلم بينه وبين الفارابي قبل وفاته بست سنين على الأقل خصوصاً اذا روعي مالاحظه بعض زملائنا المشتغلين بدراسة تاريخ النحو من أن ابن السراج قد تأثر في مؤلفاته النحوية بأساليب المنطق وقواعده .

قد خرج الفارابي اذاً من بلده قاصداً الى بغداد حوالى سنة ٣١٠ وهو يومئذ يناهز الخمسين لحضر دروس ابي بشر متى في المنطق وتعلم في اثناء ذلك العربية عن ابن السراج في مقابلة تعليمه المنطق .

والظاهر أن الفارابي حين وصل الى بغداد لم يكن جاهلاً للعربية ولا للعلوم الحكمية كما يفيده كلام المؤرخين فليس من المعقول أن الامام ابن السراج المجمع على فضله وجلالة قدره في النحو والأدب يتعلم المنطق عن ناشيء يتلقى دروسه الاولى ثم يتأثر عقله بأسلوب هذا الناشيء وتعاليمه وليس بالمعقول أن من يجهل اللغة العربية يبتديء بتعلم ألفها وبائها عن ابن السراج . انما خرج الفارابي من بلده ليتصل بأئمة الحكمة والعلم في العراق والشام تكميلاً لما عنده من العلم والحكمة .

وقد ذكروا انه انما أخذ عن ابي بشر متى بن يونس وعن يوحنا بن حيلان علم المنطق وأخذ العربية عن ابن السراج فكيف تعلم الرياضيات وقد قالوا انه كان رياضياً بارعاً ؟ وكيف تعلم الموسيقى وقد كان يحسنها تلحيناً وتوقيعاً حتى ليحكى كما في ابن خلكان « ان الآلة المسماة بالقانون من وضعه وهو اول من ركبها هذا التركيب . ويقول غير ابن خلكان انه وضع آلة تشبه القانون وكتابه في الموسيقى اشهر كتب الفن كما انه كان في صباه يضرب بالعود ويغني » ويقول « كاراده ڤو » في دائرة المعارف الاسلامية : ان دراويش المولوية لا تزال تحتفظ بأغانٍ قديمة منسوبة اليه .

ثم انه كان له بالطب معرفة بل ذكر بعضهم انه مارسه عملاً ، وأنكر ذلك آخرون .

فهل تعلم كل هذه العلوم وهي لاتستغني عن موقف الا قبل مجيئه الى بغداد ؟ ؟ ؟

ثم انهم ذكروا انه كان يعرف لغات كثيرة عند قدومه الى بغداد ورووا أساطير تدل

على انه كان يعرف سبعين لغة ومع ما في ذلك من الشطط فانه لايخلو من اثر الحق اذ هو بالضرورة كان يعرف التركية ولعله كان يعرف الفارسية وقد اتقن العربية وهو يتحدث في بعض كتبه عن اللغة اليونانية حديث خبير بها فهل يضطلع بعلم هذه اللغات الا الرجل العليم ؟ ؟

بعد ان قضى الفارابي وطره من دروس ابي بشر متى تحول عن بغداد الى حران فأخذ عن يوحنا بن حيلان المنطق أيضاً ثم انه قفل راجعاً الى بغداد وكما يقول ابن خلكان وقرأ بها علوم الفلسفة وتناول جميع كتب ارسطاطاليس وتمهر في استخراج معانيها ويقال انه وجد كتاب النفس لأرسطاطاليس وعليه بخط ابي نصر الفارابي: اني قرأت هذا الكتاب مائة مرة . ونقل عنه انه كان يقول : قرأت السماع الطبيعي لارسطاطاليس الحكيم اربعين مرة وأرى اني محتاج الى معاودة قراءته . ويذكر ابن خلكان ان الفارابي الف في بغداد معظم كتبه .

ثم انتقل الفارابي الى الشام ثم توجه الى مصر وعاد الى الشام واتصل هناك بسيف الدولة ابن حمدان الذي عرف له فضله وأكرم وفادته فعاش في كنفه حتى مات .

وكلام المؤرخين مضطرب في امر هذه الانتقالات وقد أورد ابن خلكان في كتاب «الوفيات» أن ابا نصر ذكر في كتابه المرسوم بالسياسة المدنية انه ابتدأ بتأليفه في بغداد وأكمله في مصر .

وليس في كتاب السياسة المدنية المطبوع شيء من هذا .

وذكر ابن أبي أصيبعة انه ابتدأ بتأليف كتاب المدينة الفاضلة والمدينة الجاهلة والمدينة الفاسقة والمدينة المبدلة والمدينة الضالة ببغداد وحمله الى الشام في آخر سنة ٣٣٠ هـ وتممه بدمشق في سنة ٣٣١ هـ وحرره ، ثم نظر في النسخة بعد التحرير فأثبت فيها الأبواب ، ثم سأله بعض الناس أن يجعل له فصولاً تدل على قسمة معانيه فعمل الفصول بمصر في سنة ٣٣٧ هـ .

وذكر ابن ابي أصيبعة في موضع آخر من ترجمته ما نصه : « ونقلت من خط بعض المشايخ أن ابا نصر سافر الى مصر سنة ٣٣٨ ورجع الى دمشق وتوفي بها سنة ٣٣٩ » .

والظاهر ان الفارابي رجع من بغداد الى دمشق سنة ٣٣٠ وهي السنة التي حصل فيها

وباء ببغداد وغلاء مفرط حتى اكل الناس الجيف وفيها حدثت فتنة البريدي .

وأقام بدمشق في شظف من العيش وهو على ذلك دائم الاشتغال بالحكمة ، قال ابن ابي أصيبعة نقلاً عن الآمدي : ان الفارابي كان في اول امره ناطوراً في بستان بدمشق وهو على ذلك دائم الاشتغال بالحكمة والنظر فيها والتطلع الى آراء المتقدمين وشرح معانيها .

وكان ضعيف الحال حتى أنه كان في الليل يسهر للمطالعة والتصنيف ويستضيء بالقنديل الذي للحارس وبقي على ذلك مدة .

وملك سيف الدولة حلب سنة ٣٣٣ وبسط حمايته على العلم والأدب فقصداليه الفارابي فآوى منه الى ركن شديد .

ثم انه عظم شأنه وظهر فضله واشتهرت تصانيفه وكثرت تلاميذه .....

وقد عاش منذ ذلك الحين في كنف سيف الدولة منقطعاً الى التعليم والتأليف غير منقطع عن الأسفار التي كان بها مغرماً وبلغت به أسفاره الى مصر ، ثم رجع الى الشام ولعله كان ينتقل بين حلب عاصمة الحمدانيين ودمشق التي كانت تدخل في حوزتهم تارة وتخرج أخرى الى ان توفي بدمشق سنة ٣٣٩ وصلى عليه سيف الدولة في اربعة من خواصه أو خمسة عشر ودفن بظاهر دمشق خارج الباب الصغير .

كذلك ذكر المؤرخون وفاة ابي نصر وكلامهم يدل على انه مات بدمشق موتاً طبيعياً لكن البيهقي في كتابه المخطوط الموجود بدار الكتب المصرية المسمى « تاريخ الحكماء » روى عن موت الفارابي رواية هذا نصها :

« وقد سمعت من أستاذي رحمه الله ان ابا نصر كان يرتحل من دمشق الى عسقلان فاستقبله جماعة من اللصوص الذين يقال لهم (الفتيان ؟) فقال لهم ابو نصر خذوا ما معي من الدواب والأسلحة والثياب وأخلوا سبيلي فأبوا ذلك وهموا بقتله فلما صار ابو نصر مضطراً ترجل وحارب حتى قتل ومن معه ووقعت لهذه المصيبة في أفئدة أمراء الشام مواقع فطلبوا اللصوص ودفنوا أبا نصر وصلبوهم على جذوع عند قبره . وبعض من لم يكن له معرفة بالتواريخ يحكي ان ابا نصر قد عراه الماليخوليا ومرّ على شط دجلة برجل يبيع التمر فقال له كيف تبيع التمر ؟ فأجاب الرجل بكلام غير ملائم فضربه وقال : أسألك عن الكيف وأنت تجيب عن الكم . »

ولو صحت حكاية قتل الفارابي الأشار اليها من ترجموا له ممن كان زمنهم قريباً من زمنه كأبي الحسن علي السعودي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ ٩٥٧ م . على انا لاحظنا في ترجمة البيهقي للفارابي خلطاً تاريخياً يزعزع الثقة بها وهذه الرواية المنقولة عن قتل الفارابي يشبه ان تكون تحريفاً لما رواه المؤرخون عن مقتل ابي الطيب المتنبي الشاعر المشهور في عودته من بلاد فارس الى الشام سنة ٣٥٤ هـ .

وقد وقع للبيهقي خلط ايضاً في ترجمة الفارابي حيث نقل عن كتاب « اخلاق الحكماء » : ان الصاحب اسماعيل بن عباد بعث الى ابي نصر هدايا وصلات واستدعاه اليه وابو نصر يتعفف وينقبض ولا يقبل منه شيئاً . حتى ضرب الدهر ضرباته ووصل ابو نصر الى الري . ودخل مجلس الصاحب متنكراً الى آخر ما ذكره من رواية تشابه القصة المروية عن اتصال الفارابي بسيف الدولة .

والصاحب اسماعيل بن عباد ولد سنة ٣٢٦ فهو عند موت الفارابي كان صبياً لم يجاوز ١٣ عاماً .

اما صلاة ابن حمدان في بعض خواصه على جنازة ابي نصر التي عني المؤرخون بتسجيلها ، فهي آية مودة وتكريم من سيف الدولة لرجل اتاه الله حكمة تتعالى عن عقول العامة وقلوبهم .

هذه هي جملة حياة الفارابي مستخلصة من الحشد المضطرب في كلام من ترجموا له .

وقد عاش الفارابي عيشة الزهاد حياته كلها فلم يقتن مالاً ، ولا اتخذ صاحبةً ولا ولداً وكان يستطيع أن يستمتع برفه العيش خصوصاً في شيخوخته أيام استظلاله بظل الملك الجواد سيف الدولة بن حمدان لكنه لم يكن يتناول من سيف الدولة الا اربعة دراهم فضة في اليوم يخرجها فيما يحتاجه من ضروري العيش وهو الذي اقتصر عليها لقناعته ولو شاء زيادة لوجد مزيداً .

وروى ابن ابي أصيبعة انه كان يتغذى بماء قلوب الحملان مع الخمر الريحاني فقط — الحملان جمع حمل الذكر من ولد الضأن — قال ابن خلكان : (وكان مدة مقامه بدمشق لا يكون غالباً الا عند مجتمع ماء أو مشتبك رياض ويؤلف هناك كتبه ويتناوبه المشتغلون عليه) .

وفي مفتاح السعادة لطاش كبري زاده : وكان منفرداً بنفسه لا يكون الا عند مجتمع ماء أومشتبك رياض ويؤلف كتبه هناك وكان اكثر كتبه في الرقاع ولم يصنف في الكراريس الا قليلاً ولذلك كانت اكثر تصانيفه فصولاً وتعليقات وبعضها مبتوراً ناقصاً » ج ١ ص ٢٥٦ — ٢٦٠ .

وتلك حياة فيلسوف زاهد موسيقي شاعر اما فلسفة الفارابي فستأتي أشارة اليها واما ابداعه الموسيقي فقد رويت فيه اعاجيب .

وحكى ابن خلكان : ان ابا نصر لما ورد على سيف الدولة وكان مجلسه مجمع الفضلاء في جميع المعارف فأدخل عليه وهو بزي الأتراك وكان ذلك زيه دائماً فوقف فقال له سيف الدولة : اقعد فقال : حيث أنا أم حيث أنت ؟ فقال حيث انت فتخطى رقاب الناس حتى انتهى الى مسند سيف الدولة وزاحمه فيه حتى اخرجه عنه وكان على رأس سيف الدولة مماليك وله معهم لسان خاص يسارهم به قلّ ان يعرفه أحد فقال لهم بذلك اللسان : ان هذا الشيخ قد اساء الأدب واني مسائله عن اشياء ان لم يوف بها فاخرجوا به فقال له أبو نصر بذلك اللسان : أيها الامير اصبر فان الأمور بعواقبها فعجب سيف الدولة منه وقال له : أتحسن هذا اللسان ؟ فقال : نعم أحسن أكثر من سبعين لساناً فعظم عنده ثم أخذ يتكلم مع العلماء الحاضرين في المجلس في كل فن فلم يزل كلامه يعلو وكلامهم يسفل حتى صمت الكل وبقي يتكلم وحده ثم أخذوا يكتبون مايقوله فصرفهم سيف الدولة وخلا به فقال له :

هل لك في أن تأكل ؟ فقال لا : فهل تشرب ؟ فقال :لا فهل تسمع ؟ فقال نعم فامر سيف الدولة باحضار القيان فحضر كل ماهر في هذه الصناعة بانواع الملاهي فلم يحرك احد منهم آلته الا وعابه ابو نصر وقال له أخطأت فقال له سيف الدولة وهل تحسن في هذه الصناعة شيئاً ؟ فقال نعم ثم اخرج من وسطه خريطة ففتحها وأخرج منها عيداناً وركبها ثم لعب بها فضحك منها كل من كان في المجلس ثم فكها وركبها تركيباً آخر ثم ضرب بها فبكى كل من كان في المجلس ثم فكها وغير تركيبها وضرب بها ضرباً آخر فنام كل من في المجلس حتى البواب فتركهم قياماً وخرج .»

ولئن كانت هذه الحكاية ادنى الى الاساطير منها الى التاريخ فهي تشبه أن تكون غلواً مجاوزاً لا اختراعاً صرفاً .

وقد روي للفارابي شعر فيه نفحة من اساليب الفلاسفة أحياناً وفيه احياناً صريخ محب للعزلة سيئ الرأي في الناس ومما روي من شعره :

يا علة الاشياء جمعاً والذي ... كانت به من فيضه المتفجر
رب السماوات الطباق ومركز ... في وسطهن من الثرى والابحر
أني دعوتك مستجيراً مذنباً ... فاغفر خطيئة مذنب ومقصر
هذب بفيض منك رب الكل من ... كدر الطبيعة والعناصر عنصري

وروى له هذا الشعر ابن أبي أصيبعة وروى له ايضاً :

لما رأيت الزمان نكساً ... وليس في الصحبة انتفاع
كل رئيس به ملال ... وكل رأس به صداع
لزمت بيتي وصنت عرضاً ... به من العزة اقتناع
أشرب مما اقتنيت راحاً ... لها على راحتي شعاع
لي من قواريرها ندامى ... ومن قراقيرها سماع
وأجتني من حديث قوم ... قد اقفرت منهم البقاع

وروى له ايضاً :

بزجاجتين قطعت عمري ... وعليهما عولت أمري
فزجاجة ملئت بحبر ... وزجاجة ملئت بخمر
فبذي أدون حكمتي ... وبذي أزيل هموم صدري

« مقدمة المجموعة المسماة — الفلسفة القديمة — المطبوعة بالمطبعة السلفية بمصر سنة ١٩١٠ » وذكر ابن خلكان : انه وجد في مجموعة ابياتاً منسوبة الى الفارابي هي :

أخي خل حيز ذي باطل ... وكن للحقائق في حيز
فما الدار دار مقام لنا ... وما المرء في الارض بالمعجز
ينافس هذا لهذا على ... أقل من الكلم الموجز

وهل نحن الا خطوط وقعن على نقطة وقع مستوفز
محيط السماوات أولى بنـا فماذا التنافس في مركز

وقد شك ابن خلكان في صحة هذه الابيات وذكر أنه رآها في كتاب « الخريدة » منسوبة الى شاعر من شعراء القرن السادس معاصر لصاحب الكتاب .

ونحن نشك في معظم هذا الشعر أن يكون للفارابي لما في أسلوبه من تكلف ينبو عنه أسلوب فيلسوفنا وطبعه . ولما في معانيه من تبرم بالحياة والناس واستهتار بالشراب .

والفارابي انما كان يعتزل الناس ويؤثر الوحدة لمارأى أمر النفس وتقويمها اول مايبتدئ به الانسان حتى اذا أحكم تعديلها وتقويمها ارتقى منها الى تقويم غيرها كما ذكر ذلك في كتاب « الجمع بين رأيي الحكيمين » تبريراً لتخلي افلاطون عن كثير من الأسباب الدنيوية وإيثاره تجنبها ولم يكن الفارابي ضجراً بالحياة ولا متبرماً بالناس أما الخمر فما نحسبه كان يشربها شهوة وتلهياً ، ذلك الرجل الذي كف نفسه عن شهوات الحياة ولهوها وقد يكون ضاع شعر الفارابي فيما ضاع من آثاره .

ولولا شك ابن خلكان شكاً وجيهاً لرجح عندنا أن يكون الفارابي هو القائل :

محيط السماوات أولى بنا فما ذا التنافس في مركز

بقي الكلام على فلسفة الفارابي ومكانه من الفلسفة الاسلامية .

يقولون : الحكماء أربعة — اثنـان قبل الاسلام ، وهما : أفلاطون وأرسطو — . واثنان في الاسلام ، وهما : ابو نصر الفارابي وأبو علي بن سينا . وكان بين وفاة أبي نصر وولادة أبي علي حوالى ثلاثين سنة وكان أبو علي تلميذاً لتصانيف الفـارابي يعترف أنه لولاها لما اهتدي الى فهم ما بعد الطبيعة .

وكما لقب افلاطون بالحكيم الالآهي وأرسطاطاليس بالمعلم الأول لقب الفارابي بالمعلم الثاني وابن سينا بالشيخ الرئيس .

وآراء النـاس مختلفة في تقديم الفارابي أو ابن سينا فالقفطي يقول عن الفـارابي : « فيلسوف المسلمين غير مدافع » ويقول ابن خلكان (وهو اكبر فلاسفة المسلمين) .

ولم يكن منهم من بلغ رتبته في فنونه والرئيس ابو علي بن سينا المقدم ذكره بكتبه تخرج وبكلامه انتفع في تصانيفه) .

أما الشهرستاني فيقول عند الكلام على فلاسفة المسلمين ومنهم الفارابي: « وانما علامة القوم أبو علي الحسين بن سينا » ويقول ابن سبعين الفيلسوف الصوفي الأندلسي الذي يقال : انه انتحر بمكة شوقاً الى الاتصال بالله سنة ٦٦٩ هـ في كتاب له مخطوط مانصه نقلاً عن المجموعة التي نشرها الأستاذ « ماسينيون » :

وأما الفارابي اضطرب وخلط وتناقض وتشكك في العقل الهيولاني وزعم أن ذلك تمويه ومخرقة ثم شك في النفس الناطقة هل غمرتها الرطوبة أو حدثت بعدها وتنوع اعتقاده في بقاء النفوس بحسب ماذكر في كتاب الأخلاق و كتاب الملة الفاضلة والسياسة المدنية وأكثر تآليفه في المنطق وعدة كتبه نحو ٧٥ كتاباً وفيها من الالهيات ٩ وهذا الرجل أفهم فلاسفة الاسلام وأذكرهم للعلوم القديمة وهو الفيلسوف فيها لا غير ومات وهو مدرك ومحقق وزال عن جميع ما ذكرته وظهر عليه الحق بالقول والعمل ولولا التطويل لذكرت ذلك مفصلاً » .

وابن سبعين هذا قد تناول بالنقد اللاذع بل بالتحقير الشنيع ابن سينا والغزالي وابن رشد ويقول الاستاذ « كارادهڤو » في ترجمته للفارابي بدائرة المعارف الاسلامية : « ومذهب الفارابي هو مذهب الفلاسفة أعني الأفلاطونية الجديدة الاسلامية الذي بدأه من قبله الكندي ووجد في كتب ابن سينا من بعده أكمل عبارة عنه وقد يكون من الراجح أن الفارابي يخالف الكندي وابن سينا في بعض المواضع ولكن من العسير تعيين هذه المواضع ومن المناسب التحفظ بل الشك في تفسير مايتعلق بتفصيل مذهبه والواقع انا لا نعرف من آثاره الا قليلاً ثم ان أسلوبه لا يخلو من غموض وفيما عرفناه من رسائله ما هو مصوغ في صورة حكم في نهاية الايجاز من غير نظام في ترتيبها ثم انه لايمكن البت عن يقين بأن مؤلفات كثيرة كمؤلفات الفارابي يتداولها تأثير أرسطو وافلاطون وأفلوطين تتجرد من التناقض على أن الفكرة التي تعتبر قاعدة لهذا المذهب وهي التوفيق بين ارسطو وافلاطون من ناحية وبين هذه الفلسفة الملفقة وبين العقيدة الاسلامية من ناحية أخرى ليست في نفسها سليمة من التضارب » .

وهذه العبارة في جملتها قد تبين بياناً صحيحاً عن مكانة كل من الكندي، والفارابي، وابن سينا، في الفلسفة الاسلامية وان كانت تفاصيلها لا تخلو من نقد . والفارابي من خير المفسرين لكتب أرسطو خصوصاً في المنطق وأثره في هذا الباب هو الذي جعله يستحق التلقيب بالمعلم الثاني إذ كان أرسطو هو الأول هذا هو رأي بعض المترجمين للفارابي، ومنهم « كاراده ڤو »

وفي كتاب « ابجد العلوم » لحسن صديق خان ما نصه :

« وفي حاشية المطالع لمولانا لطفي : ان المأمون جمع مترجمي مملكته كحنين بن اسحاق وثابت بن قره وترجموها بتراجم متخالفة مخلوطة غير مخلصة ومحررة لاتوافق ترجمة أحدهم للآخر فبقيت تلك التراجم هكذا غير محررة بل أشرف أن عفت رسومها الى زمن الحكيم الفارابي . ثم انه التمس منه ملك زمانه « المنصور بن نوح الساماني » ان يجمع تلك التراجم ويجعل من بينها ترجمة ملخصة محررة مهذبة مطابقة لما عليه الحكمة فأجاب الفارابي وفعل كما أراد وسمى كتابه « بالتعليم الثاني » فلذلك لقب « بالمعلم الثاني » وكان هذا في خزانة المنصور الى زمان السلطان « مسعود » من أحفاد المنصور كما هو مسوداً بخط الفارابي غير مخرج الى البياض اذ الفارابي غير ملتفت الى جمع تصانيفه وكان الغالب عليه السياحة على زي القلندرية وكانت تلك الخزانة باصفهان وتسمى « صوان الحكمة » وكان الشيخ أبوعلي ابن سينا وزيراً لمسعود وتقرب اليه بسبب الطب حتى استوزره وسلم اليه خزانة الكتب فأخذ الشيخ الحكمة من هذه الكتب ووجد فيما بينها « التعليم الثاني » ولخص منه كتاب « الشفاء » ثم ان الخزانة أصابها آفة فاحترقت تلك الكتب فأتهم ابو علي بأنه أخذ من تلك الخزانة الحكمة ومصنفاته ثم أحرقها لئلا تنتشر ولا يطلع عليه فأنه بهتان وافك لأن الشيخ مقر لأخذه الحكمة من تلك الخزانة كما صرح به في بعض رسائله وأيضاً يفهم في كثير من مواضع الشفاء أنه تلخيص « التعليم الثاني » .

وفي ذلك القول خطأ تاريخي فان منصوراً بن نوح الساماني أنما ولي أمر خراسان بعد سنة ٣٤٣ ه بعد موت الفارابي .

ولا ينتهي فضل الفارابي عند تفسير كتب أرسطو وتصحيح تراجمها والتمهيد بذلك للنهضة الفلسفية في الاسلام التي تكاملت من بعده بل له أيضاً أنظار مبتدعة وابحاث في

الحكمة العلمية والعملية عميقة سامية لماتتهيأ بعد للباحثين كل الوسائل لتفصيلها تفصيلاً وافياً وللفارابي كتاب في المدينة الفاضلة كما أن لأفلاطون كتاباً في الجمهورية الفاضلة .

والفارابي هو أول من عني باحصاء العلوم وترتيبها في كتابه « إحصاء العلوم » الذي نشره أحد خريجي قسم الفلسفة من كلية الآداب في سنة ١٣٥٠ هـ ١٩٣١ م « عثمان أفندي أمين » ووضع له مقدمة طيبة والذي يعنى بنشره بعض المستشرقين الاسبانيين أيضاً ومن أجل ذلك يعتبر بعض الباحثين أبا نصر أول واضع في العالم لنواة دوائر المعارف .

ولئن كانت الأجيال تهتف باسم الفارابي منذ ألف عام في الشرق والغرب فانه قد استحق ذلك بما وهب من حياته لخدمة العلم والحكمة وبما ترك من أثر في تاريخ التفكير البشري وفي تاريخ المثل العليا للحياة الفاضلة .

« القاهرة » . . . مصطفى عبد الرازق

——

اصطلاحات النباتات الدنيا

—«»—

قلت في المقالة التي عنوانها «الأسماء العربية للثمار النباتية[1]» ان الدكتور امين باشا المعلوف نشر في هذه المجلة بحثاً مستفيضاً في اصطلاحات النبات بدأه بالبزرة وأنهاه بالزهرة ولم يتعرض العالم المشار اليه للاصطلاحات المستعملة في النباتات الدنيا كالفطر والطحلب والسَّرَخْس والأُشنة وأمثالها . ولما كانت هذه الاصطلاحات مهمة وكان عددها كبيراً وكانت المعاجم الأعجمية العربية خلواً من معظمها وكان ما حوته تلك المعاجم فيه نظر رأيت من المفيد استقصاء بعضها في هذه العجالة وذكر الألفاظ العربية التي تصلح لها دون البحث عن شؤونها العلمية لأن القارئ يراها في كتب النبات .

جميع النباتات التي تناولها هذا البحث لا زهر لها فهي إذن من عديمة الأزهار . واعلاها السرخس Fougère فان له ساقاً وورقاً وجذراً ومنه الخنشار المسمى باللاتينية Polypodium filix mas ويليه الطحلب ويسمونه العرماض فان له ساقاً وورقاً وهو بالفرنسية Mousse

وأدنى من ذلك الفطر Champignon والأُشنة Algue فليس فيها سوق ولا ورق ولا جذور . والفطور لاخضوب فيها اما الأُشنة ففيها خضوب .

وفي صف الفطور اربع رتب وهي اولاً رتبة الفطور البيضية Oomycètes وفيها تلك النباتات الدنيا التي تحدث العفونة على المواد العضوية المنحلة ومعظمها من فصيلة العفونة أو المتعفنات Mucorinées

ثانياً رتبة الفطور الدعامية Basidiomycètes وسماها الدكتور شرف في معجمه

---

(1) م ١٢ ج ٣

رتبة الفطور الاصلية وربما كانت الاولى اصلح . وهي فطور تنشأ غُبيراتها Spores على خلايا خاصة تسمى دعائم Basides . ومنها معظم الفطور الكبيرة التي لها قبعات وترى في الحقول بعضها سام وبعض يؤكل . ومنها ايضاً التي تولد في الحبوب مرض الصدأ Puccinia graminis الخ .

ثالثاً رتبة الفطور الجرابية او القربية او الزقية Ascomycètes وهي التي تنشأ غبيراتها على خلايا تسمى واحدتها قربة او جراباً Asque ومنها الكمأة والفقع وهما من الفصيلة الكمئية .

رابعاً رتبة الفطور المخاطية او الهلامية Myxomycètes وهي ابسط الفطور في تركيبها .

وصف الأُشنة هو صف النباتات الدنيا التي تعيش في المياه او في الأماكن الرطبة الهواء وتعرف بوجود الخضوب في خلاياها خلافاً للفطور ويسميها بعضهم الأُشنة وشيبة العجوز والقمريع وسماها الدكتور شرف الفوقس وهي ترجمة اللفظة اليونانية وردت في مفردات ابن البيطار مصحفة هكذا (قوفس البحري) مع ان الفوقس من اجناس هذا الصف وفي الصف المذكور اربع رتب وهي :

اولاً رتبة الأُشنة الزرقاء Cyanophycées وهي الأُشنة التي يكون خضوبها مشوباً بمادة زرقاء اللون منتشرة في جبلة الخلايا الأولى Protoplasme .

ثانياً رتبة الأُشنة الخضراء Chlorophycées وهي التي لا يشوب خضوبها لون آخر .

ثالثاً رتبة الأُشنة السمراء Phéophycées وهي التي يكون خضوبها مختلطاً بمادة سمراء تجعل النبات اسمر اللون . وفي هذه الرتبة الفصيلة الفوقسية Fucacées ومنها الفوقس Fucus وهي نباتات يسمونها بالفرنسية Varechs .

رابعاً رتبة الأُشنة الحمراء Rhodophycées وهي الأُشنة التي يكون مع خضوبها مادة حمراء يصطبغ النبات بها .

ويطلقون لفظة الحزاز على نباتات تنبت على لحاء الشجر وعلى الصخور والجدران يسمونها بالفرنسية Lichens وقد وردت بهذا الأسم في كتب الأتراك وسماها به الدكتور شرف

ايضاً كما اطلق عليها لفظة الأشنة وشيبة العجوز . اما الاتراك فانهم اطلقوا لفظة الأشنة على ماذكرنا دون غيره .

قلت ان الفطور والأشنة بسيطة التركيب لاتتميز فيها السوق عن الورق ولا هذه عن الجذور . وجسم النبات البسيط الذي يكون على هذا الشكل يسمى بالفرنسية Thalle (وتسمى الشعبة التي تنسب اليها تلك النباتات Thallophytes) . ولم اجد بالعربية لفظة تفيد هذا المعنى تماماً اي لفظة يمكن اطلاقها على جسم نبات بسيط لا ساق فيه ولا ورق ولا جذور . وسماه الدكتور شرف البارض . فالبارض هو اول مايطلع من النبات وهو غير التالوس المذكور لأن البارض بعد ان يكبر تتميز فيه الأعضاء المذكورة . ومع هذا لابأس من استعارة هذه اللفظة واشباهها لهذا المعنى الى ان نجد اقرب منها الى معنى التالوس الحقيقي .

وفي العربية ألفاظ كثيرة لها معنى مقارب للبارض اللغوي منها الأُسَاس وهو البقل مادام صغيراً لاتستمكن منه الراعية . ومنها السابخ من سبخ الزرع اي طلع اول طلوعه . ومنها المُقَرِّح من قرَّح النبات خرجت رؤوس ورقه . ومنها الذُعْطورة ج . النفاطير وهو اول نبات الوسمي . واصلحها جميعاً لما نحن في صدده المَشْرة وهي الأغصان الخضر الرطبة قبل ان تتلوّن بلون وتشتد وهي ايضاً اول النبات . قلت انها اصلح الجميع لأن لفظة Thalle الفرنسية مشتقة من Thallos اليونانية بمعنى الغصن . فيمكننا إذن ان نستعمل المَشْرة للتالوس والمشريّات للتالوفيت .

والمشرة اشكال . فاذا كانت خيوطاً متشابكة سميت بالفرنسية Mycélium وعربها الدكتور شرف بلفظة ميسيل . ورأيت انه يمكن ان نطلق عليها لفظة مشيجة نباتية .

وليس للنباتات الدنيا أزهار كما ذكرنا وهي تتكاثر بالتجزئة او بخلايا خاصة تحصل في المشرة يسمونها Spores وهي من اليونانية بمعنى البذر . فنحن اذا اسميناها بذراً او بزوراً كما في المعاجم الأجنبية العربية ومنها معجم شرف التبس الأمر على القاري لأن البذور في المشهور حبوب ذوات الأزهار وهي بالفرنسية Graines . ولذلك كنت سميت السبور غُبيرة ووجدت اخيراً ان العلامة بوست كان سبقني اليها . والذي دعاني الى استعمال هذه اللفظة ان للسبور شكلاً يسمونه Conidie وهو من اليونانية بمعنى الغبار .

والفرق بين السبور والكونيديا ان الأولى تنشأ في خلية كبيرة يسمونها Sporange اي كيس الغبيرات او وعاؤها اما الثانية فتنشأ على قمة الخيوط المشربة مباشرةً فهي إذن غبيرات خارجية ·

وللنباتات التي يتناولها مقالنا هذا طريقة أخرى للتكاثر وهي حصول بيضة من لقح خلية ذكرية لأخرى انثوية · فالخلية الذكرية تسمى Anthérozoïde وقد رأيت ان اطلق عليها لفظ النطفة النباتية · وهي تكون في وعاء اسمه Anthéridie وهو وعاء النطفة النباتية · اما الخلية الأنثية فهي تسمى Oosphère من اليونانية Oòn بمعنى البيضة و Sphaira بمعنى الكرة ولذلك سميناها الكرة البيضية · والوعاء الذي تكون فيه يدعى وعاء الكرة البيضية Oogone ·

هذا ما رأيت ان أذكره في هذه المقالة ولعلي اتمكن من متابعة هذا البحث في فرصة أخرى ·

وبعد تلخص الألفاظ التي مر ذكرها بما يلي :

الفطور البيضية	Oomycètes
فصيلة المتعفنات	Mucorinées
الفطور الدُعامية	Basidiomycètes
دعائم	Basides
صدأ الحبوب	Puccinia graminis
الفطور الجرابية او الزقية	Ascomycètes
الفصيلة الكمئية	Tubéracée
الفطور المخاطية او الهلامية	Myxomycètes
الأشنة	Algues
الأشنة الزرقاء	Cyanophycées
« الخضراء	Chlorophycées
« السمراء	Phéophycées
« الحمراء	Rhodophycées

الفوقس	Fucus
الحزاز	Lichens
الطحلب	Mousse
السرخس	Fougère
الخنشار	Polypodium filix mas
المشرة	Thalle
المشريات	Thallophytes
الغبيرة	Spore
وعاء الغبيرة	Sporange
الغبيرة الخارجية	Conidie
النطفة النباتية	Anthérozoïde
وعاء النطفة النباتية	Anthéridie
الكرة البيضية	Oosphère
وعاء الكرة البيضية	Oogone

مصطفى الشهابي

كتب الادب القديمة والحديثة

— ٣ —

بعد ان انتهيت من الكلمة الأولى في زهر الآداب عثرت في جدول الأغلاط الملحق بالجزء الأول على ثلاث كلمات بين فيه صوابها فأحببت أن أعوض القراء عنها باضعافها فأعدت النظر في الجزء الأول فرأيت فيه ما يأتي :

قال في صفحة ١٠٧ — وأصاب شواكل المراد • وطبق مفاصل السداد • وقال في الذيل الشواكل جمع شاكلة وهي مابين الأذن والصدغ • والصواب وهي البياض ما بين الأذن والصدغ • وهذا بعيد عن مراد المتكلم فالأولى تفسير الشاكلة بالخاصرة لقولهم أصاب شاكلة الرمية اي خاصرتها • واصاب شاكلة الصواب • وهو يرمي برأيه الشواكل •

وفي ص ١١٧ — فليس في قوس احسان وراءها منزع • قال في الذيل منزع على وزن منبر السير الذي ينتزع به ولم أجده بهذا المعنى والذي في الاساس • رماه بالمنزع وهو السهم البعيد المرمى • وفي اللسان الذي يرمى به ابعد مايقدر عليه لتقدر به الغلوة • وفي القاموس السهم الذي ينتزع به •

وفي ذيل ص ١٢٧ — والجمام بكسر الجيم الراحة • وفي اللسان والجمام بالفتح الراحة • وفي القاموس والجمام كسحاب الراحة • وفي المصباح وجمام الفرس بالفتح لا غير راحته • وكذلك قال الفراء فما نقله عنه التاج •

وفي ذيل ص ١٢٩ — الكعاب اطراف القنا • وفي كتب اللغة الكعاب جمع كعب وهو الانبوبة بين العقدتين وقيل العقدة مابين الانبوبين •

وفي ص ١٢٩ — اعز مكان في الدنا • والصواب في الدنى جمع دنيا •

وفي ص ١٣٢ -- من ينحر البدن النضار لمن قرا . والصواب قرى لأنه من باب رمى كما في المصباح .

وفي ص ١٥١ — صاحت إذن بعلي . والصواب صاحب وفيها عُرْس . ضبطت بضم فسكون والصواب بكسر فسكون .

وفي ذيل ص ١٥٢ — المغفل الطيب القلب . وفي القاموس المغفل من لا فطنة له .

وفي ص ١٦٢ — بنفسج . ضبطت بكسر السين وقد ضبطه في المصباح بفتحها .

وفيها السحالة النخالة . وفي التاج والسحالة بالضم ما سقط من الذهب والفضة ونحوهما اذا برد .

وفيها فسر القارح بالأغر والقارح من ذوات الحافر كالبازل من الابل .

وفي ص ١٦٣ — ابو دعبل الجمحي . والصواب ابو دهبل .

وفي ص ١٦٩ — تفتح النصارى ضبط بضم الفاء . والصواب كسرها . والفتح عامي .

وفيها ريق المطر . الغزير منه وفي القاموس اوله . والريق ان يصيبك من المطر يسير .

وفي ص ١٧١ — الماء المقضض . والظاهر انه المقضقض .

وفيها على اعلا سماواته والصواب اعلى .

وفي ص ٧٣ — الزرافين الآلات يرفع بها الماء فترى له عليها بريقاً ولمعاناً . وفي القاموس والتاج الزرفين . حلقة للباب . او عام . ومنه درع ذات زرافين . ولم اجد من ذكر الزرافين بمعنى الآلات ولعل الاستاذ أراد الزرافات وهي المنازف التي ينزف بها الماء للزرع وما اشبهه . ولكنها غير الزرافين .

وفي ص ١٧٦ — فسر النفق بالسرداب . والنفق سرب في الارض مشتق الى موضع آخر اي له مخلص الى مكان آخر . والسرداب بناء تحت الارض للصيف فبينهما فرق واضح .

وفي ص ١٨٢ — مذق اللسان . يمزج الجد بالهزل ولم اجده بهذا المعنى وانما يقال فلان مذق اذا كان ملولاً غير مخلص .

وفي ص ١٩٦ — كما هوى من عضاه الزبية الاسد . قال في تفسيره العضاه جمع عاضهة وهي الحية تقتل لساعتها . والصواب ان العضاه جمع عضاهة او عضهة وهو اعظم الشجر او كل ذات شوك .

واما الحية فيقال لها العاضة والعاضهة وهذه لاتجمع على فعال ولم اجد من نقل جمعها كذلك · وبعد كل هذا فان اصل الرواية كما هوى عن غطاء الزبية الأسد · كما رواه المبرد في الكامل ·

وفي ص ١٩٨ — اشاط دمي شخص علي كريم · قال في تفسيره اشاط احرق · ولا معنى للاحراق هنا · بل من قولهم اشاط دمه اذا عرضه للقتل او اهدر دمه · او من اشاط دم الجزور اذا سفكه واراقه ·

وفي ص ١٩٩ — من شاب شبن له المودة ضبط شبن بكسر الشين وهي من الشيب والصواب ضمها · من الشوب بمعنى المزج والخلط ·

وفيها أذال ذيول الهوى ·قال في تفسيره أذال أهان · ولا يلتئم هذا التفسير مع قوله : جر إزار الصبا فالأولى أن يقال أطال او أرخى ·

وفي ص ٢٠١ — قبل ان تدرج لذاته · والصواب لداته ·

وفيها عمر بن قمئة · والصواب عمرو بن قميئة ·

وفي ص ٢٠٤ — حرزاً لشلو من الاعداء مشجون · وهو في ديوان ابن الرومي · حرزاً لشلو من الآفات مشحون ·

وفيها فسر النون بالتمساح وهو تخصيص غريب لم أجده لغيره ·

وفي ص ٢٠٥ — رقاق الثنايا عذبة المترنق · قال في تفسيره المترنق العين وتقول رنق النوم في عينيه خالطها وهو تفسير بعيد يقسم ابو حية النميري انه لم يرده · فالصواب ان يقال المترنق الريق المصفى من قولهم رنق الماء صفاه عن الكدر · وهذا يلتئم مع قوله :

سقتني بكأس الحب صرفاً مروقا   رقاق الثنايا عذبة المترنق

وفي ص ٢١١ — صليل البيض تقرع · ضبط البيض بكسر الباء والصواب فتحها ·

وفي ص ٢١٤ — اذا طرب الطائر المستحر · قال المستحر الحران · والصواب المغرد في السحر يقال استحر الطائر اذا غرد في السحر واستحر الديك صاح فيه ·

وفي ص ٢١٨ — مفدم بسبا الكتان ملثوم · أراد بسبائب · قال في تفسيره : السبائب جمع سبيبة وهي الحبل · والصواب ان السبيبة شقة كتان رقيقة · وبعضهم خصها بالبيضاء وبه فسر قول علقمة المتقدم ·

وفي ص ٢٢٨ — ثم دعا تسعة من رقيقة . والصواب من رقيقه .

وفي ص ٢٣٠ — فهل تستطيع . وبها يختل الوزن والصواب تسطيع .

وفي ص ٢٤٤ — أجنبنك الورد أغصان . والصواب والرواية أجنت لك الوجد .

***

وقد رأيت ان اجتزئ بثلاثين كلمة فاكثر أقدمها للقراء بدلاً عن تلك .

والآن أودع الجزء الاول وانا واثق باني أبقيت فيه لنظرة أخرى أكثر مما ذكرته وأعود الى سرد ما جاء في الجزء الثاني :

قال في ص ٨٦ — اذا كان في ايحاثهم والصواب ايحاشهم .

وفي ص ٩٠ — ذو مقلة بصرته منسية . وفي الديوان بصيرة مذهبة .

وفي ص ٩١ — لولاه ماصح خط دائرة . وفي الديوان شكل دائرة .

وفي ص ٩٢ — تمثال طرف بشكر الحذق مكبوح . والرواية بشكم جمع شكيمة وهي الموافقة لمكبوح .

وفي ص ١٠٧ — فلج بقلب ضبطت بكسر الفاء . والصواب فتحها .

وفيها . ورمى الكرى رأسي ومال به رمس . ولا معنى للرمس هنا . والظاهر انه رعس وهو هز الرأس في النوم .

وفيها واذا له علق وحشرجة . والصواب غلق وهو ضيق الصدر وقلة الصبر وهو الملائم لحشرجة .

وفيها . حتى دفعت به لمصرعه سوق المعيز تساق للعتر . قال في تفسيره العتر اسم نبات او شجر صغير . والصواب ان العتر هنا الذبح . ومنه العتر والعتيرة .

وفي ص ١٠٨ — باعلى رستاهي داخ . ولم أجد ستاهي فيما لدي من كتب اللغة .

وفي ص ١١٠ — اريتك ان شطت . ضبطت بضم التاء والصواب فتحها .

وفيها . الا ان حسياً . ضبطت بفتح الحاء والصواب الكسر .

وفيها . متاعهم فوضى قضاً . والصواب فوضى فضاً .

وفي ص ١١١ — قام الثقات . والصواب نام كما في الديوان والكامل .

وفي ص ١١٣ — من قرة يصطلونا . ضبطها بضم القاف والصواب كسرها .

وفي ص ١١٦ — والله لولا الخليفة والصواب لولا رضى الخليفة وبه يستقيم وزن البيت ·
وفي ص ١١٧ — مساك السحاب · ضبطت بكسر الميم والصواب فتحها ·
وفيها اذا غدى · والصواب غدا ·
وفي ص ١١٨ — في طلا الاعناق · ضبطت بفتح الطاء والصواب في طلى بضمها ·
وفي ص ١١٩ — لهم احنة والرواية بهم جنة ·
وفي ص ١٣٣ — أكانا قريساً · ضبطت بضم القاف وفتح الراء · والصواب فتح الأول وكسر الثاني ·
وفي ص ١٤٥ — قد شذ هذا · والصواب شد ·
وفيها نظل نلطم · والصواب تظل تلطم ·
وفي ص ١٥١ — ودمع العاشقة المرهاء · فسر المرهاء بالبيضاء · والصواب هي التي لا تكتحل ·
وفي ص ١٥٢ — او كعرق السآم · والصواب السام بغير مد رعاية للوزن والمعنى ·
وفي ص ١٥٥ — من برأي يعلم · والصواب برأي من يعلم ·
وفيها قد صاب آخر · والصواب صار ·
وفي ص ١٦٣ — ولا سانح · والصواب سالخ
وفي ص ١٦٧ — وان سمع العلم وعا · والصواب وعى ·
وفي ص ١٦٨ — دعا صَمرِد · والصواب صُمرَد
وفي ص ١٨٠ — فقلت الزيز ملهية · والصواب ملهاة ·
وفي ص ١٨٣ — عقبة بن ابي سفيان · والصواب عتبة ·
وفي ص ١٩٨ — فما بالوا · والصواب يألو ·
وفي ص ١٩٩ — الحلي بضم الحاء · والصواب كسرها ·
وفي ص ٢٠٧ — عتاد بكسر العين · والصواب فتحها ·
وفي ص ٢١٤ — لمع من حَمم · والصواب حُمم بضم الحاء ·
وفي ص ٢١٧ — جبال شدورى · والصواب شرورى ·
وفي ص ٢١٨ — كلية العروس · والصواب كحلة ·

وفيها · والسوس الآزاد · والظاهر الآزر ·

وفيها · ثمار الكنكر · والصواب الكبر ·

وفي ص ٢١٩ — ثم سما · والصواب همى ·

وفيها · احمره واصفره · بكسر الراء والصواب فتحها رعاية للقافية والاعراب ·

وفي ص ٢٢٣ · تبريح الأحباب · والصواب ترنح ·

ولنكتف بما اوردناه مما في الجزء الثاني تاركين فيه ما لا يقل عما ذكرناه خشية ان تدب السآمة الى نفس القاريء ·

* * *

وقد افتتح الجزء الثالث بمقدمة قال فيها :

اجمع رجال العلم والأدب على استحسان المنهج الذي سلكته في احياء زهر الآداب · فقد ظهر الجزء الأول والثاني ولم اسمع من احد منهم غير الثناء · وقد زادني هذا التشجيع حبًا فيما أعاني من التعب في ضبطه وتنقيحه وتفصيله وشرح مافيه من الغريب الخ ·

ومن وقف على الجزءين الثالث والرابع لا يسعه الا ان يدعو لهؤلاء المجمعين على الثناء · بان يوفقهم الله بعد اليوم حتى لا يقولوا الا الصدق ولا يثنوا الا بحق · وسيرى القاريء من الشواهد والأدلة على صحة هذا · مايغنينا عن الإطالة والإسهاب ·

فمما جاء في الجزء الثالث (في ص ١) ذات الرقم (٥) البحتري · ولو لم يكن في كفه غير نفسه · الخ · والصواب ان هذا البيت لابي تمام ·

وفي ص ٦ — الخمار بالضم ما يعتري الشارب من الألم عند فقد الشراب · والذي في لسان العرب والتاج وغيرهما · خمار الخمر ماأصابك من ألمها وصداعها وأذاها · فزيادة عند فقد الشراب غير صواب ·

وفي ص ٧ — وحملت المسن على الرياضة عمى · والصواب عناء · وفي المثل ومن العناء رياضة الهرم ·

وفيها · وبذل الانصاف · والصواب وبذلي ·

وص ٨ — بغصه · وصوابها بغضه ·

وفيها · عرصات السلطان · والصواب · مرضاة ·

وفيها . القارح هو الذي بلغ تمام القوة والجذع دون ذلك . وفي اللسان وغيره . الفرس في السنة الأولى حولي ثم جذع ثم ثني ثم رباع ثم قارح فالمناسب لسياق القول والمعنى اللغوي ان يقال القارح المسن . والجذع دونه .

وفي ص ٩ — بان فضل شجاع الفضل الخ . وهذا يشبه كلام الحكل . والظاهر ان يقال فان فضل شاع الفضل في الزمان واهله .

وفيها . وتحلت للعنون . والمناسب للمقام . وتجلى للعيون .

وفيها . بتكثير قليلها الخ والصواب ولتكثير قليلها . وايضاح مجهولها سبباً الخ .

وفي ص ١ — ان زل السلطان اتبعت الرذيلة . والمناسب لسياق الكلام . ان رذل .

وفيها . بملتقى طرفيها . والمناسب للمعنى والسجع . طرقها .

وفيها . وحشية المضاع وجيرة المرتاع . والصواب وحشة . وحيرة .

وفيها . اوتزورهم وصوابها او تزرهم كما هي الرواية .

وفي ص ١١ — يحوي المجد . والصواب يحو المجد بحذف الياء للجزم .

وفيها . وافنى فيئها . والاقرب الى الصواب نيها أي شحمها .

وفي ص ١٢ — فلا الاعجاز جازلة . وقال في تفسيره جازلة : اصابها الدبر . ورواية البيت خاذلة والدبر لا يكون في الاعجاز .

وفي ص ١٣ — غناؤك به . والاولى له .

وفي ص ١٤ — حسام جلت عنه العيون . والصواب القيون .

وفي ص ١٥ — ايرى جورها . والصواب جوزها .

وفيها . ومدرجة للريح غيراء . والصواب غبراء .

وفي ص ١٦ — اعارتها المحاسن مشيها . والصواب المها . حسن مشيها .

وفي ص ١٧ — وصراط في الشعر المستقيم نضى تيساره واوقد بالبقاع ناره . وفي العبارة ركاكة وتحريف والظاهر ان اصلها . نصب له مناره واوقد باليفاع ناره .

وفي ص ١٩ — وساربة تزداد ارضاً . ولا معنى لها ولعل محرفة عن تزدار اوترتاد .

وفيها . فتاة ترجيها . والصواب تزجيها .

وفيها . وللنخوط ضبطت بفتح الخاء . والصواب الضم كما في القاموس .

وفي ص ٢١ — ومشرقة في النظم غُرّا ٠ورواية البيت ٠ ومشرقة فيالنظم غَرّا ٠
وفي ص ٢٢ — بالحصا ٠ والصواب بالحصى ٠
وفي ص ٢٣ — وعصب اليمن بضم العين والصواب فتحها ٠
وفي ص ٢٤ —

غدت تستجيز الدمع خوف نوى غد وغدّى تتادى عندها كل مرقد

هكذا اورد البيت وضبطه وهو مطلع قصيدة لابي تمام بلغ الغاية من الشهرة والجودة وصوابه ٠

غدت تستجير الدمع خوف نوى غد وعاد قتاداً عندها كل مرقد

وفيها ٠ فاذرى لما الاشفاق ٠والذي في ديوان ابي تمام فاجرى ٠
وفيها ٠ تقضي زمام ٠ وصوابها ذمام ٠
وفي ص ٢٥ — وموامي وصوابها وموامٍ ٠
وفيها ٠وقد حنقوا ٠ وصوابها حنقوا كما في المصباح والقاموس ٠
وفيها ٠ استبطي نفقاً ٠ وفي الديوان استنبطي ٠
وفي ص ٢٦ — من بنات النيد وصوابها العيد
وفي ص٢٧ — جليت جلاء الحضرمية ٠ وفي ديوان ابي تمام حذيت حذاء ٠٠
وفيها ٠ قد حاكها ٠ وفي الديوان احذاكها ٠
وفيها ٠ يمده حسب ٠ وفيه : جفر ٠ وهو انسب ٠
وفيها ٠ ابكار اذا نضت ٠ وصوابها نصت ٠ من نص العروس اقعدها على المنصة ٠
وفيها ٠ قد طوقت عناباً ٠ والانسب طرفت ٠ يقال طرفت المرأة بنانها خضبت اطراف اصابعها بالحناء ٠

وفي ص ٢٨ —

تطير عنها حصى الفزان من بلد كما توقد عند الجبهة الورق

وهذ البيت لايمكن فهمه على هذه الصورة ٠ولعل اصله ٠

تطيرُ عنها حصى الظرّان من بلد كما تنقد عند الجهبذ الورق

والظران جمع ظر وهو الحجر ٠ والجهبذ النقاد الخبير وحينئذ يصح اللفظ والمعنى ٠

وفيها قول امرئ القيس :

كأن صليل المسرجين تشده

وصوابه كان صليل المرو حين تشده .

وفيها اسعى الى الافلاك . والرواية اسمو .

وفي ص ٢٩ — شُغِل المرء منظر ثم نطق

وأظن ان أصل البيت

يشغل المرء عن تظن ونطق   فهو يصغي بظاهر وضمير

وفيها مشعات كأنها حافلات . وصوابها مفعمات .

وفي ص ٣٠ — ولم اعقل لهن حسابا . والرواية لم اغفل .

وفيها . فاغار ذاك على يد . قلبي . والرواية على يدي قلبي .

وفيها . كل اللباس عليها مَعْرِض حسن . صوابها مِعْرَض . وهو ثوب تجلى فيه الجارية . وكذلك قوله ومَعرِضها . صوابه مِعْرَضها .

وفي ص ٣١ — تاهم الصوت . صوابها ناعم .

وفي ص ٣٢ — سقى بضرب من المزن . والاحسن بصوب .

وفيها . بهوجد وعد . ووسواس ودق . والرواية وجد رعد ووسواس برق وهي أولى .

وفيها . لجزى النسيم على غلائل خده . والاولى يجرى او فجرى .

وفيها .   لم يكن قبلها من الماء جرم   حاض ي نفسه بغير أوان

والظاهر حاصر نفسه أو حاضن نفسه لأن الماء لايحيض في نفسه .

وفيها . ماراه خائب فانثني بغير امان . والمناسب خائف

وفي ص ٣٣ — وضروب طربه لا تضرب . وصوابها وضروب ضربته لا تضطرب .

وفيها . وقبل السماع منقهة الاسماع وأدام المدام . وصواب العبارة . وقيل . السماع متعة الاسماع وإدام المدام .

وفيها منهدة من عتاد الملوك . والصواب مهندة من عَتاد الملوك

وفي ص ٣٤ — وحسن العهد والبغيا . والصواب والبقيا

وفيها . ولا بوردت . والصواب بودرت .

وفيها · ونتاجها التأليف ·و صوابها ونتاجها ·

وفي ص ٣٦— ومستنبطاً بانواره ظلم الجنان · ولا اعلم كيف تستنبط الظلم بالانوار· والظاهر ان اصل الكلام · ومستنبطاً ماتواريه ظلم الجنان ·

وفيها · فكان من فرسان خيولهم وكنت عميدهم واقران نصر عليهم وانت صنديدهم · وهذه الجملة في غاية الركاكة · ولعل صوابها هكذا: وله فرسان خلق لهم وكنت عميدهم· واقران قصر عليهم وكنت صنديدهم ·

وفيها · مؤلفة مختلفة اركانها وطباعها الخ··

وهذه الجملة ركيكة متناقضة· وربما كان اصلها هكذا : يؤلفه مختلف انوائها ومتباين الوانها وانحائها · وتؤيده بقواها الخ ·

وفيها · فلما قادته السعادة التي ارته نسيج وحده في الاقلام الخ · والصواب قادته السعادة الي ورأيته نسيج الخ · وبهذا يلتئم اللفظ والمعنى ·

وفي ص ٣٧ — والصمامة مصلتها · والصواب والصمصامة ·

وفيها · للأمر بعثته ·· وله اذا لم يجرها ·

ولعل صواب البيت

للامر تنتشه ··· اذا لم يجره ·

وفي ص ٣٨ — والريح في جوفها حريق · والصواب خريق اي باردة شديدة الهبوب ·

وفيها · اي ثوبية ابتذل · والصواب اي ثوبيه ·

وفي ص ٣٩ — احدثت بعد باعتابي · والاولى بعدي ·

وفيها · وان امير المؤمنين اعذني مع اهلها الخ ·

والرواية · وان امير المؤمنين اغصني مغصها الخ · وفي هذه الابيات كلها اضطراب· وهي مذكورة على وجه صحيح في لسان العرب في مادة · برد ·

وفيها ان البرامك لانجيك النجية بصحة الدين الخ · وهذا البيت لا يكاد يفهم ·

وفيها · وانما اجتازه فاخطره ذلك الزيارة · والاولى وانما اجتازبه فأخطر تلك الزيارة·

وفيها · فادفع مقالتهم بثانية · وسياق القول يقتضي · بثالثة ·

وفي ص ٤١ — بعد ماترأبين كأن تلاق · والاولى بعدما قد ترين ·

وفيها · وادى اليها الحق فهو معينها · والأولى · امينها

وفي ص ٤٢ — مقيم بسنن الفلا والمقام يقتضي العلى ·

وفيها · اما غافر او معاتب · والظاهر او معاقب ·

وفيها · فاترك من هجرانك اليأس · والظاهر فانزل بي هجرانك الخ ·

وفيها تثوب بساق · والظاهر تنوء بباق ·

وفيها · فاقلعن عنه راميات المخالب · والصواب داميات ·

وفيها · فها انا مغض في رضاك · والاولى مقصى ·

وفيها · اشيعت مشتاقاً · والصواب واشعث مشتاق ·

وفي ص ٤٣ — قصر سوقه · والظاهر شوقه ·

وفيها · هندي الحسام المضارب · والصواب حسام على حد قول ابي خراش · حسام الحد مذروباً خشيبا ·

وفيها · لو رأتني دزى الجادة فردا · ولعل اصله اطوى المحارة وهي المكان يحار فيه · او بذي المجازة فردا ·

وفيها · بين صرحي ومنحنى اعوادي · ولعل اصله بين سرحي ·

وفيها · على الخدين محمول · وسياق القول يقتضي · محلول ·

وفي ص ٤٤ — ماعلى الرزح الرقائل · والصواب المراقل جمع مُرقل · والذي في الديوان · ماعلى الوسج الرواتك ·

وفيها · ظرف الصداقة · من ظرف العلاقة · والظاهر ارق من ظرف العلاقة ·

وفيها · واراكها وعدادها · والظاهر · وعرادها وهو الغليظ من النبات ·

وفي ص ٤٥ — قالت الورد والمدامة والبد ر ضيائي ولون خدي ووجهي

والتقسيم يقتضي ان يكون رضابي بدلاً من ضيائي ·

وفيها · بجدران امسى · وصوابها بحوران ·

وفيها · اطلقت من السب · والصواب حبي الشيب ·

وفي ص ٤٦ — وله فصل الى بعض اخوانه يعتذر لك ان يعتب الخ والعبارة في غاية الركاكة والغموض ولعل اصلها وله فصل الى بعض اخوانه يعتذر اليه .

لك ان تعتب ولشبهك ان يعذر فهب اقل الامرين الخ :

وفيها . الحزن احسن من كلامه . والصواب الخرس .

وفيها . قصير جامع الكتابة . وصوابها باع .

وفي ص ٤٧ — ويستخي الصدر . والظاهر يسجي او يشجي .

وفيها . وينقش الانقاس . والصواب ينفش اي يشعث او ينقس او يعيب .

وفي ص ٤٨ — اللطيف فهم . وصوابها فهمهم .

وفي ص ٤٩ — وأضاء له نور الزجاجة . صوابها الرجاحة .

في ص ٥٠ — وشحذت مدارس الادب فواصله . وصوابها فياصله .

وفيها . تسوء شكوكه ببيانه الخ . والظاهر يشوب الخ .

وفي ص ٥١ — مطالعاً بيمينه . والظاهر مطالباً .

وفيها . كأنه وحماره تجاريا كلاً واحداً . وسياق الكلام يقتضي هكذا : كأنه وعمارة تجاذبا كلاماً واحداً .

وفي ص ٥٢ — لماحتف صرفه . وصوابها لما خفت .

وفي ص ٥٣ — وتلقانا شاب . وصوابها . وتلقاءنا .

وفي ص ٥٥ — فقلت ياسادات بنفسي صبراً . وصوابها قتلت . الخ .

وفيها الاسكندي . وصوابها الاسكندري .

وفيها الم تكن فينا وليدا . والرواية الم نربك فينا وليدا .

وفيها . البعيث المنقري . والمعروف ان البعيث الذي هجاه جرير : مجاشعي فليتأمل .

وفي ص ٥٦ — شيحيج النزال . وصوابها القذال .

وفيها . ومحتفل دائر . والظاهر داثر

وفي ص ٥٧ — فما لهم في الفلا . والظاهر في العلى .

وفيها . ولا لهم في الوغا وصوابها الوغى كما نص عليه أئمة اللغة :

وفيها . ينعني القوم . والظاهر النوم .

وفي ص ٥٨ — من لأود وصوابها من الأود ·

وفيها · ومذهب مقروض · وصوابها مرفوض ·

وفي ص ٥٩ — احق الناس باللؤم · وسياق القول يقضي ان يكون · باللوم ·

وفيها · على الندى · وصوابها على الندي ·

وفيها · اكثر صارخاً واشد معيبة : ولعل الاصل واشد معتبة ·

وفيها · لماهجوتك · وصوابها ولما · ·

سليم الجندي

رحلة اوليا جلبي

« في البلاد العربية »

— ٣ —

ثم رحلنا من هنا وسرنا نحو القبلة فاجتزنا قره مغرط الى ان وصلنا بعد اثنتي عشرة ساعة الى انطاكية (١) .

(١) قره مغرط قرية صغيرة في اسفل قلعة بغراس وشرقيها كان في جوارها خان قديم دثر في العهد الاخير ونقضت احجاره بعد ان كان عامراً وصالحاً لايواء القوافل والمسافرين . وقد فات الجلبي ان يصف مايراه السائح على هذه الطريق التي عبدت من عهد قريب وطولها من طوب بوغاز الى انطاكية ثلاثون كيلو متراً . وهي تسير محاذية لسفوح الجبل الاحمر التي يتركها السائح على يمينه ويرى على يساره سهل العمق الفسيح وبحيرة انطاكية الزرقاء والمستنقعات الواسعة الممتدة حولها . وهو بعد مغادرة الطريق الصاعدة غرباً الى قره مغرط وقلعة بغراس التي ترى عن بعد يمر حذاء ضيعة تدعى بغلامة تعد فرضة على شاطئ المستنقعات المتصلة بالبحيرة وفيها القوارب الرفيعة التي تغدو وتروح في هذه المياه وفي المسالك المنشقة بين قصب الآجام يركبها الصيادون الذين يفدون في الربيع لقنص الاوز والبط ودجاج الماء والشقب وغيرها من الطيور المائية واسرابها تفوق الحصر وثمة الثعالب والخنازير البرية وكلاب الماء ايضاً . ثم تجتاز الطريق وادياً عريضاً حافلاً بالبساتين فيه قريتا بدركة العرب وبدركة الشركس ثم قريتا ياقاري وسردلي وهنا يرى السائح في الافق الجنوبي جبل القصير وجبل الاقرع الشامخ كالهرم فوق البحر الى علو ١٧٥٩ متراً وبعد اجتياز قرية عواقية التي اتخذت قاعدة لناحية قره مغرط يودع المستنقعات ويدخل الارضين المحروثة والمزروعة من سهل العمق فيرى على يساره مخرج البحيرة الضيق يمتد من

الشمال الى الجنوب ويجري ماءه متثاقلاً ببطء زائد وهو يلتوي كالافعى الى ان يلاقي العاصي. وماء المخرج اصفر اللون لزج مملوء بالحنكليس الذي يصطاد بكثرة ويملح ويصدر الى البلاد. وهنا يشاهد عن بعد في الأفق الجنوبي جبل حبيب النجار او سيلبيوس المشرف على انطاكية وفي الافق الغربي جبل موسى معقل أرمن هذه الديار (١٧٠٠ متر) ثم يسير محاذياً لنهر العاصي الذي ينحرف عند جسر الحديد من الشرق الى الغرب متجهاً نحو انطاكية فالسويدية. اما سهل العمق فقد قال الكولونل جاكو مؤلف كتاب انطاكية ماخلاصته: تبلغ مساحته ١٦٠٠٠٠ هكتار منها ٣٠٠٠٠ مما لايمكن استغلاله يدخل فيه ٢٢٠٠٠ لمستنقعات و ٩ — ١٠ آلاف لبحيرة انطاكية. ويصب في هذا السهل ثلاثة انهر تأتيه من جبال عينتاب واللكام وجبل الكرد وهي عفرين ويغرا والنهر الاسود وثمة نهير يدعى البراك ينحدر من الجبل الاعلى. وجل صخور العمق طباشيرية واراضيه طينية كلسية الا في قليل من المواضع تكون صلصالية والصخور بازالتية (حرّى). وكمية امطاره لاتزيد في السنة على الخمسمائة مليمتر وهواؤه وبيل ووطأة الحر فيه اشد منها في الساحل وتفوح من مستنقعاته رائحة تعافها الانفس تنشأ من تفسخ نباتات الآجام وتنتشر فيه سحب قاتمة من اسراب البعوض هي علة الوبالة (حمى البرداء) التي تفتك في اهله. وسبب وجود هذه المستنقعات كون ماء البحيرة لايندفع بسهولة في المجرى الخارج منها الى العاصي حيث الميل لايزيد في الكيلومتر عن عشرة سنتيمترات وثمة سكور اقامتها اهل شطوط البحيرة لاصطياد السمك لاسيا الحنكليس والسلّور يدعونها داليان هي ايضاً من العثرات الواقفة في وجه الماء. ويقال ان مستنقعات العمق كانت قديماً اقل سعة مما هي عليه الآن ويعزى ازديادها الى الفتك بحراج جبل اللكام مما ادى الى انهيار التربة من سفحه وسيرها مدفوعة بالسيول الجارفة نحو السهل فرسبت في طريق انهره الثلاثة وتبسطت ولم يبق ثمة انحدار كاف لجريان الماء بسهولة فحدثت المستنقعات ومازالت تكثر بمرور الاعصر والاستمرار على تجريد الجبال من اشجارها حتى بلغت سعتها الحاضرة. ولو تسنى تجفيفها لطاب المناخ وامكن استغلال هذه المساحة الشاسعة بمختلف الزروع كالقطن وقصب السكر والأرز وغيرها. ويرى العارفون ان التجفيف يكون بازالة السكور التي وضعها الصيادون وبكري قاع البحيرة ومجرى العاصي

حتى انطاكية وتعميقها ليسهل جريان الماء وبفتح أخاديد واسعة تحصر فيها مياه الأنهر الثلاثة وغيرها من الينابيع الواردة الى العمق لتسيل فيها كما ينبغي · وجل أهل العمق عرب يسودهم نفر من سراة التركمان المنتسبين لآل مرسل وبعض الملاكين من الارمن وثمة بضع مئات من مهاجري الشركس في قرى الريحانية وبني شهر وضواحيها جاؤا منذ نصف قرن في زهاء مائتي بيت من مهاجري الارمن اختطت لهم السلطة الفرنسية منذ عهد قريب قرى في المرعى العسكري وغيره اهـ ·

قلت ويرى السائر الى انطاكية مستنقعات العمق وآجام القصب والاسل المنتشرة والباسقة فيه يتخللها كثير من القرى الصغيرة مما لا يمكن الوصول الى معظمها في زمن الفيضان الا بقوارب خاصة وبيوتها أخصاص من القصب المطلي بخثي البقر الجاف مكتظ بعضها ببعض بين الأوحال والادغال · وأهلها صفر الوجوه هزلى من وبال المرتع لكنهم مرزوقون في الجملة فهم يقلعون عرق السوس ويستدرون البان الجواميس ويبقى لهم قدر غير يسير من الغلة بعد اقتطاع مايصيب أصحاب القرى · والزروع الشتوية والصيفية في العمق تربو وتبسق كثيراً لزكاء تربته وهو على علاته مابرح منذ القديم ملجأ المعوزين من سكان الجبال والبقاع الممتدة بين ضواحي حلب الى شرقي اللاذقية يفدون اليه أفواجاً في السنين التي يصيبهم المحل كعامنا هذا (١٣٥) فيؤجرون من العمل في مزارعه الخصبة ويقتاتون ويمتارون بفضلات حصائده وأعشابه ثم يرجعون ·

وللعمق وبطائحه ذكريات عديدة في تاريخ أمم الشرق والغرب التي استولت او جاءت تستولي على انطاكية عاصمة شمالي الشام وعروس مدنها في العصور القديمة · فالأشوريون والحثيون والفرس واليونان والرومان والمسلمون والصليبيون والمصريون بقيادة ابراهيم باشا مروا من هذا السهل ذي المكانة الحربية الكبرى أوتطاحنوا فيه بمعارك دامية · عرفه من ملوك المسلمين ابن طولون في حروبه مع سيما الطويل صاحب انطاكية سنة ٢٦٤ كما ذكرناه في بحث بغراس ووصف المتنبي مجاري العمق ووحوله في احدى قصائده يمدح بها سيف الدولة لما عزم على السفر من انطاكية الى حلب في ايام شديدة الامطار في سنة ٣٥٥ وكان أوقع في العمق باهل انطاكية الذين عصوا عليه قال :

وما أخشى نبوّك عن طريق — وسيف الدولة الماضي الصقيل
وكل شواة غطريف تمنى — لسيرك ان مفرقها السبيل
ومثل العمق مملوء دماءً — مشت بك في مجاريه الخيول
اذا اعتاد الفتى خوض المنايا — فاهون ما يمرّ به الوحول

وعرفه منجوتكين قائد جيش الفاطميين الذي اوقع بجيش ميخائيل البرجي نائب قيصر الروم في انطاكية وذلك في سنة ٣٨٤ وتعرف بوقعة المخاضة . وحصلت فيه بين نور الدين الشهيد وصليبي انطاكية حروب كثيرة اخصها المصاف الذي كان في سنة ٥٤٣ في ارض يغرا من العمق فانهزم الفرنج وقتل منهم واسر جماعة كثيرة هذا عدا ما جرى لنور الدين حول قلاع حارم وارتاح وعم وعما جرى لصلاح الدين الايوبي وللظاهر بيبرس حول دربساك وبغراس وكلها من قلاع العمق المخصصة لحفظ انطاكية . اما حصن ارتاح الذي عده ياقوت من امنع الحصون في العواصم فقد دثر ولم يبق من رسمه الا اسمه واحدث في جواره قرية تدعى الآن « ريحانية » وكذلك الامر في عم التي ضاع رسمها واسمها وصار في مكانها قرية تدعى « بني شهر » ويسكن هاتين القريتين مهاجرو الشركس وفيهما ينابيع سارية ورباع مروية خصبة يزرعون فيها انواع البقول التي تحصل باكراً وتصدر الى حلب . قال ياقوت : عم بكسر اوله وتشديد ثانيه قرية غناء ذات عيون جارية واشجار متدانية بين حلب وانطاكية وكل من بها نصارى وقد نسب اليها قديماً قوم من أهل العلم والحديث قال ابن بطلان في رسالته التي كتبها في سنة ٥٤٠ الى ابن الصابي: وخرجنا من حلب الى انطاكية فبتنا في بلدة الروم تعرف بعم فيها عيون جارية يصاد فيها السمك ويدور عليها رحى وفيها مشارير للخنازير ومباح النساء والزنا والخمور امر عظيم وفيها اربع كنائس وجامع يؤذن فيه سراً اه . وقلعة حارم لا تزال رابضة باطلالها الدارسة فوق تلها المشرف على بلدة حارم التي اصبحت مركز قضاء وفيها عدد غير يسير من الدور والابنية الرسمية والحوانيت قال ابو الفداء : حارم بلدة صغيرة ذات قلعة وأشجار وأعين ونهر صغير . قال ابن سعيد هو حصن كثير الارزاق وقد خص بالرمان الذي يظهر باطنه من ظاهره مع عدم العجم وكثرة المياه . وقال عن دربساك : من جند قنسرين ذات قلعة مرتفعة ولها

ذكر أوليا جلبي نبذة من تاريخ انطاكية قبل الاسلام وبعده ونوه بفتحها على يد السلطان سليم العثماني عقيب معركة مرج دابق ثم قال ما خلاصته (١) : وعين السلطان اذ ذاك محمد باشا البيقلي واليًا على انطاكية

اعين وبساتين وهي خصبة ولها مسجد جامع ومنبر ولها من شرقيها مروج متسعة حسنة كثيرة العشب يمر فيها النهر الأسود وهي عن بغراس في الشمال تميلة الى الشرق وبينهما نحو عشرة اميال وفي شرقي دربساك يغرا وهي قرية اهلها نصارى صيادون يصيدون السمك وهي على بعد مرحلة من دربساك اه . قلت ويظن ان يغرا هي الآن قرية قالا التي اختص اهلها بصيد السلمور في بحيرة يغرا وهذه تدعى الآن كولباشي وهي الى الشمال من جسر مراد باشا على طريق حلب — قرق خان . وقد مر ابن بطوطة في سنة ٧٢٥ بالعمق بعد ان غادر حصن بغراس وقال عنها «حصن بغراس حصن منيع لا يرام عليه البساتين والمزارع ومنه يدخل الى بلاد سيس وهي بلاد الأرمن وامير هذا الحصن صارم الدين ابن الشيباني ولقد لقيت هذا الامير ومعه قاضي بغراس بموضع يقال له العمق متوسط بين انطاكية وتيزين وبغراس ينزله التركمان بمواشيهم لخصبه وسعته» . وقال شيخ الربوة شمس الدين محمد الدمشقي المتوفى سنة ٧٢٧ في كتابه نخبة الدهر في عجائب البر والبحر : ومن الثغور الساحلية الجبلية دركوش ودربساك وبغراس وحجر شغلان والاسكندرونة وقصير انطاكية ويغرا ولها بحيرة حلوة من النهر الاسود بينها وبين بغراس اه .

(١) قال ياقوت في معجم البلدان يصف انطاكية في القرن السابع : ولم تزل انطاكية قصبة العواصم من الثغور الشامية وهي من اعيان البلاد وامهاتها موصوفة بالنزهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير . وقال ثم لم تزل بعد ان فتحها ابو عبيدة بن الجراح في ايدي المسلمين وثغراً من ثغورهم الى ان ملكها الروم في سنة ٣٥٩ بعد ان ملكوا الثغور المصيصة وطرسوس وأذنة واستمرت في ايديهم الى ان استنقذها منهم سليمان بن قتلمش السلجوقي احد ملوك آل سلجوق في سنة ٤٧٧ فاستقام امرها وبقيت في ايدي المسلمين الى ان ملكها الافرنج بعد حصار شديد وطويل من واليها باغيسيان

ورامي علي افندي قاضياً وهي لاتزال بيدالعثمانيين فيها نائب ومحتسب ونقيب الاشراف وقاضي وكتخدا جند وسردار انكشارية ودزدار قلعة وفيها جنود وعتاد وعشرون مدفعاً بين كبير وصغير · وسور انطاكية مبني على خمسة

التركي على اثر خيانة احد قواده المسمى فيروز الارمني وذلك في سنة ٤٩١ · قلت وبقوا فيها الى ان افتتحها الملك الظاهر بيبرس عنوةً في سنة ٦٦٨ ·

وقال ابو الفداء في القرن الثامن : « انطاكية قاعدة العواصم بلدة كبيرة ذات اعين وسور عظيم داخله خمسة اجبل وقلعة يمر بظاهرها نهر العاصي والنهر الاسود مجموعين وبها قبر حبيب النجار · قال ابن حوقل : انطاكية انزه بلد الشام بعد دمشق عليها سور من صخر يحيط بها وبجبل مشرف عليها ويجري مياههم في دورهم وسككهم ومسجد جامعهم ولها ضياع وقرى ونواح خصيبة جداً · قال في العزيزي ومساحة دور السور اثنا عشر ميلاً · وقال شيخ الربوة في القرن الثامن ايضاً : انطاكية قصبة السواحل وكانت احدى كراسي الروم وتسميها الروم تعظيماً لها مدينة الله كما تسمى الارض المقدسة وانطاكية من المدن القديمة ويحيط بها سور كبير يحيط على اربع جبال وشعاري ولها بساتين وحبيب النجار منها وله قصة في سورة يس في القرآن الحكيم في قوله تعالى : ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين · ولها فرضة تسمى السويدية عند الساحل عند مصب العاصي في البحر اه ·

ومر ابن بطوطة بانطاكية في ذلك القرن في سنة ٧٢٥ هـ فقال عنها : مدينة عظيمة أصلية وكان عليها سور محكم لا نظير له في أسوار بلاد الشام فلما فتحها الملك الظاهر هدم سورها ، وانطاكية كثيرة العمارة ودورها حسنة البناء كثيرة الأشجار والمياه وبخارجها نهر العاصي وبها قبر حبيب النجار وعليه زاوية فيها الطعام للوارد والصادر اه ·

ومما ذكره الكولونل جاكو مؤلف كتاب انطاكية المطبوع في سنة ١٩٣١ ان عدد سكان انطاكية في يومنا هذا ٣٥٠٠٠ أكثرهم من المسلمين السنيين الترك والنصيرية العرب وأقلهم من المسيحيين العرب المنتسبين لطوائف مختلفة وفيها كثير من الفنادق الجميلة والمقاهي والنوادي والمصارف والمدارس والجوامع (أكبرها الجامع الكبير وجامع حبيب

جبال ونصف قلعتها في منحدرات تلك الجبال ونصفها الثاني في سفوحها وقرب نهر العاصي · ومحيط هذا السور اثنا عشر ميلاً · وفي الحق انني لم أر حتى الآن أسواراً وأبراجاً عالية مثلما رأيت في انطاكية · وربما بلغ علو السور

النجار) والكنائس ومتحف أثوي في دار الحكومة وانها اكثر ما تصدر الصابون ثم فيالج الحرير والسمك والصوف والحبوب وزيت الزيتون والقطن والقطران وزيت الغار والجلود والفواكه الطيبة وغيرها · وفيها صناعات غزل الحرير وعمل الصابون والدباغة ونسج الاقمشة الحريرية والقطنية والطنافس وتجارة الامشاط وتجارة الاثاث المعمولة من خشب الجوز وتجارة النقود والعاديات وان جسامة انطاكية في يومنا لاتزيد عن عشر ما كانت عليه في العصور الغابرة وان من أكبر أسباب انحطاطها بعد الزلازل الهائلة التي انتابتها مراراً هو تخريب الملك الظاهر ميناء السويدية · وقد كانت انطاكية بفضل هذه الميناء مركزاً تجارياً عظيماً بين ممالك البحر المتوسط والاقطار الشرقية اهـ · ومما قاله مونمارشة في وصف انطاكية : يمكن للسائح ان يتملى برؤية هذه البلدة الجميلة اذا وقف فوق التل المتخذ مقبرة للمسلمين وهو في شمالي البلدة على يمين العاصي وقد كان عليه فيما مضى حصن بناه كودفروا فمنه يرى دور انطاكية المبنية على الطراز التركي وقد علتها اسطحة مائلة مغطاة بالقرميد ويرى العاصي وقد عرض وضخم اكثر مما كان في حماة وعليه هنا ايضاً نواعير تدور بنغمات لا تخلو من اللطافة وتحيط بانطاكية كلها رياض تزيدها نضرةً وحبوراً · قد نورت انطاكية حديثاً بالكهرباء وسيأتون اليها بمياه الشرب من شلالات دفنة الشهيرة كما كانت في العصور الغابرة اهـ ·

ومما قاله الشيخ كامل الغزي مؤلف نهر الذهب في تاريخ حلب عن اهل انطاكية : الجمال غالب في نسائهم وقد اشتدت في وجهائهم واعيانهم محبة الجاه والتقرب الى الحكومة يزاحمون بعضهم في ذلك ليتمكنوا من اخضاع مزارعيهم ويصونوا حقوقهم وغلاتهم منه ومن غيره من ارباب الصولة في البر · ويعد من مساوئ انطاكية كثرة الامطار والرعود والصواعق والزلازل وفي الصيف انحباس النسيم عنها في بعض الليالي وكثرة الرطوبة وقال مما انفردت به انطاكية من الفواكه المشمش العجمي المعروف

الراكب على الجبال في الجهة الشرقيـة نحو ثمانين ذراعاً . اما السور القريب من نهر العاصي فواطئ ولا يعلو اكثر من عشـرين ذراعاً كما انه غير ضخم واذا دخلت من بابي حلب ودمشق وصعدت ترى أمامك ابراجاً وباشورات

بشكرباره والدراقن والسفرجل والبني دنيا وقصب السكر والبرتقال والليمون وانواع البطيخ الاصفر والعنب والرمان وحب الآس والعناب وانفردت ايضاً بلبن الجاموس وما يعمل منه كالزبدة والجبن فهما مما لانظير له في غيرها وانفردت بتبغها وفليفلتهـا الحمراء وصابونها الجيد اه . قلت واللغتان التركية والعربية شائعتان على السواء في انطـاكية يتكلم الاولى المسلمون السنيون والثانيـة النصيرية والمسيحيون على ان كلا الطرفين يفقه لغة الآخر والترك والمسيحيون في رغد من العيش والرفه العصريين ومنهم كثير من المتعلمين . هذا وفي الجنوب الغربي من انطاكية على مقربة منها قرية تدعى الحربية فيها شلالات دفنة الشهيرة تنحدر من عل نحو وادٍ سحيق وتدير عدة طواحين تدعى طواحين بيت الماء ولهـا خرير ورغو زائدين بين اشجار الدلب والدفلى والاعشاب الخضراء مما يبهج السمع والبصر عدا عما هنالك من المناظر الرائعة والحدائق الغناء والآثار القديمة الباقية من عهد الرومانيين الذين اتخذوا هذا المكان محلاً للقصف والنزهة . وثمة شرقي دفنة وفي الهضاب الوعرة المطلة على صوفيلر احدى قرى كورة القصير التي سيأتي ذكرهـا شعاب تصل الى حصن القصير كان من معاقل الصليبيين المخصصة لحراسة انطـاكية من الجنوب وهو مبني فوق رابية منفردة تحيط به وهاد سحيقة وخندق ولايزال بعض ابراجه وأسواره قائماً مر به ابن بطوطة واستحسنه وذكر اسم اميره وقاضيه . وفي غربي انطاكية على ساحل البحر بالقرب من مصب العاصي السويدية وهي قرية جميلة كبيرة اهلها نصيرية وروم وعلى مقربة منها خرائب سلوقية يزورها السواح لامتاع النظر في اطلالها العجيبة وقنواتها الفخمة الممتدة تحت الارض وقد كانت سلوقية فيما مضى فرضة انطاكية ومن اعظم موانئ الساحل الشامي وظلت في زهوها الى ان ردم الملك الظاهر بيبرس ميناءها بعد استخلاص انطاكية من ايدي الصليبيين حذراً من ان يعودوا فأفل نجمها من ذلك الحين .

يعلو بعضها فوق بعض . اما الاحجار التي بنيت منها هذه القلعة فهي جد ضخمة وقد ركبت والصقت بمهارة كايسة . وعلو باب حلب المتجه الى الشمال نحو عشرين ذراعاً (١) وكان ينبجس من الصخور التي في داخله مياه فوارة . وفي غربي هذا الباب جسر عظيم يعبر منه فوق العاصي . ولوفرة علو الجبال المحيطة بانطاكية وارتفاع الاسوار الراكبة عليها لاتنتشر الشمس على هذه البلدة الا بعد ساعتين من طلوعها .

وفي انطاكية ثمانية قصور عظيمة اهمها قصر كتغاج باشا فيه كثير من الابهاء والغرف العديدة المزخرفة وبابه من الحديد . واكثر دور انطاكية الفخمة واقعة على العاصي . وفيها من الاولياء حبيب النجار الذين يزعمون انه كان من حواريي السيد المسيح وبعد قتله حفظ رأسه في تكية يزورها ويتبرك بها المسلمون والنصارى على السواء . وفي انطاكية مدارس للعلوم الشرعية وكتاتيب للصبيان . وفيها تكية لحبيب النجار يهبط اليها بدرج ملئت بالدراويش وأخرى في اعلى الجبل في مكان عال مشرف يوصل اليه في خلال ساعة . وفيها حمامات تأتي مياهها من العاصي بالنواعير وفيها خانات وأسواق وحوانيت عديدة . ومياه هذه البلدة غزيرة تنحدر من الجبال العالية المحيطة بها لذلك ترى سبلها وينابيعها كثيرة كما ان الفاكهة تجود وتغزر

(١) هدم هذا الباب في الزلزلة التي حدثت عام ١٢٩٠ هـ اما الاسوار والابراج التي ذكرها اوليا چلبي فقد كانت باقية في الجملة على النحو الذي وصفها به الى ان جاء ابراهيم باشا المصري وافتتح انطاكية فنقض احجار الاسوار والابراج وبنى بها عام ١٢٤٧ ثكنة عظيمة لجيشه فلم يبق منها الآن الا آثار ضئيلة .

أصنافها في البساتين التي تروى من النواعير الراكبة على نهر العاصي . هذا وبعد ان انتهينا من زيارة انطاكية عزمنا على السفر في صبيحة اليوم الاول من شوال سنة ١٠٥٨ وبعد ان أدينا صلاة العيد في جامع السوق ضرب نفير الرحيل في قافلتنا فغادرنا انطاكية متجهين نحو القبلة وبعد ان اجتزنا كثيراً من القرى العامرة نزلنا بعد ثماني ساعات في قرية الزنبقية على شاطئ العاصي (١)

(١) يظهر ان قافلة الجلبي اختارت الطريق الصاعدة في عقبات القصير بضم القاف وشعابه وطوله ثلاثون كيلومتراً لم يتم تعبيدها بعد وفيها قرى عامرة كما قال وهذا الطريق ممر القوافل منذ القديم فقد سلكها الرحالة ابن بطوطة في سنة ٧٢٥ حينما مر بحصن القصير ثم بحصن الشغر بكاس . والقصير كورة جبلية خضراء يحدها من الشمال والشرق وادي العاصي ومن الغرب البحر ومن الجنوب ينابيع نهر الكبير الشمالي وهي تشمل الآن ناحية الحربية والنواحي الثلاث القصير الفوقاني والوسطاني والتحتاني وناحية الاردو وكسب . وهذه النواحي الست تتبع قضاء انطاكية وثمة ناحية دركوش تتبع جسر الشغر وفيها سلسلتان من الجبال ممتدتان من الشمال الى الجنوب تتصل بها فروع واعضاد كثيرة تجعل هذه الكورة ذات حزون ونجود متموجة يتراوح علوها من ٧٠٠ الى ١٠٠٠ متر في الاكثر وفيها نهران يصبان في العاصي الاول نهر الابيض يخرج من هضاب الاردو مياهه عذبة والثاني نهر البواردة يخرج من قرب قلعة القصير ويصب في الشمال جنوبي جسر الحديد . وهي في الغرب في جهات الاردو وكسب مزدانة بمختلف الحراج الجميلة أخص اشجارها الصنوبر الحلبي واللبنة والبلوط اما في الشرق فهي خالية من ذلك ولكن اوديتها ومنحدراتها مغروسة بمختلف الاشجار المثمرة لاسيما الزيتون يأتي بعده التوت واللوز والتين والمشمش وفي منخفضاتها الرطبة الحور والدلب والصفصاف والدفلي . وهذه الكورة كثيرة الغلال وافرة الخيرات تتوالى على سكانها المواسم واجل موسم فيها الزيتون ويصدر زيته الجيد الى انطاكية وصنع الصابون ثم يأتي بعده الحرير والبطيخ والتين والعنب والجبن والسمن والحنطة القصيرية مشهورة في هذه الربوع ومفضلة على غيرها وطيور الصيد ودوابه

وهذه القرية واقعة في واد خصب له كروم وحدائق ذات بهجة وفيها نحو ثلاثمائة بيت · وقد اشتهرت بجودة تينها وجمال زنبقها · وهنا أقام علي باشا

كثيرة · ويبلغ سكان هذه الكورة في النواحي التي عددناها زهاء ٠٠٠ ٤٥ معظمهم من التركمان السنيين ويأتي بعدهم العرب السنيون ثم النصيرية وثمة قرى للأرمن واخرى للروم وواحدة للاسماعيلية تدعى جندالية وتاريخ هذه الكورة مرتبط بتاريخ انطاكية وقد كانت تمر منها الجيوش الزاحفة نحو هذه العاصمة من اللاذقية او من جسر الشغر وفيها من الحصون المنيعة التي كانت تخفر انطاكية من جنوبها القصير ودركوش والشغر وبكاس وكفردبين · وفيها الآن من امهات القرى (قرية الشيخ) وهو الشيخ اسماعيل القصيري كان معدوداً من الاولياء وضريحه لايزال مقصوداً بالزيارة ولاحفاده في هذه الديار حرمة زائدة وقد اتخذت هذه القرية قاعدة لناحية قصير الفوقاني وفي غربيها نجود هي اعلى ما في هذا الجبل لها منظر جميل وهواء نقي تشرف على وادي العاصي والجبل الاحمر وسهل العمق والجبال المحيطة به وقرية (بابطرون) قاعدة ناحية القصير الوسطاني و(قارصو) قاعدة ناحية القصير التحتاني وهناك قرية (الاردو) وهي قصبة الناحية واهلها تركمان ثم (كسب) واهلها أرمن وفيها دير كبير للرهبان الفرنسيسيين ومنها يمكن الصعود الى جبل الاقرع الشامخ · وفي الشرق من الامهات قرية (دركوش) قاعدة هذه الناحية اهلها عرب سنيون عددهم (٢٥٠٠) مبنية على يسار العاصي في اضيق مكان من واديه يعلوها من الغرب جبل شامخ وعلى العاصي نواعير كما في حماة · عدّ شيخ الربوة دركوش من الثغور الساحلية الجبلية وقال عنها ياقوت : دركوش حصن قرب انطاكية من اعمال العواصم اه · وقد زالت آثار هذا الحصن المنيع الذي عجز هولاكو عن فتحه وينتج في دركوش فواكه جيدة كالتفاح والرمان ترسل الى حلب · وهناك (القنية) قرية جميلة اهلها كاثوليك فيها دير للرهبان الفرنسيسيين وماؤها قليل وبقربها (كفردبين) على رابية وكان لها حصن ذكره ياقوت يمر من تحته الدرب الذاهب الى (حمة الشيخ عيسى) وهي ذات مياه معدنية حديدية حارة تنفع للاستشفاء من داء المفاصل يقصدها الناس من كل الجهات ولوشيدت فيها ابنية صالحة للاستحمام والمبيت لزاد الاقبال عليها · ومن الامهات (قارباز) اهلها تركمان

الجانبولاد لمرتضى باشا وليمة عظيمة لم يسمع بمثلها . فقد اكل كل الجند الذي بمعية علي باشا وعده كان ينوف على الستة آلاف واكل خلق عظيم لايسعه الحصر ممن حضر من الجوار ومع ذلك فقد بقيت الصحون والقدور

وعلوها ٨٠٠ متر وتعدا كبرواغنى قرى القصير اشتهرت بعنبها الفاخر ولوزها . و(جنيدو) واهلها روم يقام فيها في فصل الصيف سوق عام كل يوم خميس وفي غربيها طريق تأخذ الى قلعة القصير الأثرية التى ذكرناها في بحث انطاكية . و (صورية) وهي كبيرة وأهلها روم فيها مدرسة وكنيسة ومعاصر زيتون .

والسائر في الطريق الذي سلكته قافلة الجلبي بعد ان يغادر انطاكية يتسلق عقبات جبل القصير وشعابه وهضابه فيمر بقرى نارنجيه وقبايبنار ثم يجتاز وادي نهر البواردة ثم بقرية الفاتكية التي اشتهرت بكثرة أشجارها وفاكهتها ثم بصورية وقليزان ومزرعة التركمان وفلنجار وكفر عابد وسفرية وقاريبنار والميتة التي تنتهي فيها حدود لواء الاسكندرونة وبالقنية حتى يصل الى جسر الشغر . ولعل قافلة الجلبي انحرفت من قارياز الى الزنبقية وهي الآن ضيعة صغيرة قرب درکوش فيها أطلال خان قديم ثم تابعت سيرها نحو الجنوب مارة بدركوش وبالقنية الى ان وصلت الى جسر الشغر . هذا والمجتاز هضاب هذه الطريق لابد ان يلمح من أعاليها في الأفق الممتد شرقي العاصي آكام جبل الأعلى الغربية الغضراء وجلها مزدان باشجار الزيتون تختفي في أوديتها بلدان صغيرة جميلة عامرة كحارم وسلقين وكفر تخاريم وأرمناز وقرى اسقاط والعلاني وتل عمار والدويلي وهذه فيها حصن خراب وفي جنوبيها الجبل الوسطاني الحائل بين سهل الروج ووادي العاصي ويناوحه من الشرق جبل بني عليم الذي صار يسمى الآن جبل الزاوية نسبة لزاوية في قرية منه تدعى أم رعيان ويسمى القسم الشمالي منه جبل الاربعين لمقام فيه يعرف بمقام الاربعين اختص بالاشجار المثمرة التي تنبت عذياً كالكرز والكمثرى والتفاح والتين والجوز والعنب وهو صحيح الهواء طيب الماء ذو مناظر جميلة تشرف على سهول حلب الغربية الشاسعة وما فيها من البلدان والقرى كأريحا وادلب ومعرة مصرين وسرمين وغيرها . وفي جبل الزاوية كله قبور

ملآنة بالأطعمة النفيسة · وأهدى علي باشا الى مرتضى باشا ثلاث أفراس من عتاق الخيل فقابله مرتضى باشا بفرو من السمور المرصع (١) · ثم استأنفنا المسير الى الجنوب الى ان وصلنا الى جسر الشغر وهو مكان موحش على شاطئ العاصي وتحيط به مروج خضراء وفيه خان صغير · على ان الأمن هنا مفقود نرجو الله ان يوفق اهل الخير لعمران هذا المكان وتوطيد الامن فيه

كثيرة منقورة في الصخور وخرائب أثرية أهمها في قرى أم رعيان والمغارة والحاس واورم الجوز وكفرلاتا والبارة · والبارة هذه تشبه خرائب بومبي في ايطاليا لا تزال قصورها ومعابدها وشوارعها كما كانت تمتد في مساحة واسعة تدل على ما كانت عليه هذه المدينة من العظمة · هذا وبين جبل الزاوية والجبل الوسطاني سهل الروج المشتهر بخصبه وكثرة مناقعه ورداءة هوائه (مساحته ٢٠٠٠٠ هكتار منها ٩٠٠٠ مستنقعات) وبما كان في كورته لصليبي انطاكية من المعاقل المخصصة لحراسة انطاكية من الجنوب · قال عنه ياقوت : الروج كورة من كور حلب المشهورة في غربيها بينها وبين المعرة ولها ذكر في الأخبار ·

(١) من هو هذا الباشا الكبير الذي استطاع ان يقوم بتلك الوليمة العظيمة · لم يذكر الچلبي وظيفته ولا من أين أتى وما سبب مجيئه لمقابلة مرتضى باشا إذ لا بد ان يكون غير علي باشا الجانبولاد الشهير الذي حكم حلب في سنة ١٠١٤ ثم خرج عن طاعة الدولة العثمانية وحارب جيوشها مدة مديدة الى ان قتل في سنة ١٠٢٠ أي قبل مرور قافلة الچلبي بثماني وثلاثين سنة على ما رواه المحبي في خلاصة الأثر · ولما حسبته انه والي حلب جاء يحتفي بزميله مرتضى باشا وجدت (سالنامة ولاية حلب) تذكر في قائمة اسماء ولاتها احمد باشا الدباغ في سنة ١٠٥٧ ومصطفى باشا الموستاري في سنة ١٠٦ والچلبي لم يذكر احداً منهما · فهل كان مخطئاً في بيان الاسم ؟ ·

ليسهل مرور الحجاج منه (١) .

« للبحث صلة » وصفي زكريا

(١) يظهر ان رجاء الچلبي استجيب فوراً . لان محمد باشا الكوبرلي الشهير الذي كان نائباً في طرابلس الشام قبل ان يصبح صدراً اعظم مر من هنا بعد مدة وجيزة من مرور الچلبي فرمم الجسر الكبير المعقود فوق العاصي وقيل انه هو ايضاً بنى الجامع الكبير وخاناً وحماماً فعمرت بلدة الجسر على يد هذا الوزير بعد دثورها لانه كان في مكانها في العصور الغابرة على ما قاله الافرنج بليدة اسمها Niaccuba او Séleucie ad Bellum ومن الغريب ان جغرافيي العرب لم يذكروا عنها شيئاً . واكتفى ابوالفداء بذكر السوق العام الذي كان يقام قرب جسرها وقد دعاه جسر كشفهان . ومهما يكن فلهذا الجسر مكانة لاتنكر من الناحية الحربية والاقتصادية فقد كان يمر منه الرصيف الروماني القديم الذاهب من اللاذقية الى حلب الذي لاتزال آثاره ظاهرة في موقع يسمى اسفكون قرب خان الزعرور . وليس جسر الشغر مستقيماً بل في وسطه كوع جعل لمقاومة دفع العاصي كما ان ظهره أفقي ليس فيه الاحديداب الذي يرى في معظم جسور البلاد الشامية وطول هذا الجسر اربعمائة متر معقود على اربع عشرة قنطرة تدل حجارتها على انه رمم مراراً وفي منتصفه وعلى جانبه حجرة زبرت عليها كتابة عربية فيها اسم جقمق ولعله الملك الظاهر جقمق الذي حكم مصر والشام في سني ٨٤٢ — ٨٥٧ . وفي بلدة جسر الشغر الآن من السكان سبعة آلاف اكثرهم مسلمون وفيها دار للحكومة جديدة ومساجد ومدارس ودور للاهلين مبنية بالحجر الابيض حسنة في الجملة ويمر منها طريق السيارات الذاهب من اللاذقية الى حلب لكن هواءها رديء لقرب مستنقعات الروج والغاب منها . وفي اواخر القرن الماضي جعلت مركزاً لقضاء يشمل قسماً من سهل الغاب وجبال النصيرية وتتبعه ناحيتا الجسر ودركوش . ومعظم سكان هذا القضاء من العرب السنيين والنصيرية وقليل من التركمان القاطنين في مرتفعات جبل القصير ومن الروم في قريتي القنية وانكزيك وتكثر اشجار الزيتون في بقعة التركمان والاشجار المثمرة والكرمة في قرى بداما والجسر ودركوش والقنية وزراعة الارز والقطن في سهول قسطون وماجاورها . وفيه من المحاصيل

بزر الخردل وجزور المحمودة المعروفة في الطب باسم سقمونيا · واشتهرت فيه قرية اشتبرق بحدائقها وينابيعها ومتنزهاتها وانكزبك بجودة هوائها وصلاحها للاصطياف وزعينة بحراجها ومياهها ومصائدها وقسطون بخصب تربتها وبليس ومشمشان وعين عيسى وبشلون بذكرياتها التاريخية · وكان لبلدة الجسر على بعد ساعة في شماليها قلعة حصينة مقابلها أُخرى يقال لها بكاس على رأس جبلين بينهما واد كالخندق كل واحدة تناوح الاخرى وفوق الوادي جسر كان يعبر من فوقه من احداهما الى الأُخرى · مر ابن بطوطة في سنة ٧٢٥ بحصن الشغر وبكاس وقال انه منيع في رأس شاهق وذكر اسم اميره وقاضيه ونوه بفضل الأول وان الثاني من اصحاب ابن تيمية · وقال ابو الفداء المتوفى سنة ٧٣٢ : الشغر وبكاس من جند قنسرين قلعتان حصينتان بينهما رمية سهم على جبل مستطيل وتحتها نهر يجري ولها بساتين وفواكه كثيرة ولها مسجد جامع ومنبر ورستاق وهما بين انطاكية وفامية على قريب منتصف الطريق بينهما وفي شرقيها على شوط فرس جسر كشفهان وهو جسر على النهر وهو مشهور وله سوق يجتمع الناس فيه في كل اسبوع والشغر وبكاس في جهة الشرق والشمال عن صهيون وفي الجنوب عن انطاكية وبينهما الجبال اه ·

فيستدل من هذا الوصف ان كشفهان ربما كانت هي بلدة جسر الشغر الحالية · وكانت الشغر وبكاس وما حولها من الحصون من معاقل الصليبيين المخصصة لحراسة انطاكية ومركز اتصال قواتهم بقوات قمص طرابلس وملك القدس ومن هنا كانوا يغيرون على المسلمين في شيزر وحماة عن طريق افامية وعلى حلب عن طريق سهل ادلب · وظل هذا الحال الى ان جاء الملك الناصر صلاح الدين بن ايوب سنة ٥٨٤ فافتتح انطرطوس وجبلة وصهيون والشغر وبكاس وحصن برزية ودربساك وبغراس فاصبحت انطاكية بعد فقدان هذه المعاقل كما قال في الروضتين « معدومة الاطراف قد قطعت ايديها وارجلها من خلاف » · ولم يبق الآن من آثار هاتين القلعتين الا اسس الجدران واحجارها المتهدمة وعلى بعضها كتابات عربية · وعلى مقربة من القلعتين قرية تدعى الشغر القديم تحيط بها المزارع والحدائق ·

جامع التواريخ

— أو —

« نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة »

— ٢ —

حدثني ابو يعلى محمد بن يعقوب البريدي الكاتب قال لما قصدت سيف الدولة اكرمني وانس بي وأنعم عليّ وكنت أحضر ليلاً في جملة من يحضر قال فقال لي ليلة من الليالي كان قتلُ ابيك أبرك الأشياء عليّ. فقلت كيف ذاك اطال الله بقاء مولانا؟ قال: لما رجعنا من بغداد اقتصر بي اخي ناصر الدولة على نصيبين فكنت مقيماً فيها ولم يكن ارتفاعها يكفيني فكنت أدافع الأوقات وأصبر على مضض من الاضاقة مدةً ثم بلغتني اخبار الشام وخلوّها الا من (يانس المؤنسي) وكون ابن طغج بمصر بعيداً منها ورضاه بأن يجعل (يانس) عليها ويحمل اليه الشيء اليسير منها. ففكرت في جمع جيش وقصدها وأخذها وطرد (يانس) ومدافعة (ابن طغج) ان سار اليّ بجهدي فان قدرت على ذلك والا كنت قد تعجلت من اموالها ما تزول به إضاقتي مدة ووجدت جمع الجيش لا يمكن الا بالمال وليس لي مال. فقلت اقصد اخي واسأله ان يعاونني بألف رجل من جيشه يزيح هو علتهم ويعطيني شيئاً من

من المال واخرج بهم فيكون عملي زائداً في عمله وعزه . قال وكانت تأخذني حمى ربع . فرحلت الى الموصل على ما بي ودخلت الى اخي وسلمت عليه فقال ما اقدمك ؟ فقلت امر اذكره بعدُ . فرحّب وافترقنا فراسلته في هذا المعنى وشرحته له فأظهر من المنع القبيح والرد الشديد غير قليل . ثم شافهته فكان اشد امتناعاً وطرحت عليه جميع من كان يتجاسر على خطابه في مثل هـذا فيردهم . قال وكان لجوجاً اذا منع من الاول شيئاً يلتمس منه اقام على المنع . قال ولم يبق في نفسي من يجوز ان اطرحه عليه واقدّر انه يجيبه الا امرأته الكردية والدة ابي تغلب قال فقصدتها وخاطبتها في حاجتي وسألتها مسألته فقالت انت تعلم خلقه وقد ردك وأن سألته عقيب ذلك ردني ايضاً فاخرق جاهي عنده ولم يقض الحاجة ولكن اقم اياماً حتى اظفر منه في خلال ذلك بنشاط او سبب اجعله طريقاً للكلام والمشورة عليه والمسألة له . قال فعلمت صحة قولها . فأقمت قال فاني جالس بحضرته يوماً اذ جاءه برّاج بكتاب طائر عرّفه سقوطه من بغداد فلما قرأه اسودّ وجهه واسترجع واظهر قلقاً وغمّاً وقال انا لله وانا اليه راجعون . ياقوم! المتجعفرُ الأحمق الجاهل المبذر السخيف الرأي الرديّ التدبير الفقير القليل الجيش يقتل الحازم المرتفق العاقل الوثيق الرأي الضابط الجيد التدبير الغني الكثير الجيش . ان هذا لأمر عجيب قال فقلت له يا سيدي ما الخبر فرمى بالكتاب وقال قف عليه فاذا هو كتاب خليفته ببغداد بتاريخ يومين يقول ان في هذه الساعة تناصرت الأخبار وصحت بقتل ابي عبد الله البريدي اخاه ابا يوسف واستيلائه على البصرة .

قال : فلما قرأت ذلك مع ماسمعته من كلامه متُّ جزعاً وفزعاً ولم أشك انه يعتقدني كأني ابو عبدالله البريدي في الأخلاق التي وصفه بها ويعتقد في نفسه انه كأبي يوسف وقد جئته في أمر جيش ومال ولم أشك ان ذلك سيولد له أمراً في القبض عليّ وحبسي فأخذت أداريه وأُسكن منه وأطعن على ابي عبد الله البريدي وأزيد في الاستقباح لفعله وتجيز رأيه الى ان انقطع الكلام . ثم أظهرت له انه قد ظهرت الحمّى التي تجيئني وانه وقتها وقد جاءت فقمت فقال ياغلمان بين يديه . فركبت دابتي وحركت الى معسكري . وقد كنت منذ وردت وعسكري ظاهر البلد . ولم أنزل داراً . قال فحين دخلت الى معسكري وكان بالدير الاعلى لم أنزل وقلت لغلماني ارحلوا الساعة ولا تضربوا بوقاً واتبعوني : وحركت وحدي . فلحقني نفر من غلماني وكنت أركض على وجهي خوفاً من مبادرة ناصر الدولة اليّ بمكروه . قال فماعقلت حتى وصلت الى بلد في نفر قليل من اهل معسكري وتبعني الباقون فحين وردوا نهضت للرحيل ولم أدعهم ان يُرخوا(١) وخرجنا فلما صرنا على فرسخ من البلد اذا باعلام وجيش لاحقين بنا فلم أُشك ان اخي أنفذهم للقبض عليّ فقلت لمن معي تأهبوا للحرب ولا تبدأوا وحثوا السير قال فاذا باعرابي يركض وحده حتى لحق بي وقال أيها الأمير ما هــذا السير المحثّ خادمك (دنحا) قد وافى برسالة الامير ناصر الدولة ويسألك ان تتوقف عليه حتى يلحقك قال فلما ذكر (دنحا) قلت لو كان شراً ما ورد (دنحا) فيه

(١) لعل صوابه : يراحوا

فنزلت وقد كان السير كدّني والحمى قد اخذتني فطرحت نفسي لما بي . ولحقني (دنحا) واخذ يعاتبني على شدة السير فصدقته عما كان في نفسي فقال اعلم ان الذي ظننته انقلب وقد تمكنت لك في نفسه هيبة بما جرى وبعثني اليك برسالة يقول لك « انك قد كنت جئتني تلتمس كيت و كيت فصادفت مني ضجراً وأجبتك بالرد ثم علمت ان الصواب معك فكنت منتظراً أن تعاودني في المسألة فاجيبك فخرجت من غير معاودة ولا توديع والآن ان شئت فأقم بسنجار أو بنصيبين فاني منفذ اليك ماالتمست من المال والرجال لتسير الى الشام .»

قال فقلت لدنحا تشكره وتجزيه الخير وتقول كذا وكذا . أشياء وافقته عليها . وتقول : اني خرجت من غير وداع لخبر بلغني في الحال من طروق الاعراب لعملي فركبت لالحقهم وتركت معاودة المسألة تخفيفاً . فاذا كان قد رأى هذا فانا ولده وان تم لي شيء فهو له وانا مقيم بنصيبين لأنتظر وعده . قال : وسرت ورجع (دنحا) فما كان الا ايام يسيرة حتى جاءني (دنحا) ومعه الف رجل قد أزيحت عللهم وأعطوا أرزاقهم ونفقاتهم وعرضت دوابّهم وبغالهم ومعهم خمسون الف دينار وقال هؤلاء الرجال وهذا المال فاستخر الله وسر . قال فسرت الى حلب وملكتها و كانت وقائعي مع الإخشيدية بعد ذلك المعروفة . ولم يزل بيني وبينهم الحرب الى ان اسفرت الحال بيننا على ان أفرجوا لي عن هذه الأعمال وأفرجت لهم عن دمشق واستغنيت عنه و كل ذلك فسببه قتل عمك لأبيك .

أنشدني ابو علي الحاتمي فصلاً في رسالة عملها الى بعض الرؤساء في صفته :

أفكاره هِمَم ايعاده نِقَم وعوده قِسَم تأميله عصم
الفاظه حِكَم اوطانه حرم الحاظه نقم (١) آلاؤه دِيَم
تبغي الخلائق ان يحصوا فضائله ودون ذلك ما يستنفد الكلم
ولو أرادوا جميعاً كتم معجزه ابى له الله ما يأتون والكرم
تبغي مجاراته في فعله شير (٢) قد قصرت عندهم (٣) عن لعبه الفقم
و كيف يسطاع فعل او يرام علا ما ليس يدركه الاوهام والفهم

***

حدثني بعض الأهوازيين قال رأيت ابا الحسن المنبري الشامي الطائي الشاعر بالأهواز على باب الحسين بن علي المنجم وهو عاملها يتردد مدة وكان قد امتدحه قال فتذاكرنا شدة تلوّن (٤) اخلاق المنجم وجنونه ونواميسه (٥) في وقت وعدوله عن ذلك في آخر ثم قلت له فأين أنت منه فقال ما آيس من رده ولا أطمع في وعده قلت انا : وهذا كأنه مأخوذ من الأبيات التي هجا بها الحسن بن رجا وهي مشهورة فلذلك لم أوردها على جهتها والاخير (٦) من الأبيات وهو :

لكنها خطرات من وساوسه يعطي ويمنع لا بخلاً ولا كرما

***

(١) لعله : نعم . (٢) لعله : بشر . (٣) لعل صوابه : عنهم عن كعبه البُهَم .
(٤) بالاصل : تكون . (٥) لعله : تآنسه . (٦) لعله : الا الاخير .

حكي لي عن بعض الصالحين في إخراج السرق قال تأخذ قدحاً فيه ماء وتأخذ خاتماً فتشده فيه بشعرة وتدليه في القدح وتكتب خمس رقاع فيها أسماء المتهمين بالسرقة وتكتب «السارق» في القدح وتضع رقعة تكتب فيها اسم من تتهمه على حرف القدح وتقرأ عليه (وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلّة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون .) فاذا ضرب الخاتم القدح نظرت في الرقاع (١) فان السارق هو صاحب الاسم وان لم يضرب القدح فتضع أخرى فان السارق هو اذا ضرب . وقال لي في الآبق تكتب فاتحة الكتاب مدورة وتكتب في وسطها : (كظلمات في بحر لجّيّ يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) اللهم اجعل الارض علوها وسفلها وسهلها وجبلها وبرّها وبحرها في قلب فلان بن فلان أضيق من مسك شاة حتى يرجع .

***

تذاكرنا في مجلس ببغداد حضره ابو علي بن محمد بن منصور الشاهد المعروف بابن كردي حديث غلبة النساء على الرجال الا النفر من الرجال فقال لي ابو علي كان لنا شيخ فاضل من اهل القطيعة (٢) كان يضرب لنا في هذا مثلاً فيقول : ان في جهاز العروس الى زوجها سرجاً ولجاماً فاذا انقضت ايام العرس : إن سبق الرجل فأسرج المرأة ووضع اللجام في رأسها وركبها ملك

(١) لعله : الرقعة . (٢) القطيعة اسم لعدة أماكن في بغداد .

عليها امرها . وان تراخى لحظةً وضعت هي السرج على قفاه واللجام في فيه فركبته فلم تنزل عنه الا بطلاق او موت .

* * *

حدثني ابوالفضل محمد بن عبيد الله بن المرزبان الكاتب الشيرازي قال حدثني سهل بن نظير اليهودي الجهبذ قال حدثني جدي سهل بن نظير وكان يتجهبذ للوزير على قديم السنين منذ ايام الفتنة والى ان مات قال لما نُكب عبيد الله بن سليمان بعد نكبته (١) للموفق النكبة العظيمة كنت اتوسم فيه الرفعة وعلوّ الحال فكنت احمل الى عياله في كل شهر مائة دينار وهو في الحبس ثم أُطلق فكنت احملها اليه الى ان ولي الوزارة فعرف لي ذلك وبلغ بي كل مبلغ وشكرني عليه اتم شكر قال ثم ان عبيد الله نكب جرادة الكاتب وكان قد جرت له عليه الرياسة وعلى الناس والرؤساء وكان له احسان سالف اليّ كثير فكنت احمل الى عياله في كل شهر مائة دينار واحدر به الى البصرة قال فبلغ ذلك عبيد الله بن سليمان وانا لا اعلم فدخلت اليه يوماً فقال لي ياسهل بارك الله لك في عداوتنا قال فقلت له ايها الوزير من انا حتى أُعاديك وانا اخس كلب ببابك قال واكثرت التنصل والتهيب وبكيت وقلت يا سيدي ما هذا الكلام ان كان شيءٌ رقي الى الوزير ايده الله عني واقفني عليه ولعل عندي فيه حجة او برهاناً على بطلانه قال فقال لي تحمل الى عيال جرادة في كل شهر مائة دينار قال فقلت ايها الوزير انا مافعلت هذا ولا

(١) لعله : وزارته .

تجاسرت عليه انما فعله الرجل الذي كان يحمل الى عيال الوزير ايده الله مائة دينـــار في كل شهر رعاية لحق احسانه اليه فرعى لجرادة احساناً له اليه ايضاً فحمل اليه مثل ما كان يحمل الى عيـال الوزير ايده الله فاحمرّ وجهه خجلاً واطرق وسكت ملياً ثم تصبب وجهه بالعرق وقلت قبض والله علي ونكبني قال فاسقطت فرفع رأسه وقال احسنت يا سهل ماترى بعد هذا مني منكراً ولا بقي في نفسي عليك شيءٌ فاجرهم على رسمهم ولايوحشك ماخاطبتك به ·

« البقية تأتي »



آراء وافكار

— (()) —

الفاظ عربية في اللغة الارمنية

وفقت بعد بحث طويل الى جمع ما يقرب من ١٥٠٠ كلمة من اللغة الارمنية وجدت بينها وبين طائفة من الكلمات العربية مشابهة في لفظها ومعناها وهذا العدد عظيم بالنسبة للغة الارمنية التي لا يتجاوز عدد كلماتها ٢٠٠٠٠ كلمة هو دليل مقنع على ان الشعبين العربي والارمني كانا يقطنان قبل التاريخ بقاعاً واحدة . ويتكلمان لغة ابتدائية واحدة . ودليلنا على صحة هذه النظرية ان البشر في حالتهم الاولى كانوا لا يملكون من اللغة الا الكلمات الضرورية التي تفيدهم في حاجاتهم البسيطة : كالأكل والشرب والفاظ العقيدة وهذه الكلمات التى استعملها العرب والارمن في زمن وحدتهما في الازمنة المتوغلة في القدم بقيت الى الآن مشتركة بينهما بالفاظها ومعانيها .

وها نذا أقدم نماذج من تلك الكلمات المشتركة ليطلع عليها علماء اللغة العربية وعسى ان أكون اديت بذلك بعض الواجب عليَّ في خدمة اللغات السامية .

الارمنية (١)	العربية	معناهما في اللغتين
ح ا ث	حث	الخبز القفار
و ا ر ت	ورد	ورد
ذ ب ا ل	الذب	كثير الحركة
غ ا ر ا س	خرس	ابريق او جرة

(١) قد اثبتنا الكلمات الارمنية بحروف عربية لعدم وجود حروف ارمنية في مطبعتنا ولتسهيل امر المقارنة بين كلمات اللغتين .

الارمنية	العربية	معناهما في اللغتين
ووص د	وصد	نسج
ت آر	دهر	الزمن الطويل (قرن)
ه ام وز	همزه	همس في قلبه وسواساً
ت رز	درز	خاط
ح اد	حد	حد السيف او السكين
حر — حور	حر	ضد البرد
خ اب	خب	صار خداعاً
ش وق ا	سوق	موضع المبيع والشراء
ش ي ن ع	شنع	قبيح المنظر
ص د وق	صدق	ضد الكذب
ص ورد	صرد	سريع التأثر في البرد
ص ور	صور	الميل العوج
ص وم	صوم	الامساك عن الطعام
[illegible] ار	طار	ارتفع في الهواء
ع ار ص	عرس	زوجة
[illegible]	وغر	توقد عليه من الغيظ
خم ور [illegible]	خمير	ما يجعل في العجين ليختمر
واد	[illegible]	ذليل
ع ون ث	[illegible]	يبيس العشب
ان س	انس [illegible]	انسان
ع وق	[illegible]	ضد العجلة
ح ال	[illegible]	فك

[illegible]

| غ وث | غوث | [illegible] |

قوزوت	قذع	قذر
قاشي	قشع	الجلد اليابس
قيلدو	فلد	فتل الشي
قنن	قنّ	تفقد بالبصر
دغمار	دُغْمُري	المخلوط من الاخلاق
حانث	حنث	مال الى الباطل ، جناية
كززى	كز	بخل
كيس	كيس	كيس الدراهم وغيرها
زوك	زوج	كل واحد معه آخر من جنسه
زور	زور	انحرف
مارخ	مرخ	شجر يقتدح به
مارد	مرد	متمرد
مورق	مرق	سفا السنبل
ماشيل	مشل	قل لحمه
ميس	ميز	شديد العضل
ناغىل	نغل	الفاسد
خوط	خوط	الغصن الناعم لسنته
هوزال	هزل	ضعيف نحيل
اوهود	أهط	الجمل
هوو	هف	هبوب الريح
ورود	رعد	رعد السماء
ارض	ارض	الارض
شوور	شعار	ما يمس الجسد من اللباس
اورىورت	رودة	الشابة الناعمة

مجلس إحياء المعارف النعمانية
« في الهند »

الفنا لجنة علمية دعوناها (مجلس إحياء المعارف النعمانية) بمعاونة لفيف من العلماء والغرض منها طبع المصنفات لمتقدمي الاحناف مثل الامام ابي حنيفة وصاحبيه وحسن بن زياد والطحاوي والخصاف والكرخي والجصاص وغيرهم من الاعلام الذين لم تطبع كتبهم بعد ولم نقصد من وراء ذلك الا نشر الدين وليس القصد التجارة · وقد وفقنا الله الى طبع كتابين (الأول) كتاب العالم والمتعلم للامام ابي حنيفة و (الثاني) شرح الصدر الشهيد على كتاب (نفقات الخصاف) ونحن اليوم في صدد طبع الجامع الكبير والمبسوط والزيادات خاصة ولدينا نسخ من هذه الكتب غير ان زيادة التنقيح والتصحيح تقتضي الحصول على نسخ أخرى وقد ظفرنا بنسخة من المبسوط ونسخة من الجامع الكبير ولم نوفق الى الآن الى نسخة من الزيادات ونرجو من اعضاء المجمع العلمي وغيرهم من اهل الفضل ان يرشدونا الى مواطن الكتب التالية :

مصنفات الامام ابي يوسف كالأمالي والجوامع ، اختلاف الامصار ، المبسوط ، سند الامام له ونوادره رواية بشر بن الوليد · ومصنفات الامام محمد كالمبسوط ، الجامع الكبير ، الزيادات · زيادات الزيادات · السير الصغير · السير الكبير · كتاب الصلوة · الأمالي اي الكيسانيات · الهارونيات · الجرجانيات · العمريات · الرقيات · ومسند الامام ابي حنيفة له ونوادره رواية تلاميذه : ابي سليمان — ابن سماعة · ابن رستم · المعلى · هشام · وكتاب الحجة على اهل المدينة له وغير ذلك · ومصنفات الطحاوي كالمختصر له — اختلاف العلماء · احكام القرآن وغيرها · ومصنفات الكرخي : مختصره شرحه للجامع الصغير والكبير وغير ذلك — ومصنفات الخصاف نحو كتاب أدب القضاء له وغير ذلك · ومصنفات الجصاص مثل شرحه على الجامع · وشرحه على مختصري الطحاوي والكرخي واصوله وغير ذلك· وكتاب العلل ويقال له الحجج لعيسى بن ابان · وكتاب الحجج لبشر بن غياث الريس · وغيرهم من الاعلام ·

ويهمنا هذه الكتب وامثالها والوقوف على طريقة الحصول عليها وخاصة كتاب الحجة

على اهل المدينة والمبسوط والجامع الكبير والزيادات . وكتاب الحجة وان كان قد طبع في الهند قبل خمسين عاماً الا ان فيه بياضات واغلاطاً وتقديماً وتأخيراً وتكراراً فان وجدت نسخة صحيحة منه نعمل على طبعها ونشرها .

ابو الوفاء

رئيس اللجنة والمدرس بالمدرسة النظامية

في حيدر اباد الدكن (الهند)

حارة شبلي كنج

(المجمع) نذكر في ما يلي طائفة من المصنفات المذكورة الموجودة في دار الكتب الظاهرية ليطلع عليه الاستاذ ابو الوفاء ونرجو من اهل الفضل ان يكتبوا اليه بعنوانه المذكور بما لديهم من أمر امثال هذه المصنفات :

(١) الجامع الكبير في الفتاوى : تأليف الامام محمد بن حسن الشيباني المتوفى سنة ٨٩ : ه نسخة في ٤٣٢ صفحة كبيرة ينقص من أولها ورقة واحدة كتبت سنة ٧٦٦ بخط معتاد [رقم ١١٢]

(٢) الجامع الصغير : للامام محمد والموجود منه ثلاث نسخ الأولى كاملة في ٤٧٥ صفحة كتبت سنة ٧٦٠ وفي هذه النسخة اوراق كتبت بخط حديث [رقم ١٠٩] .

(٣) النسخة الثانية في ٥٨٠ صفحة كبيرة كتبت بخط فارسي وعليها تعليقات وهوامش [رقم ١١٠] .

(٤) النسخة الثالثة غير كاملة في ٣٣٢ صفحة ناقصة من آخرها كتبت بخط نسخ [رقم ١١١] .

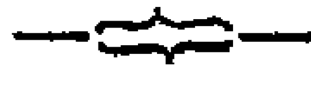
(٥) شرح الجامع الكبير : للامام محمد بن الحسن المتوفى سنة ١٨٩ يوجد منه مجلد واحد يبتدئ من كتاب البيوع وينتهي بباب الايمان كتب بخط تعليق [رقم ١٥٨] .

(٦) شرح الجامع الصغير : للامام محمد ايضاً والشرح لبرهان الدين امام الحرمين في ٤٦٠ صفحة صغيرة بخط سعيد بن محمود الرازي سنة ٥٨٥ [رقم ٣٧٣]

(٧) شرح السير الكبير : للامام محمد ايضاً والشرح لشمس الأئمة ابي بكر محمد بن احمد بن ابي سهل السرخسي المتوفى سنة ٤٩٠ هـ نسخة في ٧٧٢ صفحة متوسطة القطع نفيسة الخط محلاة بالذهب [رقم ١١٥] .

وهذا الكتاب طبع مؤخراً في مطبعة حيدر آباد الدكن في الهند .

مطبوعات حديثة



اتحاف اعلام النـاس

«بجمال أخبار حاضرة مكناس»

تصنيف مولاي عبد الرحمن بن زيدان طبع في المطبعة الوطنية برباط الفتح

سنة ١٩٣١ في ٦٠٠ صفحة

(جزؤه الثالث)

هذا الكتاب النفيس وان كان عنوانه (اخبار مكناس) هو في الحقيقة تاريخ مملكة مراكش بمجموعها فالمؤلف يصورها في مختلف عصورها للقاريء كأنه يراها وقد صدر منذ حين الجزآن الأولان منه ثم صدر جزؤه الثالث في هذه الأيام وهو يشتمل على تراجم كثيرين من علماء تلك الديار ويتخللها تراجم بعض ملوك مراكش فان ملوكها يكادون يمتازون على سائر ملوك الاسلام باشتغالهم في العلوم الدينية على طريقة العلماء المعروفة وآخر من اشتهر منهم مولاي عبد الحفيظ ملك مراكش الاسبق . وقد نشر المؤلف في هذا الجزء وثائق تاريخية مما يتعلق بالشؤون المراكشية الداخلية ووثائق أخرى خارجية تتعلق باسبانيا وفرنسا والدانيمارك وهي منشورة بصورها الفوتوغرافية على غاية الضبط والجمال عدا الصور والرسوم التاريخية الأخرى : من ذلك صورة تمثل سفير الدانيمارك وهو داخل على سلطان مراكش مولاي محمد . وصورة تمثل سفير الانكليز كذلك . وصورة كتاب باللغة الافرنسية من ملك فرنسا لويس السادس عشر يبشر السلطان بولادة ابن له وكتاب آخر من نابليون الثالث يعزي سلطان مراكش بوفاة والده . وكتاب من اسرى الاسبانيين المسجونين في احدى قرى السوس . الى غير ذلك من الصور والوثائق التي تصف الحالة السياسية والادارية في بلاد مراكش مما كان له تأثير كبير في ضعفها واستيلاء الأجنبي عليها . وقد الحق

بالكتاب عدة فهارس للتراجم وللاعلام التاريخية والجغرافية . والكتاب حسن الورق والطبع لكن الاغلاط فيه كثيرة كسائر ما يطبع في الاقطار المغربية ومع عناية المطبعة في تصحيح الاغلاط بنشر جدول خاص في آخر الكتاب لحنا اغلاطاً أخرى كثيرة العد فعسى ان ينتبه ارباب المطابع ثمة الى تدارك هذا التقصير في مطابعهم وقد ذكرنا ان مما نشر في الكتاب صورة كتاب ارسله لويس السادس عشر الى سلطان مراكش يهنؤه بولادة ابن له والكتاب نشر باللغة الافرنسية وهذه ترجمته العربية :

«من عظيم النصارى ملك فرنسا الى عظيم المسلمين ملك مراكش والمغرب سلاماً وبعد فان المولى جل جلاله حقق امنيتنا وامنية فرنسا فرزقنا اميراً وضعته والحمد لله الملكة زوجتنا العزيزة وقرينتنا وقد بادرت باعلامكم بهذا الحادث العظيم الذي يضمن السعادة لرعيتنا ويخلد هذه العائلة الملوكية وانا متحقق انكم ستتلقون هذا النبأ الذي يسر عائلتنا المشهورة ورعيتنا بكل سرور لما بيننا من روابط المودة وان السرور الذي ستقابلون به هذا الحادث سيكون شاهداً جديداً على ما بيننا من الصداقة المؤبدة وانا ندعو لكم ولمملكتكم بالنصر والعافية والرفاهية ونطلب من الله ان يحرسكم بعنايته اه» .

والكتاب نشرت فتوغرافيته باللغة الافرنسية وقد كتب بخط دقيق جداً وهو لا يتجاوز خمسة الاسطر ولا يكاد يقرأ .

هذا وان تاريخ مكناس طرفة من طرف العلم التي اتحفنا بها مولاي عبد الرحمن لا يستغني عنها مؤرخ ولاسيما المتخصصين في تاريخ علاقة الشرق بالغرب في العصور الأخيرة تلك العلاقة التي هي اساس الحالة السوءى التي نحن عليها معشر الشرقيين .

«المغربي»

نظرات الشورى

« في الأحوال الشرقية الحاضرة ٠ وهو يقع في ٢٦٠ صفحة من القطع »
« المتوسط ٠ تأليف الأستاذ محمد علي الطاهر »

صاحب جريدة الشورى الأستاذ محمد علي الطاهر من ذوي العقيدة الراسخة الناصرين لحزبهم السياسي اشد النصر والطاعنين في اعدائه بلا هوادة ٠ وقد اصدر هذا الكتاب اثناء احتجاب « الشورى » وضعه احاديث وحوادث سياسية واجتماعية وادبية في كثير منها فائدة وطلاوة ونكات مستملحة ٠ ولو جوزنا لمجلة المجمع العلمي ان تبحث في الأمور السياسية لقرظنا هذا الكتاب بما يستحقه لأن معظم ابحاثه في السياسة الحاضرة ورجالها ٠

وربما رأى بعض الناس ان كثيراً من ابحاث الكتاب تصلح للجرائد اليومية ولا تستحق النشر في الكتب اما انا فأرى انهم غير مصيبين فيما ذهبوا اليه لأن بعض الحوادث التي تبدو صغيرة تكون في الحقيقة صورة صادقة لبعض الأوضاع الإجتماعية والأخلاقية والأدبية كالحوادث التي تضمنها (نشوار المحاضرة) للتنوخي وكالنكتة الآتية التي تدل على كثرة الجرائد في بلادنا ووفرة محترفي حرفة الصحافة عن جدارة او عن غير جدارة وقد اوردناها مثالاً لأشباهها مما حواه كتاب « نظرات الشورى » قال المؤلف :

« كان بعض الأصدقاء يسمرون بالقدس وكان الموضوع كثرة الجرائد التي تُرمى على الناس فقال الأستاذ احمد حلمي باشا مدير البنك العربي بالقدس انا مشترك في جريدة كذا وجريدة كذا ومجلة كذا الخ ولكن يصلني اكثر من ثلاثين جريدة ومجلة برغم انفي ٠ فقيل له وكيف ذلك يا باشا ؟ فقال لأن الجرائد الأخرى التي لم اشترك بها قد اشتركت بي ! ٠ »

فهذه النكتة الصغيرة اجمل صورة لموضوع اجتماعي مهم ولا يمكن ان يختلف في جمالها اثنان اما في السياسة فمن البديهي ان الصور التي يصورها الاستاذ المؤلف مستقيمة يراها خصومه في السياسة مقلوبة ٠ والعكس بالعكس ٠ وهذا مالا شأن لنا به في هذه المجلة ٠

مصطفى الشهابي

الخزف الشامي العراقي

« في القرن الرابع عشر »

للمسيو سوفاجه : عدد صفحاته ٢٦ وعدد لوحاته المصورة ٤٩ طبع باريز سنة ١٩٣٢

Jean Sauvaget - Poteries Syro-Mésopotamiennes du XIVᵉ Siècle; 26 Pages et 49 Planches. Paris 1932.

بدأ نشاط المعهد الافرنسي الفني بدمشق يتجلى للعيان منذ تولت إدارته يد مخلصة وهو يضم اليوم نخبة من الشبان الافرنسيين العاملين يشتغل كل منهم في نطاق اختصاصه وهم يتحفوننا من حين الى آخر بثمرات جهودهم في الابحاث العلمية والتاريخية المتعلقة بالبلاد السورية . والمسيو سوفاجه هو احد هؤلاء العاملين في خدمة الآثار الاسلامية في بلادنا فقد ضمن كتابه هذا بحثاً عن طائفة من الخزف الاسلامي المطبوع المعروف بالخزف الشامي العراقي وقد صنفها بحسب أنواعها مستعيناً بمجموعة من هذا الخزف عثر عليها في دمشق وهي محفوظة في المعهد الافرنسي المذكور . وقد ادلى بنظرية جديرة بالاعتبار توضح لنا تاريخ تسرب هذا النوع من الخزف العراقي الى دمشق وبقية المدن الشامية البعيدة عن الحدود العراقية مستنداً الى العوامل التاريخية التي اوجدته ويرى ان هذه الصناعة قد حملها بعض سكان مدن الفرات الشامية الذين التجأوا الى داخلية البلاد فراراً من جموع التتر التي تقدمت من العراق الى بلاد الشام في اوائل القرن الرابع عشر للميلاد .

جعفر الحسني

البيت الشامي

« في حوران ووادي بردى وجبل قلمون »

للمسيو ر. تومن — عدد صفحاته ٣٩ وعدد لوحاته المصورة ٣٥ مع خارطته طبع باريز سنة ١٩٣٢

R. Thoumin - La Maison Syrienne dans la plaine hauranaise, le bassin du Barada et sur les plateaux du Qalamun. 39 pages avec 35 planches et une carte. Paris 1932.

وهذا الكتاب هو الجزء الثاني من مطبوعات المعهد الافرنسي في دمشق ضمنه المؤلف بحثاً عن دور سكان القرى في العهد الحاضر في حوران ووادي بردى وجبل قلمون ووصف تقاسيم هذه الدور ومواد بنائها في كل من هذه المناطق بوضوح يتجلى من الرسوم الجميلة التي زين بها الكتاب. وسيصبح هذا البحث وثيقة للمستقبل عن حالة البناء في هذه المناطق لان هذا النوع من البناء سيندثر قطعاً ليحل محله طرائق جديدة في البناء تجمع بين الطراز الشرقي والطراز الغربي كما هو الحال في معظم قرى لبنان.

وقد ذكر المؤلف في ص: ٢ س: ٢٥ (عتال الورد) وصوابه (عسال الورد) وذكر ايضاً في اللوحة العاشرة (شكل ٢) مدرسة (السباعية) وصوابه المدرسة (السباهية)؟

جعفر الحسني

اصلاح سهو

ذكرنا في الكلام على طوق الحمامة لابن حزم (م ١٢ ج ٤ ص ٢٢٥) ان المؤلف لم يشر الى اسم الطابع الأول لهذا الكتاب والحقيقة انه اشار اليه وذكر طرفاً من مقدمته وهنا لابد من شكر الطابع على عنايته في نشر هذا السفر ونرجو ان يوفق الى طبع كثير من الكتب النافعة.

الثقالة والثقلاء (١)



ما كان ينبغي أن أثقل عليكم أيها السادة بحديث هؤلاء الثقلاء . الذين ضجّت منهم الارض والسماء . ولا أن أهتم بجمع اخبارهم ولا تعجيبكم من غريب أطوارهم — لولا اني رأيت كبيراً من علماء السلف أفردهم بالذكر في مؤلف خاص سماه (كتاب الثقلاء) . وقد جمع فيه زبدة من آراء مفكري العرب في ما هي الثقالة . ومن هم الثقلاء ؟

- فالكتاب صفحة من تاريخ أدبنا القومي الاخلاقي ومؤلفه كغيره من علمائنا الأقدمين الذين اهتموا بجمع أخبار فئات من الناس شاذة في بعض جوانب اخلاقها ومناحي طباعها . فهذا الجاحظ جمع لنا أخبار (البخلاء) كما جمع في كتاب آخر أخبار (اللصوص) . وابن الجوزي صنّف في أخبار (الحمقى والمغفلين) . والخطيب البغدادي وصف لنا في كتاب خاص أحوال (الطفيليين) الذين يغشون الولائم من دون دعوة .

وكل هؤلاء العلماء لم يهتموا بهذه الطبقات من الناس إحياء لذكرهم . أو تمجيداً لقدرهم . وانما كان غرضهم إعطاءنا دروساً في أخلاق السوء التي كانت عليها هذه الفئات المأفونة فنتحاماها . ونطهّر أنفسنا من أدرانها . على حد قول الشاعر :

(عرفت الشر لا للشـ ـر لكن لتوقيه)

(ومن لم يعرف الخير من الشـر يقع فيـه)

إذ لا يخفى عليكم أيها السادة أن ساحة هذا الوجود تشبه المسرح الذي تمثّل عليه الروايات . قومٌ يمثلون وقومٌ نظّارة : يشاهدون ثم ينصرفون .

(١) هي المحاضرة التي القاها الاستاذ المغربي في ردهة المجمع العلمي مساء يوم الجمعة الواقع في ١٨ كانون الأول سنة ١٩٣١ .

وكذلك آحاد الناس على مسرح هذه الكائنات: يمثّل قوم وينظر آخرون اليهم. حتى اذا انقضى دورهم صعد الى المسرح من يمثّل دوره مكانهم ثم يخلفه غيره وهكذا . ولا يوجد في هذا العالم أحدٌ لم يمثل دوراً تتحدث عنه الناس مستحسنين أو مستهجنين .

والغرض من مشاهدة التمثيل سواء أكان على المسرح (التياتري) الصغير ، أو على المسرح العالميّ الكبير انما هو العظة والاعتبار . يرى المرء الحسنة فيرغب فيها . ويرى السيئة فينفر منها : فالموفق هو الذي اذا نظر الى الممثلين اتعظ واعتبر . والمخذول من تمرّ به العبر . فلا يكون له حظ منها سوى النظر . حتى اذا مثّل دوره قبح مثالاً . وأضحى في الحماقة أو الثقالة آيةً ونكالا .

ومثلُ ذلك يقال في تأليف كتبِ الأدبِ والتاريخ واخبار الناس وما تضمنته الأسفار المقدسة من القصص والمواعظ والأمثال — كل هذا إنما أُريد منه عرض صور الممثلين الماضين على انظار الممثلين الآتين: فيجيد كلٌّ منهم تمثيل دوره . ويتجنّبُ خطيئات غيره : فابن الجوزي الذي عرض تحت مواقع أبصارنا مامثّله الحمقى والمغفّلون من الأدوار المضحكة إنما اراد أن يحملنا على الانتباه لأنفسنا فنطهرها من الحماقة في حركاتها وسكناتها . وهو في عمله هذا عاملٌ بآداب القرآن . لأن القرآن أرشدنا الى الاعتبار بأفعال الحمقى . وحذّرنا أن نكون مثلهم . وأن نأتي من الأعمال مآتيهم . فقال تعالى : (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوةٍ أنكاثا) اي لا تنقضوا عهودكم وتكونوا كتلك المرأة المتناهية في الحمق (وهي ريطة بنت عمرو من نساء مكة) . كانت تنهمك في غزلها هي وجواريها حتى اذا أحكمت فتله . عمدت اليه فنقضته أنكاثاً . أي خيوطاً غير مفتولة .

ولا يخفى أن الوحيَ الإلهيَّ لم يقصد من ذكر قصة (ريطة) المذكورة إضحاكنا وتسليتنا . وانما قصد إرشادنا وتربيتنا .

وكذلك شأن أولئك المؤلفين . في ما قصوه علينا من أخبار الحمقى والمغفلين ومثلهم مؤلف (كتاب الثقلاء) الذي جعلناه موضوع محاضرتنا اليوم .

وقد حلل شارح القاموس كلمتي (الثقالة والثقيل) وأشار الى كتابنا هذا اي كتاب الثقلاء فقال معلقاً على قول القاموس (وثقال الناس وثقلاؤهم من تكره صحبته الناس ويستثقلونه) — ما نصه (وواحد الثقلاء ثقيل يقال أنت ثقيل على جلسائك . وما أنت

الا ثقيل الظل · بارد النسيم · ويقال : مجالسة الثقيل تضني الروح · ومن أبدع ما أنشدنا في الثقيل بعض الشيوخ :

(وثقيل قال صفني   قلت أيش فيك أصف)
(كل ما فيك ثقيل   حل[1] عني وانصرف)

وقال الراغب : الثقيل في الانسان يستعمل تارةً في الذم وهو أكثر في التعارف · وتارةً في المدح نحو قول الشاعر :

(تخف الأرض إما زُلت عنها   وتبقى ما بقيت بها ثقيلا)
(حللت[2] بمستقر العز منها   فتمنع جانبيها أن يميلا)

وقد ألف في اخبار الثقلاء كتاب اه كلام التاج ·

ونحن اليوم نستعمل كلمة الثقيل في الذم واذا أردنا المدح حرفناها وقلنا فلان (طقيل) بالتاء المفخمة كالطاء نريد انه وقور رزين ·

***

في المكتبة الظاهرية طائفةٌ من المجاميع المخطوطة · تحتوي كلُّ مجموعة منها على عدة رسائل مختلفةٍ في أبحاثها · متنوعةٍ في موضوعاتها · وقد كنت يوماً أنقب في هذه المجاميع وأتصفح ما أُودعته من الرسائل · واذا بي أمام رسالةٍ عنوانها (الثقلاء) فأول ما خطر ببالي أن الثقلاء · هم إخوان الحمقى والبخلاء ·

فلا جرم أن تكون النتيجة من دراسة أحوالهم واحدة · وإذ قد طبعت المصنفات عن (الحمقى) وعن (البخلاء) · وعرفت أطوارهم · وشاعت بين الناس أخبارهم فلا يحسن أن نبخس إخوانهم (الثقلاء) حقهم · فلا نعلن أمرهم · ولا نذيع سِرَّهم · فرأيت من

(١) قوله (حل عني) كذا بالحاء المهملة ولعل صوابه (خل عني) بالمعجمة على أن عامتنا اليوم يقولون — اذا استثقلوا مخاطباً — « حلّ عنا يا » بالحاء المهملة ·

(٢) قوله حللت الخ ويروى (لأنك موضع القسطاس منها) واذكر أن هذين البيتين للنابغة قالها في النعمان وقد لاموه على مخاطبته الملك بكلمة (ثقيل) حتى اضطر الى تغيير الشطر ·

وفاء النعم أن أصطنع من مضمون هذا الكتاب أعني (كتاب الثقلاء) محاضرةً : أُلقيها في هذه الردهة. كما كنت منذ سبع سنوات . أُلقيت فيها محاضرةً عن (الحمقى والمغفلين) .

***

وكتاب الثقلاء أيها السادة في نحو عشرين صفحة . صغيرة القطع . قديمة الخط . كامدة اللون . قد تكون كُتبت في القرن السابع للهجرة . وهي ضمن مجموعة رسائل محفوظة في دار الكتب الظاهرية تحت رقم (١٨) في قسم المجاميع .

وفي النسخة أغلاط وتحاريف كثيرة . وقد لحقتها رطوبة في أوساط صفحاتها . فتلاصقتْ وانسحجت وتقشّرت . ولما شققتها وباعدتُ بعضها عن بعض فسد كثير من كلماتها في مكان الإلتصاق فكان أحياناً يغيب معنى الجملة . ويتبع ذلك إبهام وغموض في أصل القصة التي جاءت فيها تلك الجملة .

والثقلاء وإن كان الناس يمقتونهم ويتجنبون ذكرهم بل ذكر أسمائهم أحيانًا فان السلف الصالح رضي الله عنهم اهتموا بهم وتثبتوا في نقل أخبارهم الى حدّ الورع : فهم لم يذكروا لنا تلك الأخبار كيفما اتفق . وانما ذكروها بطريق الرواية والسند . كما اذا كانوا يروون أخبار أنبياء مرسلين . لا ثقلاء ممقوتين . بل الأمر أعظم من ذلك فإن رسالة (الثقلاء) هذه رويت عن مؤلفها بعدة طرق : فقد وجد في أولها وآخرها مايفيد أن (الحسن بن عمار) قرأها على (اسماعيل بن جلدك) القلانسي . وأجازه بها . وأن (علي بن مظفر) قرأها عليه ايضاً مرةً على انفراد . ومرةً مع جماعة . وذلك سنة ٦٤١ للهجرة .

أما (اسماعيلُ بنُ جلدك) فروى الرسالة عن (ابي منصور بن مكارم) المؤدب سنة ٥٨٥ للهجرة . وابنُ مكارم رواها (سنة ٤٨٣ هـ) عن جماعةٍ : فيهم (عليّ السراج) و (الحسينُ النجار) . وهؤلاء روَوْها عن (هبة الله السمان) . وهبة الله رواها عن (الحسن الآدمي) والحسن الآدمي رواها عن مؤلفها (ابن المرزبان) سنة ٢٨٠ للهجرة .

أرأيتم ياسادتي مبلغ اهتمام سلفنا الصالح بالثقلاء . ومقدار ماتجشموا من الثقلة في جمع أخبارهم ؟ وتمحيص رواياتهم .

ثم أيكون هذا شأن سلفنا الصالح في العناية بهم ونحن نزهد فيهم . ونعرض عنهم ولانسمح بساعة واحدة من وقتنا في استماع رواياتهم . والاستفادة من دراسة ثقالاتهم .

أما مؤلف كتاب (الثقلاء) فهو من علمائنا الثقات الاقدمين . ذكره صاحب كتاب (شذرات الذهب في اخبار من ذهب) . وشذرات الذهب مخطوط[1] من أنفس مخطوطات (المكتبة الظاهرية) .

قال مؤلفه (وفي سنة ٣٠٩ للهجرة توفي ابو بكر محمد بن خلف بن المرزبان البغدادي الأخباري صاحب التصانيف . روى عن الزبير بن بكار وطبقته . وكان صدوقاً . والمرزبان كلمة فارسية معناها (حارس الحدود) اه : (مر) حد و (زبان) بمعنى حارس او محافظ .

وقد لاحظت في مخطوطة (الثقلاء) اموراً تدل على قدم المخطوطة واتصالها بالأولين من علمائنا .

من ذلك ان جملة (صلى الله عليه وسلم) التي تذكر عقب اسم سيدنا الرسول لاتكتب في المخطوطة الا مرموزاً اليها بحروف اربعة : الصاد (من صلى) واللام (من الله) والياء (من عليه) و(الواو) (من وسلم) هكذا (صليو) لابكلمة صلعم كما تفعل نحن اليوم .

وقد رأيت في (رسائل إخوان الصفا) رمزاً للتصلية بحروف ثلاثة فقط وهي (صلع) متصلة من دون ميم . اما (صلعم) فيظهر أنها اخترعت في حدود التسعمائة للهجرة : جاء في شرح الفية العراقي في مصطلح الحديث عند قول الناظم : (واجتنب الرمز لها والحذفا)

أي اجتنب الرمز للتصلية النبوية وحذف حرف من حروفها وانما إئت بها في النطق والكتابة كلها . ثم ذكر شارحها الشيخ زكريا الانصاري أن الشيخ (النووي) نقل اجماع من يعتد بهم على سنية الصلاة على النبي نطقاً وكتابة اذن لا يكون من السنة أن يرمز اليها بحرف ما .

ثم ذكر الشيخ الانصاري أن الكاتب الذي كان أول من رمز للتصلية بحروف (صلعم) قطعت يده والعياذ بالله تعالى . ولا يخفى أن الشيخ زكريا الانصاري توفي في القرن العاشر للهجرة (٩٢٦) هـ .

***

---

(١) شرعوا في طبعه بمصر وقد طبع منه الى اليوم ست مجلدات .

يرجع من وصف (كتاب الثقلاء) الى وصف (الثقلاء) أنفسهم فنقول :

(الثقالة) لغة من صفات الاجسام ثم أجدُّوا لها اصطلاحاً وجعلوها من صفات الارواح .

والروح في أصل خلقتها . ومحض جوهرها ألطف شيءٍ في الوجود ولذا يسميها بعضهم (اللطيفة الربانية) . لكن قد يعتري هذه اللطيفة حالة مرضية تجعلها غير لطيفة ولا مرضية بحيث يصبح الانسان الذي يجالسها أو يكالمها أو يشاهدها — كأنما حملت نفسه من ثقالتها جبلاً راسخ الأساس . أو كأنَّ أحد الناس ضغط على أكظامه فأخمد منه الأنفاس .

فالثقالة الممقوتة هذه تكون في روح الثقيل لا في جسمه . بل كثيراً ما يكون جسمه شخيتاً نحيفاً قليل الجرم . ومع هذا تشعر النفس بثقالته . وعلى العكس يكون الرجل أحياناً بادناً لحماً ضخم الجثة لكن تكون روحه خفيفة الحمل . لطيفة الظل .

وقد لاحظ علماء الأخلاق أن خفاف الروح يكونون في الغالب سماناً ضخام الاجسام فما علاقة خفة الروح والدعابة بضخامة الابدان ؟ سرٌ ذلك ما زال مجهولا .

أما الثقالة ولماذا تكون في أرواح بعض الاشخاص دون بعض — فقد ذهبوا في تعليل ذلك (بيسكولوجياً) كل مذهب :

فقال بعضهم : إن الثقالة عدوى واكتساب : فالثقيل يعدي الثقيل . كما أن الأجرب يعدي الأجرب . ولو صح هذا لوجب على الحكومة أن تلقي حجراً صحياً على الثقلاء . وهذا غير مستطاع .

وقال آخر : إن الثقالة ناشئةٌ عن تأثير البيئة والوسط وليس هذا بصواب ايضاً لأن الثقلاء واضدادهم اللطفاء يعيشون في بلدة واحدة وبيئة واحدة . وهواء وماء وطعام واحد ومدرسة وحكومة وعائلة واحدة . ومع هذا يكون أحدهم ثقيلاً . والآخر خفيفاً ظريفاً .

وقال آخرون : إن الثقالة وراثة فهي خُلُقٌ يرثه الثقيل من أبيه أو أحد أجداده كما تورث اللطافة وخفة الروح . وإني اعرف في طرابلس الشام (بل وفي دمشق كما أُخبرت ايضاً) — أخوةً خمسةً كلهم بلغوا سن الشيخوخة وهم من أظرف الناس واخفّهم روحاً . واحبّهم للنكتة . ويخبرنا المعمرون من أهل طرابلس أن امهم كانت عجوزاً خفيفة الروح حلوة الكلام كثيرة المزاح والدعابة .

وربما كان هـذا القول (أي ان الثقالة وراثة كاللطافة) — قولاً صحيحاً . ولكن الاصح منه في اعتقادي أن الثقالة استعدادٌ خاص . ومزاجٌ خاص . في بعض الاشخاص فيكون هذا الانسان مستعداً لقبول هذا المرض الخلقي الخبيث . بينا ذاك الآخر مزاجه غير قابل له بالخلقة والاستعداد . وهذا كمرض السرطان الذي لم يهتد الأطباء الى سببه وجُلُّ ما يمكنهم أن يقولوه : إنه ناشئ عن مزاج خاص في الانسان لاعلاقة له بالارث .

هذه بيسكولوجية (الثقالة) أما بيسكولوجية (الاستثقال) اي شعور الانسان بثقالة غيره ومناشيء هذا الشعور وأسبابه فأمره غامض جداً وذلك لتشعب هـذه الأسباب واختلاف تلك المناشيء ونضرب لكم مثلاً قاله[1] أحد (البيسكولوجيين) .

نرى أحياناً رجلاً فنستثقله ولا ندري السبب في كراهتنا له . فمنا من يستثقل الرجل السمين . ومنا من يستثقل الاشقر أو رجلاً آخر له أنف أقنى كمنقار النسر أو نحو ذلك وقد يعلل بعض هذا النفور في بعض الناس بحادثة حدثت له في الصغر ثم انطبع أثرها في نفسه ولازمه حتى الكبر . مثال ذلك ان طفلاً كان يلعب ففاجأه رجل سمين وخوّفه : إما مزاحاً أو لغرض آخر . فانطبع الخوف في ذهن الطفل من كل رجل سمين وشبّ على كراهة السمان وهكذا يقال في كثير من حالات الاستثقال اه .

***

وتحمل الثقلاء والصبر على ثقالتهم سُنَّة من سنن الدين ومما ينبغي أن يسعه صدر الحليم . ولكن الى حدّ محدود .

اما اذا تجاوزت الثقالة حدها . وزاد بردها . وطغا مدُّها . فحينئذ لا الوحيُ الالآهيُّ يأمر بالصبر عليها . ولا الأنبياء عليهم السلام بلومين اذا انفضوا من حواليها . وشاهدُ ذلك ما جاء في القرآن والسنة وآداب السلف .

قال تعالى خطاباً لمحمد صلى الله عليه وسلم : (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) . والفظاظة هي الثقالة بعينها : فالله تعالى يقول لو كنتَ يا محمدُ فظّاً ثقيل الروح لكرهك العرب ولتفرقوا من حولك لكنك لست بفظ ولا ثقيل فلم ينفضوا بل التفوا حولك . وسمعوا قولك . وآمنوا بك . وهذا من فضل الله على الناس : إذ خلق لهم محمداً صلى

(١) رأينا هذا في مقال نشره بعض الفضلاء حديثاً .

الله عليه وسلم غير فظ ولا ثقيل الروح حتى آمنوا به · ولو خلقه ثقيلاً لما آمنوا بالطبع ولكانت لهم الحجة على الله في إرساله رسولاً ثقيلاً ·

فانظروا أيها السادة ما أبشع الثقالة وأسوأ أثرها في الأمم وكيف ان غلاظة نبي من الأنبياء تصلح عذراً لأمته في أن يكفروا بدينه ·

***

وقد افتتح (ابن المرزبان) كتابه (الثقلاء) بقوله : عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (لما أهديت زينب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع طعاماً ودعا القوم · فجاؤا فدخلوا فجعلوا يتحدثون وجعل رسول الله يخرج ثم يرجع · وهم قعود فنزلت (فإذا طعمتم فانتشروا الآية) وقد علّق الحسن البصري رضي الله عنه على هذه الآية فقال : انظروا كيف أن الله تعالى ذمّ الثقل في القرآن · فقال : (فإذا طعمتم فانتشروا) ·

ويظهر من مجموع الآثار الواردة عن السلف أن استثقال الثقيل أدبٌ من آدابهم إذ في ذلك تربيةٌ للثقيل وتنبيهٌ له الى إصلاح نفسه · وتدارك شرّ ثقالته · وقد جرى كثيرون من السلف الصالح على هذا الادب حتى كان ابو هريرة رضي الله عنه إذا ثقّل عليه أحدٌ قال : اللهم اغفر له · وأرحنا منه ·

فأبو هريرة يرى أن ثقالة الثقيل ذنب · ولذا دعا لصاحبها بالمغفرة أولاً · ثم الراحة من ثقالته ثانياً · وقال بعض الفضلاء الثقيل اذا عرف نفسه أنه ثقيل لا يكون ثقيلا · وهذا ما عناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله : (من خاف أن يكون ثقيلاً فهو خفيف · وأما من أمن الثقل فهو ثقيل) وقوله (أمن الثقل) معناه أن يبرر نفسه ويشهد لها بأنها ليست ثقيلة · وهذه الطمأنينة لنفسه تجعله يغفل عن ردعها فتسرح وتمرح في ميادين الثقالة · وهو لاهٍ عنها · غير شاعر بثقالتها · وهذه هي المصيبة العظمى · فسيدنا عمر رضي الله عنه نبّه الناس وحذّرهم من هذه الخطة الملعونة · وأوصاهم بان يسيئوا الظن بأنفسهم لئلا يتورّطوا في الثقالة من حيث لا يشعرون ·

وكما أن الثقيل اذا اعترف بثقالته لا يكون ثقيلاً كذلك اللطيف الخفيف الروح اذا تباهى بلطافته وافتخر بخفته لا يكون لطيفاً ولا خفيفاً · وزد على ذلك أنهم صرحوا بأن اللطيف الخفيف الروح اذا استأنس بالثقيل واستلطفه كان ثقيلاً مثله : قال المؤلف (ابن

المرزبان) نقلاً عن بعض الفضلاء : (إن الاستئناس بالثقيل آيةٌ على الثقالة : اذ كل طير انما يطير مع شكله) .

ومن علامات الثقالة الإلحاح في طلب الحاجات من الإخوان مهما اعتذروا له بعدم إمكان إجابة سؤله . وقديماً ماأوصى الحكماء بترك الإلحاح حتى قال حكيم العرب أكثم ابن صيفي (من ألحف في مسألة فقد أبرم وأثقل) .

ومن علامات الثقالة أيضاً أن يتبوأ الزائر من المجالس مكاناً ليس من العادة الجلوس فيه كوسط الحلقة مثلاً . وقد روي أن رجلاً قعد وسط حلقة سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه . ولم يكفه هذا حتى التفت الي حذيفة وقال له : ان فلاناً صديقك مات . فاغتاظ حذيفة . وقال له وانت أحق على الله أن يميتك : سمعت رسول الله صلى عليه وسلم يلعن الجالس وسط الحلقة .

وما كان السلف يتورعون من ذكر الثقيل بما فيه : فكان حماد ابن زيد اذا رأى (عفان) قال ما أثقلك ! !

وقال ابو نعيم سمعت سفيان الثوري يقول لزائدة بن قدامة لو كنت من البغال لكنت من بغال النقل . اي لأن بغال النقل تكون كبيرة ضخمة غير مروضة ولامهذبة بينما بغال الركوب تكون مرهفة الأعضاء لطيفة الجرم وتكون مع هذا مروضةً مطبوعةً على حسن السير .

وعن محمد بن عبد الرحمن قال : قال ابن طاووس (لكلام الثقيل أشد عليّ من الشيطان)

وروي مخلد أن اباعاصم كان يقول (اذا ابغضتُ الرجل لثقله أبغضت شِقي الذي يليه) اي يبغض جسمه الواقع من جهة ذلك الرجل .

بل غلا ابن السماك في ذلك حتى قال : كم من رجل خفيف الروح اذا نزل به بلاء تمنينا لو نتحمل عنه بلاءه بينما آخر من الثقلاء نحب ان يموت ونرتاح منه وأنشد :

(وثقيل أشد من ثقل المو ت ومن شدة العذاب الاليم)
(لو عصت ربها الجحيم لما كا ن سواه عقوبةً للجحيم)

وروى نصر الصائغ قال كنت عند (أسود بن سالم) فجاءه رجل من احد جانبيه فسلم عليه فلم يرد ابن سالم السلام عليه . وغمض عينيه . فدار الرجل وجاءه من الجانب

الآخر فسلم . فلم يرد عليه . فقال له : يابا محمد لمَ لاترد السلام ؟ فالتفت أبو محمد الى من حوله . وقال لهم : انظروا الى رجل غمضت عيني لئلا أراه ومع هذا فهو يريد مني أن أرد عليه السلام . الى هذا الحد كانوا يتبرمون من الثقلاء حتى استجازوا عدم رد السلام عليهم مع أن رد السلام فرض . وكأن ابن سالم لما رأى الثقيل قد سلم دون أن يحافظ على آداب التسليم رأى هو أن يقابله على عمله فلا يرد عليه السلام .

وكان السلف يتفننون في هجو الثقيل ووصفه بأساليب كلامية : فيها حسن صنعة . وفيها شفاء غيظ : قال المؤلف : حدثنا محمد بن قدامة عن ابي أسامة قال سمعت هشام ابن عروة يقول لرجل (لأنت اثقل من الزواقي) فلم يفهم ابن قدامة معنى كلمة (الزواقي) قال : فذهبت الى (الفراء) إمام النحاة فسألته ماالزواقي ؟ فلم يعرفها . فقال بعض جلسائه : إن العرب كانت تسمر بالليل سمراً يلذ لها ويطيب . فاذا سمعت زقاء الزواقي (اي صياح الديوك) شق عليها مجيء الصبح المؤذن بتفرقهم . قال ابن قدامة فأعجب الفراء بذلك .

فالزواقي إذن هي الديوك التي تزقو أي تصيح وقت الفجر وتفرق أرباب السمر وتشتت شملهم فهم يستثقلونها اذا سمعوا صوتها .

بل الأعجب من ذلك ماورواه محمد بن سعد قال : كان في المدينة المنورة رجل له ولدان لم يكن بالمدينة أثقل منهما وكان أبوهما صالحاً طيب النفس . فذكروا يوماً الثقالة في مجلسه فقال : (على رسلكم : امرأته طالق إن كانت الزوراء عند احد ابني الاجاروشة) : و (الزوراء) قصر عظيم جداً بناه عثمان رضي الله عنه في المدينة . فالأب يحلف أن ذلك القصر على ضخامته ماهو الا جاروشة (أي حجر طحن) بالنسبة الى ثقالة ولديه حقاً إن ظرافة هذا الأب تخفف من ثقالة ولديه . وتجعلنا نترحم عليهما وعليه .

وحاصل القول أن السلف رضي الله عنهم كانوا اذا اشتدت عليهم ثقالة الثقلاء فرجوا كربهم . وفشوا وطبهم . بما يصوغونه من الأساليب البليغة . والنكت المستملحة . ولكن بعضهم كانت تفاجئه ثقالة الثقيل قبل أن يستعد لها فيدهش ويفحم : فقد روى حماد بن زيد قال : حدثني شيخ من اعراب البادية قال : كان عمي رحمه الله إذا رأى ثقيلاً غشي عليه . وهذا الإغماء الذي كان يصيب ذلك الأعرابي عند رؤية الثقلاء يدل على رقة شعور وحساسية نفس اكثر من اللازم . أما ابن عائشة المغني المشهور فقد كان اذا رأى ثقيلاً

اكتفى بقوله : صنجة ميزان . وهي عياره من النحاس الأصفر كالرطل ونحوه . والأفصح في كلمة (صنجة) ان تلفظ (سنجة) بالسين لا الصاد . وهي معرب (سنكة) بالفارسية .

وابو أسامة كان إذا رأى ثقيلاً مقبلاً لا يغمى عليه بل يكتفي بقوله تغيمت السماء .

وروى المؤلف عن والده أنه قال : كان بعض مشايخنا إذا رأى ثقيلاً صاح : (الحجر الحجر) ومراده بالحجر الحجر ان الثقيل في ثقالته يشبه الحجر ويحتمل أن يكون أراد إئتوني بحجر لأرشقه به واطرده عن مجلسي .

اما (وكيع) رضي الله عنه فأمره غريب : ذلك انه اذا جلس اليه احد الثقلاء غمض عينيه وقام كيلا يراه .

ووكيع هذا هو شيخ الامام الشافعي رضي الله عنه . وقد عناه الامام بقوله :

(شكوت الى وكيع سوء حفظي . فأرشدني الى ترك المعاصي)
(واخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يُهدى لعاصي)

وهكذا كانوا يتفننون في اساليب الكلام ليدلوا على تفرتهم من الثقيل . وبعضهم كان لايرى شفاء غيظه منه إلا بأن يعرّفه صراحةً بأنه ثقيل . فقد روى معمر رضي الله عنه قال كنت جالساً في مجلس بصنعاء اليمن مع السماك بن الفضلي . فدخل عليه فتى يستثقله فقال لي يامعمر تعال حتى نعد ثقلاء صنعاء . فجعل يعدهم واحداً واحداً ثم عدني أنا منهم ثم عدّ الفتى بعدي . فسكت الفتى ولم يمكنه الإحتجاج .

وروى مجالد ان الشعبي كان يقول (من فاتته ركعتا الفجر فليلعن الثقلاء) . وقد يقال إن إبليس هو الذي شغله عن الصلاة فما ذنب الثقيل ؟ ولكن الشيخ الشعبي هكذا رأيه في المسألة . وروي أيضاً عنه أنه كان قاعداً في مجلس فأقبل رجل فلما رآه الشعبي قام منصرفاً وقال ثقيل والله .

والصحابي الجليل (حذيفة بن اليمان) رضي الله عنه كان يذهب في استثقال الثقلاء إلى أبعد من هذا كله : كان يقول (إن الثقيل ليدعوني أحياناً الى طعام فأقول له إني صائم . ولا اكون صائماً) يعني انه كان يترك إجابة الدعوة المسنونة في الإسلام كي لايجالس الثقيل على طعام .

وعن ابن شبرمة قال سمعت الشعبي يقول : من النـاس من يخف ومنهم من يثقل حتى كأنه رحى ركبت فوق ظهري .

والامام الشعبي هذا من كبـار علماء السلف وقد تكررت الروايات عنه في استثقال الثقلاء . ومثله في ذلك (شعبة) و (شريك) و (الاعمش) فإنهم أيضاً من علماء السلف ورواة أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد روى (ابن المرزبان) في كتابه (الثقلاء) الذي نحن بصدده اخباراً كثيرة مروية عن هؤلاء الأئمة الأربعـة : الشعبي وشعبة وشريك والأعمش : اربعتهم من علماء السلف . وأول اسمائهم شين . الا الأعمش فشينه في آخره . وهم متماثلون في حب النكتة والميل الى الدعابة البريئة . كما أنهم رضي الله عنهم اتفقوا على استثقال الثقلاء . والتفنن في إظهار النفرة منهم .

وفي كتاب الثقلاء الكثير الطيب من أخبارهم وأقوالهم . وقد سمعتم آنفاً ماقاله (الشعبي) من أن من فاتته ركعتا الفجر فليلعن الثقلاء أما (شعبة) فقد روى مزاحم عنه قال : سألت شعبة عن رأيه في أبي بكر الهذلي فقال (دعني لا أقيء) اي إن مجرد ذكر الهذلي يكاد يضطره الى القيء . فكيف به لو رآه أوجالسه أو سمع كلامه ؟

وأما (شريك) ويسمى (النخعي) أيضاً : فقد روى عبدالرحمن الخوارزمي عنه قال : لقيت شريكاً فقلت حدثني بحديث كذا وكذا . فحدثني . فقلت : حديثاً آخر . فحدثني . فقلت وآخر . فقال لي باللغة الفارسية (أنت ثقيل . ولو كنت ثقيلاً بالعيان لخف الأمر وهان ولكنك ثقيل على القلب ايضاً) .

والحق أن الخوارزمي لو لم يكن ثقيلاً لما استوقفه في الطريق وكلفه أن يحدثه المرة بعد المرة . واذا كانت الاحاديث التي كلفه اياها من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم (وهي كذلك في الغالب) كانت ثقالته أشد وانكى . اذ كيف يليق أن تتخذ قارعة الطريق حيث العامة والغوغاء — مدرسةً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلنا إن (شريكا) هو الذي يلقب بالنخعي . فهو عربي قح منسوب الى قبيلة النخع إحدى قبائل مذحج العربية اليمنية القحطانية . ولا نعلم كيف تعلم اللغة الفارسية . وكان

رضي الله عنه يقصد من جميع الأقطار لتلقي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد تولى قضاء الكوفة في زمن الخليفة المهدي ثم ابنه هرون الرشيد . ومات سنة ١٧٧ للهجرة فلنفرض أنه حذق الفارسية بسبب من الأسباب ولكن ما هو السبب الذي جعله يشتم الثقلاء باللغة الفارسية لا العربية ؟

هل ان شدة تعصبه للغة العربية الشريفة حملته على ان يكرمها ولا يلوثها بسب الثقلاء . ومن سبّه للثقلاء بالفارسية ايضاً ما رواه ابن المرزبان قال : حدثنا احمد بن زهير قال حدثنا يحيى بن أيوب قال حدثنا بعضهم أن رجلاً كان يتكلم في مجلس شريك فأكثر من الثرثرة وهراء القول فقال له شريك بالفارسية (گران گران سخت) ومعنى ذلك بالفارسية (ثقيلٌ ثقيلٌ جداً) .

ذكرنا آنفاً أيها السادة أن هؤلاء الأئمة الاربعة (شريك وشعبة والشعبي والاعمش) كانوا أهل ظرف ونكتة وأشهرهم في هذا المعنى الأعمش . فقد روى العباس بن يزيد قال : أهدى رجلٌ الى الاعمش بطيخةً . فلما أخذ الأعمش مجلسه في الصباح حضر الرجل فقال له : (يا أبا محمد كيف كانت البطيخة) قال : طيّبة ثم عاد الرجل ثاني يوم وسأله عن البطيخة فقال طيبة ثم ثالث يوم كذلك . فصرخ الأعمش ان كففت عني وإلا تقيأتها .

فالتذكير بالاحسان من آيات الثقالة ايضاً اذ هو كالمنّ المنهي عنه شرعاً . وجاء حجاج ابن أرطاة الى الأعمش فاستأذن عليه فقال : قولوا له ابن أرطاة علَى البـاب . فقال الاعمش . (أبكيٌّ على بكيٍّ ؟) ولم يأذن له . واصل العبارة في كتاب الثقلاء هكذا (ابكي عليه ابكي عليه) ولا معنى لها ولعل الصواب ما قلته وأن يكون أصلها (ابكيٌّ على بكيٍّ) و (بكيٌّ) فعيل من البكاءِ بالهمزة وهو قلة لبن الناقة . هذا أصل معناه في اللغة ثم نقله البلغاء الى معنى قلة الكلام عياً وفهاهةً فالأعمش بسبب مرضه أصبح بكيّاً اي ثقيل اللسان عسر النطق . وذاك الزائر (اي الحجاج بن أرطاة) غير فصيح ولا يحسن الكلام فهو فَدْمٌ عيّ . وأي مصاب أن يجتمع عيّان : لا يتفاهمان . ولا يخلصان في حديثهما الى بيان .

وعن اسماعيل بن ابي خالد عن الشعبي أنه قال : (عيادة حمقى القرّاء أشدُّ على أهل المريض من مرض مريضهم) وذلك أنهم يعودونه في غير وقت عيادة ويطيلون الجلوس .

وكانوا يريدون بالقراء ما نريده اليوم بكلمة (فقهاء) أو (طلبة) وفي مصر (مجاورون) وفي بلاد الترك (صُفته) وعكوف هؤلاء الـنمط على دراسة علوم الدين تجعلهم كغيرهم من المتخصصين في فنهم : منعزلين عن الناس ذوي عقلية خاصة غير ملمين بطبيعة البيئة التي يعيشون فيها ولا بعادات أهلها ولا يعرفون شيئاً مما يدور في مجالس أنسهم واذا تكلموا فإنما يتكلمون في مسائل فنونهم التي تخصصوا فيها . ولا كل أحد يفهمها أو يهتم بها . فاذا كانوا في مجلس لم يعرفوا كيف يجارون أهله في حديثهم . ولا يشاركونهم في مطارحاتهم . ولا يتفطنون الى نكاتهم . ومن أجل ذلك يستثقلهم الناس ولا يحبون مجالستهم .

على ان الشعبي نسب ثقالة طول الجلوس عند المريض الى حمقى القراء مع أنها دأب كل ثقيل لا حمقى القراء وحدهم . ألم يبلغكم خبر الأعمش مع عُوّاده ؟

مرض الأعمش مرة وعاده جماعة من الثقلاء فأطالوا الجلوس عنده حتى ملّ وسئم ما كان منه الا أن قام وتناول وسادته وخرج من الباب قائلاً : شفى الله مريضكم .

وعن عليّ بن يحيى أن المأمون قال يوماً لجلسائه : لِمَ صار الثقيل أثقل على القلب من الحمل الثقيل على الجسم ؟ فلم يجب منهم أحد وقالوا : أمير المؤمنين أعلم . فقال : لأن الحمل الثقيل يحمله كل من الروح والبدن . أما الشخص الثقيل فتنفرد بحمله الروح ولا يعاونها الجسم . فترزح المسكينة تحت عبء الثقالة من دون معين الا الله . ولا عجب ان يصدر هذا التعليل من المأمون فهو حكيم خلفاء العرب وارقهم شعوراً وأكثرهم ظرفاً . وقد اتفق له ان تورّط يوماً مع مغنٍّ ثقيل فقال لجلسائه ما تعرفون في الثقيل ؟ فقال بعضهم : يقول الحكماء يا أمير المؤمنين : ان مجالسة الثقيل حمى الربع . فقال لهم المأمون : فكيف اذا كان مغنياً .

قال المؤلف : وروينا عن ابي الحسن قال : أتى شريك بن عبد الله رجلٌ من أصحاب الحديث أي من طلابه الذين يقصدون المحدثين للتلقي عنهم . وكان هذا الطالب يسمى (أبا سويد) فجاء يسأل شريكاً عن أطرافٍ كانت معه . ويعني علماء الحديث بالاطراف عباراتٍ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتصر عليها الراوي ولم يرو بقيتها فالرجل جاء يسأل شريكاً عن أطرافٍ من أحاديث لا عن أحاديث تامةٍ كاملة . وكان ذلك في يوم شديد الحر فأكثر على شريك من الكلام والثرثرة وثقل عليه جداً . وشريك

صابر وفي آخر الأمر صاح شريك : (يا جارية تعالي) فأقبلت . فقال لها : (أسبلي الستر وأخرجي الذباب وأبا سويد ايضاً .)

وطلاب الحديث عادةً يكونون شديدي الحرص في طلبه . وتحقيق ألفاظه . وضبط أسماء رواته . فاذا ظفروا بمحدثٍ أبرموه بالسؤال وأتعبوه بالإلحاح . ولذلك كثر تضجر المحدثين منهم كما سمعت من خبر شريك مع (أبي سويد) .

وكما روي ايضاً أن يحيى بن سعيد قال مرة لأحد هؤلاء الطلاب لأن تضربني بالسوط أحب اليَّ من أن تسألني عن حديث . وقال عبيد الله بن عمر : جئت يحيى بن سعيد يوماً فأذن لي وقال من رأيت بالباب قلت فلاناً . فصكَّ رأسه بيديه وقال . جبل جبل . ثم خرجت فرأيت الرجل مازال على الباب ولم أدر إن كان أذن له بالدخول أو لا .

والمحدث أبو أسامة اشترط في المستملي عنه أن لا يكون ثقيلاً : فقد قال سلمة بن شبيب سمعت أبا أسامة يقول إيتوني بمستملٍ خفيف على اللسان خفيف على الفؤاد : إياي والثقلاء . إياي والثقلاء .

وقوله (إياي والثقلاء) أسلوب فصيح من أساليب كلام العرب . ومعناه باعدوا بيني وبينهم واحذروا أن تجعلوهم يقتربون مني . ومثله الحديث الشريف (اذا بلغ المرء الستين فاياه وايا الشوابّ) يعني اذا صار عمره ستين سنة فليحذر أن يتزوج من النساء الشابات وانما له التزوج بمن كانت عجوزاً مثله .

وهنا ملاحظة وهي أن أبا أسامة اشترط في تلميذه أن يكون خفيفاً على اللسان فهو إذن يتشاءم بالثقلاء حتى باسمائهم التي اصبحت ثقيلة بدلالتها عليهم .

وروى ابو الحسن المدائني قال : جاء رجل الى الأعمش فقال له (يا أبا محمد اكتريت حماراً بنصف درهم وأتيتك أسألك عن حديث كذا وكذا .) فأجابه الأعمش (اكتر بالنصف الآخر حماراً وارجع حالاً .)

على أني أقول ما كان ينبغي للمحدثين أن يستثقلوا طلاب الحديث فان لتحصيله لذة تحملهم على كل هذا الإلحاح والإحراج : وقد قلت في ذلك :

(كلُّ [1] العلوم سئمتها لجديدها بالِـ رثيث)
(الا الحديث فانه مثل اسمه أبداً حديث)

وأخشى اذا تبرم المعلمون من طلابهم أن يقابلهم طلابهم بالمثل فيستثقلوهم وينشدوهم :

(لا تمنعنَّ العلم طالبه فسواك أيضاً عنده خبر)
(كم من رياض لا أنيس بها هجرت لأن طريقها وعر)

قال المؤلف : وأنشد ابو سعيد الاهوازيُّ يصف ثقيلاً بشعر على نسق عجيب فقال :

(لشؤم بخت · وقضم قتٍّ [2] والف سبتٍ وأربعاء)
(ونقل صخر · وغيم شهر وطول هجرٍ · على جفاء)
(وكسر ضلع · ونتف صدغ بماء صمغٍ ومومياء [3])
(أهون من أن تراك عيني تمشي اختيالاً على الثراء)

والابيات ظاهرة المعنى سوى قوله : ان الف سبت والف اربعاء هي اخف على القلب من رؤية ذلك الثقيل · فلعل المعنى أنهم قديماً كانوا يتعطلون عن العمل يومين في الاسبوع (الثلاثاء) و (الجمعة) فيكونون فيهما في مسرة وهناء · فاذا جاء يوم الاربعاء بعد الثلاثاء استثقلوه أما يوم السبت بعد راحة الجمعة فاسألوا صبيان الكتاب يخبروكم عن مقدار ثقالته ·

قال ودخل رجل على (ابن مصقلة) يعوده فكان من حديثه أن قال له : ياابا عبد الله مات فلان · ثم سكت · ثم عاد · فقال مات فلان · وسكت · ثم ثالثة · فلما اراد ان يخرج قال ياابا عبد الله ألك حاجة · قال نعم : لاتعودني مادمت مريضاً ·

وذكر الزبيدي في شرحه على القاموس ان ابن مصقلة هذا يسمى رقبة وكان من المحدثين روى عن انس بن مالك و وى له الترمذي في صحيحه ·

(١) البيتان لابن الرومي واصلها هكذا :

(ولقد سئمت مآربي فكأن طيبها خبيث)
(الا الحديث فانه مثل اسمه ابداً حديث)

قوله الا الحديث أراد به حديث الندماء ·

(٢) القتّ الفصفصة اليابسة وهو التي تسمى في مصر برسيا ·

(٣) كأنه اراد بالمومياء الشمع ·

وعن حماد الراوية قال : اخبرني رجل عن نفسه أنه قال للفرزدق يا ابا فراس انشدني من شعرك قصيدة كذا وكذا · فأجابه الفرزدق (ياهذا إن قدرت ان لا تكون ثقيلاً فافعل) وقد أصاب الفرزدق : لأن هذا الثقيل وهو من عامة الناس يكلفه ان ينشده شعره · وهو إنشادٌ تتنافس به الخلفاء · فيحق للفرزدق ان يستثقل ذلك الرجل مذ استنشده على هذه الصورة ·

وكما ابتلي الفرزدق بهذا الثقيل ابتلي زميله (الاخطل) بثقيل آخر تورط معه في غوطة دمشق ·

ذلك ان الأخطل الشاعر الاموي المشهور كان يسمع بمعبد المغني الكبير ولا يعرفه فاتفق وجودهما في دمشق على باب الخليفة الاموي · فتعارفا وتآلفا وخرجا الى الغوطة ومعهما شراب وفاكهة وريحان وجلسا في احد البساتين على نهر جار · وتغريد أطيار وتناشد اشعار · واذا برجل قيل له : ان هذين هما فلان وفلان · فأحب الرجل مجالستهما وكان يسمع بشهرتهما فانسل اليهما · ونزل نزول العمى عليهما فصبرا صبر الكرام · وبعد سكوت عميق التفت الثقيل الى الأخطل وقال له : ياأخطل (أنظر القذى في كأسك) فحينئذ انفرج الكرب عن صدر الاخطل وشفى قلبه من الثقيل بهذين البيتين :

(وليس القذى بالعود يسقط في الإنا ولا بذباب وقعه أيسر الأمر)
(ولكن ثقيلٌ لا نودُّ اقترابه رمتنا به الأقدار من حيث لا ندري)

وروى الاصمعي عن ابن ابي طرفة (أن مجالسة الثقيل حمّى باطنة) لكن (جبريل الطبيب) الدمشقي كان يقول إننا معشر الاطباء نجد في كتبنا أن مجالسة الثقيل حمى الروح · وقيل للشعبي هل تمرض الروح قال : نعم من ظل الثقلاء · قال فمررت به يوماً فوجدته قاعداً بين ثقيلين · فقلت له كيف الروح الآن ؟ قال في النزع ·

ولعل العنصر العربي بطبيعته وأصل غريزته يكره الثقالة وينفر منها · واذا رأيت عربياً ثقيلاً أو يألف الثقلاء · وبحثت عن نسبه وجدت فيه عرقاً اعجمياً ·

هذا معن بن زائدة (أمير العرب المشهور) كان اذا تذاكروا بين يديه في ملذات الدنيا يقول : (ان الوقيعة في الثقلاء من الملذات) ومعنى الوقيعة فيهم غيبتهم وذكرهم بسوء ·

دعونا من (معنٍ اميرِ العرب) ودونكم ما روي عن (عليٍّ امير المؤمنين) فقد روى

(يمان بن ربيعة) أن رجلاً قال لسيدنا علي (ثبتك الله يا أمير المؤمنين) فقال (على صدرك) يعني ثبتني الله في القعود على صدرك فأتتلك أو أثقل عليك كما ثقلت عليَّ بهذا الدعاء . ولعل في جو هـذه الحادثة ما يمهد العذر للامام عليٍّ كرم الله وجهه في أن يظهر كل هذا الضجر من ذلك الرجل الذي دعا له .

وروى الامام ابن المرزبان في (كتاب الثقلاء) خبراً عن عليٍّ رضي الله عنه له علاقة بالثقالة وهو أغرب من الخبر السابق :

تعلمون أيها السادة أن الاشتر النخعي من أكبر قواد سيدنا علي وأشد شيعته حباً له . ومغامرة في سبيله . وهو الذي شرب العسل في طريقه الى مصر فمات . فبلغ معاوية الخبر فقال (ان لله جنوداً منها العسل) .

فقد روى المؤلف ابن المرزبان قال: حدثنا ابوالعباس عبدالله بن نصر حدثنا الحسين ابن علي حدثني محمد بن ابي الحرث حدثنا سفيان بن عيينة عن مجالد عن الشعبي قال: أخبرني عبدالله (ولعله يعني ابن عباس) أن علي بن ابي طالب عليه السلام كان يستثقل الاشتر اهـ .

هـذا هو الخبر بسنده ومتنه . وهو محل غرابة لا يكشف سرها الا المؤرخون المدققون في أخلاق السلف .

وأبشع انواع الثقالات (الثقالة المسجلة) تلك التي يكتبها الثقيل بقلمه في مكاتباته : فقد ولد لبعض فضلاء بغداد (واسمه ابراهيم . على اسم سيدنا ابراهيم الخليل) ـ ولد سماه محمداً (باسم النبي صلى الله عليه وسلم) فأرسل اليه ثقيل من اهل البصرة يهنئه به فقال (بلغني انك سميت ابنك محمداً . وانت الى أعمال الانبياء . احوج منك إلى اسمائهم . وقبل هذا كان سماك ابوك إبراهيم . فما منعتك هـذه التسمية من سفك الدم الحرام . وشرب اكواب المدام . واكتساب المال من الآثام . وما أدري كيف ادعو لابنك : إن دعوت له ان يشبهك فالعار والنار وان دعوت ان لا يشبهك فالظنة والتهمة والشنار اهـ) يعني اذا كان الولد لا يشبه اباه كانت امه موضع تهمة والعياذ بالله تعالى .

واستثقال بعض افراد العائلة لبعضهم من اشد منغصات العائلة : كتلك الاعرابية المسكينة التي أعيتها ثقالة بعلها فهربت من بيته وقال فيها شاعر القبيلة :

(وتاركةٍ للبيت من ثقل بعلها كأن بعينيها قذى منه تهمل)

(تود على حسن التبعل انهـا   رأت بعلها بين العمودين يحمل)

ومعنى قولها (حسن التبعل) انها وان كانت تربت على طاعة بعلهـا وحسن معاشرته كما امرها الله والرسول لكن ثقالته جعلتها تهرب منه وتتمنى ان يموت ويحمل بين عمودي النعش ·

ومن هذا القبيل ماروي عن الاعمش انه استثقل جلساءه يوماً فهرب منهم الى داخل الدار · ثم لم يلبث أن عاد اليهم فقالوا له مالك عدت ؟ فقـال هربت منكم فاذا في البيت من هو اثقل · قالوا من ؟ قال : زوج بنتي ·

والاعمش على جلالة قدره وحبه للنكتة يوجد في الامة العربية من هو اكبر مقاماً · وأحب للنكتة منه : ذلك هو الامام الثوري رضي الله عنه فقد سأله سائل ثقيل عن المسح على اللحية في الوضوء ؟ فقال له : خللها (اي ادخل أصابعك المبللة في خلال شعرها زيادة في التنظيف) فقال له الرجل (اتخوّف ان لا يبلغها الماء) · فقال له انقعها من اول الليل ·

أما (سويد بن عبد العزيز) فانه لا يعجبه هذا من الثوري ولا يرضيه اطالة الحديث مع الملحين في السؤال · فهو ينصح ويقول : اذا ثقل عليك احد في سؤاله فألزمه عيناً عميـا وأذناً صما ·

قلنـا ان أعراب البادية تغلب عليهم الرقة ولطف الحس والنفرة من الثقالة والثقلاء ولكن مابالكم اذا كان اعرابياً وعاشقاً ايضاً كيف تكون رقته ولطافته ؟ فقد روى الاصمعي قال : اراد اعرابي ان يكلم امرأة يحبها · فنظر فاذا رجل يراقبه فامتنع من كلامها وثقل عليه الرجل فما ملك نفسه أن خاطبه بهذه الجمل التي جمعت بين خشونة السب · ونعومة العتب · فقال له : (مالك رماك الله بداء عضال · يفقدني شخصك · ويسكنك رمسك · فقد ثقلت على عاشق مسكين · لم تشبع عينه من سهادها · كما شبعت عيون الناس من رقادها)

وكان ابن مصقلة أرق الناس وأرحمهم بالثقلاء فهو لا ينتهرهم ولا يسبهم · بل يتلطف بهم ويخاطبهم بعبارات غاية في اللين والنعومة فيقول للزائر الثقيل مثلاً (ياهذا داركم بعيدة والسماء متغيمة فقم مصحوباً بالسلامة) ·

وقارنوا أيها السادة بين عبارة (ابن مصقلة) المصقولة الناعمة وبين ماخاطب به منصور ابن الحجاج الثقيل فقال (اللهم اقتله · وان كان قتله يقتلني فاقتله واقتلني) ·

يكفي يا سادتي إزعاجكم بأخبار الثقلاء ، وقد مضى الوقت أو كاد . وأخشى ان اثقل انا عليكم ايضاً اذا زدت على ماتقدم .

بلى يمكنني أن أزيدكم . لكن زيادة لا تعدونها من التثقيل بل تعدونها من التخفيف وترويح النفس — زيادة من أحب ماتنتعش به نفوسكم . وترتاح اليه قلوبكم .

تلك الزيادة هي حب النبي صلى الله عليه وسلم للمزح الحق اذ كان صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقاً حتى إنه كان له من الصحابة (رضي الله عنهم) من يضحكه واشهرهم في ذلك الصحابي (نُعيمان بن عمرو بن رفاعة الانصاري) ممن شهد وقعة بدر رضي الله عنه .

فمن دعابات (نعيمان) أن أعرابياً قصد النبي صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد وأناخ ناقته بفنائه . فقال بعض الصحابة لنعيمان لو عقرتها فأكلناها . فاننا في شهوة الى اللحم فنحرها نعيمان لهم . وخرج الأعرابي من عند النبي صلى الله عليه وسلم فرأى راحلته معقورة فصاح (واعقراه يا محمد) فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال من فعل هذا ؟ قالوا نعيمان . فلحقه النبي صلى الله عليه وسلم ومعه الصحابة واذا بنعيمان قد أختبأ في دار السيدة (ضباعة بنت الزبير) فجعلوا يفتشون عليه . فأشار رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم ورفع صوته قائلاً ما رأيته يارسول الله وأشار باصبعه الى حيث كان . وكان مختبئاً في سرب تحت أغصان من جريد النخل فأخرجه صلى الله عليه وسلم من مخبأه وقال له :

— ما حملك على ماصنعت ؟

— الذين دلوك عليّ يارسول الله . يعني انهم هم الذين امروه بما فعل .

فجعل رسول الله يمسح التراب عن وجه نعيمان ويضحك . وغرم ثمن الناقة للأعرابي .

وكان نعيمان يدخل السوق فيشتري من مأكولاتها بالدين ويأتي به النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً أهدي هذا اليك ، ثم إذا طالبه صاحب الهدية بثمنها جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم . ويقول له : أدّ هذا ثمن متاعه . فيقول النبي صلى الله عليه وسلم لنعيمان : أو لم تهده اليّ ؟ فيقول : (والله إنه لم يكن عندي ثمنه ولقد أحببت أن تأكله) .

فيضحك النبي صلى الله عليه وسلم ويأمر لصاحبه بثمنه وهكذا كان صلى الله عليه وسلم يكره البؤس والتباؤس . ويحب إحداث المسرة في نفوس اصحابه واهل بيته . ومن قوله في ذلك (ألهوا والعبوا فاني أكره أن يرى في دينكم غلظة) .

ومن الطف الاحاديث النبوية والمسامرات العائلية القدسية ماروته السيدة عائشة رضي الله عنها وهو ان امراةً من أهل مكة كانت تدخل بيوت قريش وتضحك النساء وقد اشتهرت بذلك : قالت عائشة فلما هاجرنا الي المدينة ووسع الله علينا دخلت تلك المرأة عليّ فقلت لها (فلانة ! ! ما أقدمك ؟) قالت (قدمت اليكن) . قلت فأين نزلت ؟ قالت على فلانة وكانت فلانة المذكورة امرأةً من اهل المدينة تضحك نساءها ايضاً .

قالت عائشة وبعد قليل دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

فلانة المضحكة عندكم ؟ ؟ قلت : (نعم) . قال :

(فعلى من نزلت) ؟

قلت : نزلت على فلانة المضحكة فقال :

« الحمد لله ! إن الأرواح جنود مجندة : ماتعارف منها إئتلف . وماتنا كر اختلف » .

مخطوطات المدرسة العثمانية

« بحلب »

كانت في الشهباء مكاتب متعددة في مدارسها وزواياها الكثيرة ، الا ان ايدي الزمان قضت عليها وشتتت شملها والبقية الباقية منها الآن هي في مكتبة الأحمدية والعثمانية والشرفية التابعة للأوقاف والمولوية وهذه المكتب الأربع لا تمنع يد لامس بالرغم عن وجود محافظين لها . ومنذ ثلاث سنوات وقعت في الأحمدية سرقة مهمة بلغ عدد المسروق منها بالإحصاء الرسمي ٩٠ كتاباً منها ما هو في النفاسة في الدرجة الأولى وكانت النتيجة بعد المحاكمة والتحقيقات الكثيرة تبرئة السارق كأن السرقة لم تكن . ولو وقع اقل من ذلك بكثير في مكاتب اوروبا لقامت القيامة لذلك الحادث وتوالى البحث والتحقيق الى ان تظهر تلك اليد الآثمة وتجازى بما تستحقه .

ومنذ سنتين ايضاً ظفرت عند بعض باعة الكتب بكتاب عليه ختم المكتبة العثمانية فابتعته ممن هو عنده بعد استئذان ادارة الأوقاف عندئذٍ اهتمت الدائرة بعض الاهتمام واحببت على اثر ذلك ان اتحرى هذه المكتبة واكتب ما فيها فباشرت ذلك وعمل فهرس لها ولكن حالت عوائق دون اتمام ما شرعت فيه والآن عدت الى ذلك واتممت كتب التفسير والحديث فأحببت ان اتحف القراء بالنخبة من هذين القسمين اذ لا يخلو ذلك من فائدة لعشاق الكتب المخطوطة النادرة ومحبي الإطلاع على نفائسها .

« كتب التفسير »

الجزء الأول من تفسير الوسيط للامام الواحدي فيه من تفسير سورة الأنعام الى قوله تعالى (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) لاتاريخ لكتابته ويظهر انه مما كتب في القرن السابع أو الثامن .

الجزء الثاني منه فيه من سورة يونس الى آخر سورة الكهف لاتاريخ لكتابته ايضاً .

الجزء الثالث منه اوله سورة مريم وفي آخره من سورة الأحزاب الى قوله تعالى (لئن لم ينته المنافقون) لم يذكر ايضاً تاريخ كتابته لكنه اقدم كتابة من الجزئين الأولين يظهر انه مما كتب في القرن السادس .

الجزء الرابع منه اوله سورة الصافات الى آخر القرآن محرر سنة ٥٧٢ بخط ابي العباس احمد بن الحسين بن حيدرة السيرافي الواسطي وهذا الجزء اقدم من سابقيه .

نغبة البيان في تفسير القرآن لأبي عبد الله العارف بالله الشيخ عمر بن محمد السهروردي البكري وعليه خطه في اوله وفي آخره في ذيل سماع الكتاب عليه نسخة تامة نفيسة جداً محررة سنة ٦١٣ وهذا التفسير والذي قبله لم يطبعا بعد .

الجزء الأول من النهر للامام ابي حيان محمد بن يوسف آخره قوله تعالى (يا أيها الناس قد جاءكم رسول من ربكم) من سورة يونس بخط احمد بن محمد بن عثمان الخطيب الطوخي بمدرسة الكهارية (من مدارس مصر على ما أظن) يظهر انه مما كتب في القرن الثامن .

جزء منه فيه من سورة الأنعام قوله تعالى (واذ قال ابراهيم لابيه آزر) الى آخر سورة مريم لا تاريخ عليه غير انه على ما ظهر لي مما كتب في القرن الثامن . وهو من وقف الملك المؤيد ابي النصر شيخ اوقفه وما قبله وما بعده على الجامع الذي انشأه بباب زويلة (في مصر) وعليه خط احمد بن علي العلاني .

جزء منه اوله سورة الكهف الى آخر القرآن لا تاريخ لكتابته غير انه مما كتب في القرن الثامن ظناً وعلى الورقة الأولى منه خط العلامة ابراهيم البتروني الحلبي سنة ١٠٤٧

الجزء الأول من النهر ايضاً الى آخر سورة يونس بخط محمد الأشموني بخط عادي محرر سنة ١١٤٧ والثاني منه اوله سورة هود الى آخر القرآن .

تفسير الكواشي المعروف بالتلخيص لأبي العباس احمد بن يوسف الكواشي المتوفى سنة ٦٨٠ الورقة الأولى مذهبة محرر سنة ٧١٠ بخط عمر بن عبد الرحيم الكردري .

إعراب بعض آيات من القرآن العظيم لجمال الدين ابي عمرو المعروف بابن الحاجب نسخة قديمة الخط لا تاريخ في آخرها يرجع عهد كتابتها الى القرن الثامن .

إعراب آيات من القرآن العظيم لأبي عبد الله الحسين بن خالويه المتوفى سنة ٣٧١ الفاتحة

وآيات من جزء عم اسئلة القرآن لمحمد بن ابي بكر الرازي محرر سنة ١٠٥٩ قطع ربع .

ايضاً اسئلة القرآن للرازي نسخة ثانية وصل فيها الى سورة (والتين والزيتون) تنقص اوراقاً .

حواشي قطب الدين علي تفسير الكشاف الى اواخر سورة طه .

عمدة الحفاظ في تفسير اشرف الألفاظ لابن السمين احمد الحلبي محرر سنة ١٠٥٦ .

ومن هذا الكتاب نسخة ثانية في مكتبة الأحمدية بحلب وربما كان الناسخ واحداً .

أسباب نزول القرآن لأبي الحسن علي بن احمد الواحدي النيسابوري .

الزبور قطع كامل خطه حسن محرر برسم عثمان باشا وباني المدرسة العثمانية وواقف الكتب فيها بخط محمد بن عيسى الكردي .

كتاب في القراآت لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني .

حاشية السعد على الكشاف نسخة نفيسة قديمة الخط من الأول الى آخر سورة الانعام .

« نفائس كتب الحديث »

الجزء الاول من المفهم لماأشكل من تلخيص كتاب مسلم تأليف الامام ابي العباس احمد ابن عمر ابن ابراهيم القرطبي لاتاريخ لكتابته ويظهر انه مما كتب في القرن الثامن .

الجزء الثاني منه مثل الاول خطاً وحجماً وعليه خط العلامة ابراهيم بن الملا الحلبي وخط المحدث الشيخ احمد الشراباتي الحلبي .

الجزء الثالث منه مثل الاول والثاني خطاً وحجماً .

الجزء الرابع منه عليه خط الملا ايضاً اوله كتاب فضائل الصحابة الى آخر الكتاب محرر سنة ٧٢٤ بخط محمد بن عيسى بن رزيك محرر الأجزاء التي قبله .

الجزء الأول من شرح الشفا لشيخ الاسلام الشيخ عمر العرضي الحلبي المتوفى سنة ١٠٢٤ واسمه فتح الغفار قطعه كامل بخط خليل بن محمد محرر برسم نعمة الله افندي الكواكبي نقله من نسخة المصنف .

الجزء الثاني منه . والثالث منه بخط عمر بن احمد محرر سنة ١١٤١ وبه تم الكتاب ومن هذا الشرح نسخ متعددة في الاستانة ذكرت اماكنها في تاريخي (اعلام النبلاء) في

ترجمة المؤلف وهو شرح جليل اعتنى به مؤلفه وقد ذكره الشهاب الخفاجي في مقدمة شرحه للشفاء .

الجزء الثاني والرابع والخامس من تخريج احاديث الهداية للزيلعي . ومن هذا الكتاب نسخة كاملة في مكتبة الأحمدية بحلب .

الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار للحافظ الحازمي المتوفى سنة ٥٨٤ عليه في آخره خط الحافظ محمد بن سعيد الدبيثي وغيره من الحفاظ محرر في بغداد سنة ٦٣٢ بخط محمد بن احمد بن ابي بكر بن خليل البكري . وعلى هذه النسخة وعلى نسخة مطبوعة في الهند طبعت هذا الكتاب في مطبعتي العلمية .

جامع الأصول للإمام بن الأثير وهو الذي جمع فيه الكتب الستة مجلد ضخم قطع كامل مذهب الصحيفة الأولى جميل الخط لاتخاله الا طبعاً وفي آخره رجال الكتب الستة لاتاريخ لكتابته ويظهر انه مما كتب في القرن العاشر في بعض بلاد العراق (١) .

فتح المتعال في مدح النعال للعلامة احمد بن محمد المقري المغربي التلمساني نزيل القاهرة جلد واحد نسخة المصنف كما هو مذكور في آخره وفيه سبعة رسوم لنعل النبي صلى الله عليه وسلم ملونة بالألوان البديعة وفي آخرها تقاريظ لعلماء عصره من علماء الديار المصرية آخرهم سيدي محمد بن رأس العين . وهذا الكتاب طبع الآن في الهند .

نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض للشهاب الخفاجي في مجلد ضخم مذهب الورقة الأولى محرر سنة ١١٢٩ .

توثيق عرى الأيمان في تفضيل حبيب الرحمن للامام العلامة الشيخ ابراهيم بن البارزي الحموي . مجلد واحد ضخم . النسخة مقروءة على المؤلف سنة ٧٣٣ وهي بخط علي بن جمعة ابن ابي الحسن الشافعي الهلالي الحموي حررها سنة ٧٢٢ . وهذا الكتاب نادر الوجود ولا اعلم له نسخة ثانية .

---

(١) في مدرسة يحيى باشا في الموصل نسخة في مجلدين ورقها حريري جلد محلى بخط حمو الكردي في الموصل خطها في غاية الجودة وقد رتب حواشيه احسن ترتيب . اه مخطوطات الموصل للدكتور داود الجلبي ص ٢٣١ .

الكاشف في رجال الكتب الستة للحافظ شمس الدين عبدالله محمد الذهبي نسخة نفيسة جداً محررة سنة ٧٥٦ اي بعد وفاة المؤلف بقليل ومقابلته .

دلائل النبوة للحافظ البيهقي مجلد ضخم بخط مغربي محرر سنة ٨٧٤ بخط محمد بن محمد ابن عبد الله بن بن اسماعيل الدفتري المالكي .

جزء منتخب من تهذيب الكمال للمزي اختصار عماد الدين ابي بكر بن ابي المجد الحنبلي البعلبكي الأصل المتوفى سنة ٨٠٤ ومعه كتاب الضعفاء المختصر من تهذيب الكمال .

الكواكب الدراري في شرح البخاري للعلامة الكرماني نسخة في ٣ مجلدات قطع كامل .

خلافة الأئمة الاربعة للامام احمد بن حجر الهيتمي مجلد وسط قطع وسط محرر سنة الف بخط تقي الدين بن الحاج ابي بكر الموقت بجامع الكبير بحلب حسن الخط .

شرح الامام سراج الدين عمر بن ابي الحسن علي بن الملقن الشافعي المتوفى سنة ٨٠٤ في اربع مجلدات ضخام المجلد الاول ينقص من اوله قليلاً واول ما فيه باب ما ذكر من ذهاب موسى في البحر الى الخضر عليه السلام .

والمجلدات الأربع هي بخط دقيق جداً وناسخها الحافظ الكبير الامام ابراهيم بن محمد ابن خليل سبط ابن العجمي الحلبي المعروف بالبرهان الحلبي المتوفى سنة ٨٤٠ .

المجلد الأول محرر سنة ٧٨٥ والثاني سنة ٧٨٦ وعليهما خط المؤلف في عدة محلات وقد حررهما البرهان الحلبي حينما كان في مصر . وجاء في آخر المجلد الثاني ما نصه : ثم بلغ في الثاني بعد المائة قراءة عليّ ومقابلته بأصله نفعه الله واياي . كتبه مؤلفه غفر الله له .

والمجلد الثالث والرابع حررهما الحافظ البرهان الحلبي سنة ٨٢١ في حلب في المدرسة الشرفية بهذا الخط الدقيق وفي نهاية الرابع تم الشرح .

جاء في كشف الظنون في الكلام على جامع الصحيح للامام البخاري وشروحه في ص٣٦٦ وشرح الامام سراج الدين عمر بن علي بن الملقن الشافعي المتوفى سنة ٨٠٤ وهو شرح كبير في نحو عشرين مجلداً اوله ربنا آتنا من لدنك رحمة الآية احمد الله سبحانه وتعالى على توالي انعامه الخ قدم فيه مقدمة مهمة وذكر انه حصر المقصود في عشرة اقسام في كل حديث وسماه شواهد التوضيح قال السخاوي اعتمد فيه على شرح شيخه مغلطاي والقطب وزاد فيه

قليلاً قال ابن حجر وهو في اوائله اقعد منه في اواخره بل هو من نصفه الباقي قليل الجدوى انتهى .

وذكر الحافظ السخاوي في الضوء اللامع في ترجمة الحافظ البرهان الحلبي التي نقلناها عنه الى تاريخنا (اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء (في ج٥ ص٢٠٧) وكتب عنه شرحه على البخاري في مجلدين بخطه الدقيق الذي لم يحسن عند المصنف لكونه كتب في عشرين مجلداً .

وجاء في ترجمته بعد ذلك واجتهد الشيخ رحمه الله تعالى في هذا الفن (فن الحديث) اجتهاداً كبيراً وكتب بخطه الحسن الكتب فمن ذلك كما تقدم شرح البخاري لابن الملقن بل فقد منه نصفه في الفتنة (فتنة تيمورلنك) فأعاد كتابته ايضاً اه .

ويستفاد من كلام الحافظ السخاوي انه كتب جميع الشرح في مجلدين وليس كذلك لما تقدم من انه كتب النصف الأول في مجلدين سنة ٧٨٥ وسنة ٧٨٦ ويحتمل انه تم كتابة الجميع في اربع مجلدات ثم فقد منه النصف الثاني في الفتنة فأتمه في مجلدين سنة ٨٢١ بالمدرسة الشرفية في حلب .

وولادة الحافظ البرهان الحلبي سنة ٧٥٣ وكتابته لهذين المجلدين اللذين يبلغان عشرة مجلدات سنة ٨٢١ فيكون عمره حين اشتغاله بكتابتهما ٦٨ سنة ومن هنا تعلم علو همة هؤلاء الرجال وحرصهم على الافادة والاستفادة وان كبر السن لم يكن مانعاً لهم من الاشتغال والتحرير .

وطريقة الامام ابن الملقن في هذا الشرح انه يذكر الحديث بتمامه ثم يشرع في الكلام عليه من عشرة وجوه وهكذا وفي الجملة فهو شرح جليل من اجل شروح البخاري يضاهي شرح العيني وابن حجر ولعله في كثير من المواضع اعظم فائدة منهما ولا يؤثر فيه ما تقدم من قول الحافظ السخاوي .

وهو لعظم فائدته جدير بالطبع فعسى ان ينهض لابرازه الى عالم المطبوعات بعض ارباب المطابع في مصر فتعم الاستفادة منه .

شرح المصابيح للامام فضل الله التوربشتي مجلد واحد محرر سنة ٧١٢ .

شرح المناوي الكبير للجامع الصغير للجلال السيوطي في سبع مجلدات نسخة كاملة .

الجزء الثاني من المناوي ايضاً .

القرب في فضل العرب تأليف الحافظ الزين العراقي .

بهجة المحافل واجمل الوسائل بالتعريف برجال الشمائل تأليف الشيخ ابراهيم اللقاني .

الاصابة في اسماء الصحابة للحافظ بن حجر في مجلدين بخط محمد الداغستاني كتبها سنة ١١٢٩ .

التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح للامام الزركشي جلد واحد محرر سنة ٨٤٨ .

الجزء الاول من سنن ابي داود الى آخر الجزء السادس من اجزاء الخطيب وعليه خط الحافظ يوسف بن عبد الهادي وسماعات كثيرة .

الاستيعاب في أسماء الأصحاب للحافظ بن عبد البر الاندلسي في اربع مجلدات بخط مغربي وعليها سماعات متعددة مكتوبة بقرطبة والأجزاء بخط ابراهيم بن يحيي بن ابراهيم حررها سنة ٥٢٣ فهي محررة بعد وفاة المؤلف بقليل ولعل هذه النسخة انفس نسخ الاستيعاب الموجودة في الدنيا .

المنهاج للامام بي عبد الله الحسين بن الحسن الحلبي المتوفى سنة ٤٠٣ وهو من رجال ابن خلكان وهو في ثلاث مجلدات ضخام وهو شرح لحديث واحد وهو قوله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة آخر الجزء الاول «فصل: فأما الفرق بين دعاء الرجل لغيره بالحضر وبين الشفاعة له» . قال في آخره يتلوه في الجزء الثاني : الثالث عشر من شعب الايمان وهو باب التوكل على الله جل ثناؤه . وهو بخط محمد بن احمد بن سليمان المالكي محرر سنة ٧٤٥ .

والجزء الثاني ليس عليه تاريخ كتابته لكنه بخط الناسخ الأول وعلى هذا الجزء خط شيخ الاسلام الشيخ عمر العرضي الحلبي شارح الشفا للقاضي عياض .

الجزء الثالث منه وهو تتمة الكتاب عليه خط العرضي ايضاً وليس عليه تاريخ كتابته لكن الناسخ واحد . ومنه نسخة في المكتبة السلطانية بمصر ولكن مما يؤسف له ان كثيراً من اوراقه في الأجزاء الثلاثة ملتصقة بعضها ببعض لمطر كان اصاب هذه النسخة وغيرها وذلك لقلة العناية بأمر المكتبة وعدم المبالاة في امر حفظها من امثال ذلك .

واتمنى ايضاً ان يقيض الله لهذا الكتاب من يقوم بأمر طبعه لينتشر وتعم فائدته .

الحلية النبوية الشريفة وهي ورقة واحدة فيها صحيفتان فيهما نعت النبي صلى الله عليه

وسلم بخط درويش محمد المولوي بخط جميل جداً الصحيفة اليمنى ضمن سطور مكتنفة بالوان من الاحبار والدهانات العجيبة ومموهة بالذهب واليسرى شجرة ملونة كذلك ومموهة بالذهب وهي ضمن غلاف من جلد .

كتاب فضل الخيل للحافظ شرف الدين الدمياطي المتوفى سنة ٧٠٥ مجلد واحد عليه في آخر صحيفة منه خط المؤلف وسماع عليه سنة ٦٨٩ بالقاهرة وخطه حسن وهو مضبوط بالشكل وهو من نفائس هذه المكتبة ايضاً .

وقد وفقت لطبع هذا الكتاب على هذه النسخة وعلى نسخة أخرى هي في مكتبة المدرسة الأحمدية بحلب محررة سنة ٧٢٩ وقد اخذت بالمصور الشمسي صحيفة من تلك وصحيفتين من هذه وطبعت معه كتاب رشحات المداد فيما يتعلق بالصافنات الجياد للعلامة الشيخ محمد البخشي الحلبي المتوفى سنة ١٠٩٨

حلب : محمد راغب الطباخ

رحلة اوليا جلبي

— ٣ —

ثم سرنا الى الجنوب فكنا نجتاز تارةً أماكن صخرية وتارة مستنقعات وآجاماً الى ان وصلنا بعد ست ساعات الى قلعة المضيق (١) . وهي قلعة صغيرة

(١) اخطأ الجلبي في المدة التي ذكرها . فالبعد بين جسر الشغر وقلعة المضيق ٤٥ كيلو متراً لا تستطيع القافلة اجتيازها باقل من اثنتي عشرة ساعة . والخارج من جسر الشغر في يومنا يسير باديءَ بدء في طريق السيارات المعبدة احسن تعبيد الآتية من اللاذقية والمتجهة شرقاً نحو الجبل الوسطاني فسهل الروج فجبل الزاوية فسهول اريحا وادلب وحلب وبعد ستة كيلومترات يودعها عند مفرق بين قريتي فريكة وسللي وينحرف الى الجنوب فيمر باراضي قرية الزيادية ويلمح عن بعد على يمين العاصي قرى الكفير وقرقور والزيارة . ثم يمر بقرية قسطون التي تعد من اخصب قرى الروج واكثرها غلالاً وكان فيها حصن قال عنه ياقوت : قسطون حصن كان بالروج من اعمال حلب نزل فيه ابو علي الحسن العقيلي في سنة ٤٤٨ فاستولى عليه وخربه اهـ .

وبعد قسطون ينتهي سهل الروج ويدخل السائح في سهل الغاب متتبعاً الرصيف الروماني القديم وهو صنع الذين بنوا مدينة افامية ومدوه منها الى انطاكية ولا تزال احجار هذا الرصيف واميالة ماثلة للعيان في مواضع كثيرة من سهل الغاب وفي الشمال عند دركوش تغيب تارة وتظهر أُخرى فتسير في سفح اعضاد جبل الزاوية ولا تفارقه وترى عليه كثيراً من جلاميد الصخور المتدحرجة بفعل العوامل الطبيعية على كر الدهور . واعضاد جبل الزاوية وفرعه الجنوبي المسمى شحشبو نسبة لقرية ذكر ياقوت انها من قرى افامية واقفة كالجدار

شرقي سهل الغاب كما ان جبـال النصيرية التي كان يدعوها الرومانيون برجيليوس ودعاها ابو الفداء جبل الخيط واقعة في غربيه اما المستنقعات والآجام التي اشار اليها اوليـا چلبي فهي بطائح سهل الغاب الفسيح وادغاله وهذه تنقلب في فصل الشتاء الى بحيرة عظيمة تدعى بحيرة افامية تحصل من نهر العاصي الذي لا يجد متسعاً عند قرية قرقور وما بعدها ليجري براحة في زمن طغيانه ثم من الانهر والينابيع الكثيرة التي تنبجس من سفوح الجبال المحيطة بذلك السهل من الشرق والغرب . وبحيرة افاميـة ما برحت كما وصفها ابو الفداء « يحيط بها القصب والصفصاف من كل جانب وفي وسطها غابة من القصب والبردي وبها من انواع الطيور مثل الثات مثلثة التاء والغريرات والنجع والاصواغ والاوز والطيور التي تأكل الاسماك مثل البحلط والايضانيـات وغير ذلك من طيور الماء وفي ايام الربيع ينبت فيها النيلوفر الاصفر حتى يغطي مجموعها اه .

وقال شيخ الربوة : بحيرة افامية بحيرة كبيرة يدخلها العاصي ويخرج منهـا ولها سكر يصاد فيه نوع من السمك شبيه بالحيات يسمى انكليس لحمه شبيه بالألية المشوية وللناصري (لعله يعني الملك الناصر محمد بن قلاوون) فيه رغبة عظيمة يحمل في المراكب اليهم (كذا) داخل البحر ضمانه في السنة نحو ثلاثين الف درهم . وقال في موضع آخر : بحيرة فامية يشقها العاصي ولا يلتقي احدهما بالآخر وفيهما من السمك الانكليس والسلور مالا يوجد بغيرها اه .

ومن الغريب ان جغرافيي العرب واخص بالذكر ياقوت وشيخ الربوة وابو الفداء اكتفوا بوصف بحيرة افامية ولم يذكروا اسم سهل الغـاب ولا وصفوه حتى انه لم يرد في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ الامرة (طبع جامعة برنستون صحيفة ٢١٨) في حكاية « انهزم فيها السبع الى الغاب » . ولم أفهم اي غاب كان يعني . لأنه ذكر هذا السهل في موضع آخر (صحيفة ٥٨) باسم مرج افامية وانه استاق منه غنيمة كبيرة من الجواميس والبقر والغنم . اما كتبة الافرنج فقد قالوا ان سهل الغاب كان في زمن السلوقيين مجففاً يزرع ويستثمر وان استرابون اطنب بخصبه ووفرة غلاله وربما كان يربى فيه من قطعان الجواميس والخيل وان القدماء اقاموا فيه سدوداً وحفروا خنادق لمنع طغيان العاصي . ذكر السائح الافرنسي « كيليوم راي » انه شاهد منها في سنة ١٨٦٠ سداً له فتحات وفي جنوبي الغاب ضيعة

تدعى الخندق في جوارها خندق قديم كان خاصاً بتصريفـا لمياه نحو العاصي وكانت برزية تفترق عن افامية ببحيرة تحصل من سد على النحو الذي ذكره ابو الفداء فيما ننقله عنـه في وصف برزية . هذا وقد درس المهندسون في زمننا مشروع تجفيف الغاب وتنظيم طرائق ريه واعداده للحرث والزرع ولا يعلم متى يمكن البدء بالعمل . فممن عُني بهذا المشروع وكتب عنه تقريراً ضافياً المهندس ويليلم مستشار وزارة الاشغال العامة في حكومة الاتحاد السوري الملغاة في سنة ١٢٤٤ قال ماخلاصته : بعد ان يجتاز نهر العـاصي حماة يجري في واد يختلف سعةً وضيقاً بين مكان وآخر ثم يسيل في مضيق عميق الغور ينفرج فجأة في بدء سهل متسع يبدأ من قلعة شيزر وعلى بعد عشرة كيلو مترات من هذه القلعة يصبح السهل مستنقعاً ويدعى (الغاب) وهو يبدأ من قرية تل سلحب وينتهي قرب قرية قرقور وطوله ستون وعرضه عشرة كيلومترات ومساحته ٦٠٠٠٠ هكتار وأرضه تتألف من تربة عميقة ينساب العاصي فوقها محاطاً بالمستنقعات الكثيرة وهي في الضفة اليسرى أكثر منها في اليمنى . لكن هذه التربة تصبح بعد قرية قرقور مؤلفة من الحرار فيعود العاصي للجري في واد ضيق تحيط به الجلاميد العظيمة العالية . يبقى العاصي هادئاً سالكاً مجراه خلال اشهر الصيف . فاذا جاء الشتاء يرتفع مستواه فيطفو على الارضين المحيطة به وهي مساوية له في الارتفاع فيغمرها الى مسافات بعيدة ناهيك بالامطار التي تهطل هنا اي تهطال ، والسيول التي تتساقط من الجبال المجاورة والينابيع التي تنبجس من سفوحها . وتجفيف سهل الغاب واستثماره حسب الاساليب الزراعية الحديثة مشروع عظيم ينفع بلاد الشام ويدر عليها ارباحاً جزيلة لان ارضه مؤلفة من طمي الحرَّات المعروف بخصبه ووفرة موادّه الغذائية . ولاجل ذلك ينبغي منع فيضان العـاصي عليه ثم تجفيفه باقامة مجار كثيرة للصرف ثم ريه خلال اشهر الصيف بشبكة من القنوات . ففيضان العاصي يمنع بتعميق مجراه واقامة جدرانه وتخفيض السد الموجود امام قرية قرقور . ولا صعوبة في هذا العمل لولا انه كثير النفقات . ويقام سدان عظيمان من التراب على ضفتي العاصي يبعد الواحد عن الآخر ٤٠٠ — ٥٠٠ متر حتى اذا ما طغى العاصي كان للماء من سعة الارض بين السدين ما يحول دون انهدامهما . ويحفر في جانبيهما الايسر وفي قاعدتيهما خنادق او مصارف للمياه المنصبة من السهل فتوصلها الى العاصي

في نقاط مناسبة منه . وقد حسبوا كمية ماء العاصي في اوائل الخريف بالامتار المكعبة وفي الثانيـة فبلغت عند خروجه من شيزر ١٨ وفي مصبه عند قرقور ٢٧ وتغذي هذه الزيادة الينابيع الكثيرة التي تنبجس من سفوح الجبال وتنبع في جوانب السهل ، واهمها نبع (باب الطاقة) في الضفة اليمنى فان قوة مائه لا تقل عن المترين المكعبين في الثانية . هذا وليست الاراضي القابلة للري محصورةً في سهل الغاب بل هناك سهول ونجود واسعة تمتـد من قلعة شيزر على ضفتي نهر العاصي يسهل ريها فيقام لهذه الاراضي في زور (التريمـة) سد قليل العلو يسقي قناتين الواحدة لري ارض الضفة اليمنى والثانيـة لري الضفة اليسرى وطول كل منهما ٧٥ كيلو متراً ثم يبنى في نقاط مختلفة وعلى طول هاتين القناتين مأخذ يجري الماء منهما الى قنوات ثانوية ومن هذه الى قنوات التوزيع على الحقول ، فيصبح الغاب مخترقاً بشبكة من القني تسوق الماء الى مختلف مواقعه واراضيه وما فاض منها يصب في العـاصي امام قرقور . والمساحة الممكن ريها بعد اتمام هذا المشروع الكبير تقرب من تسعين الف هكتار وهي تنتج احسن الغلال من القطن وغيره لزكاء التربة كما اسلفنا وغزارة مياه الري وجودة الاقليم اذ السهل لا يعلو عن سطح البحر اكثر من ٢٠٠ متر وجبال النصيرية تدرأ عنه الرياح الغربية اه .

هذا والسائح يدخل بعد قسطون في سهل الغاب فيمر بضياع تدعى قليدين والعنقاوي والعمقية وحواش والحويجة والحويز وبعض سكان هـذه القرى بدو حراثون يدعون ان جدودهم جاؤا من بطائح الفرات في العراق ، ويمر بالعريمي والجماسية والشريعة والتويني الى ان يصل الى قلعة المضيق . ويلمح في وسط سهل الغاب ضياع تكون في ايام الفيضان كالجزائر لا يوصل اليها الا بقوارب رفيعة تدعى الجروف منهـا الجيد والرصيف والقريم والخندق واهلها نصيرية . وبيوت ضياع الغاب اخصاص حقيرة تحيط بها الأدغال والمياه واهلها صفر الوجوه هزلى يتنقلون كسكان اواسط افريقية في القوارب التي ذكرناها ويعيشون على تربية الجاموس وصيد السلور الذي يرسل في فصل الشتاء لاكثر بلاد الشام الشمالية حيث يؤكل بكثرة ويصطادون الطيور المائية وعد ابو الفداء بعضها فينتفون ريشها ويلتقطون بيوضها ويزرعون الذرة البيضاء في الارض التي تنحسر عنها المياه في

من اعمال أيالة حلب بنيت قرب بحيرة تسمى باسمها فوق هضبة مشرفة على السهول والآجام المحيطة بها . وقد سميت بالمضيق لان الذي بناها كان من وزراء نورالدين الشهيد واسمه مضيق(١) . ثم غادرناها فوصلنا بعد سبع

الصيف . ونبع الطاقة من احسن اماكن صيد السلور لانه حينما يقرس الشتاء وتبرد مياه العاصي يلجأ السلور الى مياه هذا النبع الدافئة في كثرة هائلة فيسطو عليه اهالي الغاب ويصطادونه بحراب خاصة . وجبال النصيرية المطلة على سهل الغاب من علو ١٦٥٠ متراً فمادون تنحدر نحوه بميل سريع فتؤلف بقعة وعرة يدعونها (الشعرة) فيها وهاد سحيقة وعقبات كأداء تزينها الغابات الغبياء من مختلف الأشجار والأنجم وتسرح فيها النمور والدبب والذئاب وقطعان الخنازير البرية يقصدها غواة الصيد منذ القديم . وفي سفح هذه الجبال على يسار العاصي مما يتبع قضاء صهيون من اعمال حكومة اللاذقية قرى سرمانيا وبرزية وفريكة ونبول وشطحة واستركي وغيرها وسكانها نصيرية . وصف ابوالفداء برزية وقلعتها فقال : حصن برزية من جند قنسرين قلعة صغيرة في ذيل الجبل المعروف بالخيط من شرقيه مطلة على بحيرات فاميا ويتصل بها مياه البحيرات والأقصاب الى تحت برزية وليس بها كائن ساكن الا المرتبون لحفظ القلعة ويعتصم بها اهل البلاد في ايام الجفل وهي عن فامية في جهة الشمال والغرب على نحو مرحلة في الماء فان بحيرات فامية واقعة بينهما وبرزية في جهة الجنوب عن الشغر وبكاس على مرحلة قوية اه . وفي أعالي هذه الجبال المطلة على البحر من القلاع التاريخية التي ذكرت في وقائع الصليبيين والاسماعيليين ايدو وصهيون والمهلبة (بلاطنس) وثمة قرى وضياع كثيرة منتثرة بين أودية هذه الجبال وآجامها الوعرة وفيها الحراج الغبياء والينابيع السارية والمناظر الجميلة . وبعد ان بقيت هذه القرى في السنين الخالية في منعزل لاتنالها ايدي الجيوش الا بالعناء لوعورة مسالكها وجلفة اهلها ذللت في العهد الأخير صعابها ومهدت شعابها فصارت السيارات تجول فيها وجعل في بعض قراها المرتفعة الجيدة الهواء والماء والمنظر كصلنفة أماكن للاصطياف والقصف على الطراز الحديث .

(١) قلعة المضيق هي قلعة مدينة أبامية القديمة التي كان يدعوها مؤرخو العرب تارةً

باسم فامية وتارة أفاميــة وقد ذكرت في شعر ابي العلاء بالالف حيث قال : ولولاك لم تسلم أفامية الردى . قال عنها ياقوت في المشترك : أفامية مدينة عظيمة قديمة على نشز من الارض لها بحيرة حلوة يشقها النهر المقلوب اه . كان اسم هذه المدينة قديماً فارناك ثم دعاها الاسكندر المكدوني بللا باسم البلدة التي ولد فيها ابوه فيليب وبعد موته دخلت في حوزة سلوقس نيكاتور مؤسس الدولة السلوقية فزاد في عمرانها وتحسينها ودعاها باسم امرأته الاميرة الفارسية ابامبا وجعلهــا موقعاً عسكرياً مجهزاً بجميع العدد والعدد والمصانع والاصطبلات وشاد فيها مدرسة حربية للفرسان ، وخصب سهل الغاب القريب منها ووفرة مراعيه ذخر فيها مئات من الفيلة المجلوبة من الهند وعشرات الالوف من الجياد والجواميس . وظلت أفامية في عهد السلوقيين زاهية بعظمتها وجمالها ووفرة سكانها ورفههم تحسب الاولى بين مدن الشام الشمالية بعد العاصمة انطاكية الى ان جاءها كيخسرو الثاني ملك الفرس في سنة ٥٧٣ ميلادية فنهبها وأحرقها وسبي أهلها وجاءت الزلازل فقضت على مابقي منها قائماً ولم يرتفع لها شأن بعد ذلك ولم يبق الدهر من تلك المدينة الجميلة سوى حصنها الذي كان مبنياً فوق تل قريب في غربيها دعي بعد حين باسم قلعة المضيق : ولما فتح المسلمون هذه الديار شاهدوا افامية خراباً كما هي الآن فاكتفوا بحصنها ولم يعمروها قط وهم اذا ذكروها عنوا حصنها والقرية المبنية داخله . قال البلاذري : سار ابوعبيدة في سنة ١٧ بعد افتتــاح شيزر الى فامية فتلقاه اهلها بالصلح فصالحهم على الجزية والخراج . وذكر ياقوت حادثة جرت في ايام العباسيين للمتولي عليها وكان رجلاً كردياً أغرى القرامطة في سنة ٢٩٠ باهل المعرة فقتلوهم قتلاً ذريعاً فلما انقلبت الآية وقتل رئيس القرامطة عوقب الكردي فهرب والقى بنفسه في بحيرة افامية فقال فيه احد شعراء المعرة :

توهم الحرب شطرنجاً يقلبها ... للقمر ينقل منه الرخ والشــاها

جازت هزيمته أنهــار فامية ... الى البحيرة حتى غط في ماها

وفي العهد العباسي ظلت تتعاور حصن افامية أيدي الامراء التــابعين للفاطميين والسلجوقيين وفي الحروب الصليبية استولى عليه تنكرد برنس انطاكية وبقي بيد الصليبيين نحو نصف قرن ثم جاءه نور الدين الشهيد في سنة ٥٤٥ فاستخلصه منهم . قال ابن الأثير

في حوادث هذه السنة : وفيها سار نور الدين الشهيد الى حصن افامية وهو للفرنج ايضاً وبينه وبين حماة وشيزر مرحلة وهو حصن منيع على تل مرتفع عال من احسن القلاع وامنعها وكان من به من الفرنج يغيرون على اعمال حماة وشيزر وينهبونها فسار نور الدين اليه وحصره وملكه وحصنه بالرجال والذخائر وكان قد اجتمع الفرنج وساروا ليرحلوه عنه فملكه قبل وصولهم فلما بلغهم فتحه تفرقوا اهـ . وفي الزلزلة الهائلة التي حدثت في سنة ٥٥٢ خرب حصن افامية فيما خرب من بقية الحصون والمدن في شمالي الشام فرممه نور الدين واليه ينسب معظم مبانيه . وبعد وفاة السلطان صلاح الدين الايوبي في سنة ٥٨٩ استقر هذا الحصن ومثله حصون برزية وكفر طاب وبعرين بيد الأمير عز الدين ابراهيم بن المقدم ثم اخيه شمس الدين عبد الملك من بعده . لكن ابن صلاح الدين الملك الظاهر غازي صاحب حلب استخلصه منه ولما زالت دولة الايوبيين عن الديار الحلبية انتقل حصن افامية كغيره الى يدي المماليك . ولا يعلم اذا كان جيش هولاكو التتري وصل اليه في ذلك العهد ونال منه . وفي سنة ٦٦٨ جاء الملك الظاهر بيبرس الى حصن افامية وجمع جيوشه فيه ثم زحف منه على انطاكية واستولى عليها وفي ايام الملك المنصور قلاوون كان حصن افامية في حوزة الأمير الثائر سنقر الأشقر . وبعد خروج الصليبيين وزوال الحاجة للدفاع لم يبق لهذا الحصن مكانة حربية بل ظل كما هو الآن عبارة عن قرية يعتصم اهلها فيها من هجمات البدو والنصيرية وهؤلاء كثيراً ما كانوا يغيرون عليها وعلى غيرها من القرى ايام الفتن في عهد المماليك والعثمانيين .

هذا ومدينة افامية لا تزال على ما فعل بها الفرس خراباً يباباً تروع الزائر بفخامة اطلالها وجمال رسومها وعظمة مساحتها البالغة مائتي هكتار . ففيها انقاض سورها القديم وكان عليه ابواب لم يبق منها الا الباب الشمالي الذي قنطرته واطلال البرجين المحيطين به ماثلة . وثمة شارع عظيم مستقيم يمتد من الشمال الى الجنوب طوله يزيد عن ١٦٠٠ متر كان على جانبه صفان متقابلان من الاعمدة الجسيمة لا تزال قواعدها وبعض اقسامها المهشمة ظاهرة . وهناك شوارع أخرى مستقيمة تتشابك في مواقع عديدة مع الشارع الاعظم . وحول هذه الشوارع تجد اينما مررت دوراً وقصوراً متهدمة وجدراناً متداعية واحجاراً منحوتة

مبعثرة وقواعد وتيجان اعمدة واعمدة طويلة ضخمة متعددة او منتصبة سطوح بعضها مستوية وسطوح الأخرى مخرمة بخطوط مقعرة وناتئة مستقيمة او حلزونية وكلها من الصخر الجيري الأشهب الذي قضمه الطحلب وفعل فيه كر الدهور . وقد كانت افامية في عهد أسامة بن منقذ على هذه الحالة اذ يقول في كتابه الاعتبار صفحة ٤٧ «وسرنا الى افامية فلقينا فارسهم وراجلهم — يعني الافرنج — في الخراب الذي لها وهو مكان لا ينصرف فيه الخيل من الحجارة والاعمدة واصول الحيطان الخراب» . قامت بعثة اثرية بلجيكية منذ خريف سنة ١٣٤٩ بحفر تلك الخرائب فكشفت آثار عديدة بانت منها شوارع المدينة وبعض مبانيها وجدرانها وكثير من تيجان الاعمدة وقواعدها المنقوشة والمخططة باشكال واغصان جميلة ونبشت البعثة مركز توزيع المياه الآتية بقناة عظيمة من شمال البلدة واظهرت الاسطوانات الحجرية الضخمة والقساطل الخزفية الصغيرة التي كانت تتألف منها قنوات الماء الموزعة على المدينة كلها باسلوب غاية في الاتقان والمتانة واطلعت على بعض الآثار الخاصة بعبادة باخوس اله الخمر وهي دائبة على العمل في خريف كل سنة وعساها تتوفق لاظهار دفائن هذه المدينة التاريخية الجميلة .

اما حصن افامية فلا يزال فوق تله الكبير العالي يشرف في الغرب على جبال النصيرية وعلى سهل الغاب ووادي العاصي وفي الشمال على جبل الزاوية وفرعه الجنوبي المسمى شحشبو وفي الجنوب والشرق على سهول ناحيتي طار العلا وخان شيخون . وكان يحيط بالتل خندق عظيم زال معظمه على انه ليس في هذا الحصن قلعة كبيرة كما في حصن شيزر وحصن الاكراد بل سور عظيم على هيئة مضلع غير منتظم تتخلله ابراج كثيرة مربعة الشكل وفي اسفل السور رصيف من الحجارة كان التل مصفحًا به كما في قلعة حلب وحمص وغيرهما وقد خرب القسم الغربي من السور كما ان المباني التي كانت تعلوه دثرت بالكلية . وفي شمالي الحصن برج جميل البناء في وجهه القبلي كتابة تحوي اسم الملك الظاهر غازي صاحب حلب تاريخها ٦٠٤ وفي قبليه باب كبير ذو قنطرة يدخل منه الى القلعة يحرسه برجان متقاربان وعلى الباب كتابة تحوي اسم الملك الناصر يوسف صاحب حلب وهو حفيد الظاهر غازي تاريخها ٦٥٤ . وهاتان الكتابتان ، وفقدان كل اثر للسلوقيين والصليبيين ، وشكل الابراج المربعة واقسامها

الداخلية والاعمدة التي حشيت في عرض جدرانها ، وشكل برجي الباب اللذين يؤلفان ما يسمى في كتب العرب باشورة كل ذلك يدل على أن بناء هذا الحصن عربي صرف وكذلك طراز هندسته وهو من آثار نور الدين محمود بن زنكي والأيوبيين من اعقاب صلاح الدين حكام حلب . هذا والقرية التي في داخل الحصن كبيرة يبلغ عدد سكانها نحو الفين حافلة بالدور المبنية من انقاض السور والابراج واهلها يصعدون وينزلون كل يوم الى مزارعهم ومراعيهم التي في اسفلها وجوارها ويشربون من الينابيع التي في سفح التل وشأنهم في الهزال واصفرار الوجوه شأن بقية قرى الغاب الا قليلا . وفي خارج الحصن على مقربة من بابه القبلي جامع صغير حسن البناء من عهد العثمانيين لكنه اصبح خرابًا مهجوراً وفي قربه خان خراب من آثار الوزير سنان باشا الشهير كانت تأوي اليه قوافل التجار والحجاج القادمة من انطاكية الى حماة وماوراءها . واقاموا في غربي الحصن على احد روافد العاصي سداً له فتحات يحصل بسببه بحيرة تمتلئ بالسمك فيصطادونه . وقد اتخذت قرية قلعة المضيق قاعدة لناحية الحقوها في السنين الأخيرة بقضاء المعرة تتبعها القرى التي تقدم ذكرها في بحث سهل الغاب . ولا يعرف العهد الذي تبدل فيه اسم حصن افامية وهو المصطلح عليه في عامة التواريخ القديمة فصار قلعة المضيق ولم اعلم من اين اتى اوليا چلبي برواية ان احد قواد نور الدين الشهيد كان اسمه مدبق او مضيق تولى عليها مدة فسميت باسمه . ولم اعثر في كتبنا القديمة على كلمة المضيق الا عرضًا في ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي عند ذكره الموقعة التي جرت حول افامية في سنة ٣٨٧ لما حاصرها الروم وضايقوا اهلها وجاء جيش ابن الصمصامة والي دمشق لاستخلاصها فكسر الروم وقتل ملكهم قال : وكانت الوقعة في مرج افيح يطيف به جبل يعرف بالمضيق لايسلكه الا رجل في اثر رجل ومن جانبه بحيرة افامية ونهر المقلوب فلم يكن للروم مهرب في الهزيمة اه . فيظهر من ذلك ان سهل الغاب كان يدعى مرج افامية وقلعة المضيق حصن افامية وذيل جبل الزاوية المشرف على هذه القلعة المضيق ونهر العاصي النهر المقلوب ، ولم يشذ احد من الكتب التي اطلعت عليها عن ذلك .

ساعات الى قلعة شيزر (١) .

« للبحث صلة » وصفي زكريا

(١) بعد قلعة المضيق يجتاز السائح وادي الجفر ويتجه جنوباً فيغادر ولاية حلب ويدخل ناحية طار العلا من اعمال لواء حماة التابع لدمشق ويمر في سهول بعيدة الاطراف لا شجر فيها ولا حجر ذات تلعات متموجة وتلال بعثرت فيها كثير من القرى والضياع ومضارب البدو فيمر من ضياع صغيرة كالجرنية وحيالين وجلة وتل ملح ويرى على يمينه على سيف الغاب الصقيلبية ذات الدور البيضاء وهي كبيرة واهلها روم ارثوذكس يبلغون الالفين اشتهرت بقمحها الذي يتخذ للبذر في الديار الحموية وقرى صلبا والمونية وكفر يهود وثمة على العاصي عمورين والعشارنة والتريمسة او تل الترمسي كما قال أسامة وفي العشارنة جسر على العاصي يجتازه قاصدو جبال الكلبية وقراها . وفي شرقي هذه الطريق كفر نبوذا ومغير وكرناز وبريديج والشيخ حديد وجبين والزلاقيات ووراء هذه القرى كفر زيتا واللطامنة ومورك الشهيرة ببطيخها وصوران وطيبة الامام . وهكذا الى ان يهبط السائح وادي العاصي ويصل الى جسر شيزر وقلعتها بعد اجتياز ٢٧ كيلو متراً . وكل هذه القرى التي عددناها ذات تربة رملية طينية حمراء معروفة بخصبها وانباتها الزروع الصيفية والشتوية عذباً وبيوتها في الضياع تكون اكواخاً مستطيلة من القصب والقش يدعونها طامات وفي القرى قباب مخروطية او دور حجرية . ذكر ياقوت في معجمه من هذه القرى عمورين وسماها عمورية ودعاها بليدة وهي الآن ضيعة صغيرة قال : عمورية بليدة على شاطئ العاصي بين فامية وشيزر فيها آثار خراب ولها دخل وافر ولها رحى تغل مالاً اه . وذكر أسامة بن منقذ في كتابه الاعتبار اسماء كفر نبوذا وتل ملح وتل التلول . وقال ان تل ملح كان مكمناً للافرنج عند اغارتهم على شيزر .

وجبال النصيرية المشرفة على هذه الطريق تعد من الشعرة التي تقدم ذكرها ووصفها في سفحها من القرى الجديرة بالذكر مرداش وعناب وعين الكروم وهذه كبيرة ذات اربع ضياع اتخذت مركز ناحية وفقرو وحدادي ، وكل هذه القرى على سيف الغاب وثمة عين تدعى عين الجراص في قربها هضبة قامت عليها ضيعة تدعى قلع الشيخ ملوخ يلوح لي انها

مكان حصن الجراص الذي استخلصه ابو الحسن علي بن منقذ من الروم قبل ان يستلم منهم شيزر في سنة ٤٧٤ · قال البستاني في دائرة المعارف عن عناب التي تناوح قلعة المضيق انها هي آنب التي حدثت حولها في سنة ٥٤٤ هـ معركة هائلة بين نور الدين وريموند دوبواتية برنس انطاكية فانتصر نور الدين وهنأه القيسراني بقصيدة جاء فيها :

وعسكرك الذي استولى مسيحاً على ما بين فامية وسيح
بآنب يوم ابرزت المذاكي من النقع الغزالة في مسوح
غداة كأنما العاصي احمراراً من الدم عبرة الجفن القريح

وجاء في كتاب الدليل الازرق لمونمارشة ان هذه المعركة حصلت عند ضيعة تدعى إنب في سهل الروج وفي خطط الشام للاستاذ كرد علي ج ٢ ص ٢٣ ان إنب هذه من اعمال اعزاز · على ان اوصاف القصيدة تنطبق في الغالب على عناب القريبة من افامية والعاصي بينما إنب الروج او تنب اعزاز بعيدتان عنهما ·

جامع التواريخ

— أو —

« نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة »

— ٣ —

حدثني عبيد الله بن محمد بن عبيد الله الأهوازي قال حدثني ابو الفضل البلخي الفقيه قال حدثني الخليل بن احمد السجستاني قاضيها قال قدم علينا صاحب جيش خراسان من قبل نصر بن احمد ومعه خلق عظيم من الجيش فملك سجستان وا كثر أصحابه الفساد في البلد وامتدت أيديهم الى النساء في الطرقات قهراً . قال فاجتمع الناس اليّ والى فلان الفقيه وقد ذكره البلخي وأُنسيته انا وشكوا الحال فمضينا معهم الى صاحب الجيش فدخلت اليه انا والفقيه وجماعة من رؤساء البلد وكان المبتدئ بالخطاب الفقيه فوعظه وعرفه ما يجري قال فقال له ياشيخ ماظننتك بهذا الجهل معي ثمانون الف رجل نساؤهم ببخارى فاذا قامت .... كيف يصنعون ؟ ينفذونها بسفاتج الى حرمهم ؟ لا بد لهم ان يضعوها فيمن هاهنا كيف استوى لهم هذا الامر فلا يمكنني (١) افساد قلوب الجيش بنهيهم عنه فانصرف . قال فخرجنا . فقالت لنا العامة

(١) كذا بالاصل .

ايش قال الامير قال وأعاد عليهم الفقيه الكلام بعينه فقالوا هـذا القول منه فسق وامر بالفسق ومكاشفة بمعصية الله تعالى فهل يحل لنا عندك قتاله بهذا القول؟ فقال لهم الفقيه نعم قد حل لكم قتاله قالوا : فتأذن قال : نعم . قال فبادرت العامة وانسللنا من الفتنة فلم نصل المغرب من تلك الليلة وفي البلد احد من الخراسانية . قال : لانه اجتمع من العامة من لا يضبط عدده فقتلوا خلقاً عظيماً من الخراسانية واستحر القتل فيهم ونهبت دار الامير وطلبوه ليقتلوه فافلت على فرسه ومعه كل من قدر على الهرب ومضوا على وجوههم فما جاءنا بعدهم جيش من خراسان اصلاً .

***

حدثنا محمد بن عبد الله بن محمد بن مهرويه المعروف بابن ابي علان قال حدثني ابن ابي القاسم قال كنت اكتب لعبيد الله بن الحسن بن يوسف على كور الأهواز فكتب علي بن عيسى يطالبنا بالحساب فتقدم الى ابي احمد عبيد الله بن الحسن بعمله وبالخروج للموافقة عليه وذلك في سنة ٣٠٦ قال : فجمعت الحساب وحملت (١) جماعة (٢) لسنة ٣٠٥ بارتفاع مال الخراج بالأهواز وكورها سوى الضياع فكان مبلغ ذلك ستة عشر الف الف وثمانمائة الف درهم وكسر وكلها قد صح في الاستخراج ولم يبق للسلطان الا نيف واربعين (٣) الف درهم قال فكان مال الضياع يقارب هذا الا انه لم يكن في حسابنا .

(١) لعله وحصلت وعملت . (٢) قال في مفاتيح العلوم : الموافقة والجماعة حساب جامع يرفعه العامل عند فراغه من العمل . (٣) كذا بالاصل .

حدثني عبدالله بن عمر الحارثي قال عجل عليّ الشيب فغمني ذلك وفكرت في ان أخضب لحيتي فنمت فرأيت في النوم كأني أشاور طبيباً في خضاب فقال لي لاتحتاج الى خضاب .ولكن أصف لك شيئاً يسوّد الشعر ويحفظ لونه ويمنع من السواد ان يبيضّ . خذ دهن النرجيل العتيق وزن خمسة دراهم ومن الاهليلج الأصفر وزن نصف درهم ومن النوشاذر وزن دانق واسحق الجميع ودفه بالدهن حتى يختلط واطلِ به الشعر فانه يسودّ .فانتبهت وقد حفظت ذلك فعملته فاسودّ شعري وتأخر الشيب عني دهراً طويلا .

***

وحدثني قال كنت في شبابي أتمتع بالجواري والمماليك فكان العزل يثقل عليّ جداً فاشتريت جارية بدنانير كثيرة وكنت أخاف ان تحبل فيذهب ثمنها فنمت مشغول القلب بذلك فرأيت قائلاً يقول اذا أحببت ان لاتحمل المرأة فخذ بنجاً واسحقه واعجنه بلبن فرس وجففه واجعله في كيمُخت (١) وعلقه على المرأة فانها لاتحبل فقلت له ماسمعت هذا من طبيب . قال : ان أحببت ان تمتحن صحة ذلك فخذ هذا الدواء واجعله في قارورة ماء واجعلها على النار واوقد تحتها فانه لايغلي ولو مكث سنة قال وانتبهت وجربت ذلك فوجدته صحيحاً .

***

وحدثني ايضاً الحارثي قال حدثني ابي وكان يخدم في دار الموفق والمعتضد بعده . ان المعتضد أراد ان يشهد على نفسه العدول في كتاب صدره

(١) نوع من الجلد مأخوذ من كفل الفرس أو الحمار ومدبوغ دباغة خاصة :

(هذا ما شهد عليه العدول جميعاً ان امير المؤمنين عبد الله ابا العباس المعتضد بالله اشهدهم على نفسه في صحة منه وجواز امره) وعرضت النسخة على عبيد الله ابن سليمان فضرب عليها وقال هذا لا يحسن كتبه عن الخليفة اكتبوا (في سلامة من جسمه واصابة من رأيه) .

قال لي الحارثي استهديت من صديق لي نبيذاً فانفذ الي نبيذاً حامضاً فرددته عليه وكتبت اليه الجيران : أحق بهذا من الاخوان . ووصف لنا مرة نبيذاً طرياً شربه فقال هو دواء الفهم عمل من ثمر البلاذر اي هو لا يسكر لضعف فعله .

***

حدثنا ابو الفتح عبد الله بن محمد البرودي الكاتب قال حدثني بعض شيوخ الكتّاب قال(١) قال ابن الفرات لابي منصور بن جبير كاتبه ايما أكفا(٢) انا او علي بن عيسى فقال الوزير اكفا واضبط قال دعني من هذا قال تؤمنني قال قد امنتك قال علي بن عيسى اذا حضر بين يدي الخليفة فاراد ان يكتب سراً له لم يحتج الى غيره وكتب هو ومحا وختم وخرط(٣) بيده وانفذ العمل وانت لا بد لك من زنجي ولوطي صاحب دواته فيطيل (٤) الامر بظهور اثنين عليه قال فضلت علينا علياً؟ قلت لا والله ياسيدي ولكن يكون علي بن عيسى كاتبك .

***

(١) كتاب الوزراء لهلال ص٦٣ . (٢) الصواب أينا أكفى .
(٣) يعني : جعل في الخريطة . (٤) لعله : فيبطل . والعبارة عند هلال غير هذه .

حدثني عبد الله بن محمد بن داسه ان ابا القاسم البريدي ايام تقلده الامر بالبصرة شرب يوماً وعنده جماعة من ندمائه فافتقد قحف بلور كان معجباً به وطلبه الشرابية فلم يعرف له خبر فحلف انهم ان لم يحضروه ضربهم بالمقارع فقال له احدهم لا تعجل ولكن امر(١) باحضار كل من كان البارحة حاضراً فأمر باحضارهم فجلسوا وأنفذ الغلام الى منزل كل واحد منهم برسالة منه أنْ انفذوا القحف البلور الذي حملته اليكم البارحة فعاد احد الرسل من دار احدهم ومعه القحف فافتضح ذلك النديم وسقط محلّه . وهذا مضادّ لما حكي عن بعض الاكاسرة انه كان يشرب فوقعت عينه على غلام من غلمانه وقد سرق صينية ذهب مع مافيها وحملها فأمسك الملك وفاز بها الغلام فافتقدها الخزّان من الغد وجاؤا في طلبها فدعاهم وقال لاتتعبوا في طلبها فقد اخذها من لا يردها ورآه من لا ينمّ عليه قال فأمسكوا فلما كان بعد سنة كان الملك يشرب فدخل ذلك الغلام عليه فرأى عليه منطقة ذهب حسنة فقال له الملك سراً أهذا من ذلك فقال نعم . فقال ان كان ما عندك من تلك الدنانير التي من الصينية قد نفد فعرفني لأدفع اليك أخرى .

***

وحدثني قال وحدثنا ابو الحسين احمد بن الحسن بن المثنى قال لما قدم حامد بن عباس الابلّة يريد الأهواز وهو وزير خرجت لتلقيه فرأيت له حراقة ملاحوها خصيان بيض وعلى سطحها شيخ يقرأ القرآن وهي مظالة مستترة .

(١) يعني : أُمرْ .

فسألت عن ذلك فقالوا هذه حراقة الحرم لا يحسن ان يكون ملاحوها فحولة ·

قال وقال لي ابوالحسين دخلت الى ابن الجصاص في داره ببغداد فرأيت خصياناً بيضاً مزينين ·

***

قال حدثنا ابوالحسين قال رأيت لابي العيناء خادمين خصيين أسودين يقودانه فقيل له كيف اتخذت خصيين أسودين فقال حتى لايتهما بي ولا أتهم بهما ·

***

وحدثني قال حدثنا ابوالحسين قال قدم ابوالعيناء البصرة في سنة نيف وثمانين بعد الغيبة الطويلة التي غاب عنها وخدمته للخلفاء والوزراء بسر من رأى وكان ابوخليفة اذذاك عالم البصرة بالحديث والأخبار واللغة والنحو ومحمد بن جعفر بن بسام قاضيها وكان له محل من الادب واللغة والشعر كبير وكنت منقطعاً اليه ملازماً له أدرس عليه الفقه فكان اول من ائتمنني ورفع شأني · فقال لي ياابا الحسين قد قدم ابو العيناء وأحب ان أجمع بينه وبين ابي خليفة وننظر اثرهما(١) فقلت عليّ ذلك فقال مضيت ولقيت ابا العيناء وعقدت عليه وعداً للحضور عند ابن بسام وعلى ابي خليفة فاجتمعا فأخذ ابو العيناء في الرواية عن الأصمعي ومشاهداته مع المتوكل وابن ابي دؤاد وفلان

(١) لعله : آثرهما أي أفضلهما ·

وفلان والشعراء قال فاسكت ابو خليفة فلم ينجرّ معه ولم يلحق به قال فاثنينا على ابي العيناء وقرظناه فقال ياأيها القاضي انا لا أنسى ما كنت أحفظه منذ اربعين سنة ٠

* * *

وحدثنا ايضاً قال حدثني ابو عبيد محمد بن علي الاجُرّي قال كنت عند ابي العيناء لما قدم البصرة سنة نيف وثمانين بتسبيبات له على عمالها وكان معنا أصحاب الحديث فقيل له قد دخل اليك ابن المثنى فقام وقدّر ان ابا علي الحسن بن المثنى قصده فقال له بعض الحاضرين انه احمد بن الحسن بن المثنى فجلس قبل ان يقرب منه ابو الحسين ثم استدنا (كذا) اباالحسين واكرمه وسأله عن خبر ابيه ٠٠٠٠ (١) ٠

* * *

٠٠٠ فقال لي لاأدري كنت يوماً في مجلس موسى بن اسحاق القاضي بالبصرة وقد اجتاز بنا وكان أصحاب الحديث حضوراً وكان موسى لا يطلق(٢) ان يدخل مجلسه غلام أمرد ليسمع الحديث فحين رآه موسى صاح ياغلام أخرجه فقلنا له اعز الله القاضي هذا ابن اخيك ابي علي بن المثنى قال فرفعه وقدمه ٠

* * *

وحدثني قال حدثني ابو الحسين قال لما نشأتُ كَتَبَ ابو حازم القاضي الى ابي يقول انه قد بلغني انه قد نشأ لك فتى يطلب العلم ومن حاله وصفته ٠

(١) يظهر ان أواخر الحكاية قد سقطت مع أوائل حكاية أخرى ٠ (٢) لعله لا يطيق

(قال وقرظني) فانفذه اليّ لأقلده القضاء قال فقال لي ابي ما تقول فقلت فانفذني فانك هو ذا ترى مانحن فيه من الإضاقة فلعلي اتسع بالارزاق (١) فان الاعمال تفنى والصيانة تبقى .

* * *

وحدثني قال حدثني بعض شيوخنا ان ابا العيناء قد قصد دار الواثق وهو الامير بالبصرة اذذاك فأجلس في الدهليز ساعة الى ان استؤذن له وجرى الحديث فقال رجل في حديث اقتضى ذلك يا ابا العيناء انت صائم اليوم فقال اما في هذه الدار فنعم فكتب صاحب الخبر الى الواثق بذلك فأذن له في الحال واعتذر اليه من إجلاس البوابين له في الدهليز وانكر ذلك عليهم .

* * *

قال واجتمع ابو العيناء وابو النضير (٢) يوماً في مجلس فاستطال عليه ابو العيناء فقال له ابو علي : نحن جميعاً ضريران فماهذا التطاول فقال ولاسواء انت من عميان العصا وانا من عميان المواكب (٣) .

("بحث صلة)

---

(١) يظهر انه سقط ما معناه : فقال ابي لا تفعل .
(٢) لعله : ابو علي البصير الذي اسمه الفضل بن جعفر .
(٣) لعله : المراكب .

آراء وأفكار

— (١) —

ملاحظات لغوية

نشر لي المجمع العلمي العربي في مجلته م ١١ ص ٦٩١— ٦٩٧ فصلاً فيه ملاحظات على طائفة من الفضلاء الذين يكتبون فيها ، وبدا له فعلّق على موضعين منه تعليقاً وجيزاً ، ثم قفى عليه كبير كتّاب العصر الأمير شكيب أرسلان فوافق على كل ما جاء فيه عدا كلمة واحدة استوقفته فاستفهمني عنها وتقاضاني عليها شاهداً يوثق به .. وقد سمعت ما عندهما فأحب أن يسمعا ما عندي ، ورأيها الموفق !

فأما ملاحظتا المجمع فأولاهما أن أديباً باحثاً ذهب في فصل كان يتحدث فيه عن الجاحظ الى أن العرب كانوا يقولون في الفرس السابق « يلحق الغزال ويسبق الظلام » فأخذت عليه قوله يسبق الظلام ونفيت أن يكون لسبق الفرس الظلام مفهوم في الكلام وقلت إنما كانت العرب تقول يسبق الظليم وهو الذكر من النعام وعززت قولي ببينات من اللغة والشعر يغني الرجوع اليها عن إعادتها ، فعلق المجمع على شطر من قولي من غير أن يلتفت الى الشواهد التي أقمتها على تأييده ونازعني في إنكاري أن يكون لسبق الفرس الظلام مفهوم ما وقال إن لذلك وجهاً وجيهاً ووثق رأيه ببيت للنابغة الذبياني وهو قوله :

وإنك كالليل الذي هو مدركي ... وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

ثم لم يزد عليه شيئاً .

وأنا أتحاكم في هذا الذي أذهب اليه الى النص وسياقه والى المنطق والى العرب ثم علماء الأدب فيما فهموه من هذا البيت . فأما النص فانه — كما قلت أول مرة — من كلام ابن شرف القيرواني في رسالته الانتقاد ، وهو يتحدث عن مخترعات امرئ القيس .

في الشعر ، وهو قوله « وكانوا يقولون في الفرس يلحق الغزال والظليم حتى قال قيد الاوابد » أي الوحوش ، وقد طبعت هذه الرسالة ثلاث طبعات : في الأوليين منها « الظليم » وفي الثالثة « الظلام » ويظهر أن الكاتب اعتمد هذه الطبعة الثالثة فقال ما قال من غير أن يتروّى في السياق والسباق ، فأية علاقة في النص بين الظلام وبين الغزال والأوابد ؟ لا شك أن التنافر في هذا من الشدة بحيث لا يمكن أن يجمع بينها المعنى الذى قصد اليه ابن شرف كيفما حاول التمحل أن يلائم أو يوائم أو يلاحم ، انما يستقيم المعنى بالظليم ... وبالظليم وحده ليس غير . وللزيادة في توكيد أن هذا اللفظ هو الثابت نذكر أن ممن تعرض له ايضاً ابن رشيق في قراضة الذهب وبعض شراح ديوان المتنبي عند قوله « أجل الظليم وربقة السرحان » وقوله « وعقلة الظبي وحتف التتفُل » فقد اشاروا جميعاً الى أن المتنبي قد احتذى امرأ القيس في « قيد الاوابد » الذي اشار اليه النص الصحيح المتقدم من كلام ابن شرف ، غير أن المتنبي أتى بالمعنى في غير اللفظ وزاد زيادة جيدة فقال « أجل الظليم » وقال « ربقة السرحان » الخ وفي هذه دلالة قاطعة على صحة ما ذهبنا الى تصحيحه وعلى أن العرب من عهد امرئ القيس الى المتنبي والى مالاادري انما كانت تذكر في تفضيل سبق الجياد الحيوان والوحش من غزال وظليم وتتفل لا الظلام وما اليه . هذا النص ومؤيداته وأما المنطق فهو يرفض كل الرفض ماذهب اليه التعليق من «وجاهة» معنى سبق الفرس للظلام ، فانه من الوهم الذي لا يتحقق له وجود في الخارج إذ كيف يسابق الفرس الظلام وفي أي فلك يدورمعه ويجاريه وفي أي مضمار يجول ويباريه؟ ان هذا الذي يريده التعليق إن هو الا إحالة [1] فاسدة لم يتعلق بها حتى المغرقون في المبالغات السخيفة [1] من الشعراء المولدين .

واما بيت النابغة الذبياني فهو في وادٍ غير هذا الوادي وهو بعيد جداً ان يكون مؤيداً لهذا المعنى الذي يذهب اليه التعليق ، وندع القول فيه الى مافهمه منه فصحاء العرب ثم الرواة وأئمة الأدب لئلا نترك مجالاً للاعتراض والرد تارة أخرى :

عن جرير بن يزيد بن جرير بن عبدالله البجلي قال — كنا عند الجنيد بن عبدالرحمن بخراسان وعنده بنو مرة وجلساؤه فتذاكروا شعر النابغة حتى أنشدوا قوله « فانك كالليل

(١) [المجمع] .....

الذي هو مدركي ... البيت » فقال شيخ من بني مرة — وما الذي رأي (يعني النابغة) في النعمان حتى يقول مثل هذا ؟ وهل كان النعمان الا على منظرة من مناظر الحيرة ؟ وقالت ذلك القيسية ايضاً فأكثرت ، فنظر الى الجنيد فقال — يا أبا خالد ! لا يهولنك قول هؤلاء الاعاريب واقسم بالله لو عاينوا من النعمان ماعاين صاحبهم لقالوا أكثر مما قال ولكنهم قالوا ماتسمع وهم آمنون . وانت ترى من إنكار الشيخ المري على النابغة قوله أنه انما فهم منه المبالغة في دعوى سعة[1] ملك النعمان على حين أنه لم يكن الا على منظرة من مناظر الحيرة فانكر عليه دعواه الكاذبة كما أنكرتها القسية ايضاً .

وقال العلامة الأديب عبد الرحيم العباسي في معاهد التنصيص يشرح البيت :

المنتأى : اسم موضوع من انتأى عنه أي بعد ، وشبهه بالليل لأنه وصفه في حال سخطه وحوله ، والمعنى : انه لا يفوت الممدوح وان أبعد في الهرب وصار الى اقصى الارض لسعة ملكه وطول يده ولأن له في جميع الآفاق مطيعاً لأمره يرد الهارب اليه .

ثم أورد اعتراضاً للاصمعي على النابغة في تشبيه الادراك بالليل بأن الليل والنهار قد تساويا فيما يدركانه وإنما كان سبيله ان يأتي بمالا قسيم له حتى يأتي بمعنى منفرد . وقال : فلو قال قائل — ان قول النميري في ذلك أحسن منه — لوجد مساغاً الى ذلك حيث يقول :

فلو كنت كالعنقاء أو كسموها لخلتك الا أن تصد تراني

ثم أورد العباسي في معنى بيت النابغة أشباهاً كثيرة في وصف سبق الفرس من شعر ابن جبلة وسلم الخاسر والبحتري وابن هانئ الاندلسي وأبي العرب الصقلي وكلها يدل على غير ما ذهب اليه صاحب التعليق في تفسير بيت النابغة ! !

وثانية الملاحظتين أنني صححت كتابة (عُرى) جمع (عروة) بالألف (عُرا) بناءً على قاعدة البصريين في إرجاع الكلمات الى أصولها ، فخالفني المجمع وقال « بل الاصح أن تكتب بالواو (هكذا في الطبع وهو يريد بالياء) بناءً على قاعدة الكوفيين كما كتبوا الضحى والخطى » انتهى . وأنا لا أعلم ما الذي يجعل قاعدة الكوفيين أرجح في نظر المجمع على حين أنها قاعدة شاذة عن المقاييس العلمية ليس لها أصل معقول تحور اليه ! وحياة اللغة إنما تستمر باصطناع المقاييس المطردة التي جرى عليها البصريون ومن نحا نحوهم في

(١) [المجمع] أو في دعوى سرعة اللحاق والإدراك .

تأصيل الأصول القياسية من فلاسفة اللغة وأهل البيان ، وشذوذ من المجمع أن يرجح الشاذ على المقيس من غير مرجح لديه ويرجع بالأصول اللغوية الى طور السذاجة قبل أن يتناولها الاستقراء العلمي ويحررها البحث الفني . على أنني كنت أحب للمجمع . وهوالقائم على تهذيب اللغة في هذا العصر العتيد أن يتجاوز حتى قاعدة البصريين التي هي أنفى للغلط الكتابي الذي يضج منه العالمون والمتعلمون من قاعدة الكوفيين الجامدة البليدة الى أفق أوسع ومجال أرحب فيدعو الى كتابة الباب « كله » بالألف حملاً للخط على اللفظ سواء كانت الألف ثالثة أوفوقها ولومنقلبة عن ياء في علم أوغيره ، لنريح ونستريح من الشكاوي المريرة من صعوبة قواعد الكتابة العربية التي لايسلم أكثرها من تنطع وبلادة وجمود . والمجمع لايجهل أن هذا الذي أريده قد مشى عليه جماعة من النحاة منذ عهد عهيد ووجهوه بأنه القياس وبأنه أنفى للغلط ، وهو تعليل صحيح يدل على سمو في الفكرة ودقة في النظرة فأنا أدعو الجماعة العاملين على إحياء العربية الى مشاركتي في هذا الرأي ونشره بين الناس في المدارس وفي الصحف فان في ذلك تخفيفاً كبيراً من عبء اللغة على المتعلمين وخيراً كثيراً .

وأما ملاحظة العلامة الأمير شكيب أرسلان (المجمع م ١٢ ص ٢٤٩) فعلى كلمة جنح بمعنى جناح في مثل وهو قولهم « ركب جنح نعامة » كنت اوردته شاهداً على ان النعام ذكره وأنثاه هو الموصوف عند العرب بالخفة وسرعة الجري وشدة الحذر . فالأمير يعترض على استعمال الجنح ويرى أنه غير الجناح ويقول « لا أزال أحفظ أن اليازجي الكبير في مقاماته استعمل الجنح بمعنى الجناح مضافاً الى الطائر فأخذ عليه في ذلك أحمد فارس صاحب الجوائب » ثم هو يتقاضاني أن أدلي له بنص أو شاهد يوثق به على ورود جنح بمعنى جناح مضافاً الى الطائر . وجوابي له أنني نقلت هذا المثل بهذا اللفظ من كتاب حياة الحيوان[1] مع علمي بأن الوارد في القاموس المحيط وفي كتب الأمثال أنما هو جناح ، وعلة ذلك أنني أعتقد أنه لافرق بين الجنح والجناح بدلالة مفاهيم عبارات اللغويين وجنوح الأدباء وعامة الناس في مصر والشام والعراق الى استعمال ذلك بمعنى هذا . فأما عبارات أهل اللغة فقد جاءت متحدة غالباً في الجنح والجناح فمن معانيهما معاً : الكَنَف ، والناحية ، والجانب ، فاذا أردنا جانبي الطير أو الانسان أو الجيش فلماذا يصح أن يقال جناحاه ولا يصح[2] أن

(١) طبعة مصرية . (٢) [المجمع] لان اللغة نقل .

يقال جنحاه على حين أنهما يدلان على شيء واحد دلالة واحدة وهي « الجانب » ؟ فان قيل إن الجناح بمعنى الجانب مجاز كما في قوله تعالى « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » . قلنا : وكذلك قول العرب « أناخ فلان عند جنح سبيل » أي جانبه ، و « بات بجنح القوم » أي كنفهم . ولا بد لكل مجاز من حقيقة ينقل عنها ، فاذا اعتبرنا حقيقة الأول هي جناح الطائر فما عسى أن تكون حقيقة الثاني ؟ لاريب أن اتحاد اللفظين في معانيهما المجازية دليل على اتحادهما في حقيقتهما ايضاً غير أن حقيقة الجنح أميتت لسبب من الأسباب وحقيقة الجناح استمرت في الاستعمال . وقد قالت العرب في كلمات مثلها « نجح ونجاح ، وصبح وصباح ، ومسي ومساء » وغيرها ، فلماذا لا يكون الجنح كالجناح على هذا القياس[1] ؟ ولم كل هذا التحجير ومعاجم اللغة لم تدون كل مفردات اللغة ؟

واذا تحللنا من قيود الجمود على ورد ولم يرد استوقفنا إطباق أكثر أهل البلاد العربية على استعمال هذين اللفظين بمعنى واحد في حقيقة واحدة ، أفنضرب بذلك كله عرض الحائط ولا نعيره أقل اهتمام ؟ هذا اليازجي[2] الكبير قد رأى جواز استعمال هذا اللفظ بمعنى ذاك فاستعمله ، وتلك الطبعة المصرية لحياة الحيوان تستعمله كذلك ، وهذه أبيات من الشعر العراقي[3] قرأتها في كتاب العقد المفصل ج١ ص١٧٧ و ج٢ ص٣٤ وهي صريحة في استعمال الجنح بمعنى الجناح :

وهو للمؤمنين يخفض جنحاً ... دون أدنى محله الجوزاء

***

أهون بأحداث الزمان وان تكن ... لعظيم أبطال الزمان تبير
قد فاجأته في الرضاع وقلبها ... فزعاً بجنح الرعب منه يطير

وقد استرأينا في هذا فاضلين كبيرين من أعيان العصر في الشعر وفي النثر فوافقاني على ما ذهبت اليه في غير تلكؤ وبعد هذا قد ذهب وهم العلامة الأمير الى أنني استشهدت بقول الشاعر الحامي :

كأن بصحراء المريط نعامة ... تبادرها جنح الظلام نعائم

(١) [المجمع] لأنه لا قياس في اللغة . (٢) [المجمع] !!!

لإثبات صحة جنح بمعنى جناح ٠٠٠ وليس كذلك فأنا انما استشهدت به وبماقبله وبعده لاثبات صفة سرعة الجري للنعام ذكره وانثاه ليس غير ، وأما موضوع الجنح والجناح فلم أكن بسبيله وإنما أثاره الأمير ٠ عليه مني تحية طيبة مباركة ٠

بغداد : محمد بهجة الأثري

من أعضاء المجمع العلمي العربي

(المجمع) لعل القارئ بعد ان استطال كلام الفاضل الأثري يريد ان يعرف النتيجة الصحيحة من هذه الابحاث الثلاثة فنقول :

(١) ان العرب كما يصفون الفرس بانه يسبق الظليم يصفونه ايضاً بانه يسبق الظلام بدليل ما نقل عن الجاحظ وبدليل قول النابغة : (فانك كالليل الذي هو مدركي)

فهو يقول للنعمان انك تدركني وتبطش بي أني فررتُ كما أن من رأى اول الليل مقبلاً من جهة الشرق تخيل اليه انه اذا فرّ منه ينجو فلاجرم انه لاينجو بالفرار بل ان ظلام الليل يدركه انى سار ٠

(٢) الكوفيون من علماء اللغة اقوالهم مرجوحة سوى مسائل معروفة رجحت فيها آراؤهم من ذلك كتابة (عرى وضحى وخطى) بالياء وان كان أصلها واواً وكثيراً ما كانت الفصاحة في استعمال الشاذ — كفعل (استحوذ) مثلاً فان الفصيح فيه ان يقال كما قال تعالى : (استحوذ عليهم الشيطان) وان كان اصل القاعدة (استحاذ) ٠

(٣) ما قاله الامير شكيب من ان كلمة (جنح) لم ترد بمعنى جنح الطائر في فصيح كلام العرب ولا في معاجم اللغة المعتبرة — هو الصحيح ولا يجوز جعل (طبعات) الكتب وشعر المتأخرين وإطباق الرأي العام — براهين على صحة دعوى لغوية ما لم يؤيدها النقل الصحيح من أئمة اللغة المثبتة اقوالهم في المعاجم المشهورة ٠

(٤) يبقى مجمعنا العلمي متمسكاً بماقرره الاقدمون من قواعد اللغة العربية ويجد من وفاء الذمم ان ينبه الى ما وقع من الخطإ في تلك القواعد حتى اذا تيسر له تنفيذ خططه في اصلاح اللغة وتهذيب قواعدها واعلن ذلك على الملأ كان له اذ ذاك ان يغضي عن الاغلاط معها خالفت آراء المتقدمين ما دامت موافقة لخططه وطرائقه ٠

نموذج من الكلمات الصليبية

قلت في مقالتي (الكلمات الابوية) المنشورة في مجلد هذه السنة ص ١٥١ ان النويري ذكر في كتابه (نهاية الأرب) ان الشاميين اقتبسوا من الأفرنج كلمة (مفصولة) ويريدون بها الأرض التي يعطيها الأمير صاحب الاقطاع الى بعض اتباعه مقابل شيء معلوم يؤديه في السنة وان مفصولة مشتقة من الفصل . ثم نقلنا عن بعض فضلاء مصر المعاصرين ان الفصل معربة عن كلمة Vassal الافرنسية بالمعنى المذكور ثم قلت ينبغي لنا ان نتتبع هذه الكلمات الصليبية ويوشك ان نعثر منها على طائفة صالحة . وقد اتفق لنا ان كنا نصحح كتاب (الدارس في المدارس) مع بعض اخواننا من اساتذة المجمع فمر معنا في ترجمة السلطان صلاح الدين قوله بعدد أعمال السلطان في بيت المقدس (وعمل للشافعيــة المدرسة الصلاحية وكان موضع كنيسة على جسد حنة اي على قبر حنة ام مريم عليها السلام اه) فرأينا العبارة قلقة من جهتين (١) من جهة قوله ان السلطان بنى المدرسة على جسد حنة ولم تجر العادة بأن يقال هذا (٢) ان النعيمي مؤلف الدارس فسر الجسد بالقبر مذ قال (اي على قبر حنة) وهذا غير سائغ . فراجعنا تراجم صلاح الدين فاذا صاحب الفتح القسي وصاحب الروضتين يقولان ان السلطان صلاح الدين اراد ان يبني مدرسة للشافعية (فعين لها الكنيسة المعروفة بصند حنة) فلم يقولا (جسد) وانما قالا (صند) فاحدى الكلمتين محرفة عن الاخرى واحداهما وهي (جسد) لها معنى في اللغة والاخرى وهي (صند) لامعنى لها اصلاً ومع هذا رأينا أجهل الكلمتين وانكرهما في العربية هي المقصودة والمرادة هنا : وذلك ان كلمة (صند) كلمة صليبية اخذها عرب سوريا عن الافرنج الصليبيين . وهؤلاء يقدسون السيدة حنة ام مريم عليها السلام فلا يذكرون اسمها مجرداً عن لقب التكريم بل هم كلما ذكروها قالوا (سنت حنة) (سنت حنة) ومعنى سنت (Sainte) في اللغة الافرنسية القديسة فكان رجال السياسة في العهد الصليبي يسمعون كلمة (سنت) بمعنى القديسة منهم . ومن هؤلاء الرجال (العماد الكاتب) اكبر رجال صلاح الدين وكتابه ومؤرخي دولته وهو مؤلف كتاب (الفتح القسي في الفتح القدسي) وقد وصف لنا فيه كيف بنى صلاح الدين بيت المقدس . فلا غرو اذا قلنا انه كان يسمع الافرنج يقولون (سنت حنة) ولما اراد ان يذكر لنا ان صلاح الدين

بنى المدرسة الصلاحية قال انه بناها على (سنت حنة) بمعنى القديسة وانظر لماذا لم يقل القديسة بدل (سنت) ؟ ثم ان العرب يتلاعبون بالألفاظ الفرنجية ويجذبونها الى مناحي لغتهم واوزان كلماتهم فعربوا كلمة (سنت) الى (صند) بقلب السين صاداً والتاء دالاً ٠ وهذا الابدال كثير في الكلمات العريقة في العروبة فما بالك في الكلمات الدخيلة الاعجمية ٠ والحاصل ان العماد الكاتب قال (صند حنة) ونقل العماد عن مؤلف (الروضتين) وهو قريب العهد بالزمن الصليبي فقال ان السلطان بنى المدرسة على (صندحنة) وبعد نحو ثلاثمائة سنة ألف الشيخ النعيمي (المتوفى سنة ٩٢٧ هـ) كتابه (الدارس) ولخص كلام المؤرخين المذكورين وقال ان السلطان عمل للشافعية المدرسة الصلاحية وكانت موضعاً للكنيسة على (صند حنة) وقد ظن النعيمي ان معنى كلمة (صند) الافرنسية (قبر) ففسرها بقوله (اي على قبر حنة) ثم تعاور النساخ كتاب الدارس ولم يفهموا كلمة (صند) فرجحوا أن تكون محرفة عن (جسد) وهكذا كتبوها (جسد حنة) فكلمة (صند) كلمة صليبية بمعنى ان العماد الكاتب وغيره من عرب الشام في ذلك العهد اقتبسوا في كلامهم كلمة (سنت) بعد ان عرّبوها بصند ٠ بل وجد في الكتابات العربية الباقية من آثار العرب في جزيرة صقلية (سيسليا) ما يفيد انهم كانوا يستعملون كلمة صند بمعنى القديسة ولكن يكتبونها هكذا (صنت) بالتاء لا بالدال ٠ والاندلسيون يلفظونها بالشين فيسمون مدنهم (شنت مرية) (شنت ياقب) الخ وقال ياقوت اظنها بمعنى البلدة او الناحية لانها تضاف الى عدة اسماء ٠ وليس كما قال ٠

ويمكن ان نضم الى كلمة (صند) الصليبية كلمة أخرى مثلها وهي كلمة (كُند) بضم الكاف وسكون النون وهي لقب شرف بمعنى أمير فان كتاب العرب منذ العهد الصليبي ادخلوها الى لغتنا العربية اقتباساً من لغة الصليبيين ففي ص ١١٠ من كتاب نهاية الأرب للنويري ذكر ان الملك المنصور قلاوون كتب (او كتب كاتبه عنه) الى ملك اليمن كتاباً وصف له فيه بعض وقائع الحروب الصليبية وقد جاء في كتابه قوله (والرغبة الى الله ألا تشق لدينا الا اكباد أكناد ٠ ولا تجز غير شعور ملوك التتر الخ) فقوله (أكناد) جمع (كُند) وكند معرب كونت (Conte) الافرنسية ومعناها أمير (راجع مجلة المجمع ص ٨٦ من هذه السنة) وتاء (كنت) او (كونت) قلبت دالا في العربية كما قلبت تاء

(سنت) دالاً ايضاً مذ قالوا (صند) . وقلب التاء دالاً لقرب مخرجيهما أمر مستفيض في كلمات اللغـة مثل (أعتدت متكأ وأعدّت) و (سَبَد شعره وسبته) و (مرَتَ الجلد ومرَدَه) و (مدّ الحبل ومتّه) الخ . أما قلب السين صاداً على نمط ماوقع في (سنت وصند) فكثير ايضاً في كتب اللغة حتى كاد بعضهم يزعم أن كل سين في كلمات اللغة العربية يجوز قلبها صاداً وبالعكس .. ولكنهم لم يسلموا هذا للقائل . وانما هم قالوا بكثرته فقط .

المغربي

من نوادر المخطوطات
« في دار الكتب الظاهرية »
— ٥ —

ذيل تاريخ بغداد(١) : تصنيف محب الدين محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي المتوفى سنة ٦٤٣ قال صاحب كشف الظنون : وهو ذيل عظيم على تاريخ بغداد جمع فيه فاوعى يقال انه يتم في ثلاثين مجلداً ورتبه كالطبقات . الموجود منه المجلد العاشر فقط في ٤٦٠ صفحة كبيرة أوله : ترجمة عبد المغيث بن زهير المتوفى سنة ٥٨٣ وينتهي الى ترجمة علي بن الحسين الاسكاف [رقم ٤٢ التاريخ]

ذيل طبقات الحنابلة : تأليف زين الدين عبد الرحمن بن احمد المعروف بابن رجب الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٥ وهو ذيل على طبقات الحنابلة لابي الحسين محمد بن محمد بن الحسين ابي يعلى الحنبلي المعروف بابن الفراء المتوفى سنة ٥١٦ وانتهى فيه الى سنة ٥١٢ وهذا الذيل وصل فيه الى سنة ٧٥٠ الموجود منه نسختان [رقم ٦٠ و ٦١ التاريخ] .

سيرة احمد بن طولون : تأليف ابي احمد عبد الله المدني البلوي وقال صاحب كشف الظنون انها لأحمد بن يوسف بن الداية المتوفى سنة ٣٣٤ . أولها الحمد لله خالق السموات والارض وما بينهما من الآيات على حكمته الشاهدات على قدرته الخ نسخة في ٢٥٠ صفحة متوسطة كتبت بخط قديم يرجع الى القرن الرابع [رقم ٢٤٢ التاريخ] .

(١) جاء في كشف الظنون ما نصه : قيل أول من صنف لبغداد تاريخاً احمد بن طاهر البغدادي وتلاه ابو بكر احمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ فكتب على طريقة المحدثين جمع فيه رجالها ومن ورد بها وضم اليه فوائد جمة فصار كتاباً عظيم الحجم والنفع اه . وقد طبع التاريخ للمرة الأولى بنفقة مكتبة الخانجي بالقاهرة والمكتبة العربية ببغداد وصدر منه الى الآن ١٣ مجلداً .

عيون التواريخ — تأليف صلاح الدين ابي عبدالله محمد بن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ رتبه على السنين وانتهى فيه الى سنة ٧٦٠ ابتدأه بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ثم سيرة الخلفاء الراشدين وجمهور الصحابة والتابعين وتراجم رجال الحديث النبوي ومراتب رواته وطبقاتهم وتراجم الصالحين والزهاد والأعيان والشجعان والكرماء والأدباء والشعراء والمغنين وغيرهم قسمه الى حوادث ووفيات · الموجود منه سبعة مجلدات من نسخ مختلفة ·

(الاول) يشتمل على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم الى وفاته في ٣٢٠ صفحة متوسطة القطع كتب سنة ٨٨٨ بخط نسخ [رقم ٤٣ التاريخ] ·

(الثالث) فيه تاريخ من سنة ١٣٢ الى سنة ٢١٧ في ٤٢٠ صفحة متوسطة بخط نسخ [رقم ٤٤] ·

(الخامس) فيه تاريخ من سنة ١٢١ الى سنة ١٤٣ في ٢٠٠ صفحة صغيرة [رقم ٤٥]

(الخامس) (من نسخة اقدم من المتقدمة) فيه تاريخ من سنة ٧١ الى سنة ١٠٨ في ٢٠٠ صفحة كبيرة [رقم ٤٦] ·

(الثاني عشر) فيه تاريخ من سنة ٣١٠ الى سنة ٣٩٠ في ٦٠٠ صفحة متوسطة [رقم ٤٨] ·

حسني الكسم

مطبوعات حديثة

الضياء

«مجلة تسعى في ترقية الآداب العربية»

«في لكنؤ (الهند)»



كلما ذاق كأس يأس مرير جاء كأس من الرجا معسول

وهكذا شأننا في الخوف على لغتنا العربية والحذر من ان تضعف وتتخاذل امام زحف اللغات الاجنبية عليها وزحزحة دسائسهم حواليها فليس العجب ان تنهض العربية في تونس والجزائر ومراكش وانما العجب ان يسطع ضياؤها ويخفق لواؤها في بلاد الاعاجم: كانتشارها في امريكا بواسطة ابناء يعرب وغسان من اخواننا المهاجرين وانتشارها في جزائر جاوه بواسطة الحضارمة وكنهوضها اليوم في بلاد الهند بواسطة الغيورين من أساتذة معاهدها العلمية والدينية: فقد انشأ هؤلاء الاساتذة مجلة علمية أدبية تعليمية اجتماعية ولغة الانشاء فيها هي لغة مضر بما عهدناه من فصاحتها وناصع عروبتها (الاقليلاً) ٠ وان القائم بانشاء تلك المجلة الاستاذ (مسعود عالم الندوي تحت إشراف الاستاذين سليمان الندوي رئيس دار المصنفين وتقي الدين الهلالي المغربي المراكشي) ٠ وقولهم (الندوي) ٠ نسبة الى جمعيتهم المشهورة في لكنؤ المسماة (ندوة العلماء) ٠ وقد جاء مجمعنا العلمي ثلاثة الاجزاء الأولى من تلك المجلة فراقنا منها أولاً (الإخلاص) الذي لمحناه يترقرق خلال سطور ما يكتب فيها ٠ ثانياً (فصاحة العبارة) العربية التي تتجلى في ما يكتبه العلماء الهنود فيها ٠ ثالثاً (المقدرة الصحافية) في جمع المواد وتبويبها وحسن إيرادها وجودة تنسيقها ٠ ففي الجزء الأول مقالان عن النهضة العلمية في الهند من الوجهتين الدينية والدنيوية وعلاقة ذلك باللغة العربية التي ينظر اليها مسلمو الهند نظر تقديس وتعظيم ٠ ومقال في فلسفة الأمثال ٠ وآخر مناقشة مع

الأب (لويس شيخو) في ما كتبه عن (شعراء النصرانية) ومقال في شاعر الهند (محمد إقبال) ويظهر ان مسلمي الهند عاتبون علينا في التنويه بطاغور الهندوسي والاعجاب بشعره وشاعريته وإعراضنا عن ذكر شاعرهم (محمد إقبال) وترجمة اشعاره والتحدث بأخباره ٠ومن ثم عزموا في مجلتهم ان يترجموا من قصائده الى العربية الفصحى ويرووا لنا الفينة بعد الفينة نتفاً من آثار قلمه وبدائع حكمه ٠ولم يقتصروا على تقديم شاعرهم العظيم الينا بل هم ينوهون ايضاً بشاعرتهم الهندية العظيمة (سروجني نائيدو) وقد اخبرونا ان شاعرتهم هذه قالت في شاعرهم (إقبال) في الحفلة التي أقيمت لتكريمه في لندره — انه (ملك شعراء آسيا) ٠

ونشروا في الجزء الثاني : مقالاً ممتعاً عن (كيفية انتشار الاسلام في الهند) و (من هو الواضع لعلم الجبر والمقابلة) و (تأثير الاسلام في الشعر العربي) (ومناهج التعليم في اللغة العربية) وفي الجزء الثالث : (نشأة اللغات) و (شغف ابي العلاء المعري بالمتنبي) و (المدرسة البادرائية بدمشق) و (احصاء المسلمين في العالم) وغير ذلك من قطع النثر والنظم القديم والحديث الهندي والعربي ويمكن ان يقال ان الهدف الذي ترمي اليه المجلة هو (١) احياء اللغة العربية بين مسلمي الهند فتقوى على مهاجمة اللغة الانكليزية ٠ (٢) التقريب بين الأدبين العربي والهندي وتعريف أدباء الفريقين بعضهما ببعض ٠ وهذان الغرضان لا يتمان مالم يعن بتعليم اللغة العربية في البلاد الهندية وهو امر يهتم به علماء الهند كل الاهتمام ويخشون من تقصيرهم فيه أن يضعف الاسلام وتقوى الشعوبية وقد أعرب عما قلناه كبير علماء الاصلاح في الهند (السيد سليمان الندوي) في المقدمة التي افتتح بها المجلة وكان فيها بين الرجاء واليأس: فهو يرجو نهوض اللغة العربية وآدابها بسبب كثرة مدارسها في الهند ثم يعود فيظهر القنوط مذ يرى التواء طرق تعليم تلك اللغة ويحض قومه على العناية باصلاح البرامج وحسن اختيار الاساتذة والمعلمين ٠

ونختم تقريظنا هذا باقتباس بعض ما قاله عن المدارس التي تعلم اللغة العربية في البلاد الهندية قال: «هذه بلادنا الهند فيها نحو ثمانين مليوناً من المسلمين وفيها نحو مليون من يفهم لغة القرآن ويعرفها وان لم تكن لهم قدرة على التكلم بها ٠ وتقدر مدارسهم العربية بالف من صغارها وكبارها وطلبة العربية فيها نحو مئة الف او يزيدون : فان صقعاً واحداً من اصقاع الهند ويعرف ببلاد البنغال يضم بين جناحيه ستين الفاً من طلبة العلوم العربية وتلامذتها وتجد في

مدينة واحدة وهي دهلي عاصمة الهند نحو مئة مدرسة عربية بين صغيرة وكبيرة . أثراها (مدرسة جامع فتحپوري) واعمرها المدرسة الامينية . وتلتقي في مدرسة واحدة وهي المدرسة العالية في (ديوبند) أكثر من ٥٠٠ طالب تدر على اكثرهم المدرسة رواتب شهرية تفي بمأكلهم وملابسهم ودع دار علومنا التي قامت بتأسيسها (ندوة العلماء) بلكنؤ فهي احدثها عمراً . ولكل منها من المزايا مالايخفى على ذي عينين » ثم قال ان هؤلاء الطلاب على كثرتهم بكم عن التكلم باللغة العربية وعاجزون عن الكتابة والخطابة فيها اللهم الابحاث سمجة في الفقه والمنطق وأول من تنبه لترقية اللغة العربية مدرسة (دار العلوم) التي اسستها ندوة العلماء فنظمت التعليم العربي (وألفت معجماً شرحت فيه الكلمات الدخيلة والمعربة التي لا غنى عنها في فهم الجرائد والمجلات العربية). وآثرت لتعليم الآداب العربية أساتذة من العرب مثل الاستاذ (الشيخ تقي الدين الهلال المغربي المراكشي) . والزمت طلاب العربية بالكتابة والانشاء باللغة العربية . وقد انتقل هذا الاهتمام بالعربيـة الى المدارس الأخرى كمدارس بنجاب والمدارس الانكليزية الرسمية وجوامع لاهور وإلٓه آباد ولكنؤ وپتنه وكلكة والكلية الشرقية بلاهور ومدرسة شمس الهدى (پتنه) والمدرسة العالية (كلكتا) وخاصة (جامعة دهاكه) الانكليزية . وقد ارادت جامعتنا الاسلامية في (عليكره) ان تقتفي أثر جامعة (دهاكه) في العناية باللغة العربية فعسى ان تثمر مساعيها . واما (الجامعة العثمانية) بحيدر آباد فهي اكثر الجوامع إنفاقاً على فرعها العربي وعناية بمستقبل خريجيه . ثم ان الكاتب الفاضل بعد هذا الرجاء المعسول عاد فعقبه بأسف ويأس : ذلك ان اللغة الانكليزية وآدابها وصحفها تكاد تخنق العربية وتأتي على المساعي التي تبذل في تعميمها قال (فذلك ما دعانا الى اصدار مجلة عربية دعوناها الضياء) ثم دعا لها بالتوفيق ورجا من فضلاء بلاد العرب ان يمدوها بكل ما يحييها ويساعد على ثباتها .

ومجمعنا العلمي يرحب بهذه المجلة ويباهي بجهود القائمين بها وبهذه النهضة المباركة في البلاد الهندية .

المغربي

مجلة الابحاث الشرقية

الجلد الاول ١٩٣١

Bulletin d'Etudes Orientales, Tome 1 1931

هي مجلة يصدرها باللغة الافرنسية المعهد الافرنسي في دمشق عوضاً عن مجلته السابقة .

Mélanges de la Section Scientifique des Arabisans de l'Institut d'Archéologie et d'Art Musulmans de Damas

وابحاثها كالسابقة : ابحاث علمية شرقية متنوعة يحررها اعضاء هذا المعهد بموازرة نخبة من علماء المشرقيات فنرحب بالمجلة الجديدة ونرجو لها دوام التوفيق .

جعفر الحسني

هدايا كتب

مر في ص (٤٤٢) من مجلد هذه السنة أن قد انشئت في (حيدر آباد الدكن) من بلاد الهند لجنة باسم (مجلس احياء المعارف النعمانية) تعنى بنشر مصنفات أئمة المذهب الحنفي القديمة مما لم يطبع الى اليوم وقد طبع بعض تلك الكتب واهدت اللجنة منها الى مجمعنا كتابين :

(١) شرح الصدر الشهيد على كتاب النفقات للخصاف وهو الذي جمع فيه مسائل النفقة وجعلها على اقسام منها نفقة الوالد على ولده ونفقة الام على ولدها ونفقة الولد على الوالد ونفقة ذوي الأرحام الخ وقد ألحق الكتاب بذيل ذكر فيه ترجمة كل من الامام الخصاف المتوفى سنة ٢٦١ هـ وشارح كتابه الصدر الشهيد (المتوفى سنة ٥٣٦ هـ) والكتاب لطيف الحجم في نحو ٥٦ صفحة وقد طبع في مطبعة (دكن لاربوت) في حيدر آباد .

(٢) كتاب العالم والمتعلم للامام ابي حنيفة النعمان قال صاحب (كشف الظنون) يشتمل هذا الكتاب على العقائد والنصائح بطريق السؤال عن المتعلم والجواب عن العالم يقال رواه (ابومقاتل) عن الامام الأعظم رضي الله عنه اه .

وأوله (ان الحمد لله حياً لايموت وحمداً لايطعم الخ وهو في نحو ٣٢ صفحة وقد طبع في المطبعة الحيدرية في (حيدر آباد) .

وتوجد نسخة مخطوطة من (كتاب العالم والمتعلم) في دار الكتب الظاهرية كتبت حديثاً . لكن في اولها مقدمة ليست في النسخة المطبوعة المهداة الينا من لجنة الهند وقد رأينا من تمام الفائدة نشر هذه المقدمة وهذا نصها :

« قال الشيخ الامام العالم الزاهد الورع القدوة العلامة رئيس الاصحاب مجد الدين عبد الرحمن بن عمران بن احمد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن ابي جرادة قال :

أخبرنا الشيخ الامام نجم الدين ابو القاسم اسماعيل بن عبد السلام بن عبد الرحمن اللمغاني مدرس مشهد ابي حنيفة رحمة الله عليه بقراءتي عليه في مشهد ابي حنيفة بالجانب الشرقي من بغداد جبرها الله وذلك يوم السبت رابع صفر سنة ثلاث واربعين وستمائة قال أخبرنا صبح الدين ابو الحسن بن المبارك بن محمد بن يحيى الزبيدي بسماعه من ابي العلا حامد بن ادريس جماعة من ابي المعين ميمون بن محمد المكحولي النسفي بسماعه من ابي طاهر المهدي محمد الحسيني بسماعه من ابي يعقوب بن منصور السياري بسماعه من ابي الفضل أحمد بن علي بن عمر السلياني بسماعه من ابي سعيد حاتم بن عقيل الجوهري بسماعه من الفتح حنيفة ابي علوان ومحمد بن يزيد بسماعها من الحسن بن صالح عن مقاتل عن الامام ابي بن نعمان بن ثابت رحمة الله عليه قال الحمد لله حياً لايموت الخ .

المغربي

المجلد الثاني عشر الجزء ٩ و ١٠



أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة سنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في الشهر

ايلول — تشرين اول سنة ١٩٣٢ م

الموافق جمادى الاولى والثانية سنة ١٣٥١ هـ

دمشق :

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي الدفع مقدماً { في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً
وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكا

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

في الداخل	٥٠٠	من السنة الاولى الى الخامسة	الى كل سنة منها
〃	٣٠٠	〃 السادسة الى الحادية عشرة	〃
في الخارج	٦٠٠	〃 الاولى الى الخامسة	〃
〃	٣٥٠	〃 السادسة الى الحادية عشرة	〃

العلوم الطبيعية

عند إخوان الصفا



إخوان الصفاء هي جمعية علمية تأسست في البصرة في القرن العاشر الميلادي ، ولم يعلم على التحقيق الزمن الذي عاشت فيه ولا اسماء الاشخاص الذين تألفت منهم . لأن الذين كانوا ينتمون الى هذه الجمعية يرمون الى معرفة الحقيقة على حسب الطاقة البشرية وان كتمان اعضاء هذه الجمعية ساق كثيرين الى الزعم أن لهم غايات سياسية . ولكن اذا تصفحنا رسائلهم القيمة التي نشروها مع كتم اسمائهم تيقنا ان الهدف الذي كانوا يرمون اليه انما هو إحصاء العلوم في ذلك الزمن .

وان اول الباحثين في هذه الجمعية هو العلامة الالماني المستشرق (ديتريسي) الذي أبان فضل هذا المجمع العلمي القديم وترجم منتخباً من كتبه ولا سيما ما يتعلق بالعلوم الطبيعية . وهو اول من نشر عن جمعية إخوان الصفا ايضاً في اللغة العربية . وفي مقدمة الكتاب الذي طبع في القاهرة عام ١٩٢٨ كلمة للدكتور طه حسين والعلامة احمد زكي باشا ، وكلاهما اشار الى ان هذه الجمعية نشأت في القرن العاشر ، ولكنهما لم يلمحا الى ماتحويه تلك الرسائل من الكنوز في العلوم الطبيعية .

والغرض من مراقبة الطبيعة عند هذه الجمعية هو التوصل الى الهدف الأسمى والغاية العليا التي هي معرفة الصانع والتقرب اليه بالكمال النفسي ، وهكذا نرى إخوان الصفاء يبدأون بالعلم الأدنى الى ان يصلوا الى العلم الأعلى وهو العلم الالآهي .

وأكبر حامل لهم على البحث في العالم كله هو إدراك ماهية الانسان الذي هو ثمرة الطبيعة وتاج الخليقة ، واعتقادهم ان الانسان عالم صغير كما ان العالم انسان كبير فيقولون (ان

جميع السماوات السبع والأرضين ومابينهما جسم واحد بجميع افلاكه وان له نفساً واحدة سارية قواها في جميع أجزائها كسريان نفس الانسان الواحد في جميع أجزاء جسده) .
والطبيعة عندهم تنقسم الى قسمين (الأمهات الكليات) وهي النار والهواء والماء والأرض وثلاثة هي (المولدات الجزئيات) وهي الحيوان والنبات والمعادن . ويعبرون عن الطبيعة بقوة من قوى النفس الكلية المنبثة في جميع الأجسام ويجدون هناك اتفاقاً في المعنى بين التعبير الشرعي للملائكة ، والتعبير الفلسفي لقوى الطبيعة وان كان هناك اختلاف في اللفظ وقوى النفس الكلية الفلكية السارية في جميع الأجسام المسماة (الطبيعة) تنقش اجناس الكائنات وتصورها .

والذي يثير اعجابنا من إخوان الصفا في مباحثهم الطبيعية هو توافق بعض نظرياتهم الطبيعية للنظريات الأوروبية الحديثة ومن اهم هذه النظريات نظرية داروين الانكليزي في النشوء والارتقاء فنجد إخوان الصفاء كانوا يرون ايضاً ان آخر مرتبة من مراتب المعادن متصلة بأول مرتبة من مراتب النبات ، وان آخر مرتبة من مراتب النبات متصلة بأول مرتبة من مراتب الحيوان وان آخر مرتبة من مراتب الحيوان متصلة بأول مرتبة من مراتب الانسان . ومراتب الانسان عندهم ايضاً ليست واحدة ، فمنهم الذين يسمون الى الكمال النفسي وهم في ارقى الدرجات . وان الأدنى في المرتبة خادم للاشرف ومسخر له فجسم النبات غذاء لجسم الحيوان لأنه دون رتبته ، والنفس الحيوانية مسخرة للنفس الحيوانية الناطقة . فنرى هنا شيئاً من نظرية تنازع البقاء ، التي كان لها شأن في الفلسفة الاوروبية في القرن الماضي ، واكبر الداعين الى هذا المذهب هو الشاعر الفيلسوف الألماني (نيتشه) على ان إخوان الصفاء لايطمئنون الى هذا المذهب ونجد عدم اطمئنانهم في تلك القصة الخيالية المحكية على لسان الحيوانات التي تشتكي ظلم البشر .

وان في آخر كل مرتبة من المراتب جسماً خاصاً ، فاطراف المعادن مايلي التراب الجص وما يلي الياقوت فهو الذهب الأحمر ؛ لأن الياقوت كما يعتقده اكثر علماء الاحجار ارقى مرتبة من مراتب الأحجار . واما مرتبة النبات ما يلي المعادن فهي خضراء الدمن . وارقى انواع النبات النخل . اما رتبة الحيوانية التي تلي رتبة الانسانية فليست من جهة واحدة ، ولكن من عدة وجوه ؛ لأن رتبة الانسان لما كانت معدناً للفضل وينبوعاً للمناقب لم يستوعبها

نوع واحد من الحيوان وانما استوعبتها عدة انواع فمنها ما قارب رتبة الانسانية بصورة جسدية مثل القرد ، ومنها ما قاربه بالاخلاق النفسانية كالفرس ومنها كالطائر الانساني ايضاً ومثل الفيل في ذكائه والببغاء والهزار ونحوهما من الاطيار الكثيرة الاصوات والالحان ، ومنها النحل اللطيف الصنائع الى ما شاكل هذه الاجناس ؛ وذلك انه ما من حيوان يستخدمه الناس ويأنسون به الا ولنفسه قرب من نفس الانسان . على اننا نجد عند غير العلماء كابن خلدون والبيروني ان آخر مرتبة الحيوان المتصلة بالانسان هي القردة فقط(١) :

اما رأي إخوان الصفاء في المادة فيوافق كل الموافقة ذلك العالم الافرنسي الكبير لافوازيه Lavoisier القائل ليس في الطبيعة شيء يحصل من العدم ولا شيء ينعدم ، اذ يقولون : «الكون والفساد ضدان لايجتمعان في زمن واحد ؛ لأن الكون حصول الصورة في الهيولى والفساد هو انخلاعها عنه ، فاذا فسد شيء منها فلا بد ان يتكون شيء آخر . لأن الهيولى اذا انتزعت منها صورة البست أخرى ؛ فان كانت التي أُلبست أخرى اشرف سمي كوناً ، وان كانت ادون سمي فساداً ؛ مثال ذلك : ان يصير التراب والماء نباتاً ويصير النبات حباً وثماراً ، والثمار والحب يصيران غذاء ، والغذاء يصير دماً ولحماً وعظماً فيكون من ذلك حيوان . والفساد ان يحترق النبات فيصير رماداً ، او يموت الحيوان فيصير تراباً .

ويظنون ان علل كل ما يحدث في الطبيعة اربعة : علة فاعلة ، وعلة هيولانية ، وعلة تمامية ، فالعلة الفاعلة الطبيعة التي اشرت اليها سابقاً . واما العلة الهيولانية لها ، فهي الزئبق والكبريت . وعلى قدر اختلاف هذين الجسمين تحصل المعادن المختلفة . وقد زعم جابر ابن حيان الكيماوي ذو الشهرة الواسعة في تاريخ الكيمياء ؛ ان العناصر مركبة من جوهرين اثنين ، ذكر وأنثى ، جسد وروح ، احمر وابيض ، طائر وثابت ، ارض وماء ، كبريت وزئبق (٢) . وهذا المثل يطابق كل المطابقة تقسيم العناصر على الطريقة الكهربائية الحديثة المعبر عنها بالكاثيون Kasion والانيون Aniod .

(١) راجع مقدمة ابن خلدون — بيروت ١٨٨٦ ص ٨٤ .

(٢) راجع المصنفات في علم الكيمياء للحكيم جابر بن حيان الصوفي ، نشره ارك يحيى هولميارد باريس ١٩٢٨ ص٥٣ . ومن الذين عينوا الزمن الذي عاش فيه هذا العالم الاستاذ روسكا والدكتور كراوز في برلين .

ولإخوان الصفا آراء صائبة في كثير من حوادث الطبيعة في عصر لم يكد يعرف البحث البشري عنها الا الشيء القليل . فتجدهم يصفون المطر ، والصاعقة ، وكيفية تكون المعادن ، والمد والجزر ، والينابيع الارتوازية ، وكيفية تجمع مياه الأنهار ومسيرها الى البحر ، وكثير من التدقيقات الجيولوجية . فيقولون عن المطر انه من تصاعد البخارات ومن أحب ان يعلم صدق قولنا ويتصور كيفية وصفنا ... فلينظر الى تصعيدات المياه وتقطيرها وكيف يعمل منها أصحابها ، مثل تصعيد ماء الورد والخل المصعد وماشا كلها ، ومثل البخارات الصاعدة في بيوت الحمامات وكيفية تقطير الماء من سقوفها .

ولقد لفتت نظر الاستاذ روسكا كيفية تكون البراري لدى إخوان الصفاء حيث يجد فيها الانسان أساس النظرات الجيولوجية الحديثة [1] فتجدهم يقولون : « ان الأرض بجميع ماعليها من البحار والجبال والبراري والأنهار والعمران والخراب هي كرة واحدة معلقة في الهواء في مركز العالم ... فمنها مواضع براري وقفار وفلوات وخراب . ومنها مواضع الجبال والتلال والإرتفاع والإنخفاض ، ومنها مواضع المراعي والقرى والمدن والعمران ... وان هذه الارض تتغير وتتبدل على طول الدهر والأزمان وتصير مواضع الجبال براري وفلوات ، وتصير مواضع البراري بحاراً وغدراناً وانهاراً ، ويصير مواضع البحار جبالاً وتلالاً وسباخاً وآجاماً ورمالاً ، وتصير مواضع العمران خراباً ، ومواضع الخراب عمراناً .... وان البحار هي كالمستنقعات على وجه الارض ، فان الجبال منها كالمسنوات والبريدات لها لتنفصل البحار بعضها من بعض ولئلا يكون وجه الارض كله مغطى بالماء . وذلك انه لو لم تكن الجبال على وجه الارض وكان وجهها مستديراً ملساً لكانت مياه البحار تنبسط على وجهها فتغطيها من جميع جهاتها ... وكان وجه الارض كله بحراً واحداً ... وان الأودية كلها تبتديء من الجبال والتلال وتمر في مسيلها وجريانها نحو البحار والآجام والغدران . وان الجبال من شدة إشراق الشمس والقمر والكواكب عليها بطول الأزمان والدهور تنشف رطوبتها وتزداد جفافاً ويبساً ، وتنقطع وتنكسر ، وتصير أحجاراً أو صخوراً أو حصى ورمالاً . ثم ان الأمطار والسيول تحط تلك الصخور

(١) راجع Isis عام ١٩١٤ وص ٣٤٥ .

والرمال الى بطون الأودية والأنهار ، ويحمل ذلك شدة جريانهـا الى البحار والغدران والآجام . وان البحار لشدة أمواجها وشدة اضطرابها وفورانها تبسط تلك الرمال والطين والحصى في قعرها سافاً على ساف بطول الزمان والدهور ، ويتلبد بعضها فوق بعض ، وينعقد وينبت في قعور البحار جبالاً وتلالاً كما تتلبد من هبوب الرياح دعاص الرمال في البراري والقفار .... وكلما انطمت قعور البحار من هذه الجبال والتلال التي ذكرناها انها تنبت فان الماء يرتفع ويطلب الاتساع وينبسط على سواحلها نحو البراري والقفار ويغطيها الماء ، فلا يزال ذلك دأبه بطول الزمان حتى تصير مواضع البراري بحاراً ، ومواضع البحار يبساً وقفاراً ؛ وهكذا لا تزال الجبال تتكسر وتصير أحجاراً وحصى ورمالاً تحطها سيول الأمطار وتحملها الى الأودية والأنهار بجريانها حتى البحار ، وتنعقد هناك كما وصفنا ، وتنخفض الجبال الشامخة وتنقص حتى تستوي مع وجه الارض ، وهكذا لا يزال ذلك الطين والرمال تنبسط في قعر البحار وتتلبد وتنبت عنها التلال والروابي والجبال ، وينضب من ذلك المكان الماء حتى تظهر تلك الجبال وتنكشف هذه التلال ، وتصير جزائر وبراري ويصير ما يبقى من الماء في وهادها وقعورها بحيرات وآجاماً وغدراناً .... فلا تزال السيول تحمل الى هناك الطين والرمال والوحول حتى تجف تلك المواضع وتنبت هناك الأشجار ... ثم يقصدها الناس .... وتصير مواضع الزروع والنبات بلداناً وقرى يسكنها الناس » .

ويعللون حرارة بعض العيون في الشتاء والصيف على حالة واحدة بان في باطن الارض وكهوف الجبال مواضع تربتها كبريتية فتصير تلك الرطوبات التي تنصب هناك دهنية ؛ وتكون الحرارة فيها راسبة دائماً هناك وجوازها عليها ، ثم تخرج وتجري على وجه الارض وهي حارة حامية .

وقد ذكروا ايضاً كيفية حدوث البرق والرعد فقالوا انها يحدثان من اجتماع بخارين مختلفين بالكيفية ويسمون الاول البخار الرطب والثاني البخار اليابس حتى كادوا يقولون « مثبت ومنفي » . وبما انهم يعللون كل حادثة من حوادث الطبيعة بمقتضى الامثال التي يرونها فيعللون مثلاً حدوث تلك (القرقعة) باجتماع البخار الرطب باليابس كما تقرقع الأشياء الرطبة دفعة واحدة اذا احتوت عليها النار ، ولقد علموا بان البرق والرعد يحدثان

في وقت واحد ولكن البرق يصل الى الأبصار قبل الصوت الى المسامع .

ولقد تكلموا عن قوس قزح بانه يحدث في سمك كرة النسيم عند ترطب الهواء وان أصباغه الاربعة موافقة للكيفيات الاربع التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ، والأركان الاربعة التي هي النار والهواء والماء والارض المعروفة في عهد قدماء اليونان . ولقد ذكروا ايضاً ان علة حدوث قوس قزح لا يفهمها الا المرتاضون بالاشكال الهندسية والامور الطبيعية والنسب التأليفية .

ولهم نظريات في الألوان ؛ فان الألوان المفردة لديهم هي البياض والسواد والحمرة والصفرة والخضرة والزرقة والكدرة . ولحدوث كل لون أسباب عديدة . فالاشياء التي ترى بيضاء بياضها اما لأن النور محبوس فيها لغلبة الرطوبة كاللبن ، او لأن النور مولج فيها لكثرة التخلخل كالملح ، او لأن النور محبوس فيهـا كالفضة . والنور يرى من وراء الاجسام الشفافة أبيض فان عرض له عارض يرى أصفر ... ومنهـا مايرى أصفر لأن الحرارة تسد مسامها ، كالاشياء البيضاء اذا طبخت اصفرت . وعلة رؤية الاشياء حمراء شيئان : احدهما الأسباب المعفنات ، والآخر الاسباب المذوبات ، فالمعفنات لكثرة الرطوبة ، والمذوبات لكثرة الحرارة ؛ كالشمس تراها حمراء عنـد كثرة البخارات . والأثمار ترى حمراء عند النضج لكثرة الرطوبة ، والخضرة والسواد يحدثان من منع النور ان يصير الى البصر خالصاً ، فالسواد يجمع الألوان والبياض يفرقه وبقية الألوان هي بين هذين الطرفين[1] .

لقد ذكرنا انهم يقسمون الطبيعة الى ثلاثة أقسام : معادن وحيوانات ونباتات ، ويسعون جهدهم في تقسيم كل فرع من الفروع على أسلوب خاص ، ويعتقـدون ان لكل نوع من الجواهر المعدنية بقعة مخصوصة وتربة معروفة لايتكون الا هنـاك كالذهب فانه لايتكون الا في البراري الرملية والجبال والاحجار المختلطة بالتربة الليـنـة ، والكبريت

(١) نظرية الالوان لعبت دوراً عظيماً في اوربا ولقد كتب الشـاعر غوته شيئاً عن تاريخ علم الألوان وكنت نشرت كلمة في هذا الصدد في مجلة المعرفة (القاهرة ابريل ١٩٣٢) بمناسبة مرور مائة عام على وفاة غوته .

لا يتكون الا في الاراضي الندية والرطوبات الدهنية والقلقطار[1] ، والأملاح لا تنعقد الا في الارض السبخة والبقاع المشروجة والجص ، والاسفيداج لا يتكون الا في الارض الرملية المختلط ترابها بالحصى والزاجات ، والشبوب لا تتكون الا في التربة العفصة القشفة وعلى هذا القياس حكم سائر أنواع الجواهر المعدنية . ولقد ذكروا ايضاً ان لنضج المعدن لابد من مرور زمن مخصوص ؛ فالملح يحتاج الى زمن قليل ولكن الياقوت والزمرد يحتاج الى زمن كثير وكذلك الذهب . . الخ .

وعرفوا النبات : بانه كل جسم يخرج من الارض ويتغذى وينمو ، فمنها أشجار تغرس قضبانها أو عروقها ، ومنها ماهي زروع تبذر حبوبها أوقضبانها . ولحصول الافعال الحيوية في النبات اقتضى وجود قوى عديدة مثل الجاذبة والماسكة والدافعة . ويعللون كيفية امتصاص غذاء النبات بما يلي : ان القوة الجاذبة اذا امتصت نداوة الماء بعروق النبات كما يمتص الحجام الدم بالمحجمة أو كما تمص النار الدهن بالفتيلة وجذبتها انجذبت معها لأجزاء الترابية اللطيفة لشدة انجذابها . فنجد هذا التدقيق موافق كل الموافقة لرأي الاوربيين . وقد كانت نظرية الامتصاص غالبة حتى ظهور الانحلال الضغطي المعبر عنه (Osmose)

ويقسمون النباتات بطرق مختلفة : فأولاً الشجر الكامل الذي يحتوي على الأصل والعروق والقضبان والورق والثمر والصمغ ، ثم الناقص ، ثم الشجر المنتصب ، والشجر الذي ينبت على وجه الارض والذي ينبت على وجه الماء كالطحلب ، وما ينبت تحت الماء كالأرز وقصب السكر وكذلك النجم وهو الشجر الذي يتسلق على الأخشاب كالكرم . ويقسمون ايضاً النبات على حسب المكان فيذكرون نبات البلاد الحارة ، والمعتدلة والباردة .

ويعبرون عن الحيوان بانه جسم متحرك حساس يتغذى وينمو ويحس ويتحرك حركة مكان . وان من الحيوان ماهو في أشرف المراتب مما يلي مراتب الانسان . . . ومنه ماهو في أدنى رتبة مما يلي النبات . وهو كل حيوان ليس له الا حاسة اللمس كالأصداف أو كأجناس الديدان التي تتكون في الطين أو في الماء أو في الخل أو في الثلج أو في لب

(١) القلقطار هو تعبير يوناني معناه الزاج الأصفر وتركيبه الكيماوي كبريتات الحديد .

الثمر أو في الحب أو في لب النبات ، حتى كادوا يتكلمون عن الجراثيم . ويقسمون الحيوانات على حسب الحواس الخمس : فان منها ما له لمس فقط كالديدان المذكورة ومنها ما له لمس وذوق كالحيوانات التي تعيش في قعر البحار والمياه والمواضع المظلمة ومنهـا ما له لمس وذوق وشم وسمع والاكمل من له الحواس الخمس . ويقسمون الحيوانات على حسب السير ايضاً : فمنه مايتدحرج كالدودة ، ومنه ماينساب كالحية ، ومنه ما يدب كالعقرب ومنه مايعدو كالفأر ، ومنه مايطير كالطيور ... الخ . وكذلك يقسمون الحيوانات من جهة البنية .

وان أسمى غاية لديهم هي الاعتبار ومعرفة دقيق صنع الباري فيقولون : « ان أكثر الناس يتعجبون من خلقة الفيل اكثر من تعجبهم من خلقة البقة . فان الصانع البشري يقدر على ان يصور فيلاً من الخشب اومن الحديد او من غيرها بكماله ، ولا يقدر احد من الصناع ان يصور بقة لامن الخشب ولا من الحديد » . ولقد ضربوا مثلاً لفكرة القيامة بفرخة الدجاج التي تخرج من البيضة . وانها اعجب من خروج الناس من قبورهم يوم القيامة لولا جريان العادة بذلك ، فيريدون بذلك عدم المرور (مروراً سطحياً) على كل مانشاهده من الطبيعة .

دقق عدد كبير من البحاثين الأوربيين في اخبار اخوان الصفا وحصوا علمهم وفلسفتهم ومراميهم من كل الوجوه . ولاخوان الصفاء علاقة شديدة بالفلسفة اليونانية فهم متأثرون بآراء (الافلاطونية) الجديدة وكذلك بآراء ارسطوطـاليس . ولم يعلم السبب في ذلك حتى هذا اليوم . وهناك اسئلة جمة عن اخوان الصفاء لاتزال غامضة حتى يومنا هذا .

برلين : محمد يحيى الهاشمي

الكلمة الاخيرة .

— في الكلمات غير القاموسية —

«او فتاوى علماء اللغة المعاصرين في أصنافها السبعة»

[تمهيد الطريق امام المعجم العتيد]



كنت صنفت الكلمات غير القاموسية (وهي التي لم تدوّن في قواميس اللغة العربية)— الى اصناف سبعة وطلبت رأي إخواني اعضاء المجمع العلمي في أي الاصناف ينبغي قبوله وعدّه عربياً وتدوينه في المعجم العتيد وأي الاصناف لايجوز فيه ذلك . وقد افرغت طلبي في شكل استفتاء أواقتراح نشر في مجلة مجمعنا العلمي (ص ٢٩ مجلد ٨) فكانت اجوبة الاعضاء ترد تباعاً حتى بلغت ١٨ جواباً نشر منها ١٣ في المجلد الثامن و ٥ في المجلد التاسع .

وقد رأيت الآن ان ارجع الى هذه الأجوبة فامخضها واستخرج منها زبدة يصح الركون اليها بحيث تكون بمثابة (قرار قطعي) واجب التنفيذ . وقد جريت في استخراج النتيجة على طريقة جمع الآراء والاصوات في كل صنف على حدة ثم المقارنة بينها وترجيح ما رجحته الأكثرية ايجاباً أو سلباً في كل صنف من تلك الأصناف .

وكنت وانا أتصفح اجوبة المجيبين أرى اكثرهم يجيب على السؤال نفسه بحيث يمكن اقتباس عبارته فاقتبسها بنصها بين هلالين وبعضهم يسهب ويستطرد فاضطر ان الخص جوابه بقدر مايفهم منه رأيه . وكان بعض المجيبين يقيد جوابه بشروط (اوتحفظات) وبعضهم يطلق القول اطلاقاً . وكثيراً ما ناقض بعضهم زميله وخالفه في بعض ما ذهب اليه . مثال ذلك ان بعضهم اباح استعمال فعل (خابر) للحاجة اليه وبعضهم منعه لعدم الحاجة اليه ومثله كثير في أجوبتهم .

وهذه (التحفظات) أو (الاختلافات) لو فتحتُ باب الاستفتاء فيها أو الاقتراع عليها ودعوت الاخوان للولوج فيه لطال الأمر . وبقينا في الاخذ والرد الى يوم الحشر .

على أن بعض هذه «التحفظات» ربما كان مما يوافق عليه بقية المجيبين لكنهم اهملوا التعرض له في اجوبتهم حباً بالاختصار او تجنباً للعبث . وسأشير الى هذه التحفظات في محلها .

وها انا ابدأ بتلخيص ما كنت قلته في كل صنف على حدة ثم اتبعه بعبارة المجيب (بنصها أو تلخيصها) حتى اذا استوفيت اجوبتهم في صنف انتقلت الى الصنف الذي بعده . وهكذا الى آخر الاصناف السبعة .

«الصنف الأول»

كلمات عربية وردت في كلام فصحاء العرب ولم تدونها المعاجم . وقد مثلت لهذا الصنف بكلمة (تبدّى) بمعنى (ظهر) الواردة في شعر عمرو بن معدي كرب فهل نهمل مثل هذا الصنف من الكلمات فلا نستعمله ولا ندونه ؟ او نستعمله وندونه ؟

فاجاب الاساتذة :

١ً — الرصافي «مجلد ٨ ص ٣٢» (نستعمله ولو كره الجامدون) .

٢ً — الكرملي «مجلد ٨ ص ١٠٢» (كل لغوي يوافق على تدوينه) .

٣ً — النشاشيبي «مجلد ٨ ص ٢٨٥» (يجب ان يودع المعجم ويعد عربياً محضاً) .

٤ً — الغلاييني «مجلد ٨ ص ٣٥٩» (ما شاع على السنة الفصحاء من الكلمات «غير القاموسية» وكان له اصل في السماع — قبلناه) .

٥ً — محمد الخضر «مجلد ٨ ص ٤١٠» (نوافق في صحة استعماله) .

٦ً — كامل الغزي «مجلد ٨ ص ٤٨٠» (يجوز عندي استعماله بلا تردد) .

٧ً — نقولا فياض «مجلد ٨ ص ٥٦٠» (كيف نبخل على لغتنا بلفظ عربي لعلة انه لم يرد في القاموس ؟) .

٨ً — الزهاوي «مجلد ٨ ص ٦٨٦» (لا يجوز التردد في قبوله) .

٩ً — احمد رضا «مجلد ٩ ص ٥٨» (أقول بصحته) .

١٠ً — رشيد بقدونس «مجلد ٩ ص ١٠٣» (يجب ان نضمه) .

١١ — قسطاكي حمصي «مجلد ٩ ص١٧٦» (أنا من أشد المتمسكين به واسبق انصاره) ٠

١٢ — عيسى المعلوف «مجلد ٩ ص ٣٥٥» (لا بأس باستعماله)

١٣ — سليمان ضاهر «مجلد ٩ ص ٤٨٤» (يجوز استعماله) ٠

١٤ — الاسكندري «مجلد ٨ ص ١٠٤» — (نقبله على الرأس والعين بشرط ان يرد في شعر فصيح او نثر اشتهر كنثر الأمثال) ٠

اقول: هذا الشرط او هذا التحفظ ليس فيه سوى زيادة الاستيثاق من كون كلمات هذا الصنف فصيحة ٠

١٥ — الجابري «مجلد ٨ ص ٣٦١» — قال ما ملخصه: (ما لم يدون ولم يشع استعماله ليس من اللغة في شيء ويستثنى من ذلك ما كان مشتقاً تقضي قاعدة الاشتقاق بجوازه وقد روي استعمال بعض العرب له) ٠

اقول: ومؤدي (التحفظ) في هذا الجواب ان تكون كلمات هذا الصنف مما تقتضيه قواعد الاشتقاق لا مما يناقض القواعد ويشذ عنها ٠

١٦ — احمد امين «مجلد ٨ ص ٣٥» — (نُدخل منه في المعاجم ما نحن في حاجة اليه فقط) ٠

أقول هذا (التحفظ) يشبه التحفظ الآتي في جواب الاستاذ النكدي ٠

١٧ — النكدي «مجلد ٨ ص ٥٩٧» — لم يكن جوابه صريحاً في حكم كل كلمة عربية وردت في فصيح كلام العرب ٠ وانما هو اقتصر على كلمة (تبدى) التي ذكرناها مثالاً وقلنا ان معناها ظهر فقال انه لاحاجة لنا بها مادام قد ورد في لغة العرب (٢٤) كلمة كلها تدل على معنى الظهور ورأيه ان لا يكون في لغتنا العربية اليوم كلمات مترادفة: فالاستاذ أحمد امين قال (نقبل من هذا الصنف ما نحتاج اليه) وكأن الاستاذ النكدي يوضح لنا في جوابه معنى هذا الاحتياج فهو يقول ان لفعل (تبدى) مرادفات كثيرة فلا حاجة بنا اليه ٠

فنستنتج من قولي الاستاذين ان هذا الصنف من الكلمات غير القاموسية نقبله اذا لم يكن له مرادف لاننا اذ ذاك نكون في حاجة اليه ٠ والا فلا ٠

١٨ — ادور مرقص «مجلد ٨ ص ٧٤٠» — لم يبحث حضرة المجيب في اصل القاعدة وانما بحث في المثال اعني كلمة (تبدّى) الواردة في شعر عمرو بن معدي كرب فما قاله

(لا أرى ان مجرد استعمال هذا الفصيح البدوي المخضرم (يعني عمرو بن معدي كرب) لفعل (تبدى) يحسب حجة لصحته ولو لزمنا ان نقر كل مانطق به عربي جاهلي فصيح — لوجب ان لا ننكر شيئاً من فلتات كلام القوم الكثيرة المخالفة لما عليه جمهور المحققين اه ٠

فنستنتج من قول المجيب انه يرفض قبول هذا الصنف ويحسبه من قبيل الفلتات أو الشواذ ما دامت المعاجم لم تذكره ٠

انتهى استعراض الاجوبة الثانية عشر فكان منها «١٧» جواباً وافقت على قبول هذا الصنف ٠ وجواب واحد « ادور مرقص » رفض قبوله ٠

فالفتوى إذن على قبوله ، فنستعمل كلماته من دون نكير ونودعها معجمنا اللغوي العتيد من دون حرج ٠

« الصنف الثاني »

كلمات عربية وردت في كلام فصحاء العرب الاسلاميين الذين لا يحتج باقوالهم كفعل (أقصّ) الخبر بمعنى (قصّه) الوارد في قول المؤرخ (الطبري) وكلمتي (نخيم) و (صدفة) في قول العلامتين (اليازجي) و (محمد عبده) ٠

فهل تقبل كلمات هذا الصنف وتستعمل وتدون او لا ؟

فاجاب الاساتذة :

(١) — الرصافي « جلد ٨ ص٣٢ » — « أوافق علي جواز استعمال هذا الصنف بلا تردد » ؛

(٢) — النشاشيبي «جلد ٨ ص٢٨٥ » (هذا الصنف اخو الصنف الأول فيجب أن يودع المعجم ويعد عربياً محضاً) ٠

(٣) — كامل الغزي « جلد ٨ ص ٤٨٠ » — قال ما ملخصه : (لا أرى بأساً في استعمال (أقصّ) و(صدفة) فان كلاً من الطبري والشيخ محمد عبده ثقة ، ولا في استعمال كلمة (نخيم) التي أقرها (اليازجي) لان القياس لا يأباها) اه ٠ فيستنتج من كلام الأستاذ ان كلمات هذا الصنف تقبل وتعد عربية ما دام قائلوها ثقة وما دامت موافقة للقياس ٠

(٤) — تقولا فياض «جلد ٨ ص ٥٦٠» — (ان الألفاظ الشائعة الدخيلة لا بأس بها اذا لم نجد ما ينوب عنها) .

أقول : عبارة المجيب صريحة في قبول كلمات هذا الصنف وبقية الاصناف حتى الصنف السابع وهو «العامي» لكنه اشترط ان لا نجد ماينوب مناب الالفاظ الدخيلة .

(٥) — الزهاوي «جلد ٨ ص ٦٨٦» (لا يجوز التردد في قبوله ايضاً) .

(٦) — احمد رضا «جلد ٩ ص ٥٨» — قال ما ملخصه (ان ورود أمثال كلمات هذا الصنف في كلام أئمة اللغة يُنزَّل منزلة التنصيص على نقلهم لها وهم لا يقدمون على استعمال ما لم يروه صحيحاً سائغاً) .

(٧) — قسطاكي حمصي «جلد ٩ ص ١٧٦» (أنا أيضاً من أشد أنصار هذا الصنف) ثم حدد زمن الفصحاء الذين ورد هذا الصنف في كلامهم حتى يكون مقبولاً — بالقرن السادس او السابع الاسلامي .

(٨) — عيسى المعلوف «جلد ٩ ص ٣٠٥» قال مامعناه «التساهل في اللغة يقتضي قبول كلمات المولدين والمعاصرين فضلاً عن كلمة «تخيم» التي اقرها العلامة اليازجي .

(٩) — الكرملي «جلد ٨ ص ١٠٢» (كلم فصحاء العرب الاسلاميين تدون ايضاً) ثم قال ان كلمتي (تخيم) و (صدفة) الواردتين في قولي (اليازجي) و (محمد عبده) ليستا من هذا الصنف ؟ ؟

(١٠) — احمد امين «جلد ٨ ص ٣٥» (ندخل في المعاجم مانحن في حاجة اليه فقط) .

أقول : هذا الفاضل والفضلاء الخمسة الآتون شددوا في الشروط والتحفظات لكنهم بوجه الاجمال أجازوا كلمات هذا الصنف . ومايدرينا ان معظم المجيبين الاولين الذين اطلقوا ولم يقيدوا — يوافقونهم في تحفظاتهم هذه ؟

(١١) — الغلاييني «جلد ٨ ص ٣٥٩» — قال اولاً ما ملخصه : (كلمات الفصحاء الاسلاميين لا نقبلها ما دامت محتملة لان تكون محرفة) ثم قال ما نصه :

واما «صُدفة» (وهي الواردة في كلام الاستاذ الامام) فأرى «ان شيوعها كاف لأن يحملنا على قبولها وعدها اسماً بمعنى المصادفة كنظائرها الكثيرة اهـ» .

أقول : لنا ان نستنتج من مجموع جواب الأستاذ ان كلمات هذا الصنف ان وثقنا بعدم تحريفها وشاعت حتى أنسنا بها قبلناها والا فلا ·

(١٢) — الاسكندري « جلد ٨ ص ١٠٤ » — قال ما ملخصه : (نقبل ماورد في كلام الفصحاء الاسلاميين الاقدمين كأبي نواس والمتنبي لامن جاء بعدهم · الا اذا وافق القياس) والمتنبي قتل سنة (٣٥٤هـ) ·

(١٣) — الجابري « جلد ٨ ص ٣٦١ » — مزج جوابه على هذا الصنف مع جوابه على الصنف الاول الذي مر فقال ماملخصه : (مالم يدوّن ولم يشع استعماله ليس من اللغة العربية في شيء · ويستثنى من ذلك ما كان مشتقاً تقضي القاعدة بجوازه وقد روي استعمال بعض العرب له اي العرب الذين يؤمن لحنهم) ·

وأطلق المجيب في هؤلاء (العرب) فلعله يريد بهم ما أراده (الاسكندري) اعني الجاهليين الاسلاميين حتى عهد المتنبي ·

(١٤) — النكدي « جلد ٨ ص ٥٩٧ » — لم يكن كلام الاستاذ النكدي ايضاً صريحاً في كلمات هذا الصنف وانما عمد الى المثال اعني كلمة (اقصّ) الواردة في كلام الطبري فقال انها محرفة ولو فرضنا عدم تحريفها لا حاجة لنا بها لوجود ما ينوب منابها وهو (قصّ) وكذا (فخيم) و (صدفة) تقوم مقامهما (فخم) و (مصادفة) ·

اقول وهذا من الاستاذ النكدي مبني على رأيه في وجوب الغاء الترادف او تضييق دائرته والاقتصار من الكلمات المترادفة على افصحها · ويمكن تلخيص جوابه على كلمات هذا الصنف بانه يقبل الموثوق بصحته وما نحن في حاجة اليه منها ·

(١٥) — رشيد بقدونس « جلد ٩ ص ١٠٣ » — قال ما ملخصه : (نقبله بشرط صحته وعدم وجود اخفّ منه في مادته) فعلى هذا لا يكون فعل « اقص » مقبولاً لديه وان صح نقله عن « الطبري » لانه يوجد في مادته فعل (قص) الثلاثي وهو أخف منه طبعاً ·

وقد بقي ثلاثة من المجيبين رفضوا قبول هذا الصنف رفضاً باتاً وهم :

١٦ — محمد الخضر « جلد ٨ ص ٤١٠ » — قال ماملخصه : (ماورد من هذا الصنف عن العرب الاسلاميين اما محرف أو هو خطأ وقبوله فوضى في اللغة ·

١٧ — سليمان ضاهر « جلد ٩ ص ٤٨٤ » (لا يجوز اقص الخبر رباعياً بمعنى قص

ثلاثياً لعدم النص عليه في المعاجم . أقول : فيستنتج من كلامه ان ما لم تذكره المعاجم من كلمات الاسلاميين لايجوز استعماله بخلاف الجاهليين كما مر في جوابه على الصنف الاول .

١٨ — أدوار مرقص « مجلد ٨ ص ٧٤٠ » — (اذا لم يصح لنا اتخاذ فصحاء الجاهليين حجة فكيف يصح اتخاذ من بعدهم كالطبري ؟) .

انتهت الاجوبة على كلمات الصنف الثاني : فكان من المجيبين ثلاثة رفضوا قبولها و ١٥ منهم قبلوها وبعض هؤلاء اشترطوا وتحفظوا . ولا يضر هذا في قبولهم . فيصح لنا إذن أن نعلن ان الاكثرية أفتت بجواز استعمال كل كلمة وردت في كلام فصحاء العرب الاسلاميين وجواز تدوينها في معجمنا المنتظر .

« الصنف الثالث »

الكلمات العربية الاصطلاحية التي ولدها رجال العلوم والفنون والصناعات ولا يعرفها اهل اللسان كقولهم (ميزانية) (كيفية) (كمية) (هيأة المحكمة) (انعقدت الجلسة) (تعريفة الرسوم) في نظير ذلك .

فهل تقبل كلمات هذا الصنف وتدون في المعجم او لا ؟

فأجاب الاساتذة :

١ً — الرصافي « مجلد ٨ ص ٣٢ » (ان الذي يمنع جواز استعمال هذا الصنف عليه ان يمنع اولاً : المصطلحات التي اصطلح عليها علماء الاسلام قديماً الخ) يعني والمصطلحات القديمة قبلها اسلافنا من دون نكير فالواجب علينا قبول هذه المصطلحات من دون نكير .

٢ً — احمد امين « مجلد ٨ ص ٣٥ » (ارى جواز ادخال كلمات هذا الصنف في القواميس كذلك) اي بشرط الحاجة اليه كما مر اشتراط ذلك في الصنفين الاولين .

٣ً — الاسكندري « مجلد ٨ ص ١٠٤ » (تقبل هذا الصنف بصدر رحب ... وهو عمدتنا وملجؤنا في تنمية اللغة .. وفي رأيي انه يغنينا عن كل دخيل) لكن اشترط الأستاذ ان تجري هذه المصطلحات على قواعد الاشتقاق والمجاز والنسب المقررة في اللغة العربية .

٤ً — النشاشيبي « مجلد ٨ ص ٢٨٥ » (هذا الصنف كالصنفين الاولين يجب ان يودع المعجم ويعد عربياً محضاً) .

٥ — محمد الخضر : « مجلد ٨ ص ٤١٠ » (هذا الصنف لمثله تؤسس المجامع اللغوية ومعارضته إماتة للغة لكن يشترط فيه ان يجيء على القياس) .

٦ — كامل الغزي « مجلد ٨ ص ٤٨٠ » — كلمات هـذا الصنف (نعتبرها عربية ونستعملها كما نستعمل الكلمات العربية . (أقول : لكن الاستاذ اشترط في الكلمات المركبة مثل (ملتزم الاعشار) و (مفتش العدلية) ان يستبدل بالمغلوط منها غيرها ان امكن .

٧ — نقولا فياض : « مجلد ٨ ص ٥٦ » جواب الأستاذ على هذا الصنف كجوابه على الصنف الثاني فقد قال : (ان الالفاظ الشائعة الدخيلة لا بأس بها اذا لم نجد ماينوب منابها) وقد قلنا هناك ان اطلاقه هذا يشمل الدخيل بجميع اصنافه حتى العامي منها لكن بشرط الحاجة اليه .

٨ — الزهاوي « مجلد ٨ ص ٦٨٦ » قال في هذا الصنف كما قال في اخويه : (لا يجوز التردد في قبوله) .

٩ — احمد رضا « مجلد ٩ ص ٥٨ » — (هو صحيح واستعماله صحيح بلا مناقشة) .

١٠ — قسطاكي حمصي « مجلد ٩ ص ١٧٦ » (لا أدافع فيـه لكثرة فشوه على الاقلام) .

١١ — سليمان ضاهر « مجلد ٩ ص ٤٨٤ » (يلزم الترخيص باستعماله) ثم استشهد الأستاذ بقول ابن ابي الحديد وهو (فداستعملت . . . الفاظ القوم من متكلمين وحكماء مع علمي بان العربية لا تجيزها مثل المحسوسات) و (الصفات الذاتية) و (الجسمانيات) ولكني استهجنت تبديل الفاظهم . وتغيير عباراتهم . فمن كلم قوماً كلمهم باصطلاحهم اه . »

١٢ — عيسى المعلوف « مجلد ٩ ص ٣٥٥ » (ما أمكن إيجاد مقابل له في القديم يكون استعماله أولى) ويعني الاستاذ بالقديم اصطلاحات العرب في عهد حضارتهم فاذا وجدنا لهم اصطلاحاً علمياً أو صناعياً أو حكومياً استعملناه وأهملنا الاصطلاح الحديث والا فلا .

١٣ — أدور مرقص « مجلد ٨ ص ٧٤٠ » أبان الاستاذ وجه الحاجة الى قبول كلمات هذا الصنف وقد اعتبرها مما وضعه العرب وانما نحن نقلناها الى معنى مصطلح جديد . ثم قال مانصه : « ولكن ينبغي لنا ان نحرص على وضوح العلاقة بين الموضوع له والمعنى المنقول اليه وعلى اتباع الأوزان والأساليب الغالبة على لغتنا الفصحى » .

(١٤) — رشيد بقدونس « مجلد ٩ ص ١٠٣ » (ان وجدنا في اللغة العربية لفظاً افصح منه بحيث يؤدي معناه استغني عنه والا استعمل) ٠

(١٥) — الغلاييني « مجلد ٨ ص ٣٥٩ » (الميزانية والكيفية والكمية من الكلمات المألوفة والاخيرتان من الكلمات العلمية التي استعملها الجدود قديماً ومثل ذلك لا يجوز ان يصادم) فالمجيب يفتي بجواز استعمال المصطلحات لكنه يشترط ان لا يكون في اللغة العربية كلمات اليق منها ٠

(١٦) — التكدي « مجلد ٨ ص ٥٩٧ » إسهب في تحليل الكلمات التي ذكرتها مثالاً لهذا الصنف : فجعل بعضها من العربي الفصيح المقبول من دون نكير وجعل بعضها مما لا حاجة لنا به لوجود ما يسد مسده ثم قال ما نصه : (واما كلمة الرسوم « في قولهم تعريفة الرسوم » — وان كانت نسبتها اللغوية غير متصلة بين معناها الوضعي وما اصطلحت على استعمالها له الحكومة — فقد راجت واشتهرت وكلمة « الخرج » لا تسد مسدها فلا بأس من النظر فيها ثم اقرارها اه) فرأيه إذن في هذا الصنف قبوله وأقراره بشرط أن يروج ويشتهر ولا يوجد في الفصيح ما يسد مسده كما هو الحال في كلمة « رسوم » ٠

(١٧) — الكرملي « مجلد ٨ ص ١٠٢ » يرى وجوب غربلة كلمات هذا الصنف : فما ولده السلف مثل (ماهية) قبلناه ٠ وما ولده الخلف قبلنا منه ما نحن في حاجة اليه نحو (ميزانية) ٠ ونرفض ما سوى ذلك أمثال (هيأة المحكمة) لاستغنائنا عنه (بجماعة المحكمة) ٠

(١٨) — الجابري « مجلد ٨ ص ٣٦١ » جواب الأستاذ الجابري لم يكن مرتباً بحسب ترتيبنا للاصناف السبعة وانما هو اورد أجوبته بطريقة أخرى ولذلك كان استخراج الجواب من كلامه بطريق الاستنباط كما فعلنا في الصنفين الاولين وكما نفعل هنا فنقول انه ذكر من الالفاظ صنفاً عبر عنه بقوله (واما ما اتفقت عليه اهل الاقطار فهذا لا بأس باستعماله وتدوينه وإدخاله الى اللغة لان ذلك من مقتضى اتساع اللغة بامتداد الزمن وحدوث مسميات متجددة اه) فلا جرم انه يريد هذا الصنف الثالث الذي نحن في صدده اعني (الكلمات الاصطلاحية) وظاهر انه أفتى به وأباح استعماله وتدوينه ٠

انتهت الأجوبة الثمانية عشر على هذا الصنف وهي مجمعة تقريباً على قبوله لاشتداد الحاجة اليه في تنمية اللغة ٠ لكن معظمهم اشترط في قبوله موافقته لاوزان اللغة فتعريفة الرسوم

يجب أن تقول فيها (تعرفة) لا (تعريفة) — وأن لا يوجد في اللغة الفصحى مايسد مسده (فهيأة المحكمة) مثلاً نستغني عنها (بجماعة المحكمة) · وهذه (التحفظات) لا أرى بعض المجيبين يوافق عليها ولو فتحنا باب الاقتراع بشأنها لما وصلنا الى قرار حاسم في بحثنا هذا كما اشرنا في المقدمة · لذلك نكتفي عن النظر في الفروع — بالنظر في الأصول فاذا وجدنا أكثرية المجيبين قبل الصنف اعتبرناه مقبولاً بالجملة كما وقع في الاصناف الثلاثة السابقة والا فلا ·

« الصنف الرابع »

المولّد اعني الكلمات التي ولدها العرب الاسلاميون من مادة عربية الأصل مثل (خابره) من (الخبر) و (تفرج) من (الفرج) و (احتار) من (الحيرة) و (تنزه) من (النزهة) الخ ·

فهل يجوز استعمال هذه الكلمات وتدوينها في المعجم ؟

فأجاب الاساتذة :

(١) — الرصافي « مجلد ٨ ص ٣٢ » (اننا مضطرون الى استعمالها شئنا او لم نشأ والقياس في اللغة يؤيدنا) ·

(٢) — الكرملي « مجلد ٨ ص ١٠٢ » (انا أوافق من يدونها في المعاجم) ·

(٣) — النشاشيبي « مجلد ٨ ص ٢٨٥ » (الألفاظ المولدة — واللغة لغة والناس ناس يجب أن تودع المعجم العربي وتعد عربية محضة) ·

قوله: (واللغة لغة والناس ناس) يشعر بانه يشترط في قبول الكلمات المولدة ان تكون مما ولده اهل العصور الاسلامية الأولى وزاد ذلك تأييداً قوله في مكان آخر من جوابه (الألفاظ المولدة في العصور السخيفة نبذها فرض) ·

(٤) — الزهاوي « مجلد ٨ ص ٦٨٦ » (لأمندوحة لنا من قبول كلمات هذا الصنف وقد أتت بكثرة في شعر كبار الشعراء) ·

(٥) — نقولا فياض « مجلد ٨ ص ٥٦٠ » يفهم تجويز الأستاذ فياض لكلمات هذا الصنف من عموم قوله السابق : (أن الالفاظ الشائعة الدخيلة لا بأس بها اذا لم نجد

ما ينوب منابها) ٠

(٦) — احمد امين « مجلد ٨ ص ٣٥ » قال ماحاصله « تقبل هذه الكلمات المولدة اذا لم نجد في اللغة ما يسد مسدها » ٠

(٧) — كامل الغزي « مجلد ٨ ص ٤٨٠ » (اذا لم نجد في اللغة ما يغني عن كلمات هذا الصنف فلا بأس من استعماله لانه صار في حكم المصطلح عليه) ٠

(٨) — ادور مرقص « مجلد ٨ ص ٧٤٠ » — (الذي أراه جواز هذا الصنف توسيعاً على نفسنا) ثم اشترط موافقة كلماته للقياس اللغوي ٠

(٩) — رشيد بقدونس « مجلد ٩ ص ١٠٣ » (يقبل من هذا الصنف كل ما لا غنى لنا عنه) ٠

(١٠) — احمد رضا « مجلد ٩ ص ٥٨ » (لا أرى مانعاً من استعمال المولد الشائع ولكنه غير فصيح فهو كاستعمال الوحشي اللغوي : صحيح غير فصيح) ٠

(١١) — النكدي « مجلد ٨ ص ٥٩٧ » اشترط الأستاذ النكدي في كلمات هذا الصنف أن نكون في حاجة اليها ولذلك اجاز (تفرج) و (تنزه) للحاجة الماسة اليها ولم يجوز (خابر) و (احتار) لعدم الحاجة اليها بوجود مرادفاتهما اذ يرادف الأولى (راسل وفاوض وباحث) وغيرها ويرادف الثانية (حار وتحير) وغيرهما ٠

(١٢) — قسطاكي حمصي « مجلد ٩ ص ١٧٦ » — (هذا الصنف يجوز لنا قبول بعضه ورد بعضه) ثم قال انه يقبل (خابر) لظهور اشتقاقه من الخبر ولفشو استعماله ولكون (المخابرة) بمعنى (المزارعة) لم تبق معروفة ٠ اما (تفرج) و (احتار) فلا حاجة لنا بهما إذ لدينا ما يسد مسدهما فالأستاذ قسطاكي إذن يقبل من كلمات هذا الصنف ما ليس له مرادف ويرفض ما له مرادف ٠

(١٣) — الغلاييني « مجلد ٨ ص ٣٥٩ » بحث الأستاذ في كلمات هذا الصنف بشرطين (١) ان توافق القياس و (٢) أن تشيع على السنة الكتاب الخواص : ففعلا (خابر) و (احتار) جائزان لأنهما شاعا على السنتهم ٠ واما (تفرج) فلا يجوز لانه لم يشع ثم قال « على انه يمكن ارجاع (تفرج) الى اصل لغوي بضرب من المجاز » ٠

(١٤) — سليمان ضاهر « مجلد ٩ ص ٤٨٤ » بحث في الأمثلة ايضاً فاجاز (تفرج)

و (تنزه) للحاجة اليهما ولشيوع استعمالهما ولم يجوز (خابر) ولا (احتار) لعدم ورودهما في كلام الفصحاء ولعدم الحاجة اليهما : فالأستاذ المجيب يشترط في قبول كلمات هذا الصنف ان يشيع استعمالها في كلام الفصحاء وأن تكون هناك حاجة داعية الى استعمالها ٠

(١٥) — عيسى المعلوف « مجلد ٩ ص ٣٥٥ » (اذا كان لكلمات هذا الصنف مرادفات تؤدي معناها فالأولى العدول عنها والا استعملنا منها مايحمل على القياس) ثم قال ان لفعل (خابر) مرادفًا وهو (فاوض وكالم) ولكلمة (الشرنقة) مرادفًا ايضًا وهو (الفيلجة) فالأولى العدول اليهما ٠

(١٦) — الاسكندري «مجلد ٨ ص٤٠١ » (كلمات هذا الصنف لايجوز استعمالها) ٠

(١٧) — محمد الخضر « مجلد ٨ ص ٤١٠ » (قبول كلمات هذا الصنف يُطلق لكل احد العنان في ان يشتق الكلمة على غير قياس) ويعني بذلك انه لا يجوز استعمالها ٠

(١٨) — الجابري « مجلد ٨ ص ٣٦١ » الظاهر من جواب الأستاذ الجابري انه لا يجوز استعمال كلمات هذا الصنف لانه اشترط في جواز الكلمة التي لم تدون في المعاجم (ان ينطق بها العرب الذين يؤمن لحنهم) والمفروض في كلمات هذا الصنف انها مولدة وان الذين ولدوها غير الفصحاء من الاسلاميين ٠

انتهت الأجوبة على هذا الصنف وقد صرح ثلاثة من اصحابها وهم الاسكندري والخضر والجابري برفضه وعدم جواز استعمال كلماته اما الباقون وهم الأكثرية فقد اجازوه ورحبوا بكلماته لما في ذلك من تنمية اللغة وتوسيع نطاق التعبير بها ٠

نعم لاننكر ان بعضهم اشترط في قبولها الحاجة الداعية اليها وبعضهم اشترط شيوعها على ألسنة الفصحاء وبعضهم موافقتها للقياس ولكن كل هذا لاينبغي ان يحمل على التشاؤم بها والتردد في قبولها والانتفاع بها بالجملة ٠٠

« التتمة في العدد الآتي » المغربي

القضاء عند عرب البادية (١)



فطر الأعرابي على حب العز والفخار ، تصبو نفسه الى المكارم وشريف الأعمال ، ولا يخلد الى الذل والصغار ، مهما جابهته المصاعب والأقدار . وهو لا يطمح الى المعالي إلا لينال صيتاً بعيداً وشهرةً واسعة بين اقرانه وفي عشيرته . فيغار البدوي على شرفه . ويؤثر المنون على العار والهوان ، وتنهض به عزة نفسه الى الانتقام ، او طلب الحق امام القاضي البدوي . وقد يثور ثائره لأدنى امر يحط بقدره ويخفض من حاله .

(ماهي الحقوق البدوية التي يستند اليها قضاتهم ؟) — هي قوانين نقلية محفوظة في البادية مرسومة لتأديب المجرمين وتهذيب الأعراب ، يعرفها ارباب القضاء ويجرون عليها ، وبها يعوضون لصاحب الحق او لأهله ما فقدوه من الشرف او المال او الحياة . ومن هذه القوانين عندهم أن الأخذ بالثأر لا يعد فرية يجازى عليها المنتقم . فالانتقام عندهم من النواميس الشريفة والفرائض الضرورية المقدسة التي لا يسعهم تجنبها ولو طال عهدها فالضغينة تبقى مستورة في صدورهم كالنار تحت الرماد ، فيأتي الريح يوماً ويكشف الرماد وتظهر الثارات والأحقاد . وكثيراً ما يرفض الأعراب حكم قاضيهم ليرووا ظمأهم بدم الأعادي ، ويثأروا للقتيل وينالوا الطوائل بايديهم وقد يجمع الأعرابي اولاده على سرير موته ويوصيهم أن يأخذوا الثأر من احد اعدائه ، ولا يدعو الدم يصرخ الى السماء صراخاً اليماً . فأنهم يعتقدون ان دم المقتول يصرخ دائماً في الليالي الدامسة ، ويطلب من اولاده واقاربه وعشيرته ان ينتقموا له من قاتله .

ينتظر البدوي الفرصة الموافقة لأخذ الثأر بصبر عجيب ، ويقدم على هذا الأمر بنفس

(١) محاضرة الاستاذ عبد الله رعد كان ألقاها في ردهة المجمع العلمي

هادئة وسرور عظيم ، لانه يعلم أن القضاء لا يطالبه بهذا الدم ، اذا كان دم القاتل نفسه او دم اولاده اواقربائه حتى الدرجة الخامسة . اما اذا زادت هذه القرابة على الدرجة الخامسة فيعد قتله عندئذٍ جرماً . على ان ارباب الحق الذين يعجزون عن الأخذ بالثأر لقلتهم او لضعفهم تجاه بسالة عدوّهم ، فانهم يلتجئون الى امير كبير من عشيرة أخرى يعرف بجرأة صدره ، ورباطة جأشه ، وثبات جنانه ، وهو ينتقم لهم من عدوهم . اويطلب القاتل ويلزمه بالقيام بحق الدم .

***

إن من يتأمل في عادة الانتقام ، أيها السادة ، يحكم لأول وهلة أنها بربرية لا يقدم عليها الا الامم المتوحشة . وهذا من الصحة على جانب كبير لولا وجود هذه السنة في البادية لغدت القفار الأعرابية دار حربٍ دائمة ، لأن المجرمين لايهابون قتل النفوس البريئة ، اذ لارادع يردعهم ، ولاسيف يمنعهم . وسنة الدم بالدم تصد الاشرار ، لذلك يندر القتل في البادية . وخوفاً من العقاب لايهدر البدوي دم المسافرين ، بل يكتفي بسلبهم ثيابهم واموالهم . ثم إن العرب يرحلون على ظهور اباعرهم طلباً للرزق الحرام من الغزوات ، فهم مع ذلك يتجنبون القتل لئلا تنزل بهم الضربات الهائلة التي تأمر بها شريعة الأخذ بالثأر . وهذه الشريعة تجعل البيداء في أمن وسلام ، يسافر فيها المرء غير خائف على نفسه وان سلبوه ماله بخلاف القفار الافريقية حيث يُقتل قبل ان يُسلب .

***

(ماهو القاضي البدوي ؟) — قاضي العرب أمير من أمرائهم تسلّطه القبيلة أو العشيرة على أفرادها ، لاظهار الحق من الباطل طبقاً للتقاليد البدوية ، والعوائد النقلية القديمة . على أن الأعراب قد لايرضون بقاضٍ واحد كبير يترأسهم ، بل يوكلون القضاء الى وجوه العشيرة وكهولها ، فيأتون اليهم ويعرضون دعواهم فيحكمون بينهم بحسب عاداتهم الجارية . هؤلاء الرجال لاينالون كالقُضاة الحقيقيين راتباً لقضائهم ، وانما يعملون ذلك ، كما يقولون ، لوجه الله الكريم ، والمتخاصمون يلبثون أحراراً في الخضوع لحكمهم أو رفضه ، ورفع الدعوى الى القاضي الكبير .

القاضي الكبير يرثُ الحكم عن أبيه لأن العرب مولعون بحفظ الأصل والنسب .

ولكنه لايتسلط على الأعراب الا اذا نال رضي الجميع ، بسديد رأيه ومعرفتـه للحقوق البدوية . ولهذا القاضي سلطة واسعة تفوق سلطة الحكام في الممالك المتمدنة والربوع العامرة . فاذا قال كلمته انقطع الحديث ، وباد الاعتراض وصمت المتخاصمون . ولهم عادة حميدة تذكر بالثناء عليهم ، وهي ان قاضي العشيرة اذا رُفعتْ اليـه دعوى باحد أقاربه لايحكم فيها بل يحيلها الى قاضٍ آخر غيره من القضاة المجاورين أرباب العدل والانصاف، لئلا تحوم حوله الظنون .

* * *

(كيف يجري القضـاء عند العرب ؟) — اذا وقعت الخصومات بين العرب على ممتلكاتهم من الحيوانات والارضين ، هاج هائجهم ، فتستفزهم في الحـال نزوة الغضب ، فينتفضون من الغيظ ، ويرتجفون من الحنق ، فينتضون السيوف ويطلقون الرصاص ، لما طبعوا عليه من حدة الأخلاق ، وحفظ الحقد والضغينة . والسرقةُ عندهم من الفضائل ، والكذب جارٍ عندهم مجرى العادة يضربون به المثل قائلين « الكذب ملح الرجال ، وعيب على من يصدق » . فاذا حلّ الخصام ، وارتفعت الأصوات والشتائم ، وأنتضيت السيوف وسمع أزيز الرصاص ، دخل المصلحون بين المتخاصمين ، وحملوهم على الكف عن الخصام ، وحلّ المشكل بالقَسم أو بحكم القاضي .

أما القَسم فمن أرهب الامور عند العرب وأقدسها ، ولا يقدمون عليه الا مضطرين . لأن الأعرابيّ تملك قلبه الخيالات المخيفة ، والتصورات المرعبـة ، لذلك يتجنب الحلف ولو كان به صادقاً ، ويهاب اتخاذ المولى الكريم أو أحد أوليائه وأنبيائه شاهداً على صحة قوله ، ولو كان من قطاع الطرق .

والقسم عند العرب أنواع مختلفة : منه مايسمونه القسم الجاري أوالقسم الصغير ، ومنه قسم اليد ، والقسم الكبير ، ومنه القسم المُشبة ، ومنه قسم النملة والشملة .

ففي القسم الصغير يقوم الشيخ وسط الخيمة ويقول : أُقسم عليك بالله وبصلاة محمد هل فعلت الامر الفلاني . فيقول والله وصلاة محمد لم أفعل .

وفي حلف اليـد ، يضع الحالف يده على رأس الحالف ويقول : « أناشدك الله ، بماتحوش وتنوش ، بحلابات الحليب ونسافات العسيب (اي الخيل) ، وبالنساء وماتجيب ،

داخلٌ عليك عالمال والعيال ، من الحِل والإستهلال ، اليوم بين عينيك وباكر بين متنيك (أي اليوم تراني وغداً تحملني على النعش) بغيبه عليّ ويبّنه عليك ، ان اطلعتها تسرك وان خبيتها تضرك ، اماصار كذا وكذا ؟ فيجيب : إي بالله ورسوله صار كيت وكيت . أو : لابالله ورسوله ماصار ذلك » .

ويقولون ايضاً في أقسامهم « انا حاضر بحضارك وبموقد نارك ، أماصار كذاو كذا »

ويقولون في حلف العشبة : بحق هذه العشبه الملويه والكاذب ماله ذريه .

أما قسم النملة والشملة فدونكم وصفه : حينما يكون العرب وكبارهم ملتئمين في شق الرجال من الخيمة ، وقد طال الجدال بين فريقين على أرض أو فرس أوغير ذلك ، يقوم أمير البيت ويخرج بمجلسه خارج الخيمة ، ثم يقتضي سيفاً ويخط به دائرة كبيرة ، ويضع في وسط الدائرة حبة حنطة ونملة . والحنطة تدل عند العرب على أكرم ماخلق الله تعالى والنملة تدل الحكمة والفطنة والإدراك . ثم يمد السيف في منتصف الدائرة . عندئذ ينزع المتهم عنه سلاحه ويدخل في وسطها ويضع يده على نصاب السيف ويقسم قائلاً : « والله العظيم والسيف الكريم مافعلت الشر ولا سرقت ولا قتلت الخ » .

وكثيراً مايتقع لون الرجل ، وترتخي مفاصله ، وترتجف يداه ورجلاه من الرعب ، وربما رجع عن الحلف وأقر بما فعل .

والحلف بالمقامات يعد عند الأعراب من الأقسام العظمى . وربما أقسم البدوي بالله مراراً عديدة وأبى أن يقسم بالأولياء والمزارات المقدسة كمزار النبي شعيب ، والنبي هوشع ، والشيخ عبد الله ، ونحو ذلك من المزارات المشهورة عند العرب .

على ان العرب يدعون غالب الأحيان القسم لرهبته ، ويلجأون الى القاضي البدوي . وهذا مايدعونه (بالقضوة) .

فما أجمل بيت الشعر حينما يزين بانواع الأثاث ، ويفرش بالسجاد الفاخر ، ويعلق على جدرانه السلاح اللامع . يجلس الامير في صدره للقضاء ، ومن حوله وجوه العشيرة . فيسمع صوت «المهباج» يدق القهوة ، فتطبخ ويطاف بها على الحضور دفعات متوالية . وبعد شرب القهوة يقوم احد المتخاصمين وهو المدعي ، ويجلس في وسط الخيمة بين الحاضرين ويلتفت الى القاضي ويقول : وهو عندهم بمثابة الاستدعاء يفتتحون به الدعوى : « وايش

بك يا قاضينا ، بللي بحقك تراضينا ، جيتك هدّي ومشيا قـدّي ، أفلح وصلْ عالنبي (فيقول الجميع الصلاة والسلام عليه) ، حظّي وحظّك يدخلان على اربعه واربعين نبي، من الفوط والنوط والحق الردي ، وانا داخل عالمال والعيال من شي مبيّن عليّ وعليك غبي، وانا حاططها بعيونك السود وربعك القعود ، وبالامرأة وماتجيب ونسّافات العسيب » . ثم يذكر ماجرى له بصوت جهوري بحيث يسمعه الحضور من أطراف الخيمة ، ويوردُ البراهين في ذلك ، الى ان ينتهي ويعود الى مقامه الاول فيقوم المدعى عليه ويجلس في وسط المجلس ، ويكرر المقدمة نفسها : وايش بك ياقاضينا الى آخر الديباجة التي اتينا على نصها بالفاظهم ولغتهم المستعملة في البادية . ثم يفصح عن ادلته . ولا احد يعارضه في شيء . والقاضي بين كل ذلك صامت لايبدي كلمة . وفي آخر ذلك يلتفت القاضي الى المتخاصمين ويقول : أفلحوا وأصلحوا خيرٌ لكم . فاذا أبيا الا إظهار الحق يقول : قدموا الرزقة .

***

« الرزقة » — هي اجرة يدفعها احد الخصمين للقاضي تقدر بربع قيمة مايخاصم عليه وقد يجري في هذا التقدير جدال طويل يدوم ساعات من أجل تعيين مقدار الرزقة إن نقوداً او عروضاً كفرس مثلاً أو سيف أو بعير . وربما لم يقبل بها القاضي فيرفض الحكم الى ان يستحسن ما يقدّم له .

والرزقة أنواع كثيرة ، منها مايسمونه رزقة المبطل ، ومنها رزقة الحق . فرزقة المبطل هي التي يدفعها المجرم أو المفتري للقاضي ، ورزقة الحق هي التي يدفعها صاحب الحق . واذا استأنف المحكوم عليه دعواه الى قاضٍ اكبر وحكم له بالحق . وكان قبل ذلك قد دفع رزقات عديدة يردّها له المحكوم عليه . لأن للمستأنف الكاسب حقاً بجميع الرزقات التي يكون قد دفعها للقضاة من قبل .

***

(الكفلاء) — وبعد ان يتفق الخصمان على الرزقة يجب عليهما ان يقدّم كل واحد كفيلاً يتعهد أمام الشهود بدفع الرزقة اذا ابى الآخر تقديمها . فيقولون : « ترى ياشيخ فلان هذه المسألة في وجهك » . وان كان الكفيل غائباً يقولون : « ترى ان هذه المسألة في وجه فلان » اي أنه يتعهد بدفعها أو يحمل المتخاصمين على دفعها . فيقول القاضي للكفيل :

« عنـدك الشيء الفلاني » فيجيب : « عندي ماتطلب ، وحق الله ورسوله اني ما أبوق » (أي لا أخون العهد) .

رأينا أن الكفيل نوعان : غائب وحاضر . فالغائب هو الذي لا يحضر مجلس القضاء حينما ترفع (الدعوى) فيختاره الحاضرون والقاضي لإنفاذ الأمر . والحاضر هوالقائم بين الحضور في أثناء الدعوى . على ان لكل منهما واجبات خاصة تختلف عن واجبات الآخر : فالغـائب مضطر الى قبول الكفالة ، والحاضر له الخيار في قبولها أو رفضها . لذلك جاء في أمثالهم : « الغائب مضطر والحاضر حر » . ولا بد للكفيل من صفات ، أخصهـا أن يكون معروفاً بين العشيرة بصدقه واقتداره على الدفع .

والذين يُحرمون حق الكفالة هم شاهدو الزور ، والجبناء الذين يشردون في الحروب والغزوات ، هؤلاء كلهم مرذولون عندالعرب ، لا يُقبلون في مجالس الكرام ، ولا يشربون القهوة في خيام الامراء ، ولا تقبل لهم شهادة . واذا جلس أحدهم في مجلس الشيوخ صب له الشيخ القهوة ، وبينما هو يرفع الفنجـان الى فمه ينزعه الشيخ بعنف منه ويهرق القهوة على التراب ويقول له : انت لا تستحق القهوة ولا لك مقعد بين الرجال .

***

(الشهود في الدعوى) — وبعد تعيين الكفيل ، يتجه القاضي نحوالمدعي ويقول له : يا فلان ، اذا كان عندك شاهد لا يكذب ولا يوجد عليه اعتراض فليتقدم ويشهد . فيجيب : عندي يا قاضي العرب فلان وفلان وفلان . فيلتفت القاضي الى أكبر الحاضرين ويقول له : وأيش تقول يا شيخ عن فلان ؟ فان كان مقبولُ الشهـادة يقول : « والله انه مقبول الشهادة ، ما انا خابر عليه الدرب الذي يذربه عن الشهادة » وان كان مرفوض الشهادة يقول : « واللهِ انه غير مقبول » .

وقد تقعُ الخصومات في اختيـار الشاهد فمنهم من يرفضه ومنهم من يقبله . ويطول الكلامُ بينهم الى حدٍ يسأمُ منه الحاضرون ، الى أن يقرّ رأيهم على شاهدين . فيقفانِ ويقسمانِ القسم البدوي ، يقول كل واحدٍ على حدة : « واللهِ العظيم ، والربِّ الكريم ، وحياة العود ، والرب المعبود ، والكاذب ما له مولود ، لا غيظ شافيه ، ولا طمع راجيه ،

(إي إنه لا يحلف لاخذ ثار ولا لاجل مال) الا حق الله من رقبتي مؤديه ، ان هـذا الرجل قد فعل كذا وكذا » .

وللشاهد حقٌّ في طلب هديةٍ ما اذ لا بدّ له من القَسم ، والعربُ كما أوضحت يرهبون القَسم ولو كانوا صادقين . لذلك هم يقدّمون للشاهد هديةً بدوية كسيفٍ او عباءةٍ او نحو ذلك .

والنساءُ في جميع العشائر لا تُقبلُ لهم شهـادةٌ الا عند عشائر النصارى في الصلت والكرك ومادبا وغيرها في شرق الاردن ، وشهادتهن ثابتة قوية .

* * *

(الحكم) — وبعد ان تنتهي المحاكمة ينطق القاضي بامثال يبين فيها احكام القضاة من قبله في امورٍ جرت من عهدٍ قديم . فيروي حكايات واقعة أو خيالية يذكر فيها الحكم بمبهم الكلام ، وربما أتى بامثال حيوانات تنطبق على الامر الواقع ، حتى يدرك الحاضرون الحكم المراد قبل ان ينطقُ به . واخيراً يفوه بالحكم القاطع بقوله : « انا من عندي ، ومن عند القضاة الذين قبلي ، ومن عند اجاويد الله مثلكم ، إن فلاناً هو المجرم ، وفلاناً هو البريء » ويورد في ذلك الادلّة والبراهين والاسنادَ كي لا يبقى في الامر ريب . وهنا ينتهي الحكم فيقوم جمهور الحاضرين وينصرفون الى بيوتهم وهم يرددون الحكم المبرم .

* * *

(العقوبات) — والعرب يدعونهـا الحق . فمنها حق الشتائم ، وحق البيت ، وحق الوجه ، وحق الدخيـل ، وحق الدم ، وحق الطنيب ، وحق القصـير ، وحق العرض ، وغير ذلك .

وقبل ان نذكر شيئاً من هذه العقوبات عند البدو ، يجمل بنا ان نأتي على ذكر عواطف الشفقة والحلم التي تغلب عند عرب البادية مرات على حب الانتقام ، وتحملهم على الصفح . سمعنا حوادث كثيرة تدل على عفو العرب عن أعدائهم ، ودونكم النادرة الآتية :

كانت النار تضرم ذات ليلة في مضارب بني صخر ، والكلاب تنبح فتدعو المسافرين الى خيمة الشيخ واذا بشاب لطيف قد نزل عن فرسه وحيا الضيوف قائلاً : السلام عليكم . فقالوا وعليكم السلام . قال حيا الله الرجال ، قالوا حيا الله الرجل . قال العوافي يا غانمين ، قالوا

حيا الله الغانم . ثم جلس بالقرب من الشيخ وبات عنـد العرب اياماً طوالاً لا يسألونه فيها جهة القصد . الى ان حان وقت طغاه فيه الشيطان فاسقطه في زلة كبرى : ذلك انه رأى ابنة الشيخ فسحر بجمالها ، ولما انسدل الليل هجم على خيمتها فقتل العبد الحافظ لها وخطفها وسافر . فذاع الخبر باقل من لمح البصر ولحقه اخوتها الثلاثة . وكان كلما تقدم اليه احد يضربه برمحه فيرميـه مجدلاً على الارض . أخيراً لحقه الفرسان فانهزم الى ان لقي خربوشاً (والخربوش هي الخيمة الصغيرة لها عمود واحد) وكان على باب هذا الخربوش شاب في مقتبل العمر فصاح به وقال : يا أبا رشيده انا في وجهك وفي مرقد عيالك . قال : لقيتَ خيراً ومرعى واماناً . ولما اقبلت العشيرة تطلب الابنة وحق الدم أرجعهـا الشاب وقال : « هو البيت يحمي الطريد والشريد ، وهو الوجه يدفع صدمات العـدو » . فرجع القوم صامتين . وسأل الخاطف الابنة عن صاحب البيت فقالت : « سوّد الله وجهك هذا ابن عمي وخطيبي قد طلبني فوعد بما طلب ، وقد مهد الصعاب كي يتزوجني اذ قاتل اولاد عمه . » فامتُقع لونه وتغيرت هيأته . على ان صاحب الخربوش اكرم مثواه في تلك الليلة ، واعدّ له خيمة العُرس وزوجه بالفتاة ، ثم صالح العرب مع الشاب وسالمهم وعاهدهم بان لا ينزلوا به ضرراً . هذه حكاية تدل على علوّ نفس وشهامة قد لا يوجد مثلها بين اصحاب التمدن ، كيف لا وقد صفح هذا البدوي عن قاتل اولاد عمه وخاطف خطيبته وصالحه مع العرب . وهل دفعه الى هذا الصفح الا سمو النفس وحبّ الذكر ؟

(عقوبات اهل القوارع والشتائم) — يعسر على البـدوي احتمال ادنى شتيمة ، لأن العرب طبعوا على حب المجد والشرف ، لذلك هم يعدون الشتيمة أشد تأثيراً من حد السيف وقد تثير الشتائم الحروب في البادية ، وتحمل المشتوم بل واهل المشتوم ايضاً على الانتقام .

حكي عن عبدالمهدي قاضي العوازم انه قال : ارباب الشتائم يعذبون باقسا أنواع العذاب . وروي أن رجلاً من عرب العدوان رفع يده على ابيه قائلاً « اخس يا شايب » فسمع بذلك شيخ العدوان فامر بقطع لسانه . ويقال إن بدوياً بصق بوجه عدوّ له فحكم عليه ان تحلق لحيته الى نصف الذقن فقط ويبقى النصف الآخر . ومن شتم من عرب الصخور يدفع للمشتوم فرساً اوسيفاً او بعيراً او ثلاثين ريالاً . وعند بعض العشائر يضرب الشتامون بالسياط حتى يسيل منهم الدم . وبعضهم يضعون دبساً على وجه الشـاتم ، ويربطونه باوتاد فيأكله

الذباب ، أو يربطونه ويوجهون عينيه الى الشمس . ويروى أن بدويًا اهان اباه اذ رفع عليه محجانةً (والمحجانة عصا صغيرة) فألزمه القاضي ان يحرث ارض ابيه مدة سنتين .

ومن احاديثهم أن قدم شيخ هرم الى قاضي البلقاء ابن قلاب وقال : « وايش بك يا عواد بن قلاب ، يا حامي النسب ، بولد لي ربيته حتى نشأ وكبر ، واليوم قد جرني بجديلتي الى خارج الخيمة وشتمني » فقال له القاضي « اذهب يا شايب ، ما صنعه ابنك بك سيصنعه به اولاده في المستقبل » وحكم على الولد بان يبني خيمةً لابيه ويدفع له خمسين نعجة ليكرم بها الضيوف . وقد صدق كلام بن قلاب ، فان اولاد الابن جرّوا اباهم الى خارج الخيمة ، ولما انتهوا به الى الموضع الذي اوقع اباه فيه قال لهم : كفاكم أيها الاولاد الاشرار الى هنا فقط جررت ابي ، وتذكر قول ابن قلاب .

ويروى أن شاعراً من بني حسن هجا ذئبة ابنة الشيخ عوده ابي تايه امير الحويطات . فلما ورد الشاعر الى مضارب الامير قال له عوده : قبحًا لهذه اللحية يا قذاف المحصنات ، لسانك يلسع كلسع الحيات . فهرب الشاعر كئيباً ولم يذق طعاماً عند الشيخ . ولما ابتعد في البرية أمر الشيخ عوده احد عبيده فلحق به في الخلاء وقتله على هجائه .

***

(حق البيت) — بيت شعر في البادية ، وإن كان خربوشاً ، هو رفيع الشأن عظيم الاكرام عند العرب . ومن اهان بيتاً عندهم اهان اصحابه النازلين فيه ، لا بل اهان العشيرة كلها . ومن تعدى عليه نال جزاء تعديه إهانةً وعذابًا . وهم يعدون اهانةً تكسر شرف البيت تلك التي تحصل من بدويين يتخاصمان في بيت حتى يصل بهما الخصام الى المسبّات والشتائم او رفع الاسلحة . فالبيت يطلب حقه . واذا أُهين صاحب البيت في بيته ، فالبيت وصاحبه كسر شرفهما ، وصار على الشاتم حقان حق البيت وحق صاحب البيت .

وبعض الاعراب يزعمون أن من ازدرى بالبيت واحتقره ، فقد صنع ذلك ليس نحو الاحياء النازلين به فحسب ، بل تتعدى الاهانة الى أجدادهم وأمواتهم .

إهانة البيت يحاكم عليهـا امام القاضي . فينتصب المدعي وهو صاحب البيت في وسط الجماعة ويقول : « ويش بك ياقاضي العرب ، ياحامي النسب ، بفلان إلّي كسر شرفي بقوله كيت وكيت ، واهانني في عشيرتي ، وبحضور جماعتي ، واهان ضيفي ، فودّي منك

ان يبيض الوجه » ثم ترد الشهود وتشهد على صحـة مدّعاه . فينتصب القاضي ويقول : « انا من عندي ، ومن عند القضاة الذين قبلي ، فلان كسر شرف البيت وأهان صاحبه وضيفه » ثم يحكم عليه بدفع عشرين ناقةً وخمسين نعجة لصاحب البيت ، وثلاثين ريالاً لضيفه المهان . فيقول المجرم « نعم انا مستعد ، امرك يا قاضينا فوق الراس » وبعد ذلك يقوم احد الشيوخ الحاضرين ويقول لربّ البيت « حقك على الرأس والعين ، ولكن من شأن الشيخ فلان دع له خمس نياق » فيقول « من شان خاطرك وخاطر السامعين تركت ما تريد » ثم ينتصب شيخ آخر ويقول « يا شيخ فلان اترك له من شان الجماعة ومن شان الديك كذا وكذا » فيقول « تركت ما طلبت » وهكذا الى ان يصبح المطلوب سهلاً وخفيفاً . ثم يبيضون وجه رب البيت المحكوم له وذلك بان ينشروا له راية بيضاء يطوفون بها حول الخيام وهم يقولون « راية فلان بيض الله وجهه » .

***

« حق الوجه » — الوجه عند العرب هو الكفيل الموكل باجراء ما يتفق عليه فريقان من فعل خير او اتقاء شر . والوجه لا يخون صاحبه أبداً ولو فقد ماله وحياته . فاذا باع امرؤٌ ارضاً او فرساً او غيرهما من الأشياء يقول البائع للشاري « ترى بعتك بوجه فلان ان طلبتها ادفع كذا وكذا عقاباً على ذنبي » وكذلك الشاري يقول « ترى اشتريت بوجه فلان ، ان ارجعتها ادفع كذا وكذا عقاباً على ذنبي » . واذا تشاجر اثنان ثم تسالما يقول الواحد لصاحبه « ترى بوجه فلان تصالحنا ومن اضر قريبه لا يلوم الا نفسه » . ومن اودع وديعة وخاف عليها من السرقة او من الاتلاف يقول للمؤتمن عليها « ترى فلان وجهه عليك » . فمن تعدى على صاحبه في مثل هذه الأحوال يجد امامه اعداءً كثيرين بسبب الوجه ، لان العشيرة كلها تقوم مع الوجه يداً واحدة . والمتعدى عليه يلتجيء الى الوجه ويقول له « ياشيخ فلان ، قد صار الأمر الفلاني بوجهك ، وخصمي فلان تعدى عليّ وكسر وجهك ، فبيض وجهك ووجهي » فيجمع الوجه مجلساً مؤلفاً من القاضي البدوي والامراء المعروفين ويُرسل رسلاً ليأتوا بالمعتدي . فيقصُّ الوجه قصته على الحاضرين ، والمعتدي في اثناء ذلك راكع والعقال في رقبته دلالةً على التذلل . ثم يحكم القاضي على المعتدي بدفع ما عليه ويعاقبه بدفع عشرة خرفان للوجه .

(حق الدخيل) — الدخيل عند العرب هو الرجل المستجير الخائف من اخذ دمه او سيده ، فيعمد الى شيخ كبير قوي يستغيث به ويطلب حماه ، ويقول له « انا دخيلك احمني وارحمني » . ورب مستجير يأتي في الليل ويرتمي على فراش الاولاد في خيمة الشيخ ويقول بصوت متقطع حزين « انا بحضارك وموقد نارك ، انا داخل عليك من السيف والحيف ومن فلان صاحب الحق الردي » ثم يبسط له سبب اعتصامه به . فيقول له الشيخ « ابشر بالعز والهناء وعش في ديارنا فرحبا بك » ثم ينزع كوفيته من على رأسه ويضعها على رأس الدخيل ويقول « الله ورسول الله لا احد ينزع من رأسك شعرة » .

وحينما يقبل الشيخ الدخيل في منزله يرسل رسلاً الى عدو الدخيل وطالبه يقولون له « ترى فلان دخيل في بيتي احذر ان تصيبه باذى » فيجيبه الرجل « اطلب خصمي الى القضاء » فيقول صاحب الدخلة « أعطه عطوة » والعطوة في البادية هي هدنة من الزمان يمتنع فيها العدو عن الانتقام الى ما بعد المحاكمة ، وهذه المدنة تكون عند بعض العشائر اسبوعين ، وقد تمتد عند غيرها الى اكثر من ذلك ، ومعظمها شهران .

وفي أثناء المهادنة يبعث صاحب الدخلة وفوداً الى عدو دخيله ثلاث دفعات متوالية ، مستخدماً الوعد تارة والوعيد أخرى حتى يرعوي وينثني للحق الذي يحكم به الاجاويد او القاضي ، وان ابى الا الانتقام وأخذ الثار بيده ، يجمع الشيخ فرسانه الشجعان ويقودهم الى منزل العدو فيسلبون ما يجدونه هناك من المواشي ويقودونها الى أرض قاحلة لامرعى فيها فيضطر حينئذٍ الى المصالحة . وان أصر على عناده تموت اغنامه ويصبح فقيراً ولا يحق له ان يطالب صاحب الدخلة بشيء لانها تحسب عقاباً له وهي حق الدخيل .

***

(حق الدم) — السنة عند العرب هي « الدم يطلب الدم » على ان من لا يقدر على أخذ ثأره يطلب الدية ، وتدعى عند الأعراب « العقلة » وقدرها ٣٣٣٣٣ قرشاً . وقاتل المرأة وخصوصاً العذراء يدفع اربعة اضعاف الدية ، لأن المرأة انسان ضعيف وقتلها جرم كبير على الرجل وإهانة مذلة له .

فاذا ذبح أعرابي عدوه يسعى حالاً في طلب امير كبير يحتمي في ظله ويعتصم بمعقله هو وماشيته خوفاً من ان يقتل وفاقاً لسنة الانتقام العاجل التي تعطي اهل القتيل حقاً مدة

ثلاثة ايام ان يأخذوا ثأرهم بذبح القاتل واهله وهدم بيته وسلب ماشيته . فالامير المجير يلتزم أن يبذل جهد طاقته لتخليص المجرم من طائلة هذا الانتقام ، ولو كان القاتل المستجير من اعداء العشيرة ، او عدوّه ، او قاتل ابنه او احد اقربائه ، لان الشهامة الأعرابية تحتم عليه ان يحامي عن الضعيف المستجير .

اذا وصل المستجير امام الخيمة وقال لصاحبها « انا دخيلك » او تمسك باطناب الخيمة او وقف امام الخيمة فقط فقد عُدّ دخيلاً . وان قتله احد خارج الخيمة قبل ان يبلغها وكان المدى بين مكان وقوعه قتيلاً وبين الخيمة التي أتى ليستجير بصاحبها لا يتجاوز رمية عصا ، فقاتله يضطر الى دفع دية الدم وحق الدخلة .

وعند ما ينزل القاتل عن فرسه يذهب توّاً الى فراش الامير فيجلس عليه ويقول « انا دخيلك بعيالك وحلالك ، من الحظ المنكود ، والسيف المجرود ، والظالم الحقود ، والكاذب ما له مولود » فيجيبه الامير « يا هلا ، ابشر بالعز وطيب المنزل » عند ذلك لا يهتم القاتل بشيء بل يعيش بصفاء ، والسعي كله يعود على المجير . فيرسل بعثات متتالية الى اهل القتيل كي يقبلوا المصالحة ويأخذوا دية الدم . على انهم يرفضون الصلح دائماً في اول مرة ، ويطلبون الدم بالدم ، ويذكرون الدم المهدور ، الصارخ الى السماء ، الطالب الانتقام . فيعود الوفد الاول خائباً . على أن المجير لا ييأس من هذا الجواب المؤلم لأن هذه هي العادة عندهم ، فيعيد الكرّة بعد ايام مرسلاً اليهم وفداً اكبر كي يصلحوا ذات البين ويأخذوا الدية ، فيرجع ايضاً الوفد الثاني مكسور النفس . وفي غالب الاحيان يصير الصلح بعد المرة الثالثة لان العرب ترتفع بهم العواطف النبيلة اذا شاهدوا كبراء البيداء متذللين أمامهم . ولكن ان ابى اهل القتيل المصالحة بعد المرة الثالثة ، فتلك دلالة على انهم لا يريدون الا الانتقام ، ويجب على القاتل حينئذ ان يهرب في ظلمات الليل الى بلاد بعيدة ويعتصم بقبيلة شهيرة .

والذين تصيبهم سهام الانتقام هم اهل القاتل واقرباؤه الى الدرجة الخامسة اي ابو القاتل وجدّه واولاده واولاد اولاده واعمامه وابناء اعمامه . اما الاباعد من الأُسرة كابن العمة وابن الخالة ونحوهما فلا يؤذى بضرر بل يقدم لاهل القاتل بعيراً يسمى عندهم « بعير النوم » ويبقى في خيمته غير خاش صولة الاعداء .

(حق الطنيب) — ويدعى ايضاً حق القصير ، والطنيب تصغير الطُنُب وهو حبل الخيمة . وعند العرب الطنيب هو الجار المستجير ، ويعتبر طنيباً اذا علّق بعض آلات صناعته على طُنب من أطناب الخيمة ، ومنهم من يكتفي بالكلام فقط فيقول : « يا شيخ فلان ياأبافلانة انا طنيبك » فيقول له « ياهلا بك » .

فمن الأعراب من يترك عشيرته وبيت أبيه فيحمل خيمته ويرفعها الى جانب شيخ عظيم ، ويكون ذلك اذا خشي عدوًّا لا يقدر على مقاومته أو وجد ضدّه عدداً وافراً من الاعداء لا يستطيع منازلتهم أو قدم طلباً للرزق والشغل عنده في حراثة ارضه . فما من احد إذاً يضطرُ الى مجاورة أمير غريب عن عشيرته ووطنه الا ان يكون ضعيفاً أو فقيراً . ويقول العارفون بعادات العرب ان الضيف يسمى عندهم ضيفاً مدة ثلاثة ايام وان طال مكثه عُدّ طنيباً . وكم من قاتل مثلاً نزل بالقرب من أمير كبير في بلاد بعيدة عن وطنه فسمي باسمه وتطبع بطبائع عشيرته وقد نسي أصله ونسبه بعد طول الزمان .

ومن غريب ما يجري في هذا الحق إن بعضاً من التجار ينزلون في خيام العرب أو عند الشيخ ليبيعوا بضاعتهم من ملبوس ومأكول في حماه ، فيصبح شأنهم شأن طنيب هذا الشيخ أو قصيره . ويلتزم الشيخ ان يجمع لهم ديونهم من المديونين ، واذا تعصّب المديون وامتنع عن الدفع يضطر الشيخ نفسه الى الدفع كي يبيض وجهه أمام القصير . واذا سُرق شيء من القصير ، فعلى الشيخ ان يسعى باسترداده له .

***

(حق العرض) — البادية بلاد تنحت عن المنكرات ، وهي في هذا الباب أشرف من المدن المتحضرة حيث يظهر المنكر ظهوراً جلياً على حد ما قال الشاعر الشعبي : « ما في شي اسمه عيب » . فالنساء في القفر على الجملة عفيفات يتجنبن الطرق السافلة وأبواب المحرمات . وقد تسير المرأة البدوية وحدها في البادية ترعى الإبل والنعاج ، ولا يعارضها احد أو يتعدى عليها .

على ان جرماً من هذا النوع كثير الحدوث في البيداء ، الا وهو الخطف . وكم من شيخ بكى على ابنة له كانت سعادته في هذه الدنيا ، فغابت عن أنظاره في ليلة دامسة ، وبات

هو يطوي الايام والأوقات بالحزن والبكاء . وهم يقولون فلانة خطفت فلاناً . ولا يقولون فلان خطف فلانة .

اذا رام الشاب البدوي ان يتزوج بابنةٍ على غير إرادة أبيها واتفق معها على خطفها يتواعدان الى زمان ومكان محدودين ، فاذا ستر الليل الارض يأتي الى الابنة ويردفها وراءه على فرسه ويهرب بها الى بلد بعيدة . وربما وجدها واردةً على عين ماء أو في حقل فخطفها بعد ان يكونا قد اتفقا . ولا بد للخاطف من عقاب شديد اذا وقع .

قلتُ ان الخطف كثير في عرب البادية . وقد لا يمر شهر الا ويسمع فيه خبر كهذا بين الأعراب ، والحق في ذلك في غالب الأحيان على أهل البنت الذين يطمعون ببيع بناتهم باثمان باهظة حين زواجهن ، فان البنت عند العرب تكون لمن يقدّم مالاً وحلالاً أكثر من سواه ، لذلك يصير الزواج عندهم على غير حب ووداد .

فاذا خُطفت ابنةٌ وكان خاطفها من قبيلة قريبة ، ركب أهلها وأقاربها ليرجعوا الشرف المفقود والابنة الهاربة ، ولهم الحق بان يصنعوا ما يشاؤون في مدة ايام ثلاثة فقط يسوغ لهم فيها ان يقتلوا الخاطف ويهلكوا غنمه ، ويهدموا خيمته ، ويذبحوا فرسه ، وهم يسرفون بما تصل اليه ايديهم إسرافاً لا يستبقون لانفسهم منه شيئاً وان هم استبقوا رذلوا وأُهينوا ، واذا مضت الأيام الثلاثة ولم يظفروا بالخاطف ولم يستطيعوا فيها إرجاع شرفهم المفقود ، حل بهم العار والخجل ، فيرحلون وينزلون وحدهم مؤثرين العزلة والغربة . والخاطف يتزوج بالفتاة التي خطفها آمناً لاحرج عليه .

وفيما خلا الخطف ، فمن اقدم من البدو على الفواحش بنفس راضية ، يردعه الشيخ مع وجوه العشيرة مرات عديدة ، وان هو لم يرتدع يحكمون عليه بالنفي ، ويكون دمه مطلولاً لا يطالب به وهي عادة محمودة تحمل العرب على تجنب المنكر خوفاً من العقوبات الصارمة .

ومما يخفف وطأة الفواحش في البادية خوفهم من العار والهوان ، لأن البيداء لها آذان تسمع وعيون تنظر ، فلا يخفى فيها خافٍ ، ولا يوجد فيها سرٌّ مكتوم . قال احدهم ان أهل البادية كالمشرفين على رأس الجبل ، يراقبون الحركات والاشارات الخفية ، ومن وُجد جرم فظيع في بيته قد تُحرق خيمته ويُنشر رمادها في الهواء .

ولقد اتخذت العرب وسائط فعالة لمنع الفواحش ، فاذا أحس أب بجرم ابنته يقطع رأسها ويعلقه على رمح ويطوف به في كل القبيلة قائلاً : « هكذا يعاقب المجرم » ومنهم من يئدها حية فيغطيها بالتراب الى ما فوق رأسها . ومنهم من يغمرها بالتراب الى رقبتها فقط ، فتأتيها الوحوش وتذيقها من العذاب أمره . ومنهم من يسقيها السم . ومنهم من يضع على جسمها دبساً أو عسلاً ويتركها فريسة الذباب تموت أشنع الميتات . ومنهم من يأخذها الى الفلاة فيضربها ضرباً اليماً ، ثم يربطها بأوتاد في الارض حتى تفترسها الحيوانات الضارية . وقد سمعنا أن رجلاً ألقى إبنته في بئر عميقة . وان غيره ربطها الى شجرة جرداء وكان وجهها الى ضياء الشمس فاحترقت وماتت من الجوع ووقدات الأشعة وأكثر الناس يذبحونها بلاشفقة بسيف حادٍ أو يقتلونها برصاصة في رأسها . وقرأتُ أن أباً ترك ابنته خارج المحلة على صخرة شاهقة في فصل الشتاء القارس ، وكانت الامطار تهطل والرعود تقصف والثلوج تسقط ، فماتت وقد جمد دمها ويبست أعضاؤها .

رحلة اوليا جلبي

- ٤ -

اما شيزر فقد قال عنها ياقوت : شيزر قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة بينها وبين حماة يوم في وسطها نهر الأردن (!) عليه قنطرة في وسط المدينة وتعد من جند حمص .

وقال ابو الفداء : شيزر من جند حمص ذات قلعة حصينة والعاصي يمر من شماليها (وصوابه من شرقيها) وينحدر عنـدها على سكر ارتفاعه يزيد على عشرة اذرع يسمونه الخرطلة وهي ذات اشجار وبساتين وفواكه كثيرة اكثرها الرمان ولها سور من لبن وثلاثة ابواب .

وقال الاصطخري : واما شيزر وحماة فانهما مدينتـان صغيرتان نزهتان كثيرتا الماء والشجر والزرع .

وقال شيخ الربوة : وشيزر مدينة حصينة وبية (وبيلة او وبيئة) تشرب اهلها وارضها من النهر العاصي ولها قلعة طولها ظاهر تسمى عرف الديك محاطة من ثلاث جهات بالعاصي اهـ .

قلت لم يبق في شيزر من الفواكه اثر يذكر مما عـدا قليل من الرمان وحالة الازوار والبساتين ايضاً وسطى وسكر الخرطلة قد دثر اكثره وتنوسي اسمه . والبلدة ذات السور والابواب الثلاثة التي كانت في اسفل القلعة قد عفت رسومها ولم يبق منها الا بعض اسس الجدران وكسور الحجارة والاعمدة وصار مكانها قبـاب حقيرة بين الجسر وباب القلعة يقطنها العمال في ازوار شيزر ، والبلدة العليا التي كانت في داخل القلعة خربت وصار مكانها قرية بنيت بركام الانقاض يقطنها فلاحو الارض العذية ، ولا يزيد عدد الجميع عن الاربعمائة جلهم من السنيين وقليلهم من النصيرية والاسماعيلية .

وخلاصة تاريخ شيزر ان فراعنة مصر عرفوها وذكروها في رقم تل العمارنة المسمارية باسم سنزار وعرفها اليونان وسموها لاريسا قيل ان لسلوكس نيكاتور فضلاً في ترميمها وتحصينها وذكرها امرؤ القيس في قوله :

تقطع اسباب اللبانة والهوى … عشية جاوزنا حماة وشيزرا

بسير يضج العود منه يمنه … اخو الجهد لا يلوي على من تعذرا

وذكرها عبيد الله بن قيس الرقيات في قوله :

قفوا وانظروا بي نحو قومي نظرة … فلم يقف الحادي بنا وتغشمرا

فزا حزناً اذ فارقونا وجاوروا … سوى قومهم اعلى حماة وشيزرا

فتح المسلمون شيزر عام ١٧ هـ وذلك عقب استيلائهم على حمص وحماة بقيادة ابي عبيدة بن الجراح . ولما كانت شيزر وجارتها أفامية على الطريق الذي تسلكه أكثر القوافل والجحافل القادمة من شمالي الشام او جنوبه ولتسلطها على وادي العاصي كانت لهما مكانة حربية مهمة وكانت شيزر على الأخص تعد مفتاح بلاد الشام ، لذا بقيت بعد دخول المسلمين عرضة لهجمات الروم المتتابعة فكانوا يستولون عليها تارة ويخسرونها اخرى الى ان استقرت في ايديهم نحو ٨٣ سنة حتى سنة ٤٧٤ هـ التي جاء فيها سديد الملك ابو الحسن علي بن منقذ الكناني . قيل انه عمد الى تل الجسر (اي جسر بني منقذ الذي يظن انه كان بعيداً عن القلعة نحو كيلو مترين للغرب) فعمره حصناً وجمع فيه عشيرته ونفر على حصن الجراص الذي ذكرنا موقعه وهو يبعد نحو ٢٥ كيلو متراً غربي وادي الغاب فأخذه بالسيف من الروم ثم نازل شيزر فتسلمها من اهلها بالأمان . وفي زمن امارة ابنه أبي العساكر سلطان لم تسترح شيزر من توالي غزوات الاسماعيلية واغراب بني كلاب والروم والصليبيين وفي كل مرة كانت تنجو من السقوط بفضل مناعتها الطبيعية وحصانة قلعتها وبسالة اصحابها بني منقذ . وظلت شيزر بيد هؤلاء الى سنة ٥٥٢ وهي السنة التي حدثت فيها زلازل هائلة اخربت كثيراً من المدن والحصون في شمالي الشام وكان اشدها كما قال ابن الأثير في حماة وشيزر فانهما خربتا بالمرة . وكان بنو منقذ مجتمعين في وليمة ختان فهلكوا ولم ينج احد ممن كان منهم داخل القلعة الا امرأة أخرجت من تحت الردم . وكان أسامة

غائباً في دمشق فجاء بعد الزلزلة وعاين ما فعلته بشيزر واهله فبكاهم ورثاهم بغرر القصائد ٠ وجاءها نور الدين محمود بعد الزلازل فرممها وجددها فيما جدده من بقية الحصون واقطعها الى احد امرائه مجد الدين ابو بكر بن الداية ولما مات انتقلت لأخيه سابق الدين عثمان الذي ظل فيها وفي حصن ابي قبيس الى بعد وفاة الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب فصار من عمال ابنه الملك الظاهر غازي صاحب حلب ٠ ولما مات سابق الدين انتقلت لابنه شهاب الدين يوسف ٠ وفي سنة ٦٣٠ تجاهر هذا بالعصيان فجاء الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي وحاصره واسترد شيزر وابافبيس منه فهنأه يحيى بن خالد القيسراني بقوله :

يا ملكاً عم اهل الأرض نائله وخص احسانه الداني مع القاصي
لما رأت شيزر آيات نصرك في ارجائها القت العاصي الى العاصي

ولما جاء التتر بقيادة هولاكو هدموا اكثر القلاع التي كانت للأيوبيين ولا بد ان يكونوا نالوا ايضاً من شيزر لأنها ذكرت في جملة القلاع التي رممها الملك الظاهر بيبرس في أواخر القرن السابع ٠ ولما جلس الملك المنصور قلاوون الصالحي ظلت شيزر كجارتها أفامية مدة سنة في يد الأمير العاصي سنقر الأشقر ثم استرجعها قلاوون منه صلحاً في سنة ٦٧٩ ورمم بعض اركانها وبقيت في حوزة اخلافه المماليك الى ان دخل العثمانيون ٠ ولعل خراب شيزر الحالي بدأ قبيل دخولهم هذا ٠ ومهما يكن فأن شيزر بعد استيلاء العثمانيين على بلاد الشام كلها وزوال الحاجة للدفاع لم يبق لها كما قلنا في أفامية مكانة حربية بل ظلت كما هي الآن قرية يعتصم أهلها من البدو والتحبيرية الذين كانوا يغيرون عليها أيام الفتن في عهد المماليك والعثمانيين ٠

وقلعة شيزر بنيت على ظهر أكمة صخرية منتصبة على يسار العاصي شبهها العرب لنتوئها بعرف الديك ٠ ويمر نهر العاصي من شرقي هذه الاكمة بعد ان يلتوي في منعرج ذي زاوية قائمة ويجري في وهدة عميقة ٠ فالقلعة منفصلة عما يجاورها في شرقيها وشماليها وغربيها بفضل المنحدرات الصخرية العميقة المحيطة بها والتي تعلو نحو ٤٩ — ٥٠ متراً ٠ اما في الجنوب فقد كانت أكمتها متصلة بالجبل المجاور الى ان حفر القدماء فيه خندقاً عريضاً وعميقاً فصلوها به عنه وبنوا فوق الخندق برجاً كبيراً سيأتي وصفه ٠ وفي رواية انهم كانوا عند

مهاجمة الأعداء يرون مياه العاصي من هذا الخندق بعد سد مجراه بسكر لعله سكر الخرطلة الذي نوّه به ابو الفداء فاذا مرت هذه المياه وطغت على السهل الغربي تصبح شيزر كجزيرة لايعود بامكان العدو الاقتراب منها ·

وقلعة شيزر خراب في الجملة لم يبق منها سالماً الا طرفاها الشمالي والجنوبي ·

يدخل القاصدون من بابها الكائن في الجهة الشمالية بعد ان يجتازوا جسراً حجرياً بني فوق وادٍ ضيقٍ وعميق · وكان هذا الجسر في العصور الوسطى من الخشب وهو نقّال يرفع عند اللزوم · اما الحالي فحجري يعلو طبقتين من القناطر · ولشدة الانحدار جعل ممشاه ذا درج مرصوف ببلاط كبير وجعل على طرفيه درابزين يوشك ان يتداعى · أما مدخل القلعة فقد جعل في جوف باشورة بارزة الى الأمام بنيت بقطع ضخمة من الحجارة التي يدعوها البناؤون في دمشق (غشيمة) و (سورية) والأولى غير منحوتة الا قليلاً والثانية منسوبة للأسوار تكون ناتئة في وسطها · وحشي بين هذه الحجارة قطع من الأعمدة لتشد ارتباط المداميك بعضها ببعض ·

وفي المدخل فرضة تعلوها قوس من النوع الذي يدعوه البناؤون في دمشق (قوس على الخمس) · وفي جوف الفرضة باب ذو أسكفة مستقيمة وفوق القوس كتابة عربية طويلة فيها اسم الملك المنصور قلاوون الصالحي في سنة ٦٨٩ على أحجار الجدار الظاهرة · وفوق الكتابة بقليل زغلولان لرمي السهام ونافذة مربعة الشكل · وفي الطابق الأعلى من القلة نافذة أخرى مربعة لا يزال يعلوها زافرتا مرمى كان مخصصاً لحراسة المدخل · وقد هدمت الباشورة حتى وصلت الى مستوى هاتين الزافرتين · وعلى يمين الباشورة قلة هرمية الشكل أقسامها العليا مهدومة ، وأقسامها السفلى راكبة على سفح عريض مبلط احد جوانبه يلتصق ويحيط بالباشورة التي تقدم ذكرها والضلع الجسم الشمالي الغربي لهذا السفح المستدق قطع وأعرض وذلك لدفع شر رماة السهام والنقابين · وتحت الباشورة ساباط معقود يدخل منه الى ساحة القلعة التي ملئت ببيوت القرية المبنية من أحجار السور المهدوم ووراء الباشورة وأطلالها سراديب معقودة متداعية كانت توصل من القلعة الى العاصي · وثمة درب ضيق بين بيوت القرية يأخذك الى قبلي القلعة فتجد فيها البرج الكبير ·

وهذا البرج في أضعف نقطة من نقاط الدفاع فوق الخندق الذي تقدم ذكره لذلك بني بعناية خاصة ، فأحجاره (غشيمة) و (سورية) وهي هنا أضخم وأدق عملاً من حجارة الباشورة ، وفي عرض جدرانه حشيت قطع كثيرة من أعمدة الروابط لتزيد انضمام الاحجار الخارجية بالداخلية . وشكل البرج منشور ذو وجوه مستطيلة وله في جهته الشمالية بروز قليل فيه المدخل ، وقد جعل هذا المدخل في مخترق زاوية معرضة للقذائف المتشابكة التي تلقى من طوابق البرج العليا ، وهذا من قواعد الهندسة العربية في المباني العسكرية . وعلى جدار البرج كتابة باسم الملك العزيز محمد صاحب حلب سنة ٦٣٣ والصاعد من درج المدخل يصل الى طابق تحته اقبية معقودة لعلها كانت صهاريج ماء اومخازن مؤنة، وثمة درج يؤدي الى طابق ثان ثم الى السطح . وفي الطابق الاول غرفتان كبيرتان عقودهما مرتكزة على عضادات وجدرانها مثقوبة بكوى للنور وزغاليل غريبة الاشكال . ويشتمل الطابق الثاني على الاوضاع ذاتها ، اما السطح فقد هدم منه جدار الدفاع الذي كان مضرساً بشراريف عديدة اه .

قال الاثري (فان برشم) في كتابه «رحلة في الشام» الذي اعتمدنا عليه في وصف شيزر : ان باشورة باب القلعة من آثار نور الدين محمود دون غيره على الرغم من ان الملك المنصور قلاوون استكتب اسمه فوق الباب اذ لم يكن له فضل في غير ترميم بعض اركانها وان القلة والسفح من آثار الملك الظاهر بيبرس ، والبرج الكبير القبلي ربما كان من آثار نور الدين محمود دون غيره لأن الكتابة التي فوق بابه زيرت بعد البناء ولعل الملك العزيز محمد رمم المداميك العليا فقط . وقال ايضاً : ان الصليبيين على الرغم من مهاجمتهم شيزر مراراً لم يستطيعوا اقتحامها وإذن تكون هذه القلعة عربية بحتة من آثار مهندسي العرب دون سواهم في القرنين السادس والسابع ، وبرهاننا على ذلك تخطيط سورها ورفع الحيطان الجامعة بين ابراجها وهذه الابراج المربعة القليلة البروز وشكل بناء الباشورة والبرج الكبير المحشوة جدرانها بأعمدة الروابط واقسام البرج في الداخل وانتساق مراكز الدفاع فيه وفقدان اي قطعة مرخمة او مهندمة على الطراز الغربي اه .

قلت وهذه احدى شهادات هذا العالم الاثري الاوربي الذي اختص بدرس المباني

العربية القديمة تدل على ما كان عليه أسلافنا من البراعة في تشييد القلاع والحصون وإحكام وسائل الدفاع والحصار فيها ، مما ينبغي له علم غزير وخبرة واسعة في فنون الحرب والهندسة والبيان . ومن أكبر دواعي الأسف ان لا نعرف اسماء المهندسين العسكريين الذين خططوا قلعة شيزر وامثالها من القلاع العربية في القرن الخامس والسادس والسابع ، وصورة انشائها بهذا التأليف البديع والاتقان الغريب وان نجهل القواعد والمسميات التي كانوا يتبعونها ويتداولونها في تشييد الاسوار والابراج والثقوب والمرامي واقسامها البارزة والغائرة . فيتعذر علينا تعريب ما كتبه عنها علماء الآثار من الافرنج بالحرف . ولو سمح الدهر بابقاء شيء من مؤلفاتهم التي لابد ان يكونوا عنوا بوضعها ومنها كتاب القلاع والحصون لأسامة بن منقذ او لو عني مؤلفو كتب التراجم بهؤلاء المهندسين والبنائين وغيرهم من ارباب الصناعات الدقيقة مثل إكثارهم بترجمة الشعراء والكتاب والزهاد والمتقشفين إذن لعرفنا شيئاً من قواعدهم أو مسمياتهم فتمكنا من وصف ما بنوه وصفاً علمياً هندسياً تعرف به خطوطه ومقاييسه واشكاله واوضاعه وجنس المواد والحجارة التي يتألف منها وكيفية تركيزها وترتيبها والغايات المنشودة من اختلاف الابراج والقلل والنوافذ والمرامي وكبرها وصغرها وتقويمها وتدويرها وما كان يوضع او يعمل في ارجائها واجزائها .. الخ لا كما يذكره كتابنا الذين يهيمون في وادي الخيال فيقولون كما قال شهاب الدين محمود في وصف حصن : حصن قد تقرط بالنجوم وتقرطق بالغيوم وسما فرعه الى السماء ورسا اصله الى النجوم تخال الشمس اذا علت انها تنتقل في ابراجه . ويظن من سها الى البها انها ذبالة في سراجه ... الخ ما هنالك من الاغراق الذي ليس فيه شيء مما يدل على هندسة هذا الحصن وكيفية بنائه ، وكلهم نحى هذا المنحى .

هذا وقيل ان بين شيزر وقرية الزلاقيات التي تبعد عنها نحو اربعة كيلو مترات الى الشرق قناة قديمة متفرعة من العاصي تسير في نفق محفور في خف الجبل الى ان تصل قرب القلعة الى فوهة يدعونها الشلقة تعلو بضعة امتار فينحدر منها الماء كالشلال بهدير قوي .

وجاء في كتاب الاعتبار لأسامة اسم بندرقنين وانها كانت قرية عند المدينة والآن لا يعرف لها خبر ولا اثر . وجسر شيزر رمم مراراً في الماضي وبني مجدداً في سنة ١٣٤١ هـ

ويظن انه ليس هو جسر بني منقذ الذي كان حوله تل وحصن ذكرهما أسامة في مواضع عديدة وقبله جده ابو الحسن علي بن منقذ الكناني وهو باني الحصن قبل نفرته على حصن الجرّاص واستيلائه على حصن شيزر كما اسلفنا ٠

قال فان برشم : بحثنا كثيراً فلم نعثر على اثر لحصن الجسر الذي يفهم من كلام أسامة انه كان في ضفة العاصي اليمنى اقيم لحماية جسر بني منقذ ٠ ونظن ان هذا الحصن والجسر كانا في موقع يبعد عن شيزر للغرب نحو كيلو مترين حيث ترى عضادتين بارزتين من العاصي تقاومان جريانه الشديد اه ٠ قلت ويؤيد عبارة فان برشم ما جاء في ص ٢١٨ من كتاب الاعتبار ان حصن الجسر كان كثير الصيد يذهب اليه والد أسامة وابناؤه ومعهم البزاة والفهود والكلاب يصطادون الطيور والدواب التي قدمنا ذكرها وانهم كانوا يعودون من الصيد وينزلون على بوشمير وهو نهر صغير بالقرب من الحصن ٠ فلو كان حصن الجسر في قرب القلعة كما ظنه بعضهم لما اقتربت طيور الصيد ودوابه كما انه ليس في قرب الجسر الحالي نهر او جدول يدعى بوشمير ٠ ويستحيل على ابي الحسن علي جد أسامة ان يبني مثل هذا الحصن في جوار القلعة لما كانت بيد الروم ثم يناوشهم منه ٠

هذا والواقف فوق سطح البرج يطل على مناظر عديدة منها في الشرق الهضبة العالية التي يفصل العاصي بينها وبين اكمة عرف الديك وكانت قواد الجيوش المحاصرة لشيزر تجعل مخيمها في هذا الموقع المشرف على القلعة وتنصب فيه المنجنيقات وتضربها منه ٠ وفي هذه الهضبة قبة فيها مسجد وضريح ينسب الى ابي عبيدة وصوابه ان اباعبيدة لما جاء ليفتح شيزر خيّم فيه فاتخذه الناس بعد مقاماً له وبنوا هذا الضريح وذلك المسجد ٠ قيل ان في جدار المسجد حجراً زبرت عليه كتابة تدل على ان منشئ هذا المكان هو السلطان مراد ابن السلطان سليمان العثماني الذي حكم بين سنتي ٩٨٣ — ١٠٠٣ ٠ واذا تطلع الواقف نحو العاصي يراه خارجاً من الوهدة العميقة المحصورة بين الجبلين ليلاقي السهل الفسيح الممتد في الغرب جارياً بهدير قوي لشدة الانحدار هنا ٠ ويتجه النظر مع العاصي ومنعرجاته التي تكثر في هذه البقعة فيرى ازهار شيزر وعلى بعد خمسة كيلو مترات قرية التريمسة وأزوارها وفي شماليها تل الطويل ولعله تل التلول الذي ذكر محرفاً في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ

وبعدها قرية الصفصافية وجسر الفجرة · ثم بطائح الغاب وآجامه وهي علة وخامة المرتع في هذه الربوع ·

وفي السهول والتلعات الغربية الممتدة من قرب شيزر الى سفح جبال النصيرية الغضراء قرى وضياع عديدة تتبع حكومة اللاذقية آهلة بالنصيرية نخص بالذكر منها في السهل تل سلحب وهي كبيرة مستوبلة تحيط بها بطائح الغاب من الشرق والشمال وفي ذيل الجبل قرية دير شميل كانت من حصون الفرسان الاسبتاريين فيها دار حكومة مذ كانت قاعدة للناحية وفي شماليها حصن خراب نظن انه حصن الخريبة الذي ذكر اسامة أنه كان عليه للافرنج ديدباناً يكشف مسلمي شيزر اذا ارادوا الإغارة على افامية مع ملاحظة ان البعد بين هذا الحصن وشيزر ثلاثة عشر كيلو متراً · وفي غربي دير شميل على رأس احد اذيال الجبل المرتفعة حصن آخر خراب اكبر من الاول يدعى ابا قبيس يطل على واد يجري فيه نهر ابي قبيس احد روافد الغاب وقد مر ذكر هذا الحصن في تاريخ شيزر ، وهو احد قلاع الدعوة الاسماعيلية المنتشرة في هذه الجبال منها — غير ما عددناه سابقاً — مصياف والكهف والعليقة والمنيقة وبكسرائيل وغيرها · وجبال النصيرية المتجهة نحو الشرق الشامخة كالجدار بين هذه البقاع والبحر تدعى هنا جبال الكلبية تؤلف كورة واسعة قاعدتها مصياف تتبعها قرى كثيرة مما عددناه وغيره بقطن اكثرها النصيرية واقلها الإسماعيلية اشتهرت بعنبها وتينها ودود حريرها وحراجها وينابيعها المتدفقة ·

هذا وبعد ان انتهيت في ربيع سنة ١٣٥١ من زيارة هذه القلعة والإحاطة بما وصفته آنفاً تأملت وانا على سطح ذلك البرج في حاضر شيزر وغابرها ورحت في فضاء التفكير أجل قدر الذين انتقوا هذا الموقع الحربي الهائل ، واتخيل المعارك الطاحنة التي كانت تدور تحت اقدامه بين الجيوش المحاصرة والمدافعة عنه ، وأكاد أسمع قراع الرماح ووقع السيوف ورنين القسي ، وارى القتلى والجرحى ملأوا السهل فجبلت هذه التربة الحمراء بدمائهم او صبغ العاصي بها ·

واتذكر الوقائع التي كانت تجري في هذه الضواحي لبني منقذ الاشاوس لا سيما لنابغتهم البطل العالم الشاعر أسامة صاحب كتاب الاعتبار وكيف كانوا شجا في حلوق

الروم والصليبيين يستبسلون رجالاً ونساءً في دفع غاراتهم وغارات البدو والاسماعيلية وغيرهم وكيف كانوا يصطادون الاحجال والأرانب في الجبل قبلي البلد وطير الماء والدراج واليحامير والغزلان على العاصي في الازوار غربي البلد واخيراً كيف قضت عليهم الزلازل فأفنتهم وخربت هذا الحصن الهائل المرءى فجعلته كما قال اسامة «متهيلاً مثل النقا المتهيل» واتصور نور الدين الشهيد في سنة ٥٥٢ والملك العزيز محمد صاحب حلب ومعه ابن عمه الملك المظفر محمود صاحب حماة في سنة ٦٣ والملك الظاهر بيبرس في سنة ٦٦٤ والملك المنصور قلاوون في سنة ٦٨٩ يأتون كل في يومه ووراءه وزراؤه وقواده وحرمه الخاص بزينتهم وابهتهم يصعدون الى هذه القلعة ليعاينوا مافعلته الزلازل والحروب في اسوارها وابراجها ويتجولون بين اطلالها وركامها متأسفين ومحوقلين فيأمرون باحضار المهندسين والبنائين ليرمموا ويجددوا مافعلته فيها طوارء الحدثان فتنفذ اوامرهم وتحقق رغائبهم فوراً. واتأمل بلدة شيزر السفلى ذات السور والابواب الثلاثة والمتنزهات والبساتين والزروع والفواكه الكثيرة التي كانت فيها واسأل كيف عفت عوادي الزمان رسومها فاصبحت ضيعة صغيرة وبيلة والبلدة العليا التي كان ينزلها امراء وجنود اعزاء يعدون بالألوف كيف اصبحت الآن كالاطلال الدارسة سكانها قلائل فلاحون بينهم بيت قديم يعرف بالشيزري باعوا قريتهم وموئل سؤددهم لبعض سراة حماة فاصبحوا صعاليك مفاليك في غاية من البؤس والجهل لاسيما في معرفة ما كانت عليه هذه القلعة ومن سادوا وشادوا فيها . فسبحان محول الأحوال يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء .

هذا والطريق بين شيزر وحماة تبلغ نحو ٢٤ كيلومتراً والسائح بعد ان يصعد من وادي شيزر يجتاز سهولاً شاسعة ذات تربة حمراء فيمر من غربي قرية كبيرة تدعى محردة قصبة ناحية طار العلا ذات دور حجرية يقطنها اهلها من طائفتي الروم والسريان يبلغون ثلاثة آلاف وهي قريبة من العاصي عرفت بجمال نسائها وسعة كرومها الممتدة عن يمينها ويسارها. وفي شرقيها قرية كبيرة أخرى تدعى حلفايا اشير في إحدى الخرائط الحديثة الى قناة ماء مندثرة تأتي اليها من حول قرية معرزاف وتسير شمالاً مجتازة العاصي الى قرية اللطامنة فمورك . والعاصي القادم من حماة بعد ان كان يتجه من الجنوب الى الشمال ينعطف نحو

الغرب بين قريتي حلفايا واللطامنة عند طاحونة الوعرة وبعد ان يجتاز من شمالي حلفايا ومحردة على مقربة منها يتجه نحو شيزر كل ذلك في وهاد سحيقة ومنعرجات عديدة .
والباحث عن العاصي ومجراه في هذه الربوع لا يسعه الا ان يتسائل عن موقع دير القديس مارون ابو الطائفة المارونية الذي قيل انه كان على العاصي بين شيزر وحماة ويظهر ان الروم البيزنطيين في القرن الأول للهجرة لما خربوا هذا الدير وذبحوا رهبانه عفوا رسومه بالكلية فأصبح لا يعرف له اثر ولا خبر . هذا وبعد محردة يغادر السائح على يمينه ضياع عديدة منها تل سكين قعادة ومعرزاف وقد ذكرهما — أسامة بن منقذ في كتابه . وبعد الجدل يجتاز نهر الصاروت احد روافد العاصي وعليه جسر قديم ، وهذا النهر يتألف من اودية وجداول تنحدر نحوه من اذيال جبل الكلبية بين بعرين ومصياف . ثم يرى على يمينه من الضياع الشير وفي غربيها كفر عميم والتويم وام الطيور وفي جنوبيها كفر الطون وتل سكين الصاروت ويلمح في جنوب هاتين القريتين اطلال عالية لقصر قديم في قرية تيزين قيل انه كان مصيفاً للملك المظفر محمود .

ويلمح في الافق الشرقي البعيد جبال العلا يظهر منها جبل الفانات وجبل كاسون (علوه ٥٨٦ متراً) وتمتد هذه السلسلة في الشرق الجنوبي الى قلعة شميميس وبليدة سلمية التي اشتهرت بقنيها الرومانية وكرومها وبساتينها وبأنها منشأ الدعوة الاسماعيلية وموطن اهل هذه الشيعة قديماً وحديثاً عمروها بعد دثورها في آخر القرن الماضي وجعلتها الحكومة قاعدة قضاء تتبعه قرى وضياع عديدة تمتد الى سفوح جبل البلعاس سكانها من الاسماعيلية والنصيرية وقليل من السنيين والشركس . ويلمح ايضاً قرون حماة وهما جبلان متقاربان يبعدان عن حماة الى الشمال نحو عشرة كيلو مترات يدعى الكبير منها زين العابدين (٦٣١ متراً) والصغير كفرراع (٦٤٥ متراً) وفوق الأول جامع مهجور ذو قبتين يضاوين من آثار الملك الأشرف قيتباي في سنة ٨٨٣ وفي الجامع مقام يسمى زين العابدين (؟) تقصده النصيرية من جبال الكلبية بالزيارة وحولها قريتا الهاشمية وكفرراع . وقد اشتهرت قرون حماة بالمصاف الذي وقع حولها في سنة ٥٧٠ بين صلاح الدين الأيوبي وصاحب حلب الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود وابناء اعمامه الذين جاؤا من الموصل وكانت

الدائرة عليهم · هذا وبعد ان يترك السائح على يمينه قرى الشير وشيحا ومعردفتين وعلى يساره في سقي العاصي مزارع كبيرة تروى بالنواعير تدعى ازوار منها الناصرية وخطاب ومعردس وأرزة يرى امامه في وادي العاصي كازو وفي شرقيها قمحانة والظاهرية اللتان تمر منهما سكة حديد حماة — حلب وعين الباد وجبرين وهكذا الى ان يمر من جوار محطة السكة الحديدية ومقابر حماة واحيائها القريبة منها ثم يهبط وادي حماة المنخفض ·

« للبحث صلة » وصفي زكريا

جامع التواريخ

— أو —

« نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة »

— ٤ —

حدثني محمد بن احمد بن عثمان بن الحارث الزيات قال حدثني ابي قال كان لي ولجماعة من التجار ببغداد على رجل من البزازين اربعة الف(١) دينار فقام للناس فاجتمعنا ففتحنا دكانه فوجدنا فيه متاعاً ثمنه اربعمائة دينار فقال ان اخترتم اخذها وإبرائي من الباقي فخذوا فاني لا أرجع الى شيء غير ذلك وان اخترتم ان تؤخروني بالدين وافتح دكاني واعمل بهذه اربع مائة الدينار دفعت اليكم في كل سنة اربعمائة دينار فيأخذ كل واحد منكم منها العشر من ماله وتستوفون المال في عشر سنين فأجبناه الا رجلاً يعقد يقول زيدوني على العشر ولو ديناراً واحداً في السنة فقلنا للرجل أجبه الى هذا فقال ان أعطيت هذا الدينار زيادة على اربعمائة الدينار في السنة مضت اربع مائة الدينار في السنة(٢) سنين وبقيت بقية دينكم بحالها . فعجبنا من ذلك وقلنا

---

(١) يريد آلاف .

(٢) الصواب : في التسع سنين .

اوجدنا صحة ماقلت فقال هذه اربعمائة الدينار اذاتجرت فيها سنة وسلمت فربحي اربعمائة دينار يخرج منها اربعمائة دينار ودينار يبقى ثلاثمائة وتسعة وتسعون ديناراً فأتجر فيها في الحول الثاني فيحصل معي سبعمائة وثمانية وتسعون ديناراً يخرج منها اربعمائة دينار يبقى ثلاثمائة وسبعة وتسعون ديناراً فيحول الحول الثالث فيصير المال سبعمائة اربع وتسعون ديناراً يخرج منها اربعمائة دينار ودينار يبقى ثلاثمائة وخمسة وخمسون ديناراً (١) يحول الحول الرابع فيصير سبعمائة وستون ديناراً يخرج منها اربعمائة دينار ودينار ويبقى خمسمائة وثمانون ديناراً ويحول الحول الخامس سبعمائة دينار يخرج منها اربعمائة دينار ودينار يبقى ثلاث مائة خمسة وثمانون ديناراً ويحول الحول السادس فيخرج منها اربعمائة دينار ودينار يبقى ثلاث مائة تسعة وسبعون ديناراً ويحول الحول السابع فيصير سبعمائة واربعة وخمسين ديناراً يبقى ثلاثمائة وسبعة وخمسين ديناراً ثم يحول الحول الثامن فيصير مائتين وتسعين ديناراً يخرج منها ثلاثمائة دينار بقي منها مائتين تسعة وستين ديناراً والدين الدين ولا يمكن ان يدفع اليكم اذا كان الاصل [أم] اربعمائة ودفع اليكم (٢) اربعمائة . فاجابته الى الاقتصار على الاربعمائة . وفتح دكانه وعمل ورزق .

« يقول المصحح (٣) قد غلط الناسخ في ايراد حجة التاجر غلطات أفسدت .... معناه فيصلحه الجدول الآتي :

(١) سيأتي التصحيح بعد انقضاء الحساب . (٢) لعله : اليهم .
(٣) [المجمع] هو الأستاذ مرجليوث .

للسنة الاولى الأصل مع الربح	٨٠٠	
يخرج	٤٠١	
يبقى		٣٩٩
للسنة الثانية الأصل مع الربح	٧٩٨	
يخرج	٤٠١	
يبقى		٣٩٧
للسنة الثالثة	٧٩٤	
يخرج	٤٠١	
يبقى		٣٩٣
للسنة الرابعة	٧٨٦	
يخرج	٤٠١	
يبقى		٣٨٥
للسنة الخامسة	٧٧٠	
يخرج	٤٠١	
يبقى		٣٦٩
للسنة السادسة	٧٣٨	
يخرج	٤٠١	
يبقى		٣٣٧
للسنة السابعة	٦٧٤	
يخرج	٤٠١	
يبقى		٢٧٣
للسنة الثامنة	٥٤٦	
يخرج	٤٠١	
يبقى		١٤٥

للسنة التاسعة	٢٩٠	
يخرج	٤٠١	
يبقى		١١١

* * *

وحدثني قال حدثني ابي فقال كل كيس يكون فيه الف درهم فتخرج منه درهماً واحداً ولا يدخله درهم آخر فان الكيس كله يذهب ان كان بتجارة فنقصان(١) ربحها وان كان بنفقة فليس يحتاج الى دليل . وانما يحفظ الاموال فضولها وينستر(٢) التاجر بربحه .

* * *

حدثني عبيد الله بن احمد بن داسه قال حدثني ابو عبد الله بن (٣) محمد ابن ابراهيم بن عبيد الله الفقيه الحنفي الارمني قال كان ابوزهير الجبائي الفقيه ورعاً حاذقاً بمذهب ابي حنيفة فدخل بغداد فبلغه أخبار ابي الحسن الكرخي رضي الله عنه في ورعه قال فلقيه فقال له يا ابا الحسن بلغني انك تأخذ من السلطان رزقاً في الفقه قال نعم قال ومثلك في عملك ودينك يفعل هذا فقال له ابو الحسن أوليس قد اخذ الحسن البصري رضي الله عنه في زمنه وفلان فعدّد خلقاً من الصالحين والفقهاء ممن أخذ من بني أُمية فقال له ابوزهير : ذهابُ هذا عليك اطرفُ: بنو أُمية كانت مصائبهم في اديانهم وجبايتهم الاموال سليمة لم يظلموا في العشر ولا في الخراج وكان الفقهاء يأخذون من الأموال مع

(١) لعله : فبنقصان . (٢) لعله : يتيسر يعني يصير ميسوراً .
(٣) لعله : زائد .

سلامتها وهؤلاء (١) مع سلامة اديانهم اموالهم فاسدة وجباياتهم بالظلم والغش فسكت ابو الحسن فلما كان وقت قبض جائزته لم يطالب بهـا وتركها ولم يقبض شيئاً من الجاري الى ان مات . قال لي عبد (٢) الله بن داسه ان زهيراً هذا هو استاذ ابي محمد بن عبدل الذي علمه الفقه على مذاهب اصحابنا وكان ابو محمد بن عبدل استاذنا نحن في الفقه وقد درست عليه وشاهدته الطويل العريض وماسمعت هذه الحكاية منه .

* * *

وحدثني قال لي بعض شيوخنا ان الشيخ اذا أسن صارت فيه ثلاث خصال مذمومة اذا قام عجن (٣) واذا مشا زفن (٤) واذا سعل قرن (٥) .

* * *

وحدثني قال حدثني عبدالله بن معاذ قال حدثني شيخ من اهل المذار قال كان لي زرع في ضيعة وكان حسناً جيداً وافراً وكنت واسع الطمع فيه فبت ليلة فرأيت في منامي كأني بنفسين يطوفان الصحارى المزدرعة ويقول احدهما للآخر اكتب : زرع فلان كر وفلان كرين قال وانا احفظ الاسماء وبلغ الكيل الى ان جاء الى قراحي فقال اكتب وزرع فلان ثلاثة اكرار فقلت له اعزك الله زرعي والله في غاية الجودة وانا اؤمل فيه عشرة واكثر فقال لصاحبه اكتب ثلاثة اكرار قال فلما كان من الغد انتبهت متعجباً وقمت وما مضت ايام حتى لحقت الغلة آفة ونجا بعض الناس واصيب بعضهم وحصد

(١) يعني : العباسيين . (٢) لعله : عبيد . (٣) يعني نهض معتمداً على الارض كفعل العاجن . (٤) يعني رقص كأنه أعرج . (٥) لعله يريد استمر .

جيراني وحصدت قال فحصل لي والله ثلاثة اكرار لا تزيد قفيزاً ولا تنقص قفيزاً قال وعرفت خبر القوم الذين كنت حفظت اسماءهم ومبلغ كيلهم فاذا كيل الجميع قد خرج على ذلك المبلغ سواءً ٠

بلغني من جهة وثقت بها عن معز الدولة انه قال مانام بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس مقبل قط وهذا منه(١) انه رجل عجمي حسن جداً والاصل في ذلك قول امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بورك لأمتي في بكورها ٠

* * *

حدثنا ابو احمد بن ابي الحسك الشاهد قال كان ابو عمر القاضي يجتاز بباب دارنا دائمًا ذاهبًا الى ضيعته المعروفة بالصالحية وانا صبي وبعد ذلك الى ان صرت حدثًا قال فسمعت اذ ذاك انه اجتاز فلما صار على شاطئ نهر عيسى رأى رجلاً في الماء وهو يصيح الغريق ولم يكن بين يدي ابي عمر الا غلام واحد قال فصعد ابو عمر بحماره على تلعة وصاح بأعلى صوته ياناس ياناس دفعات فلم يجبه احد لخلو الموضع وانقطاع الطريق فنزل عن حماره وقطع عمامة كانت عليه ورمى بها الى الرجل واخذ طرفها بيده ومسك بيده الأخرى شجرة كانت هناك وقال للرجل لا خوف عليك فاجذب العمامة بكل قوة قال فما زال الرجل يجذبها ويقرب الى ان قرب من الشط حتى رقا في الشط وخرّ مغشياً عليه وجازت جماعة فرأوا القاضي على تلك الصورة فدعوا له وشكروه

(١) لعله سقط : بحيث ٠

وبادروا الى الرجل وعصروا جوفه من الماء ونجا وعاش .

* * *

حدثني عبد الله بن احمد بن بكر البصري قال كان المهريين بالبصرة له(١) نعم ومروآت وكانوا في جيراننا فحدثني شيوخنا ان فتى منهم وكان ظريفاً فركب في يوم شات شديد البرد . والماء قد جمد وليس عليه من الحشو شيء انما كان عليه قميصان وعمامة وطيلسان وخف فدخل الى قوم فعجبوا من صبره على البرد فنزع خفه فاذا هو قد طلا رجليه بالغالية وحشا منها شيئاً كثيراً بين أصابعه وفي سرته واستعمل منها شيئاً كثيراً في لحيته واخذ خرقة وطلا عليها ووضعها على رأسه وتعمم عليها فحمي حمياً لم يحتج معه الى اكثر من قميصين .

* * *

قال وحدثني شيوخنا ان محمد بن سليمان بن علي الهاشمي كان في ضيعته التي يقال لها المحدثة خارج البصرة جالساً في مجلس على بستان وفي بعض زوايا البستان اجانة صيني كبيرة مملوءة غالية فدخل اليه قوم من العامة في حاجة لهم وكان احدهم خسيس الحال فلما رأى الغالية سرق منها شيئاً كثيراً اغترفه ملء كفه فوضعه على رأسه وأطبق عمامته عليه وأطال القوم الجلوس وهو معهم فلما قاموا قام معهم فلم يبصر فقال خذوا بيدي فقد عميت فاغتم محمد بن سليمان لذلك وجاء بطبيب في الحال وقال ما دهاك فلم يصدقه فامر

(١) لعله : المهريون بالبصرة لهم .

الطبيب بكشف رأسه فرأى الغالية فصب عليها الماء البارد حتى لم يبق لها أثر ثم طلاه بالصندل والماورد والكافور وأقامه في الهواء ساعة فعاد بصره الى حال الصحة وانصرف ·

***

وحدثني قال حدثني ابو الحسن محمد بن اسحاق بن عباد التجار وهو شيخ من وجوه التمارين بالبصرة طال عمره وحدث وكتبت عنه ولم أسمع هذه الحكاية منه قال كان في جوارنا فلان فتصدق ليلة على ضرير اجتاز به وهو لايعرفه فأراد ان يفتح احد صرتين في كمه في احداهما ذهب وفي الاخرى دراهم فيعطيه درهماً فأعطاه ديناراً وانصرف الضرير وهو لا يشك ان معه درهماً فبكر به الى بقال يعامله فقال خذ هذا الدرهم واحسب مالك علي واعطني الباقي كذا وكذا فقال له البقال ياهذا من اين لك هذا قال أعطانيه البارحة فلان قال انه دينار فخذه فأخذه الضرير وجاء به من الغد الى الرجل وقال انك تصدقت عليّ بهذا وأظنك أردت ان تعطيني درهماً وغلطت وما أستحل أخذه مغالطة فخذه فقال له الرجل قد وهبته لك واذا كان في رأس كل شهر فتعال اليّ أعطيك شيئاً آخر مجازاةً لامانتك وكان يجيئه في رأس كل شهر فيعطيه خمسة دراهم · قال فلم أر أعجب من أمانة البقال والضرير والبقال (١) ولو كان في هذا الوقت لجرى ضد ذلك ·

***

(١) لعله : زائد ·

قال وقال لي ابن عباد وكان يقرأ بالسبعة فكنت أسمعه طول الليل يقرأ وكان فقيراً فاذا كان النهار خرج يتصدق(١) فاسمعه ينشد على الطريق الرقائق والزهديات لا أسمعه يتصدق بغيرهما فقلت له يوماً يا فلان انت تحفظ القرآن وأراك تتصدق بالرقائق فكيف لا تقرأ وتتصدق كما يفعل الاضراء فقال والله لأعرّض القرآن للمسألة ابداً .

* * *

حدثني ابو محمد قال حدثني السورجي شيخ كان يجاورنا مستور قال كانت لي امرأة صالحة فكنت اذا اشتريت لحماً لتطبخه لنا طبختْه وغرفتْه جميعه وجاءتني به وكنت أكولاً فكنت آكله جميعه وتجوع هي واولادها قلت لها ياهذه اذا طبخت شيئاً فاقسميه قسمين وجيئيني باحدهما ودعي الآخر لنفسك واولادك فقالت لا والله لا أفعل هذا بل أقدّمه اليك كله لتأكل أجوده فانك انت تُسأل عنه .

* * *

أنشدني ابو الحسن بن ابي الليث لنفسه :

عصيت الهوى وأطعت العزولا ... وكنت كما قال فيَّ الحسودُ
ومُلّكت رقك فهو المنى ... وبعتك للدين فيمن يزيد
لئن لم أكن أتمنى السقام ... لعلّي ألقاك فيمن يعود

(للبحث صلة)

(١) اي يطلب الصدقة ويستعمل في الاكثر في من يعطيها .

آراء وافكار

—(()—

كلمة مكان كلمة

« صَوْنة مكان شنطة (أو) — Sac-à-main »

سئلت عن كلمة عربية تقوم مقام (شنطة) وهي المحفظة الصغيرة من جلد تحملها المرأة بيدها وتضع فيها دراهمها وادوات زينتها وتسمى بالافرنسية (Sac-à-main) وفي اللغة العربية كلمات كثيرة تدل علي الأوعية التي توعى فيها الاشياء . ومنها الكبير كالغرارة والجوالق والعدل والعِكم . ومنها الصغير الذي توعى فيه الثياب والامتعة اللطيفة الحجم . وهذا النوع منه ما هو خاص بامتعة المرأة وادواتها ومنه ماليس كذلك كالكيس والجراب والحقيبة والعيبة والخريطة والصوان والتخت والجُونة والسَلّة والصندوق والقمطر والكرز والخرج الى غير ذلك مما لا حاجة بنا الى شرحه وبيان ما يوضع فيه فنحن في هذه العجالة نستعرض كلمات الأوعية التي يفهم من كتب اللغة انها من أوعية النساء ثم نختار منها ما هو الأليق بالاستعمال مكان كلمة (شنطة) .

(القُفّة) أصل معناها القرعة اليابسة ثم سموا ما يتخذ من خوص النخل على شكل تلك القرعة قُفّة وتستعمله المرأة في وضع قطنها . ويريدون بقطنها القطن الذي تغزله . فليست القفّة إذن مما نحن فيه ولا سيما انها شاعت في لغة تخاطبنا بمعنى المكتل والزنبيل .

(المشيعة) بكسر الميم هو ايضاً وعاء تجعل فيه المرأة قطنها ونحوه .

(السفط) قالوا هو الذي يعبّى فيه الطيب وما اشبهه من ادوات النساء ولكنه ايضاً ليس مما يحسن ان يوضع موضع الشنطة لأن (السفط) يستعمل كثيراً في وعاء الجواهر وغيرها فهو من أوعية الصاغة والجوهرية والتجار ولم يعد مما يختص استعماله بالنساء .

(النمط) وعاء كالسفط وزاد بعضهم قوله (تجعل المرأة فيه ذخيرتها كالعِكم) وليس هذا ايضاً مما نحن فيه لأن المراد بذخيرة المرأة مؤونة بيتها لا أدوات زينتها لأنهم جعلوه كالعِكم والعِكم العدل ·

(الحفش) بكسر الحاء وعاء تجعل فيه المرأة دهنها · والمراد بالدهن هنا ما كان نحو السمن والزيت او المراد به ما كان من قبيل الطيب فيكون من أوعية النساء ·

(الظبية) أنثى الغزال ثم يتخذون من جلدها المكسو بالشعر جراباً يخبأون فيه الامتعة وقد جاء في الحديث الشريف (ان النبي صلى الله عليه وسلم أهدي اليه ظبية فيها خرز فأعطى الآهل والعزب) والمراد بالآهل المتزوج · فيوشك ان تكون (الظبية) مما يستعمله النساء في وضع أشيائهن كالخرز · ومع هذا فلا يحسن ان تقوم مقام (شنطة) لأن عبارة اللغويين ليست صريحة في ان الظبية مما يستودع ادوات النساء · واذكر ان الحجاج قديماً اذا آبوا من الحج يكون معهم في جملة الهدايا أوعية صغيرة من جلد أحمر على شكل مخصوص يهدونها الى غلمان أهليهم يضعون فيها فلوسهم وكنا نسميها (ضبوة) بالضاد والواو ولعل (ضبوة) هذه محرفة عن كلمة (ظبية) المذكورة ·

(المئبنة) كيس تتخذ فيه المرأة مرآتها والظاهر انه خاص بالمرآة يصونها من الصدإ والوسخ · ونحن نريد وعاء يُستودع المرآة وغيرها من ادوات زينة المرأة ·

(الدُرْج) سفيط (تصغير سفط) صغير تدخر فيه المرأة طيبها ويظهر من هذا التفسير ايضاً ان الدرج خاص بالطيب ·

(الطِبْل) قالوا : طبل المرأة الذي فيه طيبها وحناؤها تتخذ فيه مواضع للقوارير بحواجز بينها · هذا ما قالوه في تفسير الطبل · وقولهم (بحواجز) يشعر أن هذا الوعاء كبير بحيث تكون فيه حواجز تحجز بيوته الصغيرة بعضها عن بعض · وكأنه على هيأة (الطبل) فسمي (طبلا) · وعبارة اللغويين صريحة في انه خاص الاستعمال بالنساء · ومع هذا لا أظن أن نساء اليوم يرتضين اختياره ليقوم مقام (الشنطة) أو المحفظة على أن في لفظه ابتذالاً وفي معناه اشتراكاً فانه أكثر ما يستعمل اليوم بمعنى طبل العرس او طبل الحرب ·

(القشوَة) قُفّة من خوص (أي جريد النخل) يجعل فيها مواضع للقوارير (اي صغار القناني) بحواجز بينها لعطر المرأة وقطنها وأدواتها · يقال (فلانة : اذا فتحت قشوتها

نفحت نشوتها) اي فاحت رائحتها الطيبة · وسميت (قشوة) من قشا العود اذا قشره وقشا العصا اذا أزال عنهـا لحاءها وفي حديث قيلة (ومعه عسيب نخلة مقشو) اي مقشور عنه خوصه · فقشوة المرأة تتخذ من عيدان أو جريد نخل مقشوة اي مقشورة منحوتة ·

وقال الأزهري : القشوة هي شبه العتيدة المغشاة بجلد وقال العلامة سليمان البستاني في تعليقاته على كتابه : (تعريب الالياذة) قشوة الطيب قفة من خوص تجعل المرأة فيها أدواتها وتحملها معها ، فقوله (وتحملها معها) زائد على ما قاله علماء اللغة · فلعله رأى هذه الزيادة في بعض ما لم نطلع عليه من كتب اللغة او الأدب · وقوله (تحملها معها) أي في السفر أو بحملها بيدها اذا خرجت من دارها الى زيارة صويحباتها كما يفعل نساء زماننـا · وهذا مما يجعلنا نفضل استعمال كلمة (قشوة) على غيرها من الكلمات لتقوم مقام (شنطة) أو Sac-à-main وزد على ذلك ان اللغويين قالوا أن القشوة شبه العتيدة المغشاة بجلد فتغشيتها بالجلد يجعل شبهاً بينها وبين محافظ النساء في هذا الزمان لان المحافظ من جلد عادة · ولكن لفظ (قشوة) ليس مما يستحب لديهن في ما أظن على ان (القشوة) في لغة الدماشقة يريدون بها علبة لطيفة تهيء فيها لوازم النفساء ولوازم طفلها كالبودرة والقطن والكحل الخ · لذلك نضرب عن (القشوة) صفحاً ونعدل الى أختها وهي كلمة (العتيدة) ·

(العتيدة) طبل العرائس أعتدت اي هيأت لوضع ما تحتاج اليه العروس من طيب وأداة وبخور ومشط وغيره وقد مر الكلام على كلمة (الطبل) وانه الوعاء الذي تجعل المرأة فيه أدواتها وفي حديث ام سليم (ففتحت عتيدتها) وقد فسر ابن الأثير في نهايته كلمة (العتيدة) بقوله هي كالصندوق الصغير الذي تترك فيه المرأة ما يعز عليها من متاعها اهـ ·

فالعتيدة نراها أقعد تلك الكلمات واجمعها لشروط الحسن واجدرها بالاستعمال · واذا لم تعجبهن (العتيدة) ولا اخواتها (القشوة) و(الطبل) و(الظبية) و(المثبنة) و (الدرج) فلدينا كلمة اخرى هي آخر سهم في الكنانة وهي كلمة :

(الصَّوْنة) يقولون وضعت العروس طيبها في (الصونة) · فلتصح عزيمتنا على اختيار هـذه الكلمة واستعمالها مكان (الشنطة) ولا سيما ان لفظ (الصونة) يذكّر بالصيانة حتى اذا حملتهـا احداهن في يدها وخرجت من دارها كانت نعم الصاحب لها تذكرها بالصون وتنبهها الى ما يحسن بها خارج بيتها من الأدب والحشمة عدا ما في (الصونة) من رشاقة

اللفظ وسهولته وكم من الفرق بينه وبين الشنطة · وبين (ساك آمين) الافرنسية التي نخشى ان تشيع بينهن وتغلب على السنتهن ·

المغربي

مطبوعات حديثة

تهذيب تاريخ بن عساكر

« للشيخ عبد القادر بدران الدومي المتوفى سنة ١٣٤٦ هـ وقف على طبعه السيد »
« احمد عبيد · الجزء السابع ص ٤٨٠ طبع في مطبعة الترقي بدمشق سنة ١٣٥١ »

صدر هذا الجزء من هذا التاريخ المفيد وفيه صور من التراجم المطولة والمختصرة · والمؤرخ يتوخى كما يتوخى ابن الخطيب البغدادي صاحب تاريخ بغداد ان يترجم للمحدثين أو لمن نقلوا الحديث من الصحابة فمن بعدهم الى عصره وان كان لا يغفل الأدب والشعر والاخبار اذا كانت مما يغلب على مترجميه وممن ترجم لهم تراجم مطولة يستفاد من لغتها وأفكارها وأخبارها · وفيه من التراجم ترجمة الأحنف بن قيس · طارق بن زياد · طرماح بن حكيم · طلحة الخير · ابو الأسود الدؤلي · عامر الشعبي · ابو عبيدة بن الجراح · ابو الهيذام المري · العباس عم الرسول (ص) · ابو مسلم الخولاني · عبد الله بن رواحة · عبد الله بن الزبير · الى عشرات غيرهم ممن أطال المؤلف في الترجمة لهم أو اختصر · وكلهم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من رجال الاسلام ممن استوطنوا دمشق أو دخلوها سائحين ·

ويتألف من أحاديثهم وأخبارهم وأشعارهم وخطبهم وحكمهم وسمرهم وسيرهم كتاب في الأدب نفيس ، يعلم الفصاحة ويحيي فصحًا وشوارد جميلة في المنظوم والمنثور · وفي هذا الجزء أمور كثيرة ليس لها وجود في المتداول من كتب التراجم والسير والحوادث والآداب لاجرم انه سيتألف من مختصر ابن عساكر مجموع في هذا المعنى يغني عن المطولات المنوعة ، مما لا يتسع حال الزمان لاقتناء الناس له ، ولا لمطالعته مطالعة تدبر وتبصر · وباحياء

مثل هذه الأسفار في الحقيقة إحياء لجوانب كثيرة كانت غير متجلية تجلياً حقيقياً من مدنيتنا وتاريخنا . فالشكر للاستاذ ابن عبيد المعنّى بمراجعة اصول هذا الكتاب الذي ابتلي كبعض مخطوطاتنا بجهل النساخ حتى حرفوه ومسخوا محاسنه . ومن قابل الابيات (ص٤٤٩—٤٥٧) الواردة في المتن بما صححها به مصححها الفاضل يتجلى له مقدار العناء الذي لاقاه في اثبات الصحيح من الألفاظ حتى تفهم المعاني ، واذا وقعت له مظانّ أخرى فتوقف فيها ، فعذره انه لم يقع على غير نسخة واحدة محرفة . ولعل الايام لا تضن على هذا السفر المحترم بايجاد نسخه المبعثرة في البلدان لتصحيح ماسقم منه بطول الايام وجهل الايدي التي تعاورته . م . ك

رسول الوحدة

« أو الوحدات الخمس »

يقوم إخواننا مسلمو الهند في هذه الايام بنهضة دينية ثابتة القدم . متسعة النطاق . وقد جعلوا للغة العربية نصيباً مفروضاً من نهضتهم هذه كما اشرنا الى ذلك في مكان آخر من مجلد هذه السنة . ومن مساعيهم الحسنة انهم سموا يوم مولد النبي صلى الله عليه وسلم — (يوم النبي) ولم يقتصروا فيه على قراءة قصة المولد المشهورة التي اصبحت على تمادي الأيام ضعيفة التأثير في نفوس المسلمين بل أخذوا على أنفسهم استكتاب الفضلاء محاضرات في حياة النبي (ص) وسيرته وحقائق شريعته ثم يترجمون تلك المحاضرات الى اللغات المختلفة وينشرونها في العالم . قالوا :

ولقد كان من نتيجة المساعي التي بذلت في السنوات الثلاث الماضية أن أقيم في مئات من المدن مراكز لإشاعة (الحياة النبوية) وقد ترجمت الحياة الى (١٧) لغة وأقيم في مختلف جهات العالم خمسون الف احتفال ووزع مايزيد على سبعمائة الف كتاب في (الحياة النبوية) بين المسلمين وغير المسلمين مجاناً . وقد أرسل الاعلان الأسامي لهذه الفكرة — الى ٢٨٥ صحيفة لنشره حيث يعم من (كاليفورنيا) الى سواحل الصين اهـ .

ومن هذه المحاضرات التي ألقيت في (يوم النبي) محاضرة بليغة بعنوان (رسول الوحدة) القاها زعيم الاصلاحيين في بلاد الهند مولانا الاستاذ (سليمان الندوي) ولعله القاها باللغة

الاوردية فترجمها مولانا (احسان سامي حقي) الى اللغة العربية وقد أرسلت الى مجمعنا نسخة من هذه المحاضرة فاذا هي تتضمن ستة أبحاث في الوحدات الخمس (١) وحدة الالوهة (٢) وحدة الرسالة (٣) وحدة الكتاب السماوي (٤) وحدة الانسانية (٥) وحدة الدنيا والدين. فكان المحاضر يشرح كيف أنه صلى الله عليه وسلم علّم بهذه (الوحدات) ثم يقارن بين تعاليمه فيها وبين تعاليم الاديان الأخرى ويبين أفضلية التعليم المحمدي وفائدته للبشر وإصلاح حالهم. وفي المحاضرة فوائد تشرح لنا عقائد أديان الهند وتعاليم أنبيائهم. ويظهر من كلام مولانا سليمان الندوي أنه يعتبر سقراط وزرادشت وبودا وكونفوشيوس وامثالهم من الانبياء الصادقين الذين لم تذكر اسماؤهم في القرآن. وذكر أن فرقةً من فرق الهندوس الوثنيين تعتقد بثلاثمائة وثلاثين مليون من الآلهة وهذا اكبر عدد في تعدد الآلهة كما ان عقيدة (ماني) القائلة بالإلهين أقل عدد. وقد جاء محمد صلى الله عليه وسلم فعلّم بالتوحيد المحض وقد أدرك المعددون خطأهم فأخذوا في إصلاحه: فقد قام في القرن الرابع عشر للميلاد المصلح (رامانندسنياسي) فدعا الى توحيد الإله وذهب الى ان مذاهب العالم كلها مستمدة من نبع واحد. وقام بعده في القرن الخامس عشر المصلح (كبير) فقضى على عبادة الأوثان وحاول ان يدمج الوثنيين بالمسلمين الموحدين. قال (وهكذا يظهر ان مذهب السيخ كان وُضع اساسه في ابتداء أمره بناءً على هذه النظرية) يعني نظرية التوحيد. أما المصلح (كبير) هذا فهو رجل حائك ألف فرقة موحدة وقد انقرضت فرقته. ولا يزال بعض كتبه التي ألفها متداولاً في أيدي الناس واكثرها شعر. وأما مذهب (السيخ) فصاحبه (باباناناك) البنجابي ومذهبه كان أقرب الى الاسلام منه الى الهندوسية غير ان اتباعه عادوا فابتعدوا عن الاسلام واقتربوا من الهندوسية ولهم كتاب مقدس وعددهم نحو ثلاثة ملايين ونصف ومسكنهم البنجاب. وكلمة (سيخ) تكتب في اللغة الهندية هكذا (سيكهه) وتلفظ بكسر السين والياء وإسكان الكاف والهاء المدغمتين. وذكر المحاضر الفاضل ان الاسلام علم بوحدة الانسانية بينا الوثنية تفرق هذه الوحدة فتجعل الانسان طبقات مختلفة طبقة خلقت من (فم الإله) وأخرى من (بديه) وثالثة من (رجليه) وهلم جرا. وذكر المحاضر في بحث وحدة الرسالة ان الاسلام علّم بوجوب الايمان بالرسل وأبطل ما كان عليه اليهود من تكذيبهم لعيسى وما كانت عليه قريش إذ (كانت تكره

حتى استماع اسمه) اي اسم عيسى ؟ ؟ الى غير ذلك من الفوائد التي تضمنتها تلك المحاضرة النفيسة فالشكر لصاحبها ·

المغربي

ثلاث رسائل

« في علم مصطلح الحديث »

علم مصطلح الحديث اوعلم اصول الحديث من العلوم الجليلة التي يتوقف عليها الإجتهاد او التشريع في الاسلام ومن ثم تعددت التآليف في هذا الفن وطبع منها الشيء الكثير وبقي الشيء الأكثر مدفونًا في مطامير الخفاء تنتظر ارباب الجد والحرص على نشر العلم فينشرونها من مدافنها ويثيرونها من مكامنها · من ارباب الجد هؤلاء الأستاذ الشيخ راغب الطباخ عضو المجمع العلمي العربي في حلب فأنه لا يألو جهداً في التنقيب عن نفائس الكتب وطبعها ونشرها · من ذلك ثلاث رسائل في علم المصطلح عثر عليها في بعض المجاميع المخطوطة المحفوظة في مكتبة التكية الاخلاصية وبعد ان عارضها بثلاث رسائل من جنسها محفوظة في دار الكتب الظاهرية بدمشق طبعها في كتاب واحد تبلغ صفحاته نحو ثمانين صفحة حسنة الطبع والضبط والتصحيح والتعليق ·

وأولى تلك الرسائل (تذكرة الطالب المعلم · بمن يقال انه مخضرم) وهؤلاء المخضرمون من رواة الحديث بلغ عددهم اثنين واربعين رجلاً والخضرمة في مصطلح الحديث ان يتردد الراوي بين طبقتين من طبقات الرواة بحيث لا يدري من ايتهما هو :

والرسالة الثانية (التبيين لأسماء المدلسين) والراوي المدلس هو الذي يروي الحديث ولا يسمي من حدثه به أو يوهم أنه سمعه من محدث ولا يكون ذلك المحدث حدثه به في الواقع ونفس الأمر · والتدليس انواع مبسوطة ومبينة في هذه الرسالة وسواها ·

والرسالة الثالثة (الاغتباط بمن رمي بالاختلاط) هذه الرسالة تكشف لنا عن اسماء رواة الحديث وعلمائه الذين اصيبوا في آخر عمرهم بالخرف أوالعته فتقع الشبهة في الأحاديث التي رووها : هل رووها في حالة سلامتهم اوفي حال عتههم · والرسائل الثلاث تأليف الحافظ

برهان الدين ابي اسحق ابراهيم بن محمد بن خليل السبط بن العجمي المحدث بالمدرسة الأشرفية بحلب المتوفى سنة ٨٤١ هـ .

المغربي

المسك الأزفر

« تأليف السيد محمود شكري الآلوسي البغدادي رحمه الله »

سوق العلم لا تزال كاسدة في بلادنا على الرغم من النهضة المباركة التي نراها اليوم في الشبيبة السورية لان الأكثرين انما يطلبون العلوم الفنية كالطب والصيدلة والحقوق من أجل تأمين مستقبلهم وكسب رزقهم من هذه الأبواب . ومن حصل لغةً قبل ذلك فلنيل الشهادة المدرسية التي تمكنه من دخول مدارس العلوم الفنية .

قليلٌ اليوم من يهتم بالعلم من اجل العلم . واقل منهم من يُعنى بتدوين تراجم العلماء المحدثين مع أن تراجم العلماء الاقدمين كتُبها اكثر من ان تُعدّ . ذلك لان جامع مثل هذه الكتب لا يبيع منها ما يستعيض به نفقة الطبع فضلاً عن الربح . وهذا من جملة براهين كساد العلم الذي لا يدرّ لصاحبه كسباً مادياً .

سدّ السيد نعمان الاعظمي ببغداد قطعةً ولو صغيرة من الثلمة الكبيرة ، بطبعه على نفقته كتاب « المسك الأزفر » للمرحوم السيد محمود شكري الآلوسي المتضمن تراجم علماء بغداد في القرنين الثاني عشر والثالث عشر . وقد أُهدي الى مكتبة المجمع العلمي الجزء الاول منه وهو مصدّرٌ بتراجم العلماء من البيت الآلوسي وهو بيتٌ اشتهر بالفضل والصلاح ، ومن هؤلاء بعضهم رقدوا في رحمة ربهم وبعضهم احياء يُرزقون ، ولا غرابة في هذا التصدير فالمؤلف من هذا البيت . تلا ذلك تراجم عدد ممن اشتهروا بالعلم في بغداد ، ويتخلل كلّ ترجمة شيءٌ من شعر المترجم .

عبد الله رعد
عضو المجمع العلمي

نصوص قبري توتموزيس الثالث وامنوفيس الثاني

« للمسيو بوشير — الجزء الاول عدد صفحاته ٢٢٢ مع ٤٢ لوحة رسوم » .
« طبع القاهرة سنة ١٩٣٢ »

Paul Bucher - Les textes des tombes de Thoutmosis III et d' Aménophis II. Tome premier, 222 pages et 42 planches. Le Caire 1932.

نشرت هذه الوثائق في الجزء الستين من مجلة المعهد الافرنسي للآثار الشرقية في القاهرة وفي الجزء الاول مجموعة الهروغليفية المدوّنة على جدران قبري الفرعون توتموزيس الثالث والفرعون امنوفيس الثاني اللذين اكتشفهما المسيو لوري (Loret) وقد شفع هذه النصوص برسوم واضحة يمكن منها التثبت من صحة حل رموزها ، وموضوع هذه الوثائق ديني يتعلق بطقوس الموتى .

جعفر الحسني

الكلمة الاخيرة

في الكلمات غير القاموسية

— او فتاوى علماء اللغة المعاصرين في أصنافها السبعة —

« تمهيد الطريق أمام المعجم العتيد »

— ٣ —

« الصنف الخامس »

المعرب أو الكلمات المولدة بالتعريب وهي التي يكون أصلها أعجمياً فيستعمله العرب بعد تغييره تغييراً قليلاً أو كثيراً ويندر ان يبقوه على حالته · ومنه الخفيف على اللسان نحو كلمة (فلم) شريط السينما · ومنه الثقيل نحو كلمة (اوتوموبيل) و (برصوناليته) ·

فهل هذه الكلمات المعربة مما يجوز قبوله واستعماله وتدوينه او لا ؟

فاجاب الاساتذة :

(١) — الرصافي « مجلد ٨ ص ٣٢ » (نأخذ منه ما تقرر باستعمال العامة اياه بعد صقله وتحويره إن كان فيه تنافر او ثقل او خشونة) ·

(٢) — الغلاييني « مجلد ٨ص٣٥٩ » (أرى استعمال المعرّب : كالمناورة ····· واللفظ الاعجمي إن امكننا ايجاد لفظ عربي له فذاك والا عربناه) ·

(٣) — نقولا فياض « مجلد ٨ ص٥٦٠ » (ان الألفاظ الشائعة الدخيلة لا بأس بها اذا لم نجد ماينوب منابها) ثم اشار باستعمال الكلمات الاعجمية الخفيفة نحو (بالون) وترجمة ما كان ثقيلاً نحو (برصوناليته) فنقول مكانها (ذاتية) ثم قال (وكما اطلب أن تدخل في اللغة ألفاظ ليست منها فاني اطلب ان تحذف الفاظ وضعت لعهد مضى الخ) ·

م : ٥

(٤) — الاسكندري « مجلد ٨ ص ١٠٤ » القول الفصل عنده في هذا الصنف أن الكلمات الألف التي عربتها الجاهلية واهل القرون الاسلامية الثلاثة تُعدّ عربية . وان ما سواها من الكلمات التي عربها غير هؤلاء الى زمننا الحاضر فهو عامي . واستعماله لحن . وقبوله خرق للقواعد .

(٥) — النشاشيبي « مجلد ٨ ص ٢٨٥ » (الالفاظ المعربة في الازمنة الكريمة يجب ان تودع المعجم العربي وتعد عربية محضة) وقوله (الازمنة الكريمة) يشعر بانه يشترط في قبول (المعرب) ما اشترطه الاستاذ الاسكندري اعني ان يكون مما عرب في العصر الجاهلي او العصور الاسلامية الاولى .

(٦) — محمد الخضر « مجلد ٨ ص ٤١٠ » (يجب على المجمع العلمي ان يضع الفاظاً عربية للمعاني الحديثة ... ولا نعده مضطراً الى اباحة استعمال الكلمات الاعجمية الا اذا لم يجد في نفس اللغة العربية ما يغني غناءها) .

(٧) — الزهاوي « مجلد ٨ ص ٦٨٦ » (تقبل كل دخيل (يعني به المعرب) بعد تخفيف الثقيل منه بصقله وارجاعه الى الاوزان العربية وتبديل بعض حروفه كما تقتضيه قواعد التعريب : فنقبل اليوم الاكجين والتلسكوب والسينما والبترول كما قبل اجدادنا قبل اليوم الاسطقس والهيولى والاسفنج والاسطرلاب) .

(٨) — احمد رضا « مجلد ٩ ص ٥٨ » (التعريب مفتوح الباب في اللغة .. والكلمة الاعجمية ان كانت خفيفة استعملت على حالتها كما استعمل العرب (الجام) الاعجمية وان كانت ثقيلة هذبت وأُرجعت الى اوزان العرب) .

(٩) — قسطاكي حمصي « مجلد ٩ ص١٧٦ » (هناك الفاظ كثيرة اعجمية لا يأباها قانون الوضع عندنا لخفة لفظها) ثم اشار على المجمع باعلان امثال هذه الالفاظ كي تستعمل وتشيع وتضم في سلك اللفظ العربي وتغتني بها اللغة العربية وهذا اذا لم يمكن وضع لفظ عربي يقوم مقامها كما وضعوا السيارة للاتوموبيل والمنطاد للبالون .

(١٠) — سليمان ضاهر « مجلد ٩ ص ٤٨٤ » (اقول بجواز استعمال ما خف لفظه على السمع مثل (قلم) و (بالون) ان اقتضت الضرورة وتعذر وضع ما يؤدي مؤداه من الفاظ اللغة العربية) .

(١١) — عيسى المعلوف «مجلد ٩ ص ٣٥٥» أشار اولا بلزوم وضع كلمات عربية في مقابل الكلمات الاعجمية بحيث تشترك معها ولو ببعض الوجوه ثم قال: (واذا لم نجد ما يناسب اللفظ الاعجمي وكان هذا الاعجمي خفيفاً وصيغته تناسب الصيغة العربية فلا بأس بابقائه على اصله) ٠

(١٢) — الكرملي «مجلد ٨ ص ١٠٢» خلاصة جوابه ان الكلمات الاعجمية اذا كانت ثقيلة وجب ان تفرغ في الاوزان العربية حتى تخف على اللسان اما اذا كانت خفيفة مثل (فلم) (بالون) (مناورة) وجب قبولها ولو كان في لساننا ما يقوم مقامها ثم ضرب لذلك مثلاً اجدادنا العرب فانهم كانوا يستعملون الكلمة الاعجمية مع وجود عربية تقوم مقامها ولا سيما اذا كانت العربية ثقيلة فالفيل كان العرب يسمونه (العيثوم) (الكلثوم) (الدغفل) (العقرطل) (ابو مزاحم) الخ لكنهم لما سمعوا الفرس يقولون «الفيل» تركوا كلماتهم واكتفوا بكلمة (الفيل) (ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل) ٠

(١٣) — احمد امين «مجلد ٨ ص ٣٥» اجاب بما حاصله: ان الكلمة الاعجمية اذا كان مسماها امراً معنوياً مثل (Idéal) وجبت ترجمتها الى العربية وان كان مسماها أمراً مادياً مثل كلمة (فونوغراف) وتعذرت ترجمتها الى العربية قبلت بعد صقلها وتهذيب خشونتها ٠ ويستفاد من كلامه انه يعتبر ما تفعله العامة في صقل الكلمات الاعجمية وتهذيبها وقد قال في هذا الصدد (هؤلاء عامتنا استثقلوا كلمة (سينماتوغراف) فسموها (سينما) وكذلك يفعلون في كثير من الكلمات) ٠

(١٤) — النكدي «مجلد ٨ ص ٥٩٧» (اللغة مجموع الفاظ يعبر بها عن المعاني فهل يعقل ان نقف عاجزين أمام بعض المستحدثات الجديدة والمعاني العصرية: لا نعرف لها اسماً ٠ ولا نوجد لها لفظاً ٠ ونمنع الناس ان يستعملوا اللفظ الاجنبي لها ؟!) كلا لا يعقل بل يجب ان نقبل المعرب ٠ ثم يفهم من فحوى بقية كلامه انه يشترط لقبول الكلمة المعربة ان لا يوجد في اللغة العربية ما ينوب منابها ٠

(١٥) — كامل الغزي «مجلد ٨ ص ٤٨٠» قال ما ملخصه: ان كان للفظ الاعجمي مرادف في لغتنا العربية استعملنا المرادف والا استعملنا اللفظ الاعجمي بصيغته الاعجمية

ان كان خفيفاً نحو (كيلو . سنتيم . فرنك)؛ وان كان ثقيلاً حولناه الى صيغة عربية فنقول (طن) في (طونولاته) و (تنبيل) في (اوتوموبيل) هذا اذا لم نترجم (طن) بقنطار و (اتوموبيل) بسيارة .

(١٦) — الجابري « مجلد ٨ ص ٣٦١ » اطال في الجواب عن الكلمات المعربة بما يدل على قبوله بل تعصبه لها ودفاعه عنها كلها حتى الثقيل منها الذي عربه المعاصرون ومما قاله في هذا الصدد (فاسماء المخترعات الحديثة مثل التلغراف والتلفون والاوتوموبيل ليس قلبها الى اسماء أخرى قائلين (برق . هاتف . سيارة) إلا من التعصب البارد بل يكون من قبيل اغتصاب ما ليس لنا . . . على ان دخول تلك الاسماء في لغتنا لا يمس كيانها ولا شرفها مهما كثرت بل تزداد لغتنا رونقاً بموافقتها للغات اصحاب تلك المخترعات الخ) .

(١٧) — ادور مرقص « مجلد ٨ ص ٧٤٠ » اطنب في اظهار حرصه على سلامة اللغة العربية وذهب الى ان قبول الكلمات الاعجمية يفسد اللغة تدريجاً فهو يرى وجوب الاستغناء عنها مطلقاً خفيفة او ثقيلة ما دام في لغتنا متسع فاذا لم نجد متسعاً واحتجنا الى لفظ اعجمي (فلا بأس ان ننقله والاحسن ان لا ننقله الا معرباً اي مهذباً حسب الاوزان العربية) فيفهم من هذا تجويزه للمعرب بشرط حاجتنا اليه وبشرط طبعه بالطابع العربي .

(١٨) — رشيد بقدونس « مجلد ٩ ص ١٠٣ » (ترد كل كلمة أعجمية لم يستعملها العرب . وليس لنا ان نقيس أنفسنا على اجدادنا الذين عربوا كلمات اعجمية : فالجاهلية لم يعربوا عن قصد . . . والاسلاميون ما لبثوا (بعد ما عربوا كلمات اعجمية) ان استبدلوا بها أخرى عربية محضة) ثم وصف الطريقة التي يجب ان نسلكها في تدوين الاصطلاحات العربية القديمة لنستغني بها عن الاصطلاحات الاعجمية الحديثة وان الواجب علينا اليوم ان نترجم الى لغتنا ما استجد من الاصطلاحات ثم قال : (واذا عجزنا عن ترجمتها فاني اذهب الى أبعد من ذلك فاخترع كلمة مهملة من احرف عربية ثلاثية او رباعية او خماسية او سداسية موافقة للأوزان العربية وأضعها لذلك المعنى وانشرها ولا استعمل كلمة اجنبية مهما كانت قيمتها اهـ) .

انتهت الاجوبة عن صنف الكلمات المعربة . وهذا الصنف هو بيت القصيد من الاقتراح . وقد كانت اكثرية الآراء في جانب قبول تلك الكلمات .

ومن مواضع العجب في اجوبة الاساتذة أن احدهم وهو (العلامة الجابري) أفرط في التفاؤل بالكلمات الاعجمية : فهو يستحسن بل يرى من الحق ان نستعمل كلمة (تلغراف لا برق) (وتلفون لا هاتف) (واوتوموبيل لا سيارة) بينما (الاستاذ بقدونس) يفرط كل الافراط بالتشاؤم بالكلمات الاعجمية حتى ما كان خفيفاً منها فكلمة (فلم) مثلاً يخترع كلمة جديدة ولو بان يقلب كلمة (فلم) فيقول (ملف) وهو لفظ مهمل في اللغة العربية لتدل على شريط السينما ولا يقول (فلم) . وبين الاستاذين ستة عشر استاذاً توسطوا فاجازوا المعرب بالشروط المعتبرة عند معظم علماء اللغة المتقدمين .

***

« الصنف السادس »

أساليب او تراكيب ذات معان اعجمية الاصل وقد تسربت الى لغتنا العربية مترجمة عن اللغات الاجنبية ولا عهد للعرب الاقدمين بها وهذا كقولهم (ذر الرماد في العيون) (عاش ستة عشر ربيعاً) (وضع المسألة على بساط البحث) (ساد الامن في البلاد) في نظير ذلك . فهل امثال هذه التراكيب يقبل في لغتنا ويستعمل ويدوّن او لا ؟

فاجاب الاساتذة :

(١) — احمد امين « مجلد ٨ ص ٣٥ » (أوافق كل الموافقة على ادخال هذا الصنف في لغتنا) .

(٢) — رشيد بقدونس « مجلد ٩ ص ١٠٣ » (هذا الصنف يقبل) .

(٣) — احمد رضا « مجلد ٩ ص ٥٠٨ » (لاغبار على تلك الاساليب ولا بأس في استعمالها)

(٤) — الرصافي « مجلد ٨ ص ٣٢ » (هب مفردات اللغة موقوفة على السماع ولكن من ذا الذي ادعى ان التراكيب بما فيها من تشبيه واستعارة ومجاز وكناية موقوفة هي ايضاً على السماع ؟)

(٥) — الزهاوي « مجلد ٨ ص ٦٨٦ » (لا احسب في هذا الصنف ما يدفع الى الاستغناء عنه والا اغلقنا باب المجاز والتشبيه وهما من محاسن اللغة) .

(٦) — الغلاييني « مجلد ٨ ص ٣٥٩ » (ما لا يضر بأساليب العربية من الاساليب

والتراكيب الاعجمية جاز استعماله) ٠

(٧ً) — سليمان ضاهر « مجلد ٩ ص ٤٨٤ » (لا مجال للتردد في جواز استعمال هذه التراكيب والأساليب الأعجمية اذا كانت جارية مجرى التراكيب والاساليب العربية) ٠

(٨ً) — نقولا فياض « مجلد ٨ ص ٥٦٠ » لم يجب على هذا الصنف بخصوصه لكن يعلم قبوله له من جوابه على الكلمات (الاصطلاحية والمولدة والمعربة) فانه أجازها كلها ٠ وهو بالطبع يجيز الاساليب الافرنجية ومثله في ذوقه الانشائي لا بد ان يشترط موافقة تلك الاساليب للأذواق السليمة ولقواعد اللغة القويمة كما اشترط غيره ٠

(٩ً) — الجابري « مجلد ٨ ص ٣٦١ » لم يتعرض الأستاذ لهذا الصنف ايضاً ولعله رآه واضحاً لا يحتاج الى جواب ولا سيما ان الأستاذ أجاز تعريب الكلمات الاعجمية وفتح لها الباب على مصراعيه فكيف لا يسمح للاساليب الافرنجية بالدخول ٠ وهي أحق منها بالترحيب والقبول ؟

(١٠ً) — النكدي « مجلد ٨ ص ٥٩٧ » (ليس في العرب من ينكر تعبيراً او تركيباً لا يخالف المناحي العربية والا لامتنع المجاز والكناية والاستعارة) فالأستاذ النكدي يشترط ما اشترط المجيبون الاولون من وجوب موافقة الاساليب الافرنجية للاساليب العربية ٠ وزاد تلك الموافقة ايضاحاً وبياناً المجيبون التالون :

(١١) — الكرملي « مجلد ٨ ص ١٠٢ » قال ما مخوله : ارحب بالاساليب التي تضمنت «خواطر افرنجية » كالأمثلة المذكورة بشرط ان يكون تركيبها عربياً لا خلل فيه ٠ والا بان تقدم فيه المضاف اليه على المضاف مثلاً كما في اللغتين الفارسية والانكيزية فهذا اكرهه ولا أوافق عليه ٠

(١٢) — النشاشيبي « مجلد ٨ ص ٢٨٥ » لم يجب الأستاذ النشاشيبي على هذا الصنف بخصوصه وانما قال (فرض علينا اليوم نبذ كل تركيب غير عربي يلتبس فيه معنى الكاتب ولكل لسان أسلوب ، والتسامح في هذا الشأن هو الهلاك) فهو قد اشترط في قبول الاسلوب الافرنجي ما اشترطه الاستاذ الكرملي من كونه مطابقاً في التركيب للقواعد العربية كي يسلم المعنى من اللبس ٠

(١٣) — الاسكندري « مجلد ٨ ص ١٠٤ » وجواب هذا الاستاذ ايضاً يتلخص الاشتراط فيه بما قلناه في جواب الأستاذين السابقين الكرملي والنشاشيبي ٠

(١٤) — قسطاكي حمصي « مجلد ٩ ص ١٧٦ » لا غبار على أساليب هذا الصنف ما لم تكن عامية مبتذلة ٠ وهذا الابتذال الذي اشار اليه الاستاذ المجيب أوضحه المجيبون التالون بالأمثلة والشواهد :

(١٥) — محمد الخضر « مجلد ٨ ص ٤١٠ » (لا نعلم وجهاً للنفور من استعمال هـذا الصنف ما دام التركيب موافقاً للنُظُم المألوفة في علم النحو ٠٠٠ الا ان يكون شيئاً تنبو عنه الاذواق السليمة) وماتنبو عنـه الاذواق السليمة هو العامي المبتذل الذي حذر منه الاستاذ حمصي ٠

(١٦) — كامل الغزي « مجلد ٨ ص ٤٨٠ » هذه التراكيب والاساليب وما ماثلها لا ارتاب في جواز استعمالها ٠٠٠ لان المركبات الاسنادية لا يتوقف استعمالها على النقل عن العرب كالمفردات ٠٠٠ على شرط ان تكون مما افاضته قريحة سليمة لاسقيمة يقول صاحبها (هذه عصارة عقلي) وربما قال (عصارة دماغي) اه ٠

(١٧) — عيسى المعلوف « مجلد ٩ ص ٣٥٥ » (اذا كان لهـذه الاساليب المترجمة مايقابلها في اللغة العربية الفصحى فالاولى استعمالها وان لم يكن في لغتنا مايقابلهـا وكانت قريبة من اذواقنا قبلناها ايضاً) ثم مثّل الاستاذ للاساليب الافرنجية التي لاتلائم اذواقنـا بقول (فكتور هيكو) : (اجراس كثيرة تقرع كلها كأنها أتون من الموسيقى) وبقول الآخر (جليد المرآة) يريد زجاجهـا وبقول (وشنطن ايرفن) في مطالع يقرأ الكتب ويثني اطراف اوراقها ليرجع اليها عند اللزوم قال : (إن كتبه كلها آذان كلاب) وبقول الانكليز في وصف الرجل الذي يعكف على مطالعة الكتب « هو دودة كتب » وبقولهم في وصف أزرار الازهار في براعمها « نامت في سريرها الشتائي » فالاستاذ المعلوف يرى عدم قبول هذه الاساليب المترجمة لانها بعيدة عن الاذواق العربية ٠

(١٨) — ادور مرقص « مجلد ٨ ص ٧٤٠ » (هذا الصنف مرجعه الى المجاز وباب المجاز لاحرج علينا في التوسع فيه بعـد المحافظة على وضوحه وملابسته لمعيشة الناطقين به وعاداتهم واذواقهم) ثم قال : ان من المجازات الافرنجية ما لا تنكره اذواقنا فالواجب

قبوله ومنها ما تنكره اذواقنا فالواجب رفضه . ثم مثل للواجب الرفض بقولهم :

(طلب فلان يد فلان) ونحن نقول (خطبها) وقولهم (قذف آخر خرطوشة لديه) ونحن نقول (رمى آخر سهم في كنانتــه) وقولهم (ضحك ضحكة صفراء) ونحن نقول (تكلف الضحك) اه .

فالاساتذة « الخضر والغزي والمعلوف ومرقص » جعلوا الاساس في قبول هـذا الصنف ان يكون ملائماً لاذواقنا العربيـة وكل منهم مثل لغير الملائم بأمثلة ان لم تلائم ذوقه هو ربما لاءمت ذوق غيره . على ان تحكيم الذوق الخاص وتمييز الملائم من غير الملائم — امر من الصعوبة بمكان : وذلك لاختلاف الاذواق والمشارب ولتباين استعداد الناس في « الحس اللغوي » وهذا هو في الحقيقة مبعث تشتتنا وتفرقنا ووهن عزائمنا دون الاصلاح الواجب للغتنا . وأرى ان اقتدي بالاساتذة فاذكر بعض ما لا يلائم ذوقي من الاساليب الاعجمية المترجمة :

« تعذيب الضمير . ومعذب الضمير . وضميري يعذبني » « بكى بكاء مراً » (هناك البكاء وصرير الاسنان) (واقول انا في دوري) (المسألة الفلانية قيد البحث) (اعتنق فلان الدين الفلاني) (مبارك هو الرب) (يحرق البخور امام فلان) (فلان ضحى فلاناً على مذبح اغراضه) (يشتغل في حقل الوطنية) (صب عليـه جام غضبه) . وفي آخر كتاب تلقيته من الامير شكيب يقول :

قولهم « العمل الذي عمله فلان ضد فلان» او « لم يزل يحرك ضده » او «كان دائماً يشتغل ضده » لم اجد هذا التركيب في الكتب القديمة افلا يكون ركيكاً ؟

انتهت الاجوبة على الصنف السادس وهي متفقة على قبوله بل ذهب بعض الاساتذه الى ان قبوله يكاد يكون مدركاً بالبداهة وما كان ينبغي ذكره بين الاصناف المبحوث عنها . غير ان بعضهم لاحظ مالاحظناه من وجوب الاحتياط والتحفظ في قبول الاساليب المترجمة فاشترط ان لا يكون في لغتنا الفصحى ما يقابلها وان لا تكون مخالفة في تركيبها لقواعدنا وان لا تكون نابية عن اذواقنا .

والحاصل ان هذا الصنف مقبول . مع شيء من التحفظ المعقول .

***

« الصنف السابع »

العامي : وهو الكلمات التي تدور على افواه العامة ولا يستعملها الفصحاء بل يتحاشون النطق بهـا : مثل (بَدّي اذهب) (جيب الكتاب) (تعربش على الشجرة) (تحركش بفلان) .

فهل يجوز استعمال كلمات هذا الصنف وتدوينها في المعجم او لا ؟

فأجاب الاساتذة :

(١) — قسطاكي حمصي — حلب « مجلد ٩ ص ١٧٦ » (هـذا الصنف مرذول مردود) .

(٢) — احمد رضا — جبل عامل « مجلد ٩ ص ٥٨ » هذا الصنف لا يصح استعماله وهو هتك لحرمة اللغة) .

(٣) — ادور مرقص « مجلد ٨ ص ٧٤٠ » (لا اظن اديباً عربياً يخالف في خطر استعمال الكلمات العامية) .

(٤) — النشاشيبي « مجلد ٨ ص ٢٨٥ » (الالفاظ المولدة في العصور السخيفة والالفاظ العامية نبذها فرض) .

(٥) — الغلاييني « مجلد ٨ ص ٣٥٩ » (لا ارى احداً يغار على لغته يقول بجواز استعمال هذا الصنف) .

(٦) — محمد الخضر « مجلد ٨ ص ٤١٠ » (الكلمات العامية من امراض اللغة التي يجب ان نحمي السنتنا واقلامنا من ان تحوم حولها) .

(٧) — الاسكندري « مجلد ٨ ص ١٠٤ » (الكلمات المولدة التي لا يستعملها احد من الفصحاء لا يجوز استعمالها) .

(٨) — النكدي « مجلد ٨ ص ٥٩٧ » أجاب بما يفيد شدة احتقاره للعامي وانه ما كان ينبغي ذكره في الاقتراح وانما ندعه لاولئك الذين يريدون إماتة لغتهم باحياء عاميها .

(٩) — احمد امين « مجلد ٨ ص ٣٥ » لم يطلق القول في رفض العامي اطلاقاً كما فعل

من اجاب قبله وانما هو قسم الكلمات العامية الى مايصح الانتفاع به في الاستعمال مثل كلمتي (جزمة) و(عربة) والى مالا يصح مثل « ماعليهش » وقال ان هذا القسم الاخير يرفض رفضاً باتاً وقد حذا حذوه في هذا التقسيم الاساتذة التالون :

(١٠) — الجابري « مجلد ٨ ص ٣٦١ » (واما الالفاظ العامية فالحرف والمصحف منها والمشتق على غير قاعدة الاشتقاق العربي — لا ينبغي أن يرتضى) .

(١١) — كامل الغزي « مجلد ٨ ص ٤٨٠ » قال ماحاصله (اللفظ العامي المجهول الاصل او الذي اصله اعجمي : ان كان له مرادف في اللغة أُهمل والا استعمل . واما اللفظ العامي المحرف عن اصل عربي فانه يهمل ويستبدل به اصله العربي) .

(١٢) — عيسى المعلوف « مجلد ٩ ص ٣٥٥ » العامي الفصيح من اصله ووضعه يبقى على حاله . وغيره يرد الى اصله او يوضع له مايناسبه) عبارته هذه تزداد وضوحاً وتفسيراً بعبارته الاخرى الواردة في مقدمة الجواب وهي (اعتنيت بجمع اللغة العامية ... ورددت ماامكن رده الى اصله ووضعت لما ليس له كلمة عامية فصيحة مايقابله من الفصحى اه) فرأيه اذن في الكلمة العامية ان تصحح ويقوم اعوجاجها . وان تعذر ذلك استبدل بها كلمة فصيحة .

(١٣) — سليمان ضاهر « مجلد ٩ ص ٤٨٤ » (هذا الصنف ممنوع البتة الا اذ كان له اصل فصيح يمكن ارجاعه اليه) .

(١٤) — نقولا فياض « مجلد ٨ ص ٥٦٠ » لم يصرح برأيه بخصوص هذا الصنف وانما قال (ان الالفاظ الشائعة الدخيلة لابأس بها اذا لم نجدماينوب منابها) وقوله هذا عممناه فجعلناه يشمل الصنفين السابقين (المولد) و (المعرب) وكذلك هو يشمل بظاهره الكلمات العامية فهي مقبولة عنده اذا لم يكن في اللغة ماينوب منابها واذ ذاك نكون في احاجة اليها .

(١٥) — الكرملي « مجلد ٨ ص ١٠٢ » ان الكلمات العامية تختلف في رأيه اختلاف الادوية وعلينا ان نصنفها ونميز بينها كما يفعل الصيدلي في ادويته قال: (فالسام من الالفاظ هو العامي القبيح الذي يكون له مقابل فصيح — والمضر هو العامي المبتذل — والنافع هو العامي المولد الذي لاغنى لنا عنه ولاسيما اذا كان لمعناه علاقة بالعلوم — والمغذي هو

العامي الفصيح الجامع لشروط الفصاحة والبلاغة اه) · فيفهم من هذا انه يقبل العامي بشرط ان لا يكون له مقابل فصيح وأن لا يكون مبتذلاً · أما العامي المبتذل أو الذي له مقابل فصيح فلا يجوز قبوله ولا تدوينه · واما العامي الفصيح فهو نعم المغذي والمنمي للغتنا ·

(١٦)— رشيد بقدونس « مجلد ٩ ص١٠٣ » (في هذا الصنف تفصيل اجاد فيه من اجاب قبلي) وقد عنى الاستاذ بهم من ميز بين الكلمات العامية : فقبل بعضاً ورفض بعضاً ·

هذا وقد بقي من المجيبين استاذان : (الزهاوي) و (الرصافي) وفي جوابها نغمة لم نسمعها من غيرهما ·

(١٧) — الزهاوي « مجلد ٨ ص ٦٨٦ » واما هـذا الصنف السابع فلا وجه لجعله صنفاً على حدة يستغنى عنه في يوم صوت الجهل فيه اقوى من صوت العلم) اه ·

ولم افهم ماأراده بعبارته الاخيرة: هل اراد احتقار العامي كما احتقره الاستاذ النكدي وانه اذا اراد الاعراب عن رأيه في احتقاره قام الجاهلون فرفعوا اصواتهم بالانتصار له — أو أنه على العكس يراه موضعاً للاهتمام والدرس وانه اذا اراد التصريح بقبوله قام الجاهلون فرفعوا عقيرتهم بالزراية عليه وانتقاصه وبناءً على الفرض الثاني يكون رأي الزهاوي في العامي كرأي الرصافي فاسمع ماقال :

(١٨)— الرصافي « مجلد ٨ ص ٣٢ » (الكلام على هذا الصنف لم يحن حينه بعد فلذا أمر به ساكتاً بلا جواب) ثم قفى على ذلك بقوله (ان مسألة اللغة العامية من اهم مسائلنا الحاضرة التي تستحق النظر والدرس والا فان الاعراض عنها ليس من الصواب ·

* * *

انتهت الاجوبة على الصنف السابع اعني الكلمات العامية وبانتهائها انتهاء الاجوبة على الاصناف السبعة التي يتألف منها الاقتراح · وخلاصة ماأجابوا به على الكلمات العامية ان واحداً منهم وهو (الاستاذ الرصافي) توقف عن الحكم عليها وأعرب عن حسن الظن بها · وآخر وهو (الاستاذ الزهاوي) جمجم القول في ذلك وهو في الراجح يريد ماأراده رصيفه وابن بلده · وثمانية منهم ميزوا بين هذه الكلمات العامية فقبلوا بعضاً ورفضوا بعضاً · والباقون وهم ثمانية أطلقوا القول في رذلها ومقتها وعدم قبول شفاعة فيها ·

* * *

والفتوى الصريحة والقول الفصل في الاصناف السبعة :

ان العامي[1] لايجوز استعماله في اللغة التي يتخاطب بها الخواص ولاتدوينه باعتبار انه لفظ عربي . أما سائر الاصناف فتقبل وتستعمل وتدوّن بشيء من التحفظ والاحتياط في الصنف الثالث (وهو الكلمات الاصطلاحية) والصنف الرابع (وهو الكلمات المولدة) والصنف الخامس (وهوالكلمات المعربة) . فيحسن في هذه الاصناف الثلاثة استعمال مايقوم مقامها من اللغة الفصحى إن أمكن وإلا استعملت من دون نكير .

« المغربي »

(١) مثال هذا العامي الذى دوّن باعتبار انه عاميّ وقد استعمل في لغة الخواص — كلمة (مُصان) اسم مفعول من أصان وصوابه مصون من صان . وصاحب التاج دوّن كلمة (مصان) لكن لا باعتبار انها فصيحة بل عامية وهذه هي عبارته وعبارة القاموس (صانه صوناً فهو مصون حفظه ولا يقال أصانه فهو مصان وهي لغة العامة . وكذا قولهم منصان فانها منكرة اه . هذا مثال تدوينها مع التنبيه عليها . أما ذكرها في لغة الخواص فكقول شيخنا في مطلع قصيدة زفافية وجّه فيها باسماء سور القرآن :

(تبارك فاطرُ القمر المُصان يرب الناس والسبع المثاني)

شعوب سورية
وآثارها القديمة (١)

عنيت الامم منذ القديم بالفنون الجميلة وخاصةً منهـا الصنائع وكان حظ كل أمة من هذا الشأن بحسب رقيها وحضارتها وكان الملوك والعظماء يجمعون آثار مشاهير فناني العالم ويتنافسون باقتنائها لا لغاية علمية بل للزينة والتفاخر ودام هذا حالهم حتى النصف الثاني من القرن الثامن عشر للميلاد لما ظهر كتاب تاريخ الفن عند الاقدمين لمؤلفه (Winckelmann) الألماني وهو اول من وضع أسس هذا العلم الحديث علم الآثار القـديمة ومنذ ذاك اليوم أصبحت المجموعات الأثرية مكتبةً يرجع اليهـا بعد ما كانت من جملة المتاع تزين بها القصور ٠

لم يقتصر التجدد في عصرنا هذا على العلوم والفنون فقط بل تعداه الى التاريخ ونهج المشتغلون به نهجاً جديداً ٠ فقد كان التاريخ فيما مضى كتاب أدب يجمع بين الاخبار والفكاهات ويدس فيه حوادث ما أنزل الله بها من سلطان رغبةً في تأييد مبدإٍ او خدمة حاكم حتى أصبح الكثيرون يشكون بصحة ماورد في أكثر هذه الكتب ولطالما قرأنا روايتين أو أكثر لحـادث واحد تختلف الواحدة عن الأخرى اختلافاً كبيراً حتى أصبح التاريخ القديم في ارتباك عظيم ٠

ان مؤرخي العرب هم اول من أدرك وبال هذا المنهج العقيم لما عانوه من المشاق في استنتاج الحقائق من المصادر التي دوّنها الأقدمون وحضوا الكتاب على أمانة النقل حرصاً

---

(١) المحاضرة التي القاها الامير جعفر الحسني في ردهة المجمع العلمي في ٩ شباط سنة ١٩٢٩ ٠

على الفائدة ولإدراك الغاية التي وضع التاريخ من أجلها ، فليس هو مضماراً تتبارى فيه قرائح الشعراء أو تخدم بواسطته الاهواء . ولذلك نرى مؤرخي العرب مثل الطبرسي وابي الفرج وابن الأثير وابن خلدون وابن عساكر وغيرهم قد نهجوا منهجاً جديداً في تدوين الحوادث والأخبار حتى أصبحت مصنفاتهم من مفاخر الحضارة العربية لماامتازوا به من الضبط والدقة والصدق في إيراد الأخبار ويا حبذا لو اتصلت سلسلة تلك التواريخ العربية حتى يومنا هذا . وقد توسع علماء الغرب بالضبط والدقة منذ ظهور الطباعة وانتشارها في العالم حتى انه لا يُقدم احدهم على سرد حادث دون ان يؤيده بادلة راهنة او الإشارة الى المصادر والمآخذ مع تعيين الصفحة والسطر واذا لم يتوصل الى معرفة أمر أقر بعجزه بكل صراحة دون ان يرى بذلك مايحط من قدره ولا يستنكره عليه احد . ولما لم يجد علماء التاريخ في التآليف القديمة مايفي بحاجتهم وضاقت بهم سبل الهداية لمعرفة الماضي عمد بعضهم الى بطن الارض يستنطقون دفائنها ويستضيئون بقبس كنوزها . وأُطلق على هذه الفئة اسم علماء الآثار لانهم يعتمدون على الآثار دون سواها .

ان علم الآثار القديمة فرع من فروع التاريخ ومن اصعبها مراساً اذ يحتاج صاحبه الى انتباه قوي وذوق سليم فان هذا العلم لا يقتصر فيه فقط على جمع الآثار القديمة في المتاحف ووصفها بل الصعوبة كل الصعوبة في حل رموزها وفهم كنهها واستجواب تلك الشهود الصامتة واستنتاج الحقائق منها وقد قال Volney ما ترجمته « ان مهمتنا أصعب من مهمة علماء الطبيعيات لأننا لا نشتغل مثلهم باجرام ملموسة أو بحوادث واضحة للحواس بل نعمل كهيئة تحقيق لديها حوادث أدبية غائبة وربما كانت مختلقة نقلها الينا بعض شهود عيان أو اتصلت بهم أخبارها من الرواة ويتكلم هؤلاء المحدثون لغات مختلفة قد تلاشت فيتطلب منا تعلمها وهي العثرة الاولى في بدء الامر وقد نخطئ بترجمتها . ثم يجب علينا البحث عن الحوادث أو الوقائع المبعثرة التي تؤيدها وتكون هذه غالباً محرفة بتناقلها من فم الى فم ويتطلب منا بعده مقابلة هذه الروايات والتثبت من أخلاق محدثيها وصدق تحقيقهم ويكون التناقض في بعض الحوادث واضحاً فينشأ عنه صعوبات لا نخرج منها اهـ » .

وقد أصبح النظر اليوم في أبحاث علماء الآثار وتحقيقاتهم من الواجب على كل مؤرخ ومحقق كما يستنير بها كل لغوي ومفسر . فكم معضلة تاريخية ولغوية حسمت بفضل هذا

العلم . وكم من حوادث جاءت في كتب السلف بل وفي الكتب المنزلة فذهب الناس في تأويلها وشك بعضهم في صحتها ولولا علم الآثار الذي أماط عنها اللثام وأظهرها للعيان ملموسة محسوسة لقالوا عنها أساطير الاولين . أليس أشور والكلدان ومصر وفارس ويونان شهود عدل على جهود الذين اكتشفوا آثار تلك البلاد وبعثوا ذكرهم بعد ان كانوا نسياً منسياً الوفاً من السنين ..

لم يدوّن الأقدمون غير النذر اليسير الذي وصلهم من أخبار الشعوب القديمة وأغفلوا ذكر اكثر الأمم البائدة التي ذهبت أخبارهم بزوال أصحابها ولو اكتفينا بهذه النصوص المشوهة لما كنا أوفر حظاً ممن تقدمنا بمعرفة أخبار السلف . وبفضل هذا العلم نعرف اليوم أكثر أخبار هذه الامم كما نعرف حوادث الامم في القرون الوسطى . وقد توصلوا الى معرفة ما كان عليه الانسان قبل عشرات الالوف من السنين يوم كانت الارض وطاءه وأديم السماء غطاءه يقتات بالنبات ويفترس الوحوش مع اننا نجهل اليوم ونحن في القرن العشرين كثيراً من عقائد بعض الشعوب المعاصرة وعاداتها ممن تقطن مجاهل إفريقية وسواها من القارات الخمس ، ومن الانصاف ان لا ننكر فضل من نقلوا الينا أخبار السلف لان هذا الشيء اليسير هو الذي أثار في فئة من الناس حب الاستطلاع فدفعهم في هذا السبيل. وكانت هذه النصوص على علاتها نوراً يستضاء به ومرجعاً يستأنس به . وعلماء الآثار أصدق الناس في هذه الروايات وان كان لا ينكرون وقوعها فهم لايجزمون بصحتها الامتى عثروا على دليل من ذلك العصر يؤيدها . ولأبحاث علماء الآثار ميزة جديرة بالاعتبار فهي في أكثر الأحايين تكون منزهة عن الأغراض والغايات والأهواء . وقد يخطئ الأثري في استنتاجه ولكنه لايتعمد تشويه الحقائق لان همه الوحيد ان يحيي الماضي البعيد ويجعل المعاصرين كأنهم يعيشون في ذلك العصر وذلك المحيط . ومن منا لا يشعر بمثل هذا الشعور عندما يزور متحفاً أو معبداً أو أطلالاً قديمة . وكيف يمكنه ان ينكر الحقيقة ولسان حال هاته الأمم البائدة تقول :

ان آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

لقى هذا العلم الحديث اقبالاً عظيماً في بلاد الغرب فعنيت حكوماتها به وأرصدت للمشتغلين به أموالاً طائلة ، وأنشأت له المدارس والمجامع العلمية أسوة ببقية العلوم وقد

أبدت هذه الفئة فئة الاثريين رغم قلة عددها نشاطاً عظيماً ووضعت في مدة قصيرة كثيراً من المؤلفات القيمة المفيدة وأحيت كثيراً من اللغات القديمة المندرسة وحلت رموزها . وقد نال الشام قسط وافر من هذه الأبحاث فهي اول بقعة اتجهت نحوها الانظار وخصوصاً فلسطين لمكانة الشعوب التي استوطنتها منذ الزمن الأطول وأهمها الشعب الاسرائيلي وعلاقة الامم الغربية بكتابهم المقدس . فقد أوفدت اكثر حكومات الغرب بعثات علمية للتنقيب عن آثار سورية واول بعثة رسمية وطئت بلاد الشام هي البعثة الافرنسية التي رافقت الحملة الافرنسية في سنة ١٨٦٠ .

يقسم التاريخ القديم في سورية كما في غيرها من البلدان الى عهدين واضحين الاول عهد ما قبل التاريخ والثاني العهد التاريخي .

فالعهد الاول هو عصر الظران اوالطور الحجري ويقسم الى قسمين احدهما حقبة الحجر المنحوت (Paléolithique) والآخر حقبة الحجر المصقول (Néolithique) وهو احدث من القسم الاول وتختلف مدة هذا العهد بحسب الامكنة . وليس هذا العهد تاريخ حياة البشرية بل هي مرحلة من تقدم الجماعات الفكري والمادي وقد اختلف العلماء بتحديد اقدم تاريخ لهذا العهد فمنهم من يقول من (١٠٠ الى ٢٠٠٠٠٠) سنة ومنهم من يقول من (٦ الى ٨٠٠٠) سنة . تعتمد الفئة الأولى على تكوين طبقات الارض والهواء وتعتمد الثانية على نظريات دينية تأييداً لما جاء في التوراة عن تاريخ الخليقة فلا يمكننا ان نهمل نظريات علم طبقات الارض وقد ثبت ان طبقة الارض كانت منذ مئات الوف من السنين صالحة لحياة البشر كما انه لا يمكننا الا التسليم بما جاء في الكتب المنزلة . (وهنا يبدأ دور علم الآثار عسى ان يوفق بين النظريتين والعلم لا ينافي الدين .)

لقد ثبت حتى الآن ان الانسان لم يكن منتشراً في اكثر انحاء الارض كما هو اليوم لأنها لم تكن جميعها صالحة لسكنى الانسان الاول فكان يكسو الجليد المرتفعات وتغمر المياه السهول ما خلا بعض السواحل والهضاب في القارات الخمس حيث أوى اليها الانسان . منها سيبريا والقفقاس وجزيرة العرب فكانت تمتاز هذه الاصقاع عن غيرها باعتدال هوائها وخصب ارضها ووفرة دواجنها وكانت سيبريا والقفقاس مأهولتين بجماعات الآريين وجزيرة العرب بجماعات الساميين ودام هذا الحال حتى طرأ على الارض بعض

الطوارئ الجوية فتقدم الجليد من شمال اوروبا حتى جنوبها فاشتد البرد وكثرت الامطار وارتفعت المياه فغمر الطوفان معظم السهول فهلك خلق كثير من البشر فتفرق من بقي من هذه الجماعات فراراً من الموت تلتمس ارضاً تقيها من الخطر فنزح قسم من سكان سيبريا والقفقاس نحو الجنوب فوصل جماعات منهم الى سورية وكانت سهول سورية يومئذ مغمورة بالماء الا قليلاً منها وبقيت سورية زمناً طويلاً مأهولة بجماعات الآريين ثم حدث في اثناء اقامتهم بعض الزلازل وتقلص في القشرة الارضية . فجاءت هذه النقمة نعمة على سورية اذ انشقت الجبال وانفتحت الوديان فتسربت منها المياه للبحار واتخذت الأنهر لها مجاري ثابتة فجفت الارض واصبحت سورية قابلة للسكنى .

وقد وصلتنا اخبار هؤلاء القوم من آثارهم التي خلفوها لنا في الكهوف التي سكنوها ومما اودعوه من مصنوعاتهم قبور موتاهم . وثبت أن اشكال ذلك الانسان الصياد لا تختلف عن انسان اليوم وهذا يبطل ما علق في بعض الاذهان من أن الانسان القديم يفوقنا بكبر جسده مع انه كان معتدل القامة يسكن الكهوف الطبيعية ويلبس الجلود ويقتات من النبات والصيد فبقي زمناً طويلاً يجهل المعادن . واحتياجاته محدودة جداً لا تتعدى قطع الظران والصوان التي تشبه رؤوس الحراب والسكاكين والمناشير والفؤوس كان يستعملها للدفاع عن نفسه وللصيد ثم تدرج في الرقي فتغلب على الحجر فصار يصقله ثم استخدم العظم فنقشه ثم اكتشف صنع الخزف وهو اول ابتكار صناعي عرفه الانسان . وتشبه قبور هؤلاء القوم وصناعاتهم صناعات معاصريهم او اسلافهم في غيرها من البلدان في القارات الخمس وهذا ما يؤيد هجرة الانسان وتنقل هؤلاء الجماعات عقب الطوارئ التي فاجئت الارض وغيرت اوضاعها الجغرافية . وقد حلت في جزيرة العرب طوارئ طبيعية عقب التي حلت في سورية بزمن طويل قاسى اهلها الشدائد من جدب الارض وقلة الامطار فنزحت جماعات الساميين نحو الشمال لأنه المنفذ الوحيد لهم اذ البحار تكتنفها من جهاتها الثلاث فسلكوا سواحل خليج فارس حتى نزلوا العراق . ثم توغلوا في شمال سورية ثم في جنوبها حتى وصلوا الى بلاد الحبشة . وقد تغلبت جماعات الساميين في برهة الفي سنة على جميع سكان تلك البلاد حتى اصبحت سامية اللغة كما عرفها التاريخ . ونشأ من مزيج هذين العنصرين عهد جديد يمتاز برقيه ومدنيته . وتفرق هذا المزيج

بطول الزمن الى شيع وشعوب عرفنا منهم منذ الالف الثالثة قبل الميلاد الآشوريين والبابليين في العراق والكنعانيين في فلسطين والاراميين في سورية الداخلية والفينيقيين في سواحل لبنان والعرب في جزيرة العرب فاصبح لكل منهم حضارةٌ ولغةٌ يتنازعون بينهم السيادة رغم انهم يمتون جميعاً الى أرومة واصل واحد ٠

وما هجرة بني اسرائيل من صحراء التيه الى فلسطين وغزوات العرب في صدر الاسلام للبلاد الدانية والقاصية سوى مثال قريب العهد لتلك الموجات البشرية التي غشيت البلاد ٠ ولم ينس هؤلاء الشعوب رغم تقادم العهد على استيطانهم هذه البلاد أنهم دخلاء ٠ فيؤكد المؤرخون الاقدمون أن الفينيقيين جاؤا من جزيرة العرب وروى (هيردوتس) Herodote المؤرخ اليوناني في القرن الخامس قبل الميلاد أنهم انحدروا اليها من سواحل البحر الاحمر ويقول استرابون (Strabon) إن أصلهم من خليج فارس كما كانوا يدعون ٠ وكذلك يتذكر الكنعانيون نزوحهم من مدينة اور من بلاد أشور في سني الالفين قبل الميلاد ٠ وان تكن هذه الشواهد حديثة العهد بالنسبة للحوادث التي سردناها غير انها تشير بوضوح الى اتصال أخبار السلف بالخلف والشعوب السامية اكثر الشعوب تمسكاً بانسابها وحفظ أخبارها ، وقد برهن العلم الحديث على فائدة هذه الروايات لاستنتاج الحقائق منها وهكذا وصل الينا غيرها من الأخبار ٠ أذكر منها روايتي الطوفان وسيل العرم ٠ فقد عثروا في خرائب نيبور من بلاد أشور على وثيقة تاريخها من نحو (٢٢٠٠) سنة قبل الميلاد اي قبل هجرة ابراهيم عليه السلام بمئتي سنة وفيها وصف لطوفان اتصل بهم خبره وخلاصته : انه كان « انكي » (Enki) آله الماء وزوجته نينلا (Ninella) يحكمان البشر والسعادة سائدة في العالم والانسان بمأمن من الموت والأمراض والآفات فنقم انكي (Enki) على عباده لمخالفتهم تعاليمه وعزم على إبادتهم بطوفان فدعى احد عباده الصالحين واسمه اوتو (Uttu) وأسرَّ اليه بالأمر وطلب منه ان ينجو بنفسه على سفينة وهكذا كان الأمر فهلك جميع البشر الا صاحبه أوتو (Uttu) فتناسل منه البشر ثانية ولكنه حرم البشر السعادة التي كانوا يتمتعون بها من قبل وقدر على الانسان ان يسعى ليعيش وعرضه للامراض واخطار الفناء ٠ وهكذا خرج الانسان بذنبه من النعيم الى الجحيم ، وما أشبه هذه الرواية بطوفان سيدنا نوح ٠ وقد اتصل بسكان جزيرة العرب حادث آخر وهو سيل العرم وليس

هذا السيل الا احدى الكوارث الآنفة الذكر لأنه لا يُعقل ان يكون في بلاد سبأ سدٌ يجمع هذا المقدار من الماء وخصوصاً مياه جزيرة العرب قليلة شحيحة . والأرجح ان العوامل التي دحرت الانسان القديم من الشمال الى الجنوب هي نفسها التي أرغمت جماعات جزيرة العرب على ان يهجروا بلادهم الى الشمال . وما سيل العرم الا طوفان حصل لما اشتدت حرارة الهواء في العصور القديمة فأذابت الثلوج المتراكمة منذ ألوف السنين في قمم جبال جزيرة العرب ومرتفعاتها فهكذا كان سيل العرم في بلاد سبأٍ فتفرق سكانها في كل البلاد أيدي سبا .

وقد دامت هذه الحوادث التي استعرضناها في اسطر عشرات الالوف من السنين كان يتدرج الانسان خلالها نحو الرقي وساعده على ذلك استقرار حالة الارض الطبيعية في الالف العاشرة فثابر على خطة الابتكار والعمل اتباعاً لسنة تنازع البقاء فتوفرت لديه المعدات وجعل لنفسه مسكناً ونسج ملابسه واستخدم الحيوان واستثمر الارض أصبح صانعاً وفناناً وفلاحاً بعد ان كان الوفاً من السنين متشرداً صياداً فانتقل في آخر العهد الحجري من البداوة الى الحضارة فصار قسم منهم يتعهد الارض وقسم يعتني بتربية المواشي وهكذا تكون صنفان من البشر بدو وحضر . رعاة ينتقلون بمواشيهم من بقعة الى بقعة ارتياداً للماء وانتجاعاً للكلأ وفلاحون يقيمون بمزارعهم يعملون في الارض ويستغلونها .

وقد ابقت لنا جماعات عصور قبل التاريخ كثيراً من آثارهم في سورية وجدت في الكهوف التي كانو يأوون اليها او في قبور موتاهم ويمكن منها تتبع رقي الانسان وتدرجه في الحضارة . وليست هذه الآثار تماثيل ونقوشاً او اواني نفيسة . بل هي شظايا من الظران والصوان المنحوت والمصقول او عظام حيوانات زينتها ايدي الصانع او خزف بسيط وقبور تلك الشعوب البائدة وهذه الآثار كانت صنعتها تحسن كلما اقترب الانسان من العهد التاريخي . ورغم قلة المشتغلين من العلماء بعصر قبل التاريخ في سورية فقد اهتدوا الى اماكن عديدة وجد فيها من آثار ذاك الانسان في عدلون . ونهر ابراهيم . وانطلياس . ونهر بيروت . وطرابلس . ونبع نهر الكلب والمعاملتين . وتينه . والبقيعة . وتعناك . ومجدو . والكرمل . واذرعات . وجرش . وعمان . والكرك . ووادي موسى .

والقدس . وفي الفلاة الممتدة من جيرود حتى دير الزور وفي كثير من الاماكن في سورية الشمالية .

وطال امد العهد الحجري في سورية اكثر منه في مصر والعراق ولهذين القطرين فضل كبير في تحضير جماعات سورية والعالم اجمع . فقد شيدا بين سنة (٤٠٠٠ و ٣٠٠٠) قبل الميلاد عمراناً عظيم الشأن بينما كانت سورية وبقية العالم تخبط في ظلمات الجهل والامية وقد ارتقت سورية الى مصافهما في الالف الثالثة قبل الميلاد لما تقوى عليها العراق وحمل اليها معارفه ومكتشفاته واهمها المعادن والكتابة . والعصر التاريخي ينتهي في كل امة من يوم وقوف اهلها على الكتابة لتسجيل اخبارهم وتدوين وقائع عصرهم . وقد دفعت سورية ثمناً باهظاً لحصولها على حضارة مجاوريها وهذا الثمن هو حرمانها استقلال جماعاتها . فمنذ ذلك التاريخ وسورية تنتقل من يد مسيطر الى آخر حتى يومنا هذا . وكان موقع سورية الجغرافي وخصب ارضها وكثرة غاباتها هو سبب بلائها فهي حلقة الاتصال بين الغرب والشرق ومنفذ لكليهما . فمنها كانت تستورد مصر والعراق مايعوزهما من الخشب لبناء دورهم وصنع عماراتهم البحرية .

وكانت سورية في أكثر ادوارها التاريخية ساحة حرب يتنازعها العراق ومصر ويطمع بها الحثيون واليونان والفرس والرومان كما جاءها العرب والترك من بعد . وقد ترك كل من هذه الشعوب اثراً من حضارتهم وعوائدهم . ولا يمكن معرفة تاريخ سورية الا بالرجوع الى وثائق تلك الشعوب ورقمها وقد امتزج تاريخ سورية بتاريخ هذه الشعوب ولايمكن عزله عنه لعلاقته بحوادث الامم التي كانت تدين لسلطانها . ولذلك نرى في سورية مدنية ظاهرها مزيج من مجموع حضارات مختلفة يتعذر لأول وهلة تمييز بعضها عن بعض وتتبع سير تطورها . ومع ان هذا الدور يدعى بالعهد التاريخي فهو بالحقيقة اعقد مما سبقه من الادوار على كثرة المصادر والوثائق . وقد اصبح في سورية من جراء هذه التجزئة والمنازعات السياسية دويلات مختلفة بلغاتها وعوائدها وعقائدها اهمهم الكنعانيون والاراميون والعموريون والفينيقيون وكثير غيرهم من طوائف حدود سورية الشرقية والجنوبية . وقد خضعت هذه الدويلات لسلطة الآشوريين والبابليين والمصريين والحثيين وفارس واليونان والرومان . وكانت دمشق أقوى ممالك الاراميين . ويتعذر على المؤرخ ان يسرد حوادث

كل من هذه الأدوار لو لم يسعفه الأثري ويرشده في هذا المسلك الوعر .

وحوالى سنة (٢٠٠٠ ق . م .) كان هؤلاء الساميون بلغوا درجة من الحضارة لا يستهان بها . معظمها مستمد من مصر وبابل . وقد شغف الفينيقيون بحب البحر ومهروا بعلم الملاحة حتى سيطروا على البحار والأسواق التجارية في جميع سواحل البحر المتوسط فحملوا سلعهم وتعاليم الحضارة الشرقية الى اقصى بلاد افريقيا الشمالية واسبانية وجنوبي فرنسا وجزر صقلية وقبرص وكريت وقداستوطن هذه البلاد جماعات من الفينيقيين وأسسوا فيها حكومات كان لها شأن عظيم في التاريخ .

ولم يبق لنا الزمن الا النذر اليسير من آثار شعوب سورية السامية في العصور القديمة لأن اسلافنا كانوا يبنون بيوتهم وهياكلهم من الطوب المجفف بالشمس كما هو الحال حتى اليوم في بعض المدن والقرى السورية ولا يخفى ان هذا النوع من البناء لا يعمر طويلاً فتنهار البيوت برمتها فيعمد أصحابها الى بناء غيرها على أنقاضها وجرى الناس على هذا الأسلوب من البناء قروناً متوالية تكونت منها تلال اصطناعية وهذه التلال تعد بالمئات في سورية : كتل أريحا في فلسطين وتل الصالحية في الغوطة وتل الدرخبية في وادي العجم وتل النبي مندو وتل المشرفة بجوار حمص وتل جرابلس على الفرات وقد حفظت لنا الأيام في بطن هذه التلال والقبور كثيراً من الآثار التاريخية المهمة ، وقد عثر المنقبون على كثير من تواريخ الأسر والرسائل والصكوك والحسابات والمذكرات وغيرها من الرقم ووجدوا ايضاً كثيراً من الأثاث والأواني الجميلة المزخرفة والرسوم المنقوشة . واما البنايات الأثرية القديمة مثل بعلبك وجرش وتدمر وغيرها فهي من العهد الروماني فقط ولكنها شيدت على أنقاض هياكل ومدن أقدم منها عهداً .

ولقد تبين من الحفريات التي أجريت في سورية ومن الآثار التي اكتشفت فيها — ان آثارها تختلف عما وجد في البلاد المجاورة لها ولا يرجى ان نعثر في هذه البلاد على آثار تثير بجسامتها إعجاب العامة قبل الخاصة كما هو شأن آثار مصر وأشور والفرس . والسذاجة في الصناعات تغلب على السوريين منذ القديم . هذا ناشئ عن طبائعهم ومعتقداتهم فالسوري في جميع أدواره التاريخية يميل الى الساذج وهذا يظهر في صناعاته وفلسفته الدينية وتتجلى في هذه البساطة مواهب السوري الفنية فقد جمع بين الساذج والجميل فأحسن الصنع

وأبدع . ونقل الآثار المنقولة النفيسة التي اكتشفت في سورية بالنسبة الى ماوجد في غيرها من البلدان المجاورة . وهذا القليل يشهد ببراعة الصانع السوري وذوقه السليم وهو ذو مكانة بين أقرانه من فناني بقية الشعوب . وليس معنى قلة العاديات عدم انتشارها في البلاد بل لانها لم تتصل الينا لاسباب وعوامل شتى . اولاً : لأن اكثر تربة سورية رطبة لاتحفظ مايودع فيها . وثانياً : لأن السوريين قلما يودعون مدافن موتاهم نفائسهم كما هو شأن المصريين وغيرهم من الأمم القديمة بل يكتفون بالاشياء البسيطة كقوارير الشبه أو الخزف وشيء من أدوات الزينة من الفضة أو النحاس أو الذهب أو قطع سلاح واذا أضفنا الى خلو القبور من الأعلاق ماقد كتبه اشمو نزار ملك صيدا على تابوته مخاطباً به نباشي القبور ناصحاً لهم بان لايهتكوا حرمته مؤكداً أن لاذهب في قبره ولا فضة — تدركون سر ندرتها بين أيدينا فاذا كان هذا حال ملوكهم فما بالكم بالرعية . وخلو القبور منها هو حجة لسورية لا عليها ودليل على سمو عقيدة سكانها ونضج فكرتهم منذ القديم . لأن السوري كبقية الشعوب السامية يغلب عليه الاعتقاد بان الجسم مادة تتلاشى مع الزمن ليست جديرة بالاكرام الذي يبالغ به غيرهم من الشعوب ومع هذا فقد انتشرت في سورية عادة وضع بعض الاشياء في القبور وذلك بمؤثرات خارجية واقتباس عادات الغالب لأن سورية كانت في أكثر أدوار تاريخها خاضعة لسلطان أجنبي كما ذكرنا آنفاً .

سورية مهد ثلاث ديانات يدين بها اليوم معظم البشر وهذه الديانات لم تكن ابنة ساعتها بل هنالك عوامل مهدت لها السبل مدة قرون عديدة قبل ظهورها ويهم العالم أن يعرف تطورها قبل نشوئها وهذا ما يزيد في مكانة آثار سورية ويحمل اقبال العلماء عليها اكثر من سواها لعلاقتها الكبيرة بنظامنا الاجتماعي الحاضر . وقد أدركت جمعية الامم هذا الامر واحتاطت له خوفاً من المزاحمة او استئثار دولة بهذه الآثار دون سواها . ولذلك اشترطت في المادة الرابعة عشرة من صك الانتداب ان يكون النظام الذي سيوضع لحماية العاديات مستمداً روحه مما يدعو الى التنشيط اكثر منه الى التثبيط كما انها اشترطت على الحكومة المنتدبة عند منحها إجازات بالحفران لاتتصرف بشكل يرمي الى حرمان علماء أي شعب كان من تلك الإجازات دون أسباب موجبة .

***

آثار سورية ٠— ان معظم البنايات الاثرية التي نعرفها اليوم ويؤمها الزائرون من جميع أنحاء العالم مثل بعلبك وتدمر وجرش وبصرى الشام ومادبا هي حديثة العهد بالنسبة لقدم حضارة سورية ويغلب عليها تأثير الفن اليوناني والروماني والبيزنطي وقد ثبتت هذه البنايات على طوارئ الايام لان بناءها من الحجر الصلب المنحوت بخلاف البنايات التي قبلها فقد درست لانها كانت من الطوب المجفف وهذه البنايات هي معابد وهياكل ومدن لها شهرة عالمية لانها بالحقيقة احدى معجزات الفن المعماري وهي في غنى عن كل وصف وقد برع السوريون بالبناء وكانت روما تستدعيهم لتشييد بناياتها العامة ٠

وفي سورية بقايا بنايات أثرية لها أهمية تاريخية عظيمة منها منبج من أقضية حلب وقد أطلق عليها اليونان اسم (Hierapolis) نسبة لأيراء (Aera) المعبود الأشوري وجاء اسمها (Mappigu) في الوثائق الاشورية وفي هذه البلدة أقدم معبد سوري وكانت هذه المدينة مقدسة يقصدها الحجاج من جميع انحاء سورية وقد كتب لوسيانوس المؤرخ الاشوري الاصل كتاباً في هذا المعبد وطقوسه الدينية وشعائره وحكاية بنائه وأسبابها ونسب بناءه الى (Stratonice) زوج ملك أشور ٠ كما انه عقد في كتابه فصلاً في قدم مدينة جبيل الواقعة على طريق بيروت — طرابلس ووصف عبادة اهلها لأدونيس آله الانتاج وقد أبدت الحفريات الأخيرة قدم هذه المدينة فقد عثروا فيها على معبد قديم وجدوا تحت بلاطته عدداً من الاواني والادوات زبر على بعضها اسم الفرعون (Mycerenus) من السلالة الرابعة وباني احد اهرام مصر الكبيرة بين سنة (٢٩٠٠ و٢٧٥٠) قبل الميلاد واسم الفرعون (Ounas) من السلالة الخامسة واسم (Pepi II) الثاني من السلالة السادسة ووجدوا ايضاً غيرها من الادوات المصرية أحدث عهداً من الاولى وهذا يؤيد علاقة مصر بالفينيقيين قديماً وكان المصريون يطلقون اسم (Keben) على مدينة جبيل حتى في عهد السلالة الثانية عشرة وذكرت بهذا الاسم في الرقم المصرية منذ سنة (٣٠٠٠) قبل الميلاد وكان المصريون يستوردون من جبيل الخشب اللبناني لصنع سفنهم وربما كانوا يصنعونها في نفس مدينة جبيل وقد أطلق المصريون اسم (Kebenit) على اسطولهم الفخم نسبةً الى (Keben) وهي جبيل كما ذكرنا ٠ وقد عثروا ايضاً على بعض مدافن ملوك جبيل وأمرائها منهم أحرام المتوفى في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وقد نقشت على جوانبه

صورة الملك يتناول القرابين من أتباعه وبعض الشعائر الدينيـة وهو قائم على اربعة اسود ومما يزيد في شأن هذا الأثر الكتابة الفينيقية التي زيرت عليه وهي أقدم كتابة أبجدية عرفت حتى اليوم وهذه ترجمتها « عمل هذا الإران (اي التابوت) إيفسبعل بن أحرام ملك جبيل لابيه كي يكون مقره الأبدي فاذا ناصب ملك من الملوك أو حاكم من الحكام العداء لجبيل وأخرج هذا التـابوت من تحت البلاط فيكون خاتور خصمه فيدك عرش ملكه ويعم الخراب جبيلاً فيما اذا محا هذه الكتابة ٠٠٠٠٠٠) وآثار جبيل هي أهم ماعثر عليه حتى اليوم في سورية من الوجهتين الفنية والعملية ويحق لمتحف بيروت أن يفاخر بها ٠

ومن اعجب ما ذكره لسيانوس المؤرخ عن عبـادة اهل جبيل لأدونيس أنهم كانوا يزعمون ان أدونيس هذا خرج للصيد في جبال لبنان فوثب عليه خنزير وافترسه عند نبع نهر ابراهيم حيث نرى الى الآن نقوشاً ورسوماً تشير الى هذا الحادث وقد اطلقوا على هذا النهر اسم أدونيس تخليداً لذكر معبودهم ٠ ولكن موت أدونيس لم يكن ابدياً بل كان يموت في فصل الخريف من كل سنة ويبعث في ربيعها وكانوا يقيمون في ربيع كل سنة مأتماً عليـه تلبس نساؤهم ثياب الحداد ويجلن في شوارع جبيل باكيات يضربن صدورهن ويشققن جيوبهن حزناً عليه ولكن في اليوم الثـاني ينقلب الترح فرحاً اذ يُبعث أدونيس ويرتفع الى السماء فتقام في المدينة معالم الزينة والسرور فيحلق النساء شعور رؤوسهن ومن لا تقدم على هذه التضحية تكفر عن سيئتها بإباحة جمالها لكل طالب طول هذا اليوم ويخصص ريع هذا العمل الشائن لأعمال البر والتقوى ولم يكن هذا العمل الفظيع يستنكر عندهم بل اللواتي يقدمن عليه ينلن حظوة كبيرة لدى مواطنيهم ٠ وكان الفينيقيون يعدون اعمال العهارة والفجور اعمال ثمين يتقربون بهـا الى اربابهم ٠ وقد عثر المنقبون على عدد من الكهوف التي كانت تجري بهـا مثل هذه المخازي في بلاد فينيقية ٠ ومن الاعمال التي كانت تقشعر لها الجلود عادة تقديم الضحايا البشرية فكان كل منهم يقدم ابنه البكر ضحية لاربابهم ليحصل على بركتهم او دفعاً لخطر داهم وهذه العادة الفظيعة قديمة جداً في سورية وقد دامت حتى العهد الروماني ٠ وبنو اسرائيل هم اول من استفظع هذا الامر وحرموه واستعاضوا عنه بالختان وهو فداء الكل بالجزء ٠

وفي دمشق اثر لا يقل مكانة عن غيره وهو الهيكل بالأمس او جامع بني أمية اليوم ٠

ونرى كثيراً من الكنائس والجوامع شيدت على انقاض هياكل ومعابد قديمة . وتبدأ أقدم معلوماتنا عن هذا الهيكل من القرن العاشر قبل الميلاد الى العهد الذي تلاشت فيه الوثنية من هذه البلاد وكان يعبد فيه الآله (Hadad) او (Ramman) ورفيقته (Atargatis) . وحداد هذا عند الاراميين بمنزلة (Jupiter) و (Zeus) عند اليونان والرومان وقد ورد ذكر هـذا المعبد مرتين في التوراة في حديثه عن شفاء نعمان وكانت شهرة هيكل دمشق عاصمة مملكة ارام عظيمة جداً حتى ان اخاز (Achaz) ملك بني اسرائيل لما جاء الى دمشق للسلام على (Tiglat Pileser) ملك اشور دهش من معبدها واخذ مقياس مذبحها لكي يبني مثله في بيت المقدس وهيكل دمشق هو في سورية الوحيد الذي احتفظ بهندسته القديمة رغم الطوارئ التي نزلت به والايدي التي تعاقبت عليه وتقسم جميع المعابد السامية السورية الى قسمين: الحرم وهو مختص بالكهنة ولا يقصد الا في ايام الزيارات والقسم الخارجي وهو مباح للعوام . ونرى هذين القسمين واضحين حتى اليوم في هيكل دمشق والحرم هو المسجد الآن والقسم الخارجي هو السور الذي يحيط به ونرى احد ابوابه عند مدخل باب البريد واقدم آثار الهيكل جدران المسجد الخارجية الغربية والشمالية وهي على طراز بناء الجدر المصرية القديمة وقد تحول هذا الهيكل الى كنيسة في عهد (Théodose) في سنة (٣٧٩ — ٣٩٥) للميلاد وبقي كذلك حتى الفتح الاسلامي .

وقد كشفت الحفريات آثار قيمة في تل النبي منـدو وهي قديش القديمة احد حصون الحثيين وثبت هذا الحصن طويلاً أمام هجمات المصريين حتى استولى عليه الفرعون سيتي الاول في القرن الثالث عشر قبل الميـلاد ودك حصونه وقد خلد انتصاره بنصب محفوظ في متحفنا نقش عليه رسم الفرعون يتناول القرابين من اربابه وارباب الحثيين المغلوبين . وقد عثر الكونت (De Mesnil) منذ سنوات على مدينة قطنا القديمة في تل المشرفة قرب حمص وهذه المدينة كانت زاهرة في القديم فعثر فيها على قبور ملوكها ووجد فيها آثار لها شأن تاريخي عظيم يرجع معظمها الى النصف الاول من الالف الثانيـة قبل الميلاد . وفي شمال سورية كثير من المدن التي سكنها الحثيون زمناً طويلاً وسيكون لآثار هـذا الشعب المجهول مكانة عظيمة متى حلت رموز رقمه وفهمت لغته .

لا يمكننا في ساعة واحدة الا التلميح الى آثار سورية اذ كل أثر منها يستغرق ساعات . وقد سبقنا الغربيون وكتبوا المجلدات عنها فاليهم يرجع الفضل بكشف هذا الماضي المجيد . وآثار سورية هي أحق بعناية أبنائها فتعود علينا بفوائد مادية وأدبية لا تقدر .

جعفر الحسني

حول كتاب

الفكر السامي

« وصدور جزءيه الثالث والرابع »



مصنف هذا الكتاب هو العلامة سيدي محمد الحجوي الثعالبي وزير معارف المغرب الأقصى ومدرس العلوم العالية في جامع القرويين بفاس وأحد أعضاء مجمعنا العلمي . وقد كنا قرظنا الجزءين الأول والثاني من هذا الكتاب في مجلد السنة التاسعة (ص٥٠٦) وقلنا ان المصنف بنى كتابه على اربعة أرباع أو أجزاء :

(١) طور طفولة الفقه الاسلامي من بعثة النبي (ص) الى حين وفاته .

(٢) طور شبابه من عهد الخلفاء الراشدين الى آخر القرن الثاني .

(٣) طور كهولته الى آخر القرن الرابع .

(٤) طور شيخوخته وهرمه الى يوم الناس هذا .

وطريقة المؤلف في تأليفه انه يترجم للعلماء والفقهاء من أية فرقة كانوا بعد ان يأتي على مقدمة يذكر فيها نموذجاً من تاريخ فرقتهم ومختلف مقالاتهم ثم يستخرج من ثنايا التراجم تدرّج الفقه وتطوّره وتولّد احكامه وتشعّب مسائله مشيراً الى العجيب من أخبار الفقهاء ورجال الفرق قارناً كل خبر . بما يلائمه من المواعظ والعبر . وما يجب من الانتباه والحذر . على هذا جرى في الربعين اوالجزءين الأولين . وعليه جرى في الجزءين الأخيرين (الثالث والرابع) . فالثالث في ١٥٦ صفحة وهو يتضمن وصف كهولة الفقه في القرنين الثالث والرابع والعوارض التي طرأت عليه فيها . والمصنف — مع كونه مالكي المذهب — لم يتقيد بمذهبه ولا بعلماء فقهه بل عمّم القول وأفاض في الكلام على جميع رجال المذاهب والفرق

الاسلامية كما قلنا . فكان كتابه اشبه بمجلة فقهية يصح الرجوع اليها في كل ما يتعلق بهذا الموضوع ومن ثم كان خليقاً باقبال الفضلاء عليه والاستضاءة بنوره . وقد انتقد المصنف في هذا الجزء بعض فقهاء المذاهب الذين يرون نصوص أئمتهم أجدر بالاعتبار والأخذ من نصوص الشارع ! ! ! ولعل الأئمة رضي الله عنهم كانوا يحذرون أمثال هذا الغلو فكرهوا ان يكتب عنهم شيء من أقوالهم لأنه اذا كتب ومرت عليه السنون تحجر وتقدس . ومما ذكره في هذا الجزء ان تدخل الخلفاء بين الدين والفلسفة أضرهما معاً . ولو بقيت العلوم الدينية تسير في طريقها من دون ان تصطدم بالفلسفة لأزهرت الفلسفة وأثمرت الثمرات التي اجتنتها أوربا . ومثل ذلك (القيـــاس) فان الفقهاء لولم يقاوموه ويشنعوا على أنصاره لأفادجداً في الترقيات العصرية . ومن مباحثه الممتعة : هل ان نصوص الشريعة وافية بما يلزم للبشر من الأحكام ؟ وهذا البحث والذي قبله وغيرهما من المباحث الكثيرة من أقوى العوامل في نشاط العقول وجعل الفقه الاسلامي مثمراً . لكن المصنف احياناً تغلب عليه طبيعة البيئة فيرى آراء لا تقوى على التمحيص مثل ما في ص ٣٥ من استدلاله برؤيا رآها على أن لله في كل مسألة حكماً شرعياً . وله في الصوفية والتصوف وكل ما له علاقة بهذا الموضوع كلام ونقول ممتعة جداً لعشاق هذا الفن . ومن فوائده انه كان في الاندلس في القرن الرابع للهجرة شورى وتراتيب دستورية حبذا لو دامت وعرف المسلمون كيف ينتفعون بها . وفي هذا الجزء كثير من الابحاث التي لها علاقة بترقيات العصر غير ماذكرنا وإن الاشارة اليها تخرجنا عن مسمى (التقريظ) الى مسمى (التلخيص) وقال المصنف في آخر هذا الجزء ان العلماء الى آخر القرن الرابع يسمون (المتقدمين) وعلماء القرون التالية هم الذين يطلق عليهم اسم (المتأخرين) .

وفي الجزء الرابع سرد تراجم هؤلاء المتأخرين الى عصرنا هذا على طريقته في الاستطراد والاستنتاج الممتع : فوصف الحالة السياسية التي أدت الى انحطاط علم الفقه في المشرق والمغرب . وحرق الاسبانيين لنفائس مخطوطات الاندلس . وان ملك الموحدين (ابا يوسف يعقوب) لما رأى غلبة كتب الفروع على فقهاء زمانه وحيلولتها دون الاجتهاد حرقها وأمر بتصنيف كتب أحاديث الأحكام قال : وكان الفقهاء يعتمدون في ترجيح الأحكام الشرعية على الرؤى ومثل ذلك اعتمادهم على حساب الجمل كما فعل (ابن كمال باشا)

مذ أفتى السلطان سليماً بمحاربة الغوري أخذاً من القرآن بطريقة ذلك الحساب . وبمناسبة كلامه على اصلاح الازهر في العهد الأخير وصف المؤلف جامع القرويين في فاس وهو احد المدرسين فيه . وانه كان سعى في اصلاحه بمساعدة المستشرق الكبير الموسيو (مرضيي) لكن تدخل ذوي الأغراض حال دون ذلك الإصلاح وعطل تنفيذ مواد نظامه . بيد أنه اذا لم ينجح سعيه للإصلاح في ذلك المعهد العالي فقد أنجح في المدارس الابتدائية والثانوية — ووصف لنا المؤلف فتنة الخلاف التي جرت بين العلماء والعامة في مسألة : (هل ان الكفار يعرفون الله ؟ ؟) وذلك في اوائل القرن الخامس للهجرة — ووصف لنا الوسائل التي ساعدت على انتشار الاسلام في صحراء افريقية وسودانها — وانه كان من عادة الأندلسيين إيذاء الفلاسفة وتضييق الخناق عليهم وذكر ان الإختصار في المصنفات الدينية استدعى إطالة الكلام في شرحها فضلت الافهام بين هذا الشرح وذاك الإختصار — وذكر ان الفقيه المحدث الورع سيدي رضوان الجنوي أبوه من (جنوه) وقد أسلم لبعض الاسباب (راجعها في ص١٠٣) ثم جاء المغرب فتزوج يهودية مسلمة ومن بين هذين الأبوين ولد سيدي رضوان الذي قال فيه الامام القصار (رضوان الرجل الصالح لو أدركه ابو نعيم لجعله في الحلية) وكانت وفاة سيدي رضوان سنة ٩٩١ هـ قال المؤلف : ومن فتاوى (محمد المرغني) المتوفى سنة (١٠٩٠ هـ) (أنه لا حرمة للجبانات التي تكون في داخل المدن بل يجوز نبشها وذلك لأن المدن حبس (أي وقف) على الأحياء) قال : ويعتقدون في المغرب ان قراءة تفسير البيضاوي تسبب موت السلطان ولذلك كانوا يحتالون على من يريد قراءته بشتى الوسائل — وذكر أنه يوجد من تاريخ ابن عساكر في خزانة المواسين بمراكش سبعة وعشرون جزءاً كباراً من تجزئة نيف وثلاثين جزءاً — وترجم المؤلف نفسه ترجمة استغرقت نحو خمس عشرة صفحة ضمنها فوائد شتى .

وختم الكتاب بكلام عام مهد السبيل فيه الى طرائق إصلاح الفقه الاسلامي فحقق موضوع الاجتهاد والتقليد والإختصار في وضع المصنفات الفقهية ووصف صعوبة فهم مسائل كتب الفقه المختصرة حتى أدى ذلك الى فشو الأمية في العامة وذكر من أصول فقه المالكي اصلاً لا عهد لنا به في المشرق سماه (العمل الفاسي) وخلاصته ان يحكم القاضي بما حكم به القضاة الذين كانوا قبله — وبحث في تتبع الرخص وتوحيد المذاهب ولزوم

وضع كتاب في الفقه على نمط المجلة العثمانية يتضمن من الأحكام الشرعية ما يلتحم بحاجة أبناء هذا العصر — ونصح بالخضوع لناموس تطور الزمان وتأثيره في تطوير الأحكام وذكر أمثلة توضح ما اراد من هذا التطور والتطوير · ومن هذه الأمثلة التصوير الشمسي والفرق بينه وبين نحت التماثيل وذكر محاورة في هذا الموضوع جرت له مذ كان في تونس مع رئيس وزرائها (ولعله يعني به خليل بوحاجب) — وتساءل هل الاسباب متيسرة لمن أراد الاجتهاد في زماننا ؟ وهنا بحث في ماطبع من الكتب المساعدة على الاجتهاد — الى غير ذلك من الابحاث الجليلة المرتبطة جد الارتباط بمصالح المسلمين في هذا العصر مما ينبغي دراسته والتأمل فيه وخاصة لمن يهمه نجاح الاصلاح الديني الاسلامي العملي لا النظري ·

ومن طريف صنع المؤلف في خاتمة كتابه هذا أنه أتى على ذكر الانتقادات التي وجهها اليه علماء بلاده ثم عقب على كل نقد برده « تمثيلاً للحالة الفقهية والمناولات القلمية في افريقية الشمالية بالوقت الحاضر » وقد تخلل هذه المباحث الانتقادية مسألة خلاف علي ومعاوية رضي الله عنهما · وتفضيل المذهب الحنفي على غيره والسبب في ذلك مرونته وصلاحيته للتطور الكوني — وذكر لنا مسألة (لافتوى بمنع شيء اذا كانت هناك حاجة داعية الى إباحته) ومن هذا القبيل (عملية السيكورتاه في الأموال) وحاجة المسلمين اليها وان الجمود وعدم تجويز مثل هذا أضر بالمسلمين وجرأ الكاليين على ما فعلوا ·

ويلي ذلك تقاريظ الكتاب وهي كثيرة ثم فهرست مفصل ثم الخطأ والصواب وما أكثر الخطأ في مطبوعات إخواننا المغاربة لكن اذا كان الخطأ في مطبوعاتهم كثيراً فان الصواب في آرائهم ومضامين مصنفاتهم أكثر لعمري ·

المغربي



رحلة اوليا جلبي

— ٥ —

ثم وصلنا الى حماة (١) — وبعد ان ذكر الجلبي نبذة من تاريخها شرع يصف حالتها في زمن مروره قال :

(١) حماة من امهات مدن الداخل في الشام تعلو عن سطح البحر ٣٠٨ امتار ، وهي في وهدة سحيقة من وادي العاصي ولذا كانت حارة ورطبة ، تمر منها سكة حديد رياق — حلب « طولها ١٨٩ كيلو متراً » وطريق السيارات المعبدة الممتدة بين دمشق وحلب « طولها ٢١٤ كيلو متراً » وتبعد حماة عن حمص ٤٥ وعن حلب في سكة الحديد ١٤٣ كيلو متراً ·

وقد وردت حماة في التوراة مراراً باسم حمث الكبرى تمييزاً لها عن حمث الصغرى في قيليقية وذلك تنويهاً بذكرى حماتي من ابناء كنعان الذي ينسب بناؤها اليه · وكانت على ماقيل الحد الشمالي للارض الموعود باعطائها لبني اسرائيل · وخلاصة تاريخ حماة ان الحثيين سكنوها قديماً فيما سكنوا من مدن الشام الشمالية بدليل العثور على بعض كتاباتهم فيها وقد قاست كما قاسته تلك المدن من توالي غارات فراعنة مصر وملوك آشور ودفاع الحثيين واستبسالهم في معارك طاحنة دامت قبل الميلاد عدة قرون الى ان انقرضوا وخلفهم الآراميون ثم الاسرائيليون ثم اليونانيون السلوقيون وقد سماها احد ملوكهم انتيوخس ايبفانوس الرابع ايبفانيا وظلت معروفة بهذا الاسم في دولة السلوقيين ولما زالت رجع الناس الى استعمال اسمها القديم ثم جاء الرومانيون ·

لا جرم ان بلاد الشام الشمالية في عهد اليونان والرومان تقدمت في العمران وكان نصيب حماة ان فتحت القنوات في براريها الشرقية ونصبت النواعير على العاصي فازدهرت الزراعة وانتشرت القرى العامرة في شرقي سلمية وحول الأندرين · على ان حماة

كانت في ذلك العهد تابعةً لحمص لسبق هذه تلك في المكانة والحضارة · ولما كان الفتح الاسلامي جاءها ابو عبيدة في سنة ١٧ فصالح اهلهـا على الجزية لرؤوسهم والخراج على ارضهم وجعل كنيستهم العظمى جامعًا وهو الآن الجامع الكبير وسيأتي وصفه · وجعل الخلفاء الراشدون حماة من اعمال جند حمص للسبب الذي تقدم ذكره · ومن الاحداث التي حصلت فيها في اواخر القرن الاول في خلافة عبد الملك بن مروان ارسال قيصر الروم يوستنيانوس قائدين اسمها موريق وموريقان جاءا وخربا دير القديس مارون الذي كان على العاصي بين شيزر وحماة وقتلا رهبانه البالغين خمسمائة وشتتا شمل اتباع هذا القديس ·

ولما انتقلت الخلافة من يد الأمويين الى العباسيين في سنة ١٣٢ من القرن الثاني اورث انتقال العاصمة من دمشق الى بغداد فتوراً في الشام لأنهـا اصبحت بعيدةً عن نظر الخلفاء الذين قل اكتراثهم بها يحكمها العمال حسب اهوائهم فكان ذلك مدرجةً لانحطاط شأنها وفي القرن الثاني وفي النصف الاول من الثالث اشتركت حماة مع حمص في الفتن والحروب الاهلية التي كانت تحدث تارةً من تأجج نار العصبيات بين القيسيين واليمانيين وتارةً من الوثوب بالعمال ومجيء جيوش الخلفاء لتأديب المتوثبين · وفي النصف الثاني من القرن الثالث ظهرت بوادر الضعف في العباسيين وصار المتغلبة من اولئك العمال ينزعون الى الاستبداد في الامر وكان اولهم عامل مصر احمد بن طولون فقد نزع ربقة الخلافة واستولى على الشام فأخذ حماة فيما اخذه وعقبه ابنه خمارويه وحفيده جيش · وفي سنة ٢٩٠ جاء القرامطة بقيادة صاحب الشامة وخربوا حماة والمعرة وسلمية وقتلوا اهلها حتى النساء والاطفال فجاءهم في السنة التالية جيش الخليفة المكتفي من بغداد وجرت الوقعة الفاصلة في قرية تمنع (التابعة قرب خان شيخون وشرقي طريق السيارات بين حماة وحلب) وكانت الدائرة على القرامطة · وفي اواخر القرن الثالث زالت دولة بني طولون على يد الخليفتين المعتضد والمكتفي اللذين لم يتوانيا عن القضاء على كل خارجي فظهرت بعدها دولة الاخشيد محمد بن طغج في مصر والشام ورأت البلاد مارأته من اقتتاله مع عامل الخليفة ابن رائق ومع سيف الدولة بن حمدان وبعد زوال الاخشيديين في منتصف القرن الرابع دخلت حماة في حوزة سيف الدولة بن حمدان واعقابه من بعده وتبعت حلب · وجاء الفاطميون اذ ذاك ينازعون العباسيين

الخلافة ورأت البلاد البلاء العميم من دوام الحروب بين الحمدانيين ثم المرداسيين وغيرهم من عمال العباسيين وبين جيوش الفاطميين . وكان الروم ينتهزون فرصة تطاحن المسلمين بعضهم مع بعض فيغيرون من حين الى آخر على شمالي الشام ويصلون الى حماة وحمص وما حولها فيعيثون وينهبون ويسبون ويعودون .

ولما زالت امارة الحمدانيين في اوئل القرن الخامس وتقسمت القبائل العربية بلاد الشام تبعت حماة صالح بن مرداس الكلابي صاحب حلب فبقيت في يده ويد اعقابه الى ان زالوا وفي العقد الثالث من ذلك القرن تبعت حمص في عهد بعض عمالها ممن كانوا يخطبون للفاطميين وفي آخر القرن الخامس جاء السلجوقيون فاقطعها السلطان ملكشاه لعامله في حلب قسيم الدولة آق سنقر وهو ابو عماد الدين زنكي فتبعت حلب . وفي غرة القرن السادس ألحقت بحمص في عهد عاملها قيرجة خان بن قراجة السلجوقي ثم ضمت الى دمشق في عهد الاتابك طغتكين واعقابه من بعده ثم عادت الى حلب في عهد عماد الدين زنكي الذي استخلصها من الاتابكيين واورثها ابنه نور الدين محموداً ومن هذا الى ابنه الملك الصالح اسماعيل . وخربت حماة في هذا القرن بالزلزلة الهائلة التي حدثت في سنة ٥٥٢ فرممها نور الدين وبنى اسوارها وقلعتها وبنى فيها الجامع والمستشفى المعروفين باسمه . وفي العقد الأخير من القرن السادس استخلص صلاح الدين الايوبي حماة فولى عليها خاله شهاب الدين الحارمي وبعد موته اقطعها لابن اخيه تقي الدين عمر فتملكها هذا واعقابه المعروفون بالبيت التقوي خلال ١٦٨ سنة وانتهى ملكهم بخلع الملك الافضل بن الملك المؤيد ابي الفداء . ولم يكن لابناء البيت التقوي من الملكية الا الاسم والابهة وكانوا فعلاً تحت إمرة ابناء عمهم صلاح الدين والسلاطين المماليك الذين خلفوهم . على ان حماة نالت في عهدهم حظاً موفوراً من العمران وبعد زوال دولتهم ومجيء هولاكو في القرن السابع وتيمورلنك في اوائل القرن التاسع وتخريبهما قلعتها واسوارها ونيلهما منها — انحط شأن حماة وتضاءل عمرانها وظلت في عهد المماليك يديرها عمالهم فتسعد وتشقى تبعاً لصلاح هؤلاء او فسادهم . وفي القرن العاشر دخلت في ملك العثمانيين وصار يتولاها المتسلمون والباشات الذين يوظفهم ولاة طرابلس او دمشق حسبما تكون حماة مرتبطة بهذه اوبتلك فنالها في العهد العثماني مانال القطر الشامي كله من الاهمال

وسوء التدبير الى ان حسنت الحالة في الجملة في اواخر القرن الماضي فجعلت حماة متصرفية ألحقت بها اذ ذاك أقضية حمص وجبل الكلبية ثم تبعتها سلمية في مطلع القرن الحالي .

ومما يستحق الذكر ان الصليبيين حاولوا الاستيلاء على حماة مرتين ففشلوا بعد ان كاد الأمر يتم لهم . الأولى في سنة ٥١١ في عهد واليها شهاب الدين محمود فانهم انتهزوا فرصة خسوف القمر فوصلوا الى ارباض حماة وحاصروها والثانية في سنة ٥٧٢ انتهزوا فرصة غياب صلاح الدين في مصر ومرض عاملها خاله شهاب الدين الحارمي فحاصروها ، لكنهم في المرتين اجبروا على الرجوع . على انهم عند ضعف المسلمين وتنازع ملوكهم كانوا — ونخص بالذكر الداوية اي الفرسان الهيكليين المرابطين في حصن الاكراد — لا يتوانون عن الاغارة على حماة فينالون من ضواحيها ويغرمون احياناً ملوكها وعمالها بمبالغ طائلة ويرجعون .

هذا وقد حاولت ان اجد وصف حماة في القرون الماضية لانظر كيف كان عمرانها في ادوار متعاقبة فلم اعثر على اقدم من وصف القرن الثالث أنقله عن ياقوت . قال : وذكر احمد بن الطيب فيما ذكره من البقاع التي شاهدها في مسيره مع المعتضد من بغداد الى الطواحين (؟) فقال بعد ذكره حمص « وحماة قرية عليها سور حجارة وفيها بناء بالحجارة واسع والعاصي يجري امامها ويسقي بساتينها ويدير نواعيرها » وكان قوله هذا في سنة ٢٧١ فسماها قرية اه . قال احمد الصابوني الحموي في كتابه تاريخ حماة المطبوع في سنة ١٣٣٢ ماخلاصته ان احمد بن الطيب سمى حماة قرية وليست هي قرية كما قال ولكن من يشاهد بغداد في زمن المعتضد لايستغرب منه تسميته حماة قرية لأن العباسيين لما اخذوا الخلافة لم يكن لهم عناية الا باعمار بغداد والعراق فاهملوا شأن البلاد الشامية ومنها حماة ولتوالي هذا الاهمال والفتن خربت الكور والقرى التي كانت حماة تستقي منها موارد ثروتها مثل كورة البلعاس والاندرين ولطمين وصوران وبعرين وغيرها حتى صارت حماة تسمى قرية في نظر احمد بن الطيب اه . وقال الاصطخري في اواسط القرن الرابع مايدل على صغر حماه إذ ذاك ومضارعتها شيزر : واما شيزر وحماة فانهما مدينتان صغيرتان نزهتان كثيرتا الماء والشجر والزرع .

ومر ابن جبير في القرن السادس بعد ان مضى على الزلزلة سنة ٥٥٢ التي خربت حماة

بالمرة نحو ربع قرن ، وكانت نشطت من عثرتها بفضل الدولتين النورية والصلاحية لكنها لم ترق كثيراً عيني ذلك الاندلسي المبتهجة برأى غرناطة وقرطبة والحمراء فلم تعجبه أفنيتها الضيقة ومبانيها المزدحمة ولم ينشرح الا لحسن العاصي وجمال البساتين . وهاك ماقاله :

« حماة مدينة شهيرة في البلدان قديمة الصحبة للزمان غير فسيحة الفناء ولا رائقة البناء ، أقطارها مضمومة وديارها مركومة ، لا يهش البصر اليها عند الاطلال عليها ، كأنها تكن بهجتها وتخفيها فتجد حسنها كامناً فيها ، حتى اذا جست خلالها ونقرت ظلالها أبصرت بشرقيها نهراً كبيراً تتسع في تدفقه أساليبه ، وتتناظر بشطيه دواليبه ، قد انتظمت طرفيه بساتين تتهدل أغصانها عليه ، وتلوح خضرتها عذاراً بصفحتيه ، ينسرب في ظلالها ، وينساب على سمت اعتدالها ، وباحد شطيه المتصل بربضها مطاهر منتظمة بيوتاً عدة يخترق الماء من احد دواليبه جميع نواحيها فلا يجد المغتسل اثر اذى فيها، وعلى شطه الثاني المتصل بالمدينة السفلى جامع صغير قد فتح جداره الشرقي عليه طيقاناً تجتلي منها منظراً ترتاح النفس اليه وتتقيد الأبصار لديه وبازاء ممر النهر بجوفي المدينة قلعة حلبية الوضع وان كانت دونها في الحصانة والمنع سُرّب ليا من هذا النهر ماء ينبع فيها فلاتخاف الصدى ولاتتهيب مرام العدى . وموضع هذه المدينة في وهدة[1] من الأرض عريضة مستطيلة كأنها خندق عميق يرتفع لها جانبان أحدهما كالجبل المطل[2] والمدينة العليا متصلة بسفح ذلك الجانب الجبلي والقلعة في الجانب الآخر في ربوة منقطعة كبيرة مستديرة قد تولى نحتها الزمان وحصل لها بحصانتها من كل عدو الأمان والمدينة السفلى[3] تحت القلعة متصلة بالجانب الذي يصب النهر عليه وكلتا المدينتين صغيرتان وسور المدينة العليا يمتد على رأس جانبها العالي الجبلي ويطيف بها وبالمدينة السفلى سور يحدق بها من ثلاثة جوانب لان جانبها المتصل بالنهر لايحتاج الى سور وعلى النهر جسر كبير[4] معقود بصم الحجارة يتصل من المدينة السفلى الى ربضها[5] وربضها كبير فيه خانات والديار وله حوانيت يستعجل فيها المسافر حاجته الى ان يفرغ لدخول المدينة وأسواق المدينة العليا أحفل وأجمل من أسواق المدينة السفلى وهي الجامعة لجميع الصناعات والتجارات اه .

ولم ينبه ذكر حماة بعد خموله وتسعد الا في عهد أبناء تقي الدين عمر بن ايوب

فانهم لما آل اليهم ملك حماة وضواحيها عمروها بالأبنية الضخمة والقصور الفخمة والأسواق الحافلة والأسوار المحكمة يدلنا على ذلك ماذكره ياقوت في أوائل القرن السابع قال : حماة مدينة كبيرة كثيرة الخيرات رخيصة الأسعار واسعة الرقعة حفلة الأسواق يحيط بها سور محكم وبظاهر السور حاضر كبير جداً فيه أسواق كثيرة وجامع مفرد مشرف على نهرها المعروف بالعاصي عليه عدة نواعير تستقي الماء من العاصي فتسقي بساتينها وتصب الى بركة جامعها ويقال لهذا الحاضر السوق الأسفل لانه منحط عن المدينة ويسمون السور السوق الاعلى . وفي طرف المدينة قلعة عظيمة عجيبة في حصنها وإتقان عمارتها وحفر خنادقها نحو مائة ذراع واكثر وهي مدينة قديمة جاهلية ذكرها امرؤ القيس في شعره (أوردناه في بحث شيزر) الا انها لم تكن قديماً مثل ما هي اليوم بسلطان مفرد بل كانت من عمل حمص اه . ويدلنا على تلك العناية ايضاً ماذكره ابن بطوطة في القرن الثامن : حماة احدى أمهات الشام الرفيعة ومدائنها البديعة ذات الحسن الرائق والجمال الفائق تحفها البساتين والجنات ويشقها العاصي ولها ربض يسمى بالمنصورية أعظم من المدينة فيه الاسواق الحافلة والحمامات الحسان . وبحماة الفواكه الكثيرة منها المشمش اللوزي الشهير اه .

وقد فسر الصابوني في تاريخ حماة ماذكره ابن جبير وياقوت فقال : كانت حماة قسمين قسم في محلة باب الجسر وقسم في المدينة وبالنظر لارتفاع المدينة عن باب الجسر كانت تسمى القسم الاعلى وسوقها السوق الأعلى وكذا جامعها كان يسمى الجامع الأعلى وكانت مسورة بسور من الحجر الابيض عظيم يمتد الى تل العريضة وله أبواب عديدة منها باب النصر وباب المغار وباب النهر وباب العميان وباب الغربي وباب القبلي . وكان لمحلة باب الجسر سور يحيط بها من جهة والعاصي يحيط بها من الجهة الاخرى وعلى العاصي الجسر الكبير له باب من جهة الشمال الغربي وباب آخر في مبدإه من جهة القبلة ولسورها أبواب منها باب تدمر وباب النقفي وباب حمص . وقال شرحاً لما ذكره جبير وأشرنا اليه برقم (١) الوهدة المكان المنخفض فان حماة في وادٍ عميق كانت أرضه مساوية لارض النهر ولكثرة الزلازل وتراكم التراب ارتفعت الارض عن النهر . وعن الرقم (٢) انه تل العريضة . و (٣) محلة باب الجسر و (٤) جسر محلة باب الجسر و (٥) كان في محلة الدهشة في بستان يسمى

الاتون حوانيت وخانات ينزل فيها المسافر اذا جاء ليلاً وأبواب السور مغلقة ويسمى مثل هذا ربضاً . وكان بنيان محلة المدينة أوسع وأسواقها أحفل من أسواق محلة باب الجسر وكان بين القسمين طريق مما وراء القلعة من البستان الذي يسمى الآن بستان الخضر . ثم امتد العمران لجهة الحاضر فحدثت محلات عديدة كما امتد البنيان في زمن نورالدين الشهيد حتى باب حمص جانب رحى المسرودة . اما مكان السوق فقد كان مرتفعاً من الشمال ومنخفضاً في الجنوب وكان فيه مقابر واذا طغى العاصي فاض على هذا القسم المخفض وملأه . فلما ضاقت البلد بالسكان مشى الناس بالبنيان الى موضع السوق فبنوا البيوت والحوانيت ولما ولي الملك المنصور حماة بنى هذا السوق وكان يعرف بسوق المنصورية .

قلت وكان ينتظر من الملك المؤيد ابي الفداء ان يصف لنا عاصمة ملكه حماة في كتابه « تقويم البلدان » وصفاً كافياً يطلعنا به على الرقي والعمران اللذين نالتها في عهده وعهد اجداده التقويين الايوبيين في القرنين السابع والثامن ولكنه رحمه الله لم يشذ عن الايجاز الذي سار عليه في وصف بقية البلدان فاكتفى بقوله : حماة من الشام بين حمص وقنسرين وحماة مدينة أزلية ولها ذكر في كتب الاسرائيليين وهي من انزه البلاد الشامية والعاصي يستدير على غالبها من شرقيها وشماليها ولها قلعة حسنة البناء مرتفعة وفي داخلها الأرحية على الماء وبها نواعير على العاصي تسقي اكثر بساتينها ويدخل منها الماء الى كثير من دورها قال الهروي في كتابه المعروف بالزيادات : وحماة بلدة قديمة مذكورة في التوراة وهي وشيزر مختصتان بكثرة النواعير دون غيرهما من بلاد الشام اه .

وقال شيخ الربوة في القرن الثامن ايضاً : حماة حماها الله بها سلطان ملك (لعله يعني الملك المؤيد ابا الفداء) ونائب مستقل وهي مدينة حسنة خصبة كثيرة الخير والأرزاق يحوطها النهر العاصي ويأتيها جارياً من بين جانبيها ويجمع بين الجانبين قنطرة وعلى العاصي نواعير كبيرة التي لم ير في الآفاق مثلهن يحملن من العاصي أنهاراً من الماء يسقون به البساتين والاماكن وهي كثيرة الثمار وبها المشمش الكافوري اللوزي الذي لم ير في سائر الآفاق مثله ومن اعمالها الكبار بعرين وتسمى بارين وهي قلعة منيعة وسلمية وهي على سيف البرية (بناها عبدالله بن صالح وعلي بن عبدالله بن عباس رضي الله عنهم) ولها قناة كبيرة

تجمل من سلمية الى حماة تسقي بساتينها واراضيها وهو نهر مليح . وقال ايضاً عن حماة في فصل اعياد النصارى ومواسمهم : وفي عيد الفصح تبطل اهل حماة مدة ستة ايام اولها يوم الخميس الكبير وهو خميس العهد وآخرها يوم الثلاث ثالث الفصح وتنتقش فيه النساء وتلبس فيه الكساوي الفاخرة ويصبغون فيه البيض ويعملون الأقراص والكعك ، المسلمون اكثر من النصارى . ويرد الى حماة اهل سائر البلاد المجاورة لها مثل حمص وشيزر وسلمية وكفرطاب وابو قبيس ومصياف والمعرة وتيزين والباب وبزاعة والفوعة وحلب ويطلعون جميعاً الى العاصي ويضرب لهم اهل حماة على شطوطه خياماً ويركبون في المراكب بالمغاني ويرقصون في المراكب النساء والرجال على الشطوط حتى تتهتك الخلائق ويمضي لهم ستة ايام لا يرى في الوجود مثلها وكذلك يبطلون اول يوم صوم النصارى ويقولون قد طلعوا يلتقون الراهب ويبطلون ايضاً يوم نزول الشمس برج الحمل وما أرى هذا في مدينة غيرها . وفي ليلة عيد الميلاد يوقد اهل حماة كبيرهم وصغيرهم وجليلهم وحقيرهم وجندهم واميرهم من القناديل فوق الاسطحة ومن القنب والشيح شيئاً عظيماً ويوقدون من البارود والنفط انواعاً شتى وكذلك في عيد الختان ويسمونه الميلادة الصغيرة وربما يوقدون فيها اكثر من الكبيرة اه .

قلت وقناة سلمية التي ذكرها شيخ الربوة كانت تصل الى حماة وتسقي الارض الفسيحة العذية الممتدة في شماليها وقد درست وتنوسي خبرها اما الزوارق فقد بقي منها اثر ضئيل كان قاصدو النزهة من الحمويين يركبونها من جسر المراكب الذي صار يدعى جسر السرايا حيث العاصي زائد العمق في الجملة ويذهبون الى مكان في شرقي البلدة يدعى البشريات فيه ناعورتان كبيرتان تسقي البساتين نسبةً الى دفين بجانبها يسمى الشيخ بشر . ولم يبق في حماة من الفواكه التي ذكرها ابن بطوطة وشيخ الربوة الا النادر وفقد منها المشمش اللوزي الذي ما زال موجوداً في دمشق والقطر المصري ومعروفاً بالحموي وليس في بساتين حماه وازوارها الا الزروع المسقوية من الحبوب والبقول الواسعة الغلال وقليل من الاشجار غير المطعمة وما ذلك الا من اهمال سراة حماه ملاكي هذه البساتين وانصرافهم لزيادة عدد ما يقتنونه من القرى العذية دون العناية باتقان العمل .

وفي القرن التاسع في دولة المماليك وفي القرن العاشر في زمن العثمانيين كسدت

بضاعة العلوم الدنيوية فلم ينشأ احد من الرحالين أو الجغرافيين ينبئنا عما كان عليه اذ ذاك عمران حماة وغيرها من مدن الشام مما تقدم معنا ذكره أو تأخر ، أو انه نشأ ولم نعثر على ما كتبوه . وكذلك لم ينشأ في القرن الحادي عشر سوى سائحنا أوليا چلبي الذي وصف حماة على قدر ماوعاه فهمه . على ان المعروف من التواريخ ان حماة بعد زوال دولة الايوبيين التقويين والخراب الذي أصابها من هولاكو وتيمورلنك واستمرار فوضى الأحكام في عهد المماليك ودثور سلمية وغيرها من القرى الشرقية التي لا حياة لحماة الا بها وفصل المعرة عنها أفل نجم حظها، وفي عهد العثمانيين دام هذا الأفول لتوالي جور المتسلمين الذين كان يرسلهم الولاة من طرابلس أو دمشق وفتن الأجناد وعسفهم حتى هاجر كثير من الحمويين على ماوراء المحيي الى بقية مدن الشام الاكثر اطمئناناً فخلت حماة من رجالها وانحط شأنها كثيراً . وفي القرن الماضي ولاسيا في عهده الأخير دأبت الأسر الكبيرة التي أوجدتها أحداث ذلك العهد على استصفاء العقارات في المدينة والمزدرعات في القرى بشتى الوسائل حتى لم يبق منها لاسيا في البرية من الارضين المملوكة لاهلها الا ما ندر . وأصبح الحمويون من جراء ذلك فريقين متباينين ، العظامي الذي يسير فخوراً لسعة املاكه ووفرة أرزاقه تدر عليه وهو مستريح ربعاً ينفقه في نعمه ورفهه ، والعصامي وهم السوقة والفلاحون الذين يكدون مدى العمر للحصول على كفاف العيش والأجور التي حقت عليهم لأولئك العظاميين . والشحناء من جراء هذا التباين مستحكمة الحلقات بين هذين الفريقين .

ومنذ نصف قرن توافد رحالة الافرنج على حماه فأعجبهم جمالها الطبيعي ومنظرها الأثري واستغربوا انسياب عاصيها وشدو نواعيرها وأزياء أهلها وأطوارهم فكتب بعضهم ومنهم ايزامبر وشوفة في سنة ١٨٨٢ وفان برشم في سنة ١٨٩٨ وموريس باريس في سنة ١٩١٤ ومونمارشة سنة ١٩٣٢ ما أوحته اليه قريحته الغربية . وخلاصة ما كتبوه بما يكادون يتفقون في مآله ان حماه اختبأت في منخفض العاصي ومنعرجاته لا يتميزها القادم من بعيد الا من قرونها وانها احتضنت العاصي بجسورها وأغمست فيه دورها وقصورها وأطنبوا بنضرة رياضها وزهو أشجارها وأزهارها وروعة عاصيها وانسيابه الهادئ ووصفوا نواعيرها معجبين بشكلها وعظمتها ودورانها وشدوها المطرب وصعوبة اعتياد الغريب له في لياليه الاولى وانتثار الماء منهن

وانصبابه في القناطر الممتدة الى الأحياء والبساتين وتمثلوا العصور الوسطى عند رؤيتهم مباني حماه الأثرية المركومة التي لم يخالطها حتى الآن بناء حديث وأسواقها المعقودة ودكاكينها المزدحمة بالقرويين والبدو وعند نظرهم الى أطوار سكان حماه وأزيائهم المتنوعة الألوان والأشكال وشكوا فقدان الفنادق والمطاعم وحرمان أسباب الرفه الجالبة للسياح وان حماه بلدة منكمشة ، بعيدة عن الاتصال بحضارة الغرب ، قليلة الترحاب بالأجانب وأهلها متعصبون والحياة الاجتماعية فيها لاسيا عند أسرها الكبيرة التي بيدها الملك كله تذكر عهد الإقطاع وان من المباني الأثرية التي تستحق الزيارة في حماه قصور بني العظم وبني الكيلاني والجامع الكبير والجامع النوري وجامع الحيات والقلعة ... الخ .

ومما قاله احدهم وهو مونمارشة صاحب « الدليل الازرق » : وحماه مثل أكثر مدن الشام لا يحتاج المتجول فيها ركوب المركبة فضياع الوقت يكاد لا يذكر ناهيك ان الماشي يتملى أكثر بمشاهدة الطرق . فالأحياء المبنية في ضفة العاصي اليسرى أكثر امتداداً واستمتاعاً منها في ضفته اليمنى . واذا غادر السائح جسر السراي يسير شمالاً في شارع عريض يوازي العاصي (يعني شارع ابي الفداء) فيمر من تحت قناة ناعورة كبيرة ثم يصل الى القصر العربي الفخم الذي بناه اسعد باشا العظم حاكم حماه في سنة ١٧٤٢ م وقد اتخذ الآن مدرسة اهلية دعيت دار التعليم والتربية . وهذا القصر اصغر واقل بهاء من قصر بيت العظم في دمشق ، له فناآن احدهما علوي والثاني سفلي ، وفي العلوي قاعة ذات قباب امامها صف من الاعمدة ، ونجارة الخشب فيها ودهانه ووشيه من طراز القرن الثامن عشر وفي جنب القاعة غرفة فيها رسوم جميلة احدها يتمثل مدينة حلب بمنظرها العام . واجمل ما في هذا القصر موقعه ، فان الواقف في فنائه العلوي يشرف على مشاهد جميلة في ضفتي العاصي وعلى احياء حماه التي في ضفته اليمنى (يعني الحاضر) . وبعد الخروج من القصر يسير السائح شمالاً فيمر من قرب ناعورتين عظيمتين جداً ثم من تحت ساباط الى ان يصل الى جسر على العاصي في قربه ثلاث نواعير ، ويشاهد على ضفة العاصي اليمنى قصراً ذا قبة لآل الكيلاني ذوي الوجاهة في حماه والواقف على هذا الجسر تقر عينه بمناظر الحدائق الجميلة وصوت النواعير المطرب وثمة في الضفة اليسرى حمام عربي قديم واذا

رجع السائح في الطريق الصاعدة من الجسر يزور الجامع النوري (وبعد ان وصف هذا الجامع قال) ثم يصل الى التل الذي كانت تعلوه القلعة المندرسة والواقف في ذروة هذا التل يتمتع بمشاهدة حماة كلها وفي جنوبي هــذا التل جامع صغير له قبة مضلعة تدعى قبة الحسنين (فيها مقام يقال انه موضع رأس الحسين حينما مروا به من كربلاء الى دمشق) وفي الجامع كتابة تذكر ان نور الدين محمود جدده بعد فنائه عقيب الزلزلة الهائلة التي حدثت في سنة ١١٥٧ م . ثم يصل الى الجامع الكبير (وبعد ان وصف هـذا الجامع وضريح الملك المظفر قال : واذا استأنف السائح السير في ذلك الطريق وعرج نحو اليمين بواجه العاصي ويرى ناعورة المحمدية الكبرى (في باب النهر) المبنية في القرن الرابع عشر وهي تسقي الجامع الكبير . فاذا اجتاز الجسر (يعني جسر باب الجسر) وعليه طاحونة قديمة يلاقي وسط الحدائق جامع الحيات (وبعد ان وصف هذا الجامع وضريح ابي الفداء قال: وبناء هذا الجامع خالٍ من الاتقان الصناعي لكن منظره من الجسر المجاور له وخياله المنعكس على مياه العاصي الذي تحيط به الحدائق يجعل له منظراً من أروع مناظر حماة . ويعود السائح من جامع الحيات الى المدينة بعد ان يمر من سفح تل القلعة ويجتاز ساحة خالية وسيعة تمتد امامه (كان تقام في هذه الساحة سوق عامة كل يوم خميس وقد شادوا حديثاً في وسطها بناء جميل لمدرسة التجهيز الاميرية) ثم ينفذ الى اسواق حماة التي لاتختلف كثيراً بحركتها وجلبتها عن اسواق دمشق وحماة وتفوق تلك بأنها لا تزال محتفظة بوضعها وبنائها الاثريين اهـ .

« للبحث صلة » وصفي زكريا

جامع التواريخ

— أو —

« نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة »

— ٥ —

حدثني محمد بن احمد بن عثمان الزيات قال حدثني ابو بكر بن حوري : شيخ كان من اهل خامية من اعمال النهروان قد اقام ببغداد سنين . وكان مشهوراً بصحبة ابي عبد الله بن ابي عوف قال : كنت الزم ابن ابي عوف سنين لجوار بيننا ومودّة لا اسأله حاجة : لأنها لم تكن تعرض لي وكنت اتخفف بين يديه في حوائج ينفذني فيها . وكان رسمي في كل ليلة أجيئه بعد العتمة وقد صلى ودخل منزله فحين يراني يمد رجله في حجري فأغمزها وأحادثه فيسألني عن الاخبار والحوادث ببغداد . وكنت اسأل عنها واتطلبها من كل موضع واجيئه بها واخبره بخبر من قدم البلد ومن سافر عنه ومن مات ومن ولد ومن خاصم ومن ورث ومن يرجف به الناس واخبار الجيران وبكل غث وسمين الى ان ينعس فاذا نعس قبض رجله فقمت الى بيتي وقد مضى ثلث الليل او بعضه او أقل(١) على هذا سنين . فلما كان ذات يوم جاءني سقطي كان يعاملني فقال قد دفعت الي شيء إن تم عليّ افتقرت فقلت ماهو ؟

(١) قد سقط : وجرى الأمر .

فقال رجل كنت اتامله فاجتمع لي عليه الف دينار فطالبته فرهنني عقد جوهر قوم بالف دينار الى ان يفتكه بعد شهور أو أبيعه · وأذن لي في ذلك فلما كان امس وجه (مؤنس الفحل صاحب الشرطة) من كبس دكاني وفتح صندوقي واخذ العقد وقد استتر الرجل · فقلت له لا تفكر في هذا فاني اخاطب (ابا عبد الله بن ابي عوف) فيلزمه رده صاغراً · قال وانا مدل بابن ابي عوف لمكاني منه · ومكنته من المعتضد · فلما كان تلك الليلة جئته فمد رجله في حجري على الرسم · وحادثته وعرفته الأخبار وقلت له في جملتها أمر السقطي مع مؤنس ثم قلت هذا الرجل جاري ومعاملي وأوجب الناس حقاً علي ولا بد والله من تفضلك ياسيدي واعتناء(١) في امره والزام مؤنس رد العقد · فقال ما انا وهذا ؟ أعادي صاحب شرطة الخليفة ؟ وكيف استجرأت أن تعرضني لمثل هذا وتسألني فيه ؟ كأني بك وقد قات ابن ابي عوف صديقي الزمه رد هذا · ولم تشفق على جاهي وكأن صلاح حال السقطي أحب اليك من صيانة جاهي ما انا عافاك الله وهذا ولا اليه ؟ قال فورد علي من هذا اعظم مورد · وقلت في نفسي : هذا الرجل قد خدمته كذا وكذا سنة هذه الخدمة التي لم تخدمها العبيد على(٢) ما سألته قط حاجة ولا احتجت اليه في شيء ولا له علي رزق ولا إفضال يلقاني في حاجة قد سألته فيها بمثل هذا · شهد الله لا دخلت له داراً بعدها ابداً · وامسكت وجلست لا اتكلم ثم قمت قبل الوقت الذي كنت اقوم فيه · وعدت الى منزلي منكسراً

(١) لعله : واعتنائك · (٢) قد سقط : اني ·

مغموماً . فلما كان من الغد بكرت لئلا يجيئني الرجل بسبب حاجته فافتضح عنده . ولم ادخل بيتي الى وقت المغرب ثم جئت فصليت وطرحت (١) واعتقدت انني لا امضي اليه . فلما صليت العتمة جاءني خادم لابن ابي عوف فقال الشيخ يقرأ عليك السلام ويقول لِمَ تأخرت الليلة ؟ إن كنت معافى فتعال وان كنت متشكياً جئناك فاستحييت وقلت امضي الليلة ثم انقطع . فحين دخلت اليه ورآني مدّ رجله في حجري . فأخذتها وغمزتها على الرسم فقال ايش عندك من الأخبار ؟ فاقبلت أحدّثه بحديث غثّ متكلّف متصنع . فلم يزل يصبر على ذلك ساعة ثم قبض رجله فقمت فقال ياابابكر انظر ايش تحت المصلى واذا برقعة في قرطاس فاخذتها وتقدمت الى الشمعة واذا فيها « يا مؤنس جسرت على قصد دكان رجل تاجر يُعرف بفلان وفتحت صندوقه واخذت منه عقد جوهر قيمته الف دينار وانا في الدنيا ؟ والله لولا انها اول غلطة غلطتها ما جرى في ذلك مناظرة . اركب بنفسك الى دكان الرجل حتى تردّ العقد في الصندوق بيدك ظاهراً » فقلت لأبي عبد الله ايش هذا يا سيدي ؟ فقال خطّ المعتضد الى مؤنس بما أردته : مثلت بين وجدك وعتبك مع وزن(٢) الحال مع مؤنس كما هي — وبين رضاك وقضا حقك وايحاش مؤنس فاخترتك عليه فأخذت خط امير المؤمنين بما تراه . فامض وأوصله اليه فانه يفعل ما امره به . فقبلت رأسه وشكرته وانصرفت وانا من الفرح لا اعقل . وجئت الى الرجل واخذت بيده ومضينا

(١) يريد : طرحت نفسي على سرير . (٢) لعله : بقاء .

الى مؤنس وسلمت التوقيع اليه . فحين قرأه اسودّ وجهه وارتعد حتى سقطت الرقعة من يده ثم قال « يا هذا الله بيني وبينك . هذا شيء ما علمت به وتموّه عليّ فألاّ تظلمتم اليّ فان لم أنصفكم فالى الوزير . ما هذا ؟ بلّغتم الامر الى امير المؤمنين من اول وهلة » قال وانتشطت (١) فقلت « بعملك جرى والعقد معك » قال : فأحضر العقد وقال : خذوا الالف دينار التي عليه الساعة واكتبوا على الرجل بطلان ما ادعاه : فقلت لا نفعل . فقال خذوا ألف وخمس مائة دينار . فقلت والله لو اعطيتنا الف الف دينار ما رضينا او تركب بنفسك الى الدكان والعقد معك فترده الى الصندوق ولا نكذب انفسنا او ترد التوقيع . فقال أسرجوا لي قال : فركب والله في موكبه حتى وقف على دكان الرجل ورد العقد بيده الى الصندوق . فجاءنا صاحبه من ذلك اليوم ودفع ألف الدينار وارتجعه .

***

حدثني عبد الله بن احمد بن داسه قال حدثني ابو احمد بن ابي الحسك الشاهد قال حدثني بمصر ابو طاهر محمد بن احمد بن عبد الله بن نصر القاضي وهو قاضيها يومئذ قال حدثني شيخ كان في جوارنا ببغداد بدرب الرواسين من باب الشام قال كان أبو عبد الله بن ابي داود (٢) ينزل بباب الشام وهو صغير الحال فكنا نعرف احواله فباع يوماً منديلاً كان له بسبعة دراهم لتعذر القوت عليه قال فاجتاز في طريقه وهو عطشان فرأى شارباً فعدل الى

(١) لعله : واستنشطت أو ونشطت . (٢) الصواب : دؤاد .

الموضع ودعاه واستسقاه فكسر الشارب شفة كوز كان معه وملأه ودفعه اليه فقال له ابن ابي داود (١) لم فعلت ذلك فقال قد شرب في هذا الموضع قبلك من لم ارض لك ان تجعل شفتك في موضع شفته فكسرت الموضع من الكوز لتشرب من موضع ماوقعت عليه شفة غير شفتك قال فشرب الماء ثم دفع اليه السبعة دراهم التي لم يكن يملك غيرها .

* * *

حدثني ابو الحسين احمد بن الحسن بن المثنى قال كانت امي قد رأت ليلة القدر فدعت الله بدعاء كثير فلما كان من الغد قال لها ابي هل دعوت الله لي فقالت شغلني الدعاء لاولادك عن الدعاء لك قال فكنا نرى ان ما أفاء الله تعالى علينا من نعمةٍ بعد ذلك انما كان بدعائها .

* * *

حدثني ابو الفضل الشيرازي الكاتب محمد بن عبيد الله بن المرزبان قال حدثني شيخ من شيوخ النخاسين الجلّة ببغداد قال كنت أعامل اباالهيجاء عبد الله بن حمدان في الرقيق فكان يشتري مني ولا يبيع شيئاً يشتريه بوجه إما ان يهبه او يعتقه فجاءني يوماً الى حجرتي ولم تكن عادته جرت بذلك فوجدته وهو مستعجل يريد الخروج الى القصر لقتال أعراب بلغه انهم عاثوا في الطريق وكان يليه فقال بعني الساعة جارية فعرضت عليه عدة جوار فاختار مولّدة منهن وحملها في عماريته على بغل فلما كان بعد شهور اقل من سنة جاءني بها رجل من الجند يريد بيعها فقلت لها أليس كان الأمير ابو الهيجاء اشتراك

(١) الصواب : دؤاد

مني فقالت بلى ولكني وهبني لهذا قال فلم ابعها حتى كاتبته وعرفته خبرها لئلا تكون قد هربت او وقع بها حيلة فلما اعلمني انه وهبها شرعت في بيعها في الحال فتعذر واقامت عندي اياماً فسألتها عن اخبار ابي الهيجاء وامره في داره فاخبرتني باشياء من ذلك فكان من طريف ما اخبرتني به ان قالت اخرجني من عندك في العمارية وسرنا يومنا وليلتنا الى قريب من انتصاف الليل فكدني السير واتلفني ثم حط العمارية في الصحراء ثم ضربت له خيم لاصحابه فصرنا في عسكر واشعلت النيران ونصب له سرير مخلع(١) في خيمة له واستدعاني فجئت وهو على فراشه فلاعبني ثم نزع ... وجاس مني مجلس الرجل ... فوقعت صيحة عظيمة فنهض عني ولم يكن ... وضرب يده الى تحت الفراش واذا سيف مجرد فاخذه وخرج بلاسراويل وصاح انا ابو الهيجاء وسألهم عن سبب الصيحة فقالوا سبع أطاف بالخيم فخرج يعدو ومعه خلق من غلمانه واصحابه وأهاجوا السبع وطلبوه وناصبوه الحرب وناصبهم وانا اسمع الصياح وزئير الاسد وقد تلفت فزعاً ثم يأتيه هو من بين الجماعة فقتله فحمل رأسه وجاءني وهو في يده فلما رأيته صحت فرمى بالرأس وغسل يده ثم جاءني فطرحني واذا ... قائم كما كان في وقت نهوضه ما تغير ثم ... ثم نهضت فما رأيت قلباً أثبت من قلبه ...

***

حدثني عبدالله بن احمد بن داسه قال حدثني ابو سهل بن زياد العطار قال

(١) كذا بالاصل ولعل معناه وثير .

كان باسكاف(١) شاعر به (٢) طريفة فهجا عاملها وبلغه ذلك فامسك عنه فلما كان وقت الغلة ركب العامل الى البيدر وقسمه وحمل غلة الشاعر اصلاً فجاء الشاعر اليه يشكو ويداريه فقال ياهذا ليست بيننا معاملة انت هجوتنا بالشعر ونحن هجوناك بالشعير وقد استوت الحال بيننا وبينك .

***

حدثني محمد بن عيسى بن حر وجماعة من البصريين قالوا لما نشأ لأبي الحسين محمد بن عبيد بن نصرويه مع فضله ورُجْلته (رجوليته) ومحلّه المشهور من الدهاء والغيل(٣) والعلم والعقل — ابنه الباقي الآن وأُخبر ابو الحسين رحمه الله بتأخره غمه ذلك قال وكان ابو الحسين يوماً جالساً اذ جاء ابنه هذا يسعى اليه كأنه في مهم ثم نتف طاقة شعر كانت على اذن ابي الحسين وسعى فآلمه ذلك وغمه بلوغ تخلف الصبي الى هذا الحد ورثينا لما جرى قال لنا خلف النار الرماد .

***

وحدثني ابو الحسين بن محمد الجبائي قال لما سعى ابو طاهر الحسين بن الحسن عامل البصرة على ابي الحسين بن نصرويه حتى نكب النكبة الثانية التي ألزمه فيها الوزير العباس بن الحسين ماألزمه من المال راسل اباطاهر فقال له اعلم ان الصياد الفاره لايذبح شباشه(٤) وانا كنت لك في هذا البلد مع التجار

(١) مكان في نواحي النهروان . (٢) لعله محرف عن مثل به دعابة ظريفة

(٣) يريد الاغتيال كما تدل عليه الحكاية الآتية . (٤) أظن هذه الكلمة عبرانية معناها المغرر . قد وصفه الدكتور خليل سعادة في قاموسه ببطة أليفة توضع في المعابر الموصلة الى بركة لاستخراج البط البري ووقوعه في الشرك .

والناس مثل شباش الصياد فما انما ظن الناس انك عادلاً (١) وكنت تأخذ من تريد من الأوساط والأصاغر ولاينكشف امرك وقدصرت بماعاملتني مثل الصياد الذي ذبح شباشه فليس عزمه بعدها ان يصطاد وستعلم انك لا تنتفع بنفسك ولا بالبلد بعدي ثم عدل الى السعاية عليه مع ابي الفضل العباس ابن الحسين الوزير فما خرج من البصرة حتى قبض(٢) ونكبه وقلد البصرة اباالقاسم علي بن الحسين بن ابراهيم بن أُخت ابي الفرج محمد بن العباس ابن فسانجس وألزم مالاً ثقيلاً لم ينهض به وتلف ابوطاهر في المطالبة والضرب ومات في الحبس والسحق هو واهله الى آخر دهرهم وكل ذلك تدبير ابي الحسين وترتيبه المكاره عليهم ٠

***

حدثني محمد بن هليل بن عبد الله قال حدثنا القاضي احمد بن سيار قال حدثني رجل من الصوفية قال كنت اصحب شيخاً من الصوفية انا وجماعة في سفر فحدثني حديث التوكل والارزاق وضعف النفس فيها وقوتها فقال ذلك الشيخ علي وعلي لاذقت مأكولاً او يُبعث الي بجامة فالوذج حار ولا آكل الا بعد ان يحلف علي قال وكنا نمشي في الصحراء فقالت له الجماعة : الآخر جاهل ومشا ومشينا وانتهينا الى قرية ومضى عليه يومان وليلتان لم يطعم فيهن شيئاً ففارقته الجماعة غيري فانه طرح نفسه في مسجد في القرية مستسلماً للموت ضعفاً فاقمت عليه فلما كان في ليلة اليوم الرابع وقد انتصف الليل وكاد ان يتلف

(١) لعله : فانما ظن الناس انك عادل ٠ (٢) ... سقط : عليه ٠

الشيخ فاذا بباب المسجد قد فتح واذا جارية سوداء ومعها طبق مغطى فلما رأتنا قالت انتم غرباء اومن أهل القرية؟ فقلنا غرباء فكشفت الطبق فاذا بجام فالوذج يفور لحرارته فقالت كلوا فقلت له كل فقال لا افعل فقلت له والله لتأكلن لأبرّ قسمه فقال لا افعل قال فشالت الجارية يدها فصفعته صفعة عظيمة وقالت والله لئن لم تأكل لاصفعنك هكذا الى ان تأكل قال فقال كل معي فأكلنا حتى نظفنا الجام وجاءت الجارية تمضي فقلنا لها مكانك خبرينا بخبرك وخبر هذا الجام فقالت نعم انا جارية رجل هو رئيس هذه القرية وهو رجل احمق حديد فطلب منا منذ ساعة فالوذجاً فقمنا لنصلحه وهو شتاء وبرد فالى ان تخرج الحوائج من البيت وتشعل النار ويعقد الفالوذج تأخر عنه فطلبه فقلنا نعم وطلبه ثانياً ولم نكن فرغنا منه وطلبه الثالثة فحرد وحلف بالطلاق لايأكله ولا احد من داره ولا احد من اهل القرية ولا أكله الا رجل غريب فحملناه في الجام وخرجنا نطلب في المساجد رجلاً غريباً فلم نجد الى ان انتهينا الى هذا المسجد فوجدنا كما ولو لم يأكله هذا الشيخ لقتلته ضرباً الى ان يأكل لئلا تطلق ستي من زوجها قال فقال الشيخ كيف ترى اذا اراد ان يرزق .

(للبحث صلة)



آراء وافكار

— (()) —

الزبور الشريف

ذكرنا في مقالنا « خزانة الكتب الخالدية » في بيت المقدس المنشورة بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (1) ان من جملة مخطوطاتها الزبور الشريف وانه منقول عن نسخة بمقام سيدنا داود عليه السلام في بيت المقدس وقد اتيح لنا اخيراً الاطلاع على النسخة الأصلية المذكورة في خزانة كتب السيد حسن صدقي الدجاني فأحببنا ان نأتي على وصفها فنقول :

كتبت هذه النسخة بخط جميل وهي بالقطع الكبير وقد جاء في آخرها مايلي بالحرف :

« قد استراح من طيّ تيهاء زبير زبر الأولين واستباح في حيّ فرهاء حبير حبر الأولين القلم الذي اقدم تاماً في كتب الكتاب المنير والمترجم من كتاب الله القدير المنزل على سيدنا داود بن ايشا بن عوبد بن باعز المنتمي نسبه الشريف الى ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله تعالى عليهم اجمعين . على يد اضعف العباد الطالب سبيل الرشاد البائس الفقير المعترف على النقصان والتقصير ملتمساً شفاعة من انزل عليه الزبور يوم يبعث من في القبور من الله العزيز الغفور الحاج محمد بن يحيى بن محمد المرعشي الملقب بشاطر زاده غفر الله له ولوالديه وجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات برحمتك ياارحم الراحمين . في اليوم الثاني من شهر رمضان المكرم لسنة احدى وخمسين ومائة والف من هجرة من له العز والشأن في المحروسة القسطنطينية دار السلطنة العليه » اه .

وقد ذكر فيها نسب سيدنا داود كما يأتي « هو داود عليه الصلوة والسلام ابن ايشا بهمزة مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فشين معجمة مقصورة ابن عوبد بعين مهملة وبعد الواو موحدة وزن جعفر ابن باعز بباء موحدة وعين مهملة مفتوحة بينهما الف وآخره راء ابن سلمون بن

---

(1) م ٤ ص ٤١٣

يخشون بن عمنيا ذاب بن رام بن حصرون بن فارض بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام . كذا في العرائس للثعلبي والذي في فتح الباري هو داود عليه السلام بن أيشا بن عوبد بن باعر بن سلمون بن يارب بن رام بن فارض بن يهوذا بن يعقوب عليهم السلام ودأبه صلى الله تعالى عليه وسلم ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفر اذا لاقى قال العلماء رحمهم الله تعالى لما استشهد طالوت اعطت بنو اسرائيل داود عليه السلام خزائن طالوت وملكوه على انفسهم وذلك بعد قتل جالوت بسبع سنين ولم تجتمع بنو اسرائيل على ملك الا داود عليه السلام . قال اهل التاريخ وكان عمره عليه السلام مائة سنة ملكه منها اربعون سنة وقيل ولي وله من العمر ثلاث وثلاثون سنة قيل وبين خروج بني اسرائيل مع موسى عليه السلام من مصر وبين اول ملك داود عليه السلام ستمائة وستون سنة وحليته : كان داود عليه السلام أحمر الوجه سبط الرأس ابيض الجسم طويل اللحية فيها جعودة حسن الصوت والخلق طاهر القلب دعاؤه الذي دعا عليه السلام به قوله : اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني حبك اللهم اجعل حبك احب اليّ من نفسي واهلي ومن الماء البارد . هكذا نقل من وسائل المبرات . وكتب بهامش الصفحة الاولى منها مانصه :

« من تفسير اسماعيل حقي » — وآتينا داود زبوراً وهو الكتاب مأخوذ من الزبر وهو الكتابة قال القرطبي : كان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الاحكام وانما هي حكم ومواعظ وتحميد وتمجيد وثناء على الله عز وجل . وكان داود يبرز الى البرية ويقرأ الزبور فيقوم معه علماء بني اسرائيل خلفه ويقوم الناس خلف العلماء ويقوم الجن خلف الناس وتجيء الدواب التي في الجبال اذا سمعت صوت داود فيقمن بين يديه تعجباً لما يسمعن من صوته وتجيء الطير حتى يظللن على داود في خلائق لا يحصيهن الا الله يرفرفن على رأسه وتجيء السباع حتى تحيط بالدواب والوحش لما يسمعن . (كتبه الفقير حسن انيس الدجاني الخلوتي خادم سيدنا داود عليه صلاة الملك المعبود) .

***

هذا وصف مختصر للزبور الشريف الذي يسميه اليهود والنصارى بـ « المزامير » ولكن تلك المزامير لا تطابق نصوصها مافي الزبور الشريف وهذه بعض سوره .

السورة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم · يابني اسرائيل اذكروا نعمتي عليكم وعلى آبائكم الأقدمين · وحملتكم في البر والبحر · ورزقتكم من الطيبات وانا العزيز الحكيم ·

السورة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم · ياداود قل لبني اسرائيل لاتكثروا الصلوة في الثياب الحرام ولتكن ثيابكم طاهرة من حلها · ياعبدي كيف تعصيني وأنا أنزل عليك في كل يوم رزقاً جديداً ولكن غركم حلمي عنكم تعاليت وتقدست ان اقاس بالمخلوقين · يا داود قد جعلت هذه الكتب التي انزلتها على رسلي ليزجروا بها عبادي ويحذروهم ويخوفوهم ويبشروهم بما اعددت للمحسنين منهم دعوا العجلة وملاحاة الرجال تسلم اديانكم ودنياكم واعمالكم ·

السورة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم · يابني اسرائيل البسوا لكل حين لباسه وعليكم بالتقوى · واكثروا من الدعاء فاني احب من يدعوني بنية خالصة فاذا فعلتم ذلك كانت جنتي لكم مفتوحة · ياداود ان النساء قد ملكتم نواصيهن بالامانة فاحسنوا اليهن وادبوهن · ولا تقتروا عليهن اذا كان لكم سعة · فاني انا الله الرزاق ذو الخزائن الواسعة الخ ·

سورة من نصف الزبور

بسم الله الرحمن الرحيم · يا داود قل للأفاك الكاذب الفتاك الذي يُسأل في عبادي ولم يتذكر آلائي ولم يعتبر بامثالي وأحكامي التي انزلتها على رسلي ·

وعزتي وجلالي اني عليم غير معلّم واني خبير غير مخبّر فقل لمن كان في تمرده وعصيانه الم تعلم ان بطشي شديد فبئس الورد ترد وبئس المنقلب تنقلب ·

سورة من آخر الزبور

بسم الله الرحمن الرحيم · ياابن آدم اكثر من الزاد فان الطريق بعيد واجود القيام لله فأن البحر عميق وخفف الحمل فأن الصراط دقيق · واخلص العمل فان الناقد بصير وأخر نومك الى القبر وفراشتك الى الميزان وشهواتك الى الجنة وراحتك الى الآخرة ولذتك

الى الحور العين وكن لي اكن لك وتقربوا الي بالاستهانة بالدنيا وتباعدوا من الدنيا لبغض الفجار وحب الابرار فان الله لا يضيع أجر المحسنين ·

نسخة أخرى من الزبور

جاء في مجلة العرفان الغراء التي تصدر بصيدا « م ٨ ص ٤٩١ » ان في مكتبة الحرم المكي بمكة المكرمة نسخة من الزبور الذي ترجمه الامام علي بن ابي طالب — كما ذكر الفخر الرازي — منسوخة في ٦ ربيع الاول سنة ١٢٧٧ بقلم عبد اللطيف بن عبد اللطيف الدوبي الزمزمي في ١٤٨ سورة و ١١٧ صفحة بقطع الثمن ومن آياته :

يا داود مر بني اسرائيل لا ينهروا المسكين ولا يضربوا اليتيم وليقوموا الى دجى الليل بقلوب خائفة واعين باكية ·

استدراك على نسب أسرة الدجاني

كنت ذكرت في مقالي المشار اليه بأول الكلام[1] ان أسرة الدجاني يتصل نسبها بسيدنا داود عليه السلام وهو خطأ ساقني اليه اشتهار هذه الاسرة الكبيرة ببيت المقدس باسم « الداودي » بحكم قيامها على خدمة مقام سيدنا داود الى الآن · لذلك رأيت ان أشير الى هذا الخطأ غير المقصود واعتذر عنه وأقول ان هذه الأسرة قد تحدرت من الشيخ الصالح الزاهد صاحب الاوقاف المشهورة احمد الدجاني دفين تربة مامن الله ببيت المقدس ومن مشاهير رجالاتها يحيى بن درويش بن سليمان بن محمد المترجم له في سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر للمرادي « ج ٤ ص ٢٢٨ » ·

كما ان والده درويش وجده سليمان ومحمد المذكورين قد ترجم لهم المحبي في خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر « ج ٢ ص ١٥٦ و ج ٢ ص ٢١١ و ج ٣ ص ٣٥٦ » ·

وقد نعت المحبي سليمان المذكور بالداودي المقدسي مما نستدل منه على ان نسبتهم الى الدجاني والداودي كانت جارية في الماضي كما هي جارية في الحال ·

عبد الله مخلص

---

(١) مجلة المجمع م ٤ ص ٤١٣ ·

منصور البهوتي

ترجم المحبي في خلاصة الأثر في اعيان القرن الحادي عشر (١) لشيخ الحنابلة بمصر في زمانه منصور بن يونس بن صلاح الدين بن حسن بن احمد بن علي بن ادريس البهوتي المتوفى سنة ١٠٥١ هـ ١٦٤١ م ووفاه حقه .

وقد اقتنيتُ اخيراً نسخة مخطوطة من كتاب شرح المنتهى لمنصور المذكور كُتبتْ حديثاً ختمها ناسخها بترجمة المؤلف نقلاً عن محمد السفاريني (٢) الذي يظهر ان المحبي نقل عنه ايضاً .

وتمتاز ترجمة السفاريني بانه استقصى فيها تاريخ مولده بعد مدة واضافه اليها وذكر بعض من أخذ عنه من العلماء الذين اغفلهم المحبي مثل محمد ابي المواهب ومحمد الخلوتي وياسين اللبدي وعبد الحق ابن عمه ويوسف الكرمي .

وشرح المنتهى هو على « منتهى الارادات » للتقي الفتوحي وللشارح حاشية عليه ايضاً . وقد طبع هذا الشرح بهامش كتاب كشّاف القناع عن متن الاقناع للمؤلف نفسه في المطبعة الشرفية بمصر سنة ١٣١٩ هـ ١٩٠١ م .

والغريب ان يذكر في طرّة الكتاب المطبوع ان كشاف القناع عن متن الاقناع هو لشيخ مشايخ الاسلام واوحد الكبراء الفخام صاحب الافتاء والتدريس العلامة الشيخ منصور بن ادريس الحنبلي وان شرح المنتهى هو لشيخ الاسلام وقدوة الأنام وخاتمة المحققين وبقية المدققين الشيخ منصور بن يونس البهوتي الحنبلي كأنهما لمؤلفين مختلفين في حين انهما لرجل واحد هو منصور بن ادريس المذكور .

وفي نسخة مخطوطة بخزانة كتبي من الكشّاف جاء اسمه في الطرّة كشاف القناع

---

(١) خلاصة الأثر جزء ٤ صفحة ٤٢٦ .

(٢) هو محمد بن احمد بن سالم بن سليمان السفاريني النابلسي الحنبلي المترجم له في سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر للمرادي « ج ٤ ص ٣١ » وفيها انه توفي سنة ١١٨٨ هـ ١٧٧٤ م .

لشرح الاقناع بينا المؤلف بذكره في مقدمته باسم « كشاف القناع عن الاقناع » وهذه هي ترجمة السفاريني التي نقلها عنه ناسخ الكتاب :

« اقول الشيخ منصور المذكور احد اعلام علماء المذهب المتأخرين كان كثير العبادة غزير الافادة والاستفادة وصل اليه الحنابلة من الديار الشامية والنواحي النجدية والاراضي المقدسية والضواحي البعلية وتمثلوا بين يديه وضربت الابل اباطها اليه وعقدت عليه الخناصر وقال من حظي بنظره هل من مفاخر فاخذ عنه الشيخ يوسف البهوتي والشيخ عبد الرحمن البهوتي وسيدنا الشيخ محمد ابو المواهب والشيخ محمد الخلوتي والشيخ محمد المرادي[1] والشيخ ياسين اللبدي والشيخ عبد الحق ابن عمه والشيخ يوسف الكرمي ومحمد بن ابي السرور في آخرين .

وشرح الاقناع في ثلاث مجلدات ضخام وكذلك المنتهى وشرح المفردات وزاد المستقنع وهو احسن شروحه وله حاشية على الاقناع وحاشية على المنتهى .

وكان سخياً جواداً له مكارم دارة وبشاشة سارة وكان في كل ليلة جمعة يصنع ضيافة ويجمع جماعة المقادسة[2] في داره ومن مرض منهم عاده واخذه الى داره ومرّضه احسن تمريض الى ان يشفى وكان الناس يأتون بالصدقات فيفرقها في المجلس ولا يأخذ منها شيئاً .

وكانت وفاته رضي الله عنه ضحى يوم الجمعة عاشر ربيع الثاني سنة احدى وخمسين والف بمصر المحروسة ودفن بتربة المجاورين رحمه الله تعالى ورضي عنه آمين .

والى الآن لم اعلم تاريخ مولده رضوان الله عليه قال الفقير الشيخ محمد السفاريني لخصت هذه الكلمات من ترجمة في تراجم متأخري الاصحاب التي جمعتها والله يختم بالصالحات والله سبحانه وتعالى اعلم .

ثم رأيت سنة ١١٥٨ ابن ام اخته الشيخ محمد الخلوتي ذكر في كتاب الحجر انه سأله عن مولده فأخبره انه سنة الف فكان عمره احدى وخمسين سنة رضي الله عنه[3] .

عبد الله مخلص

(١) في خلاصة الأثر المرداري . (٢) في الأصل المقاسدة وهي من غلط الناسخ .
(٣) لم يذكر المرادي في ترجمة السفاريني بمجموعه هذا المتعلق بالتراجم .

واثلة بن الأسقع

ذكر رئيسنا الأجل في مقالته «التدوين في الاسلام[1]» ان واثلة بن الاسقع احد اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم الذين سمعوا منه مات في بيت المقدس وانه كان يشهد المغازي فيمر بدمشق وحمص ·

والذي في كتاب الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني[2] انه آخر من مات بدمشق من الصحابة ·

وذكر السائح الهروي في كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات[3] ان قبره قبلي الباب الصغير وكذلك قال ياقوت الحموي[4] :

وزاد اكمل الدين ابن مفلح الذي ملك نسخة الاشارات المخطوطة بحاشيتها ان لواثلة مسجداً بدمشق داخل باب الشاغور قرب تربة الشنباشي يعرف به ·

واكمل الدين هذا هو محمد بن ابراهيم بن عمر بن ابراهيم بن محمد بن مفلح الدمشقي المتوفى سنة ١٠١١ هـ ١٦٠٣ م

عبد الله مخلص



(١) مجلة المجمع العلمي العربي م ١٠ ص ٤١٠ ·

(٢) الاصابة ج ٦ ص ٣١٠ ·

(٣) من مخطوطات الخزانة التيمورية في القاهرة ·

(٤) معجم البلدان طبع ليبسك ج ٢ ص ٥٩٥ وطبع مصر ج ٤ ص ٧٩

نوادر المخطوطات
« في دار الكتب الظاهرية »
— ٦ —

(الرسالة الجامعة في الفلسفة) : تأليف الحكيم مسلمة بن احمد المعروف بالمجريطي القرطبي الاندلسي المتوفى سنة ٣٩٥ هـ وهي على نمط رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا . أولها : الحمد لله الذي خلق فسوى والذي قدّر فهدى الخ نسخة في ٥٠٠ صفحة متوسطة القطع بخط عبد الرزاق الحموي سنة ١٠٠١ [رقم ١٥٩ قسم التصوف] .

(مفرح النفس)(١) : تأليف شرف الدين محمد بن عمر بن ابي الفتوح البغدادي المعروف بابن المزة من أطباء القرن السابع أوله : اما بعد حمد الله تعالى خالق الداء والدواء والمنقذ من الأعراض والادواء بمفرحات النجاة والشفاء الخ . قال مؤلفه (اني لما طالعت أكثر الكتب الطبية لم اجد فيها ما يشفي القلب من ذكر الأمور المفرحة للنفس والموجبة للذاتها وراحتها وسرورها . ثم ان الشيخ الرئيس ابن سينا صنف كتاباً في الأدوية القلبية ولم يستوعب اجناسها بل اقتصر على جنس واحد منها ثم جعله حاوياً لأكثر المفرحات للنفس وجعل لكل حاسة باباً الخ) نسخة في ٦٦ صفحة صغيرة كتبت بخط نسخ [رقم ٣٢ قسم الطب] .

(العمل بالاسطرلاب) : تأليف علي بن عيسى (كذا) ولم يرد ذكره في كشف الظنون والذي يظهر انه لابراهيم بن حبيب الفزاري اوله : قال الشيخ الفاضل ...... وهنا كشط ظاهر وكتب مكانه علي بن عيسى بخط جديد . ثم خطبة الكتاب التي أولها الحمد لله خير ماافتتح به واستنجح ببركته وصلى الله على الصفوة من بريته وسلم وكرم وشرف وعظم الخ . وهذا الكتاب يتضمن من أبواب العمل بالاسطرلاب ما لا بد منه ولا غنى عنه وهو في تسعين باباً في ١١٤ صفحة صغيرة كتبت بخط قديم يرجع الى القرن الخامس مضبوط بالحركات [رقم : ١ الفلك] .

حسني الكسم

---

(١) وذكر صاحب كشف الظنون انه لمجد الدين عبد الوهاب بن احمد الدمشقي المتوفى سنة ٦٩٤ هـ .

مطبوعات حديثة

— (١) —

آراء ابن خلدون الاقتصادية

Les idées économiques d'Ibn Khaldoun

« كتاب بالفرنسية في ٢١٥ صفحة من القطع المتوسط تأليف السيد صبحي »
« المحمصاني الدكتور في الحقوق »

بحث عدد من المستشرقين عن ابن خلدون ومؤلفاته وفلسفته وأعجبوا بمقدمة تاريخه خاصةً فترجموها الى لغاتهم او لخصوها . وألف الدكتور طه حسين كتابا بالفرنسية في فلسفة ابن خلدون الاجتماعية . ثم اتى اليوم الدكتور صبحي المحمصاني ، فذكر آراء فيلسوفنا الكبير في شؤون اقتصادية مهمة ، كحاجات البشر وامتلاك العقارات ، وقانون العرض والطلب والعمل ، وتوزيع الاعمال ، وتصنيف وسائل الارتزاق والكسب ، وفضائل التجارة الخارجية ، والضرائب والسكان وتأثير البيئة في إقدام الناس على العمل ، وحرية التبادل ووظيفة الدولة في الشؤون الاقتصادية ، والنقود الاسلامية وغيرها . وقد ذكر المؤلف البيئة التي عاش ابن خلدون فيها ، كما ذكر حياته ومؤلفاته ، وقواعد الاقتصاد في الاسلام ، وآراء من تقدموا ابن خلدون في الشؤون الاقتصادية كالفارابي وابن سينا والغزالي وابي الفضل الدمشقي . فجاء الكتاب مفيداً سواء لطلاب الفائدة من العرب أم للاجانب الذين يودون الوقوف على الأعمال العقلية لرجالنا الاقدمين . ومع ذلك وجدت في تضاعيف الكتاب بعض هنات لا يصح السكوت عليها كقوله في الصفحة ٥٥ ان الخراج ايام عمر (رض) كان غير عادل وهو كلام لا يصدقه احد من العلماء وكقوله في الصفحة التاسعة ان الخراج كان يبلغ ايام العباسيين ثلث الغلة الزراعية أو نصفها . فهذا القول يجب ان لا يكتفى به على

علاته لأن الخراج في الخلافات العربية القديمة ما كان يزيد على عشر المحاصيل حتى يبلغ ثلثها أو نصفها الا في حالات شاذة والشذوذ لا يقاس عليه (أنظر م ٧ ص ١٠٧ — ١٠٩ من هذه المجلة وانظر مقالنا في العدد التالي) ·

وكقوله في الصفحة ٤٣ ان انشاء ابن خلدون ضعيف ومغلق اجمالاً وان جمله تكون متداعية في تركيبها احياناً وان بعض تعابيره مغلوطة الخ · فهذا القول إن كان يقصد به اللغة دل على ضعف السيد صبحي المحمصاني بها لا على ضعف ابن خلدون ، لأن كل من يتذوق جودة الإنشاء في الموضوعات المختلفة التي كتب فيها ابن خلدون يحكم بانه من أئمة الكتاب الذين لا يشق لهم غبار · اما اذا كان يقصد بهذا القول العلوم التي حوتها مقدمة ابن خلدون فان لكل من يبتكر في عصر كذلك العصر كبوات يجب على علماء اليوم ان يغتفروها ·

وبعد نشكر للمؤلف الفاضل هديته الثمينة وحبذا لو ترجم كتابه الى العربية ·

مصطفى الشهابي



قصص جديدة للاطفال

« بابا عبد الله والدرويش · ابو صير وابو قير · علي بابا · عبد الله البري »
« وعبد الله البحري · الملك عجيب · خسروشاه »

بقلم كامل كيلاني

مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

ان اشد نواحي الادب العربي قفراً ما كان منها خاصاً بالنشء الصغير · فقد يكاد يكون هذا القسم خلواً من الكتب الصالحة لاحتقار الادباء له وانصرافهم الى ماهو اسمى وادعى للشهرة · بينا الحقيقة هي ان التأليف في هذا النوع من الأدب اصعب من التأليف في غيره لما يستلزمه من لغة وأسلوب انشاء خاص وسعة معرفة في فن التربية وعلم النفس · وقد شاء الاستاذ السيد كامل الكيلاني ان يتم من هذا النقص فاخرج عدة قصص جديدة

للاطفال اطلعنا على ست منها وهي التي جعلنا اسماءها عنوان هذه الكلمة فالفيناها كاملة الصفات الصورية ولكنها تحتاج الى عناية خاصة من حيث الموضوع فهي معتدلة القد ، متقنة الطبع ، جيدة الورق ، جميلة الرسوم ، سهلة العبارة فصيحة الألفاظ مشكلة الحروف تستقيم بقراءتها لغة القارئ فتنطبع الألفاظ في ذاكرته صحيحة خلافاً للقصص والكتب المدرسية غير المشكولة فانها من عوامل افساد اللغة لأن القارئ المبتدئ يحفظ الفاظها معوجة فيتعذر عليه تقويمها في المستقبل .

اما من حيث الموضوع فانها مقتبسة من كتاب الف ليلة وليلة ولا يخفى ما في بعض موضوعات قصص هذا الكتاب من الحوادث المخيفة القائمة على الوهم والخيال التي تلذ قراءتها للصغير ولا تحمد عقبى تأثيرها في نفسه لانها تنطبع في حافظته كأنها حقائق محسوسة وتتمثل له في احلامه وفي خلوته ، لاسيما في الظلمة فينشأ شديد الخوف والتخيل سريع الانفعال وهل من احد يجهل مضار ما كان يتلى على الصغار من قصص الجان والعفاريت وما كانوا يخوفون بلفظه كالبعبع وغيره ? فعسى ان يعمد المؤلف فيما سيخرجه للنشء العربي من القصص المفيدة الى اختيار الموضوعات التي تتمثل فيها البطولة والشجاعة والجرأة والشهامة والكرم والإباء والفضيلة بمظاهرها الحقيقية . فانها تربي في نفسه سجايا رفيعة فيضاعف بعمله هذا خدمته للغة وبنيها .

اسعد الحكيم



القرآن

« بالحروف اللاتينية . مكتبة حلمي في استانبول وانقرة ١٩٣٢ »

ليس بالغريب بعد ان الف الاتراك الحروف اللاتينية وهجروا الحروف العربية هجراً لم يبق من سابق صلتهم بها عيناً ولا أثراً ان يعمدوا الى القرآن فيكتبوه بالحروف اللاتينية لتتسنى لشعبهم المتدين قراءته دون ان يكون له مسوغ لتعلم الحروف العربية أو الاتصال بها .

وقد اطلعنا على نسخة من القرآن الكريم الذي عنيت مكتبة حلمي بطبعه ونشره

بالحروف اللاتينية في السنة الحاضرة بمعرفة لجنة علمية من ذوي الكفاءة فالفيناها لا تختلف من حيث الحجم والشكل الخارجي المذهب ورسوم السجدات والاحزاب والفواصل عن النسخ القرآنية العربية . وقد اصطلح في كتابته على جملة من الحروف المركبة والاشارات تضمن قراءته بالمخارج الصوتية العربية مع مراعاة الوقف والمد وغيره . مما يدل على ان الروح الاسلامي لم يزل يرفرف تحت سماء الحكم التركي الجديد .

اسعد الحكيم



الطب العربي وتأثيره في مدنية اوربا

« تأليف الدكتور زكي علي . طبيب بمستشفى القصر العيني »

« مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٣١ »

رسالة صغيرة ضمنها المؤلف كلمة عامة في نشوء الحضارة الاسلامية ومصادر الطب العربي ، وتراجم بعض من اشتهر به كابن سينا والرازي وغيرهما . وما كان لانتقال العلوم الطبية العربية الى اوربا من التأثير في نشوء مدنيتها الحديثة . وذلك بصورة اجمالية موجزة . وقد ختم المؤلف رسالته بذكر المصادر التي استقى منها هذا الموضوع وليس فيها ذكر لأطروحة الدكتور السيد يوسف حريز « تأثير الطب العربي في نشوء الطب الفرنسي » التي اشرنا اليها في محاضرتنا « الطب عند العرب » التي نشرتها مجلة المجمع العلمي العربي في مجلدها السادس ص٤٤٥ سنة ١٩٢٦ مما يدل على ان المؤلف لم يطلع عليها ولما كان في هذه الأطروحة أسانيد قيمة تدعم فكرة المؤلف رأينا من الواجب التنويه بها اتماماً للفائدة المتوخاة من هذا البحث .

اسعد الحكيم



مجموعة الرقم العربية

« طبعت باشراف أن . كومب . وج . سوفاجه وج . فييت . الجزء الثاني »
« عدد صفحاته ٢٧٦ طبع بالقاهرة سنة ١٩٣٢ »

Répertoire Chronologique d' Epigraphie Arabe. Publié sous la direction de M. M. Et. Combe, J. Sauvaget et G. Wiet. Tome II, 276 pages. Le Caire 1932

هذه المجموعة هي من مطبوعات المعهد الافرنسي للآثار الاسلامية في القاهرة ، اشترك بجمعها نخبة من علماء المشرقيات والمحققين وقد ضم هذا الجزء ٤٠٠ كتابة رتبت بحسب قدمها وتاريخها من سنة ٢٤٣ هـ الى سنة ٢٨٥ هـ . واكثر هذه الرقم شواهد قبور وقد ترجمت جميع هذه النصوص الى الافرنسية بدون تعليق . وقد عثرت على بعض اغلاط لا ادري ان كانت في اصل المتن أو هي لخطأ طرأ على قراءتها . وعلى كل حال فقد رأيت من المفيد الاشارة اليها : فقد جاء في الشهادات الآتية :

الشاهدة رقم ٤٠٦ ص : ٥ وس : ٤ (ورحم عليه) وصوابه (وترحم عليه) كما ورد في الشاهدة رقم ٤٠٩ .

الشاهدة رقم ٤١١ ص : ٩ وس : ٤ (المور) وصوابه (الميزان) .

الشاهدة رقم ٤٩٣ ص : ٦٧ وس : ١ (هذا ما تشهد به لحجاجة) وصوابه (هـذا ما نشهد به لحجاجة) .

الشاهدة رقم ٥٠٧ ص : ٧٧ وس : ١ (رىم) ضبطها (رثم) .

الشاهدة رقم ٦٣١ ص : ١٦٢ وس : ٤ (اخذه منها تعبا ظاهرا) وصوابه (أخذه منها نقياً طاهراً) وفي س : ٨ (فالأساء) وصوابه (فالاسا)

الشاهدة رقم ٦٥٠ ص : ١٧٦ س : ٢ (وتحزم العباد بدلة الفناء) وصوابه (ويحرم العباد بذلة الفناء) .

الشاهدة رقم ٦٥٣ ص : ١٧٨ س : ٢ (نقل الله بها ميزانه) يراد به ميزان والدهـا لاميزان الله كما جاءت الترجمة الافرنسية .

وفي س : ٣ (وجعلها نوراً بين يديه رحمة الله ٠٠٠) وصوابه (وجعلها نوراً بين يديه ورحمة الله ٠٠٠

وبعد فقد اسدى القائمون بهذا العمل خدمة جليلة للتاريخ الاسلامي وللغة العربية ، ومتى نجز أصبح من اعظم ماقام به علماء المشرقيات نحو أبناء البلاد العربية فبارك الله بهمة القائمين به ووفقهم لاتمامه ٠

جعفر الحسني

المجلد الثاني عشر الجزء ١١ و١٢



انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة سنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في الشهر

تشرين الثاني — كانون الاول سنة ١٩٣٢ م

الموافق رجب وشعبان سنة ١٣٥١ هـ



دمشق :

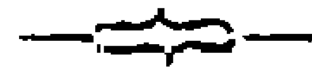
المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي	في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً
الدفع مقدماً	وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

في الداخل	٥٠٠	من السنة الاولى الى الخامسة	الى كل سنة منها
〃	٣٠٠	〃 السادسة الى الحادية عشرة	〃
في الخارج	٦٠	〃 الاولى الى الخامسة	〃
〃	٣٥٠	〃 السادسة الى الحادية عشرة	〃

اثنا عشر كوكبا(1)



أيها السادة !

اقترح بعض الفضلاء أن ألقي على الرجال المحاضرة التي كنت ألقيتها في الاسبوع الماضي على السيدات في هذه الردهة بعنوان (اثنا عشر كوكبا) . ولقد وافق هذا الاقتراح رغبتنا اذ اننا نحب أن يطلع السادة الرجال على نموذج من المحاضرات التي نلقيها على السيدات . فيكون في ذلك زيادة اطمئنان الى المحاضرات النسائية . وإقبال عليها .

وقد اعتدت أن أراعي في المحاضرات النسائية حالة نسائنا في ملكة اللغة العربية ودرجة مقدرتهن على فهم اساليبها . فأفرغ المحاضرات لهن في قوالب سهلة الألفاظ عليهن قريبة التناول من أذهانهن . فأرجو أن لا تؤاخذوني فيما ترون من لين العبارة . والزيادة او التكرار في توضيح الاشارة . وهذه هي المحاضرة :

***

محاضرتي اليوم أيتها السيدات تاريخية . والتاريخ الذي هو العلم بأخبار الماضين من الذ العلوم وانفعها للبشر : لاننا اذا تعلمنا التاريخ وتأملنا كيف كان يعمل الناس الذين عاشوا قبلنا استحسنا من اعمالهم اشياء فنقلدهم فيها واستقبحنا اشياء فنتركها ونعرض عنها . على أن من قرأ تاريخ الازمان الماضية كان كأنه عاش في تلك الازمان كلها على حد قول الشاعر :

(ومن درى أخبار من قبله أضاف أعماراً الى عمره)

وكتب التاريخ مختلفة في طرائقها . وكيفية تأليف أجزائها : وأشهر طرائقها أن

(1) هي المحاضرة التي القاها الأستاذ «المغربي» على النساء ثم على الرجال سنة ١٩٢٣ م

يذكر المؤرخ الأزمان الماضية سنةً وراء سنة . وكلما ذكر سنةً ذكر الحوادث التي جرت فيها : مثل موت فلان الملك . وقيام آخر مكانه . ومثل انه حصل حرب بين الملك الفلاني والملك الفلاني . ومات فلان وفلان من عظماء الرجال . وحصلت مجاعة او طاعون مات بها كثيرون من البشر . وظهر في السماء نجم (ابو ذنب) فذعر له الناس الخ الخ . ثم يقول المؤرخ . ودخلت السنة التي بعد تلك تجري فيها من الحوادث كيت وكيت ولا يزال يسرد السنين واحدة وراء واحدة حتى يكمل تاريخه .

ومن كتب التاريخ ما يسمى (التراجم) و (الطبقات) وهو ان يذكر المؤرخ تراجم مشاهير الناس الماضين . ويسرد اخبارهم . وما فيه فائدة من احوالهم من دون تخصيص زمان ولا مكان مثل تاريخ ابن خلكان ومن المؤرخين من يخصص الزمان : فيذكر الذين عاشوا مثلاً في القرن الثامن للهجرة او التاسع او العاشر . كتاريخ نجم الدين الغزي الذي سماه (الكواكب السائرة في اعيان المئة العاشرة) ولم يطبع بعد وهو من مخطوطات دار كتب المجمع العلمي .

ومن المؤرخين من يخصص المكان . فيذكر في تاريخه علماء بغداد او الحجاز او اليمن مثلاً ولا يذكر سواهم مثل تاريخ (تاج المفرق في علماء المشرق) للبلوي . ومنهم من يخصص الطبقة والصنف فيذكر علماء الحنفية وحدهم او الشافعية . او الحنابلة . او الاطباء . او العميان . كما فعل الصلاح الصفدي في كتابه (نكت الهميان) وكتاريخ طبقات الاتقياء لابن حبان . وهو مما أهداه الامير سعيد الجزائري الى مكتبة المجمع . ومن هذا القبيل كتاب (الدر المنثور في تراجم ربات الخدور) الذي ألفته السيدة (زينب فواز) العاملية الأصل المصرية الموطن والوفاة . وتاريخها المذكور طبع منذ ثلاثين سنة . وهو مجلد ضخم عدد صفحاته (٥٥٠) صفحة تضمنت ترجمة نحو(٥٠٠) سيدة من جميع أجناس النساء شرقيات . وغربيات . معاصرات . وقديمات .

* * *

ندع هذه التواريخ جانباً ونرجع الى تاريخ (نجم الدين الغزي) الذي سماه (الكواكب السائرة) وهو الذي حكى لنا فيه أخبار المشاهير الذين عاشوا في القرن العاشر اي منذ (٤٠٠ سنة) . وانما سماه (الكواكب) لأن كل واحد من المشاهير الذين ذكرهم في كتابه

يشبه كوكب السماء . في الرفعة والنور والبهاء . نقلب بين ورقات هذا الكتاب لنرى هل يوجد بين كواكبه الرجال كواكب من النساء ؟ نقّبنا وبحثنا فوجدنا بين أولئك الكواكب (اثني عشر كوكباً) او اثنتي عشرة امرأة فاضلة عالمة : (ثنتان) في مصر و (خمس) في حلب و (خمس) في دمشق . هذه الكواكب من النساء هن اللواتي أريد ان اسرد تواجمهن . واذكر ما يحسن من أخبارهن . ولهذا سميت محاضرتي (اثني عشر كوكبا) وكواكب الناس ككواكب السماء : مختلفة الأقدار . متفاوتة في الأنوار . لذلك ترون الكلام على بعض النساء قليلاً . وعلى بعضهن كثيرا .

* * *

(الكوكب الأول) (أم الهنا) المصرية . بنت القاضي (ناصر الدين البدراني) كانت شيخة مباركة صالحة . ولها رواية في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم . ومعنى ذلك انها كانت تتلقى حديث رسول الله عن شيوخها حتى اذا أتقنت هذه الأحاديث حفظاً وفهماً سمح لها شيوخها أن ترويها للناس وتعلمهم إياها . وكانت وفاة هذه الشيخة سنة (٩١١) للهجرة .

(الكوكب الثاني) (فرح) المصرية . بنت الامير الكبير الدوادار يشبك . و(الدوادار) لقب من ألقاب الامراء في زمن ملوك مصر الجراكسة . أما أمها فهي بنت الملك المؤيد (شيخ) واسمها (خوند بدرية) . وكانت (فرح) من العابدات التاليات للقرآن العظيم . كثيرة الصدقات على الارامل واليتامى والمنقطعين . ولما أحسّت بدنو اجلها أوصت بشيء كثير من أثاث قصرها . واعتقت جميع مماليكها . وكانت وفاتها سنة(٩٢٧) .

(الكوكب الثالث) (فاطمة بنت الحنبلي) الحلبية . تلقت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشيخ المحدث (برهان الدين) وزارت بيت المقدس وحجت مرتين . وزهدت في الدنيا . ولبست العباءة التي يلبسها الزهاد ثم حجت مرة ثالثة فماتت بمكة سنة (٩٢٥) .

(الكوكب الرابع) (خديجة بنت البيلوني) الحلبية . كانت شيخةً صالحةً

فقيهة . أجاز لها الشيخ الكمال (ابن الناسخ الطرابلسي) رواية حديث البخاري . وكان أهلها شافعية . فلما تزوجت برجل حنفي المذهب تحنفت مراعاة لزوجها . لأن زوجها كان يمس يدها أحياناً فينتقض وضوءها : كما هو حكم مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه . وهي رضي الله عنها ما كانت تتعصب لمذهب دون مذهب كما يفعل بعض الشيوخ . بل كانت تعلم انه لا فرق بين المذاهب . ولا يضر أن يدع المسلم مذهبه ويتبع مذهباً آخر من المذاهب الاربعة . إذ أن كلهم على هدى وسداد . ولما صارت حنفية حفظت عن ظهر قلبها كتاباً في المذهب الحنفي . وماتت سنة (٩٣٠) .

(الكوكب الخامس) (بتوران) الحلبية بنت قاضي القضاة (محمد اثير الدين) ابن الشحنة . وبيت الشحنة في حلب بيت علم قديم ومنهم بل أشهرهم ركن الدين ابن الشحنة قاضي الحنفية في حلب وهو صاحب التصانيف المشهورة وقد توفي سنة (٨١٥) وبتوران الشحنية عاشت بعده بنحو مئة سنة وكانت خيرة صالحة . حجت مرتين . وكلمة (بتوران) تركية ولعلها هي وتوران وبوران من اصل واحد فتحول احداهما الى الأخرى تخفيفاً . ودرست بتوران العلوم . ولها نثر ونظم . وكانت كثيرة الانفاق على الفقراء والمساكين . حتى إنها لما احست بالموت حمدت الله إذ لم يكن في صندوقها درهم ولا دينار . يعني انها حمدته مذ وفقها الى إنفاق جميع مالها في سبل الخير ومواساة المعوزين . ومن أخبارها انها استأجرت وقفاً على مدة تسعين سنة . وكان الذي آجرها الوقف فقيراً . فلما علمت بحاله أعادت اليه وقفه من دون ان تسترد منه المال الذي اعطته اياه . بل سامحته به . وكان مضى من مدة الإجارة زمن قليل . ولما مات اخوها محب الدين الشحنة في الشام رثته فقالت :

(دعوا دمعي يوم البين يجريه فقد ذهب الأسى بجميل صبري)
(وكيف تصبري وأخي رهين بأرض الشام في ظلمات قبر)

وكانت ولادة (بتوران) سنة (٨٦١) ووفاتها سنة (٩٣١) فتكون عاشت نحو سبع وسبعين سنة .

(الكوكب السادس) (باي خاتون) الحلبية : قرأت على عمها شيخ الاسلام

(زين الدين ابن الشماع) كتاب الاحياء للغزالي . وكتاب المنهاج للنووي . وكان عمها (زين الدين) يزورها كثيراً . ومات ورأسه في حجرها . ومن أخبارها انها تصدقت بمائتي مثقال ذهب وكانت ترقي للريح الاحمر فيبرأ المريض باذن الله تعالى. وكانت وفاتها سنة (٩٤٢) ودفنت بجوار عمها (الشيخ زين الدين المذكور) .

(الكوكب السابع) (فاطمة بنت قريمان) الحلبيــة الشيخة الفاضلة الصالحة كانت رئيسة للزاويتين : (الزاوية العادلية) و(الزاوية الدجاجية) وكانت حسنة الخط : كتبت كتباً كثيرة . ولها عبــارة فصيحة . وقد غلب عليها التقشف والتعفف وملازمة الصلوات حتى في حالة المرض . واخبرت عن نفسها قالت : اخذت العلم عن زوجي الشيخ كمال الدين الأردبيلي . وكان زوجها هذا متقناً لستة وثلاثين علماً . وعند موتها أوصتهم ان يدفنوا معها سجادة صلاتها .

وكانت ولادتها سنة (٨٧٨) ووفاتها سنة (٩٦٦) فتكون عاشت ثماني وثمانين سنة . وذكر المؤرخ (ابن الحنبلي) انه شهد جنازتها وحمل بنعشها .

* * *

فرغنا من الكلام على سبعة كواكب: مصريتين وخمس حلبيات. فلننتقل الى الكلام على الكواكب الخمسة الدمشقيات :

(الكوكب الثامن) (أمة الخالق) أم الخير الدمشقية . تلقت العلم عن (الجمال الحنبلي). وأجازها الشرف ابن الكويك . وبموتها نزل اهل الأرض درجةً في رواية البخاري . وكانت ولادتها سنة (٨١١) ووفاتها (٩٠٢) فتكون عاشت إحدى وتسعين سنة .

(الكوكب التاسع) (خديجة بنت نصرالله) الدمشقية الصالحية كان للناس فيها اعتقاد عظيم . وعلى الخصوص الأتراك العثمانيون الذين كانوا قريبي عهد بالاستيلاء على بلاد الشام وبلاد مصر اي نحو عشرين سنة . حتى ان الوزير الاعظم (اياس باشا) ارسل اليهــا من الاستانة مبلغاً من المال لتعمير دارها . وكانت دارها من أوقاف الزاوية الداوودية . وكان اذا شاورها احد الناس في أمر ما تقول له : إصبر حتى أبيّت لك النية

في هـذه الليلة . ثم تصبح فتشير عليه أن يفعل كذا او يترك كذا . وكان غالب ما تشير به يتحقق . لكنّ ابن عمها (الشيخ زين الدين بن نصر الله) كان ينكر عليها ذلك . ويقول لها : (هذا من فعل الكهان ولا استحسن لك يا ابنة عمي ان تشتغلي بهذه الأمور) ولعمري ان الحقّ مع ابن عمها : لأن الغيب لا يعلمه الا الله . وديننا الاسلامي نهانا ان نصدق الكهان الذين يدّعون معرفة المغيّبات . لأجل سلب المال من المغفّلين والمغفّلات . ثم لما عزمت الشيخة خديجة على الحج وقفت بيتها على جامع الحنابلة واعتقت جاريتها . وكانت الشيخة رحمها الله مقعدة : لا تقدر على الطواف حول الكعبة فحملوها في شُقدُف . وطافوا بها . ولما رجعت من الحج ماتت في الطريق في المكان المسمى (هدية) : وهو أحد منازل الحج الشامي . وكانت وفاتها سنة (٩٤٦) .

(الكوكب العاشر) (خديجة بنت محمد) الدمشقية من بني الغزي المشهورين وهي الشيخة الصالحة الفاضلة الفقيهة . تلقت العلم عن ابن عمها (شيخ الاسلام رضي الدين الغزي) وسمعت البخاري والفقه على ابنه (شيخ الاسلام بدر الدين الغزي) وماتت سنة (٩٣٥) ولم يكن لها قريب الا الشيخ رضي الدين الغزي فأثبت نسبها وورثها .

(الكوكب الحادي عشر) (دمشقية من بني الغزي ايضاً وهي (زينب بنت الشيخ رضي الدين الغزي) المذكور . وأخوها بدر الدين الغزي وابن اخيها نجم الدين الغزي . مؤلف كتاب (الكواكب السائرة) .

وبيت الغزي في دمشق بيت علم قديم . وكان نساؤهم يجارين رجالهم في الفتوى والتأليف والتصنيف : يحكى أن الفتوى كانت تصدر من دارهم وعليها تواقيع عدة : الأب وزوجته وابنه الأكبر وابنته وكنته الخ .

ويحكى ان (نجم الدين الغزي) درس في الجامع الأموي وهو دون البلوغ . فكان اذا جلس للتدريس في شهر رمضان وضع قلة الماء على الكرسي بجانب الكراس وكلما جفّ ريقه وعطش تناول القلة وشرب لأن صومه نفل . اما نشره العلم بين الناس فهو آكد واحبّ من صيامه .

وكانت عمته (الشيخة زينب الغزية) من فضليات النساء علماً وديناً وصلاحاً تخرّجت

على والدها (الشيخ رضي الدين) ثم على اخيها (الشيخ بدر الدين) و كتبت لأخيها كتباً بخطها · ومدحته بقصيدة عرّضت فيها بخصومه وحساده فقالت :

(انما العالم الذي جمع العلم واكتمل)
(قام فيه بحقه يتبع العلم بالعمل)
(سهر الليل كله بنشاطٍ بلا كسل)
(فهو في الله دأبه أبدَ الدهر لم يزل)
(حازَ علماً بخشيةٍ وبدنياه ما اشتغل)
(حاسديه ! تعجبوا ليس ذا الفضل بالحيل)
(ذاك مولاه خصّه بكمالٍ من الأزل)
(من يرم مشبهاً له في الورى عقله اختبل)
(أو بلوغاً لفضله فله قطُّ ما وصل)
(فهو شيخي وسيدي وبه النفع لي حصل)

ذكر هذه الابيات ابن اخيها (نجم الدين) في تاريخه (الكواكب السائرة) ثم قال: (ولقد أجادت فيما شادت) · ولها غير ذلك من الاشعار في الوعظ وغيره في غاية الرقة والسلاسة · قال ابن اخيها : (وكانت من أعاجيب العصر · وافاريد الدهر) · وكانت ولادتها سنة (٩١٠) ووفاتها سنة (٩٨٠) فتكون عاشت سبعين سنة ·

***

(الكوكب الثاني عشر) وهو تتمة الكواكب وأفضلها وأتمها نوراً واشراقاً فهو بينها كالشمس بين النجوم · أو كسيدنا يوسف عليه السلام بين اخوته : الأحدَ عشر الذين رآهم في المنام · فقال لأبيه يعقوب عليه السلام (إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) ·

هذا الكوكب هو (عائشة الباعونية) الدمشقية · أعلم نساء القرن العاشر الذي عاشت فيه · بل ربما لم يقم في الاسلام بعد كبار الصحابيات والتابعيات من يشبهها في العلم والفضل · والتفنن في النظم والنثر · والاجادة في التصنيف والتأليف · كانت

كالشيخ عبد الغني النابلسي : في الجمع بين علوم الدين . وعلوم الادب . وعلوم التصوف . وقد قال بعضهم ان الباعونية في نساء الخلف كالخنساء الشاعرة رضي الله عنها في نساء السلف .

(نسب الباعونية) هي عائشة بنت القاضي (يوسف بن احمد بن ناصر الدين). وكنيتها ام عبد الوهاب . وشهرة بيتها (الباعوني) نسبة الى (باعونة) وهي قرية من قرى عجلون .

(نشأتها وشيوخها) قالت هي تخبر عن أول نشأتها « وكان مما أنعم الله عليّ انني بحمده تعالى لم ازل اتقلب في اطوار الإيجاد . في رفاهية لطائف البر الجواد . الى ان خرجت الى هذا العالم المشحون بمظاهر تجلياته - الطافح بعجائب قدرته وبدائع آياته . المشوبة موارده بالاقذار والاكدار . الموضوع بكمال القدرة والحكمة للابتلاء والاختبار دار ممر لا بقاء لها الى دار القرار . فرباني اللطف الرباني في مشهد النعمة والسلامة . وغذاني بلبان مدد التوفيق لسلوك سبيل الاستقامة . وفي بلوغ درجة التمييز . أهلني الحق لقراءة كتابه العزيز . ومنّ عليّ بحفظه على التمام . ولي من العمر ثمانية أعوام . ثم لم ازل في كنف ملاطفات اللطيف . حتى بلغت درجة التكليف » . اه

ويفهم من كلام (الغزي) ان اهلها أخذوها الى مصر القاهرة للتحصيل فنالت من العلم نصيبًا وافراً . واجازها شيوخها بالافتاء والتدريس ثم عادت الى وطنها دمشق الشام . وتلقت علم الفقه والنحو والعروض عن عدة علماء منهم الشيخ (اسماعيل الحوراني) . وقال الغزي انها تنسكت على يد السيد الجليل الشيخ (اسماعيل الخوارزمي) . ولا أحسب الا ان شيخيها المذكورين (اسماعيل الحوراني) و(اسماعيل الخوارزمي) واحد وقد تحرف احد الاسمين الى الآخر . وبعد الشيخ اسماعيل لازمت خليفته الشيخ يحيى الارموي . وتلقى عنها العلم طائفة من العلماء الاعلام .

(ماقالوه في نعتها) قال الغزي في الكواكب السائرة : (هي الشيخة الاريبة العالمة العاملة الصوفية أحد افراد الدهر . ونوادر الزمان . فضلاً وعلماً وادباً وشعرا . وديانة وصيانة .

وقالت (زينب فواز) في تاريخها (الدر المنثور) : (كان على وجهها من الجمال لمحة جملها الأدب . وحلتهـا بلاغة العرب . فجعلتها بغية الطالبين . ومنية الراغبين) ووصفها الشيخ عبد الغني النابلسي فقال : (فاضلة الزمان . وحليفة الأدب في كل مكان) . وقال غيره (ربة الفضل والادب . وصاحبة الشرف والنسب) .

« مؤلفاتها »

(١) « الفتح الحقي » — وهو يشتمل على كلمات لدنية . ومعان سنية .

(٢) « الملامح الشريفة والآثار المنيفة » — وهو يشتمل على انشادات صوفية . ومعارف ذوقية .

(٣) « درر الغائص في بحر المعجزات والخصائص » — هي قصيدة رائية .

(٤) « كتاب الاشارات الخفية في المنازل العلية » — وهي أرجوزة اختصرت فيها كتاب « منازل السائرين » للشيخ الهروي .

(٥) « أرجوزة » — لخصت فيهـا كتاب « القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع » للسخاوي .

(٦) « المورد الأهنا في المولد الاسنى » — وهو مطبوع وتوجد منه نسخة بخط يد المؤلفة الباعونية في خزانة كتب أحمد باشا تيمور في القاهرة .

(٧) « فيض الفضل » — وهو ديوان شعرها . وتوجد منه نسخة ايضاً في خزانة تيمور باشا .

(٨) « الفتح المبين في مدح الامين » — وهو شرح لها على بديعيتهـا المشهورة التي مطلعها :

(في حسن مطلع أقمار بذي سلم أصبحت في زمرة العشاق كالعلم)

والشرح في مجلد لطيف نحو مئة صفحة . أوله : الحمد لله محلي جياد الافهام بعقود مدح الشفيع . ومحلي سلامة الأذواق بمكرر ذكره الرفيع الخ . وقد فرغت من تصنيفه سنة (٩١٩) .

ولايخفى ان السيدة الباعونية كانت صوفية متنسكة . وعلماء التصوف — وهم شيوخ

الطريق — اذا ذكروا الحب والمحبوب · والمشموم والمشروب · فانما يريدون بذلك جميعه معاني تتعلق بحب الله تعالى · فالله محبوبهم · وبه وجدهم وهيامهم · واشهر الصوفية الذين أطلقوا هـذه الالفاظ على هذه المعاني في مناجاتهم الالآهية الشيخ عمر بن الفارض · فالسيدة عائشة الباعونية انما ارادت بكلمة العشاق في قولها (اصبحت في زمرة العشاق كالعلم) عشاق الحضرة الإلآهية ·

***

نرجع الى بديعية الباعونية فنذكر لكم منها أبياتاً على سبيل النموذج :

(الجناس المذيل والتام) ·

(اقول والدمع جار جارح مقلي   والجار جار بعذل فيه متهم)

(الجناس المركب)·

(ياسعد ان أبصرت عيناك كاظمةً   وجئت سلعاً فسل عن اهلها القدم)

(الجناس المصحف والمطلق) ·

(فثم أقمارُ تِمٍّ طالعين على   طوبلع حيِّهم وانزل بحيهم)

(الجناس المخالف) :

(أحبــةٌ لم يزالوا منتهى أملي   وإن هموا بالتنائي أوجبوا ألمي)

(النزاهة) :

(عن ذمّ مثلك تبياني أنزّهه   إذ أنتَ عنديَ معدودٌ من النّعَمِ)

(الغلوّ) :

(وذكره كاد — لولا سُنَّة سبقت   — إذا تكرر يُحيي باليَ الرمِ)

(التفريق) :

(قالوا هوالغيثُ قلتُ الغيثُ آونةً   يهمي وغيثُ نداه لا يزال همي)

(تشبيه شيئين بشيئين) :

(كأنهم في عجاج النقع حين بدوا   بدورُ تمٍّ بدت في حندس الظلمِ)

(العَقْد[1]) :

(حسبي بحبك أن المرء يُحشر مع   أحبابه . فهنـأني غير منحسم)

وعدد أبيات هذه البديعية نحو (١٣٠) بيتاً . وقد أجادت في معظمها وربما فاقت غيرها من أصحاب البديعيات في كثير من الأبيات . وقد تكفل ببيان إجادتها وتفوقها على غيرها الشيخ عبد الغني النابلسي في شرح بديعيته الذي سماه « نفحات الأزهار على نسمات الاسحار » وهو مطبوع .

وقالت الباعونية في مقدمة شرح بديعيتها الذي سمته (الفتح المبين) ما نصه :

وبعد فهذه قصيدةٌ صادرة عن ذات قناع . شاهدةٌ بسلامة الطباع . منقحة بحسن البيان . مبنية على أساس تقوى من الله ورضوان . سافرةٌ عن وجوه البـديع . سامية بمدح الحبيب الشفيع . مطلقة من قيود تسمية الأنواع . مشرقةٌ في أفق الإبداع . موسومةٌ بين القصائد النبويات . بمقتضى الإلهام الذي هو عمدة اهل الاشارات (بالفتح المبين . في مدح الأمين) الخ الخ .

ولم أرد أيها السيدات ان أستقصي الدلائل على مقدرتها في صناعتي النظم والنثر وانما أردتُ الإلماع الى ان المرأة يمكنها ان تتعلم وتنال من العلم حظاً وافراً تنتفع به . وتنفع الناس . كما كان من السيدة الباعونية .

والذي يساعد النساء المسلمات على التحصيل والتفوّق في العلم انقطاعهن في البيوت . فانهن بدل ان يقضين أوقاتهن في البطالة والزينة ولهو الحديث يمكنهن بسبب هذا الانقطاع أن يقضينها في المطالعة والدرس والتحصيل . فالبيت بالنسبة الى المرأة المسلمة كالمدرسة الداخلية التي يمكث فيها التلميذ ليلاً ونهاراً . فلا يعرض له مايلهيه ويشغله عن الدرس والتحصيل . وهكذا السيدة الباعونية عرفت كيف تستفيد من العُزلة والانقطاع في الخدر . فضربت بسهم وافر من العلم وحسن الذكر .

***

(١) العقد هو أن يضمن الشاعر شعره آيةً أو حديثاً أو حكمة وقد عقدت في هذا البيت حديث (يحشر المرء مع من أحب) .

« شعرها »

وشعر الباعونية رشيق الاسلوب · سهل الألفاظ · لاغموض فيه ولا تعقيد · ومنه قولها تصف دمشق :

(نزّه الطرف في دمشقَ ففيها كلما تشتهي وما تختار)
(هي في الارض جنةٌ فتأمل كيف تجري من تحتها الانهار)
(كم سما في ربوعها كلُّ قصرٍ أشرقت في سمائه الأقمار)
(وتناغيك بينها صادحات خَرِست عند نطقها الأوتار)
(كأنَّها روضةٌ وماءٌ زلال وقصور سكانها أبرار)

ومن شعرها البيتان المشهوران · قالوا انها نظمتهما في جسر الشريعة لما بناه الملك الظاهر برقوق وهما :

(بنى سلطاننا برقوق جسراً بأمر والانام له مطيعة)
(مجازاً في الحقيقة للبرايا وأمراً بالمرور على الشريعة)

لكن هنا اشكال تاريخي : وهو ان الملك (برقوق) بنى هذا الجسر سنة ٧٨٢ هـ وجعل طوله ١٢٠ ذراعاً وانتفع الناس به كما ذكر ذلك صاحب تاريخ (شذرات الذهب في أخبار من ذهب) اما عائشة الباعونية فقد توفيت سنة (٩٢٢) اي بعد بناء الجسر بمائة واربعين سنة فلا يعقل انها كانت حية حين بنائه · فلعل الجسر تهدم واعاد خلفاء برقوق بناءه في زمنها فقالت البيتين ناسبة البناء الى برقوق لأنه اول من بنى ·

ومن تشبيهاتها البديعة قولها في تشبيه خال في عنق مليح ·

(كأنما [1] الخال تحت القرط في عنقٍ بدا لنا من محيا جلّ من خلقا)
(نجمٌ غدا بعمود الصبح مستتراً خلف الثريا بقرب الشمس فاحترقا)

ومن شعرها :

(وصيرت بدر التم مذغاب مؤنسي أنيسي وقلت البدر منه قريب)

---

(١) رأينا حين إلقاء هذه المحاضرة على السيدات ان لا نذكر لهن هذين البيتين ومابعدهما من أشعار الحب والغزل لكننا ذكرناها للرجال ·

(فحجبه عني الغمام بذيله فوا عجباً حتى الغمام رقيب)

ومن شعرها بلسان رجال التصوف قولها :

(حبيبي انت من قلبي قريب وعن سرّي جمالك لا يغيب)
(لبستَ الحسن في حال التجلّي فشاهدتُ الجمال ولا رقيب)
(وأبْدَتْ الوصال فلا صدودٌ ولا هجر ولا شيءٌ يريب)
(وطفت عليَّ في حان التصابي بكأسٍ عيش شاربه يطيب)
(تنادمني وتسقيني مُدامي وتحضرني لديك فلا أغيب)
(وتذكرني وتشهدني جمالاً تقدّس أن يكون له ضريب)
(فلا خوفٌ وانت أمان قلبي ولا سُقم وانت ليَ الطبيب)
(ولا حزنٌ وانت سرورسرّي ولا سؤل وانت لي الحبيب)

واكرر القول بان شعرها هذا وما فيه من كلمات الحب والجمال والوصال والكأس والمدام — كله لم ترد به الباعونية الا الحب الإلهي . ويفهم هذا المعنى جيداً من قولها في الشعر الغنائي :

(يا محبوبي يا مطلوبي . يامقصودي ياموجودي . كن لي كن لي . واجبر كسري وأغن فقري . بالتداني والوصال) .

(حبك تيّم . فيك المغرم . ولي هيّم . لا بل أعدم . عقلي عقلي . قد حيرني قد شهّرني . وأضناني بالدلال) الخ .

فاسمعوا كيف قالت (اجبر كسري وأغن فقري) فهل يكون هذا الخطاب الا للرّب سبحانه وتعالى الذي هو وحده يجبر الكسر . ويغني الفقر .

« البقية تأتي » المغربي

العشر والخراج

« في الخلافات العربية »



أقرأ أحيانًا لبعض المؤرخين والكتاب جملاً يشيرون فيها الى ثقل الخراج والضرائب الزراعية كافةً في الشرع الاسلامي ، ايام الخلافات العربية القديمة . فهذا ينقل ان المنصور العباسي جعل خراج الحنطة والشعير في السواد (العراق) مقاسمة ، وان ابنه المهدي جعل المقاسمة بالنصف في الارض التي تسقى سيحًا ، وبالثلث في الارض التي تسقى بالدوالي وبالربع في الأرض التي تسقى بالدواليب . ويستعظم الكاتب هذا المقدار ويسكت عن خراج المحاصيل الأُخرى وعن الاعشار وعن اساس ضريبة الخراج والأعشار في الاسلام حتى يظن القارئ ان الخلفاء السابقين كانوا ظلمةً يرهقون الرعية اجمالاً .

وذاك ينقل عن الاصطخري ان خراج الجريب في شيراز حنطة اوشعيراً ١٩٠ درهمًا دون تمعن في هذا الخلط الذي خلطه هذا المؤرخ كما سنثبته بالأرقام . وذلك ينقل عن ابن حوقل ان القائد جوهر جبى خراج مصر سبعة دنانير على الفدان وهو يستكثر ذلك لكنه لايذكر لنا هل دامت هذه الجباية أكثر من سنة الخ .

ولما كانت هذه القضية ذات مكانة تتعلق بأساس العدل في الشرع الاسلامي ، وفي الخلافات الاسلامية الأُولى ، جئت بهذه المقالة الموجزة مثبتًا ان العرب كانوا في الجملة عادلين في وضع الضريبة الزراعية على اشكالها ، وانهم كانوا أعدل من بعض الدول المتمدنة .

ولنراجع في هذا الصدد كتاب الخراج لأبي يوسف ، وكتاب الخراج لابن آدم القرشي ، نجد ان المسلمين عندما فتحوا الفتوح في صدر الاسلام ودوخوا الممالك وملكوا

بلاد الأكاسرة والقياصرة اقروا الاكارين على ارضهم حتى في البلاد التي فتحوها عنوة كسواد العراق مثلاً فان الشرع وقواعد الحرب في تلك الأيام كانت تبيح لهم الاستيلاء على بلاد العدو التي يظهرون عليها ، ومع هذا عفت نفوسهم عن ذلك ولم يروا فيه حكمة ، فابقوا الناس قائمين على استغلال ارضهم ، على ان يدفعوا شيئاً كالخراج .

اما الارض التي صالح اصحابها ، فمن البديهي انها لبثت لهم ولم يلزموا الا بخراجها او بما صولحوا عليه . وأما الارض التي هجرها اصحابها لسبب من الاسباب والارض الموات فهذه وزعت على المسلمين فصاروا يدفعون عشر غلاتها الى بيت المال (وهي الصدقة او الزكاة) اذا كانت الزروع والأشجار تسقى سيحاً ونصف العشر اذا كانت تسقى بالتعب ، وكل ذلك اذا كانت غلتها فوق خمسة اوسق من الحبوب او الثمار ، اما التي غلتها دون ذلك فلا يؤخذ عنها شيء . والوسق في صدر الاسلام كما حققه المستشرق زمبور (Zambaur) في معلمة الاسلام ١٣٧ كيلو غراماً تقريباً . فكأن الشرع ترك للفلاح وأسرته ٦٨٥ كيلو غراماً اي مؤونة سنة بلا ضريبة او كأنه استثناه من الضريبة مادامت غلاته من ارضه الصغيرة دون خمسة اوسق وهو منتهى العدل ، ولا أظن ان حكومة من حكومات هذه الأيام بلغ بها البر بالفقراء هذا المبلغ حتى حكومة البلاشفة اي حكومة الصعاليك كما يسميها بعضهم .

ومن المعلوم ان الحجاز واليمن وكل جزيرة العرب كانت تدفع العشر وليس عليها خراج ، وان كل ارض أسلم عليها أهلها فهي ارض عشر ايضاً ، وانه اذا أقطع مسلم ارض الخراج فللامام ان يصير عليه خراجاً او عشراً اوعشراً ونصفاً او عشرين لكن كثيراً من الأمثال كانت تدل على ان العشر هو ما كان يفرض في الغالب . ولما كانت الارض تتحول في انحاء الممالك الاسلامية بمرور الزمن الى ايدي المسلمين لأسباب شتى صارت ارض العشر تزداد كما صارت ارض الخراج تنقص . والعشر كما لا يخفى ضريبة لابأس بها ، خصوصاً في الاعذاء والبخوس حيث الأمطار تتفاوت مقاديرها بين سنة وسنة ، وحيث يجوز ان يمحل اقليم بكامله مرة في كل بضع سنوات . وليس استيفاء عشرة في المائة او خمسة في المائة من المحصول ضريبة كبيرة في تلك الايام ، ولا يتأتى للمنصف ان يجد هذه الضريبة ثقيلة الوطء على الاكارين واصحاب الارضين .

هـذا في أرض العشر اما أرض الخراج فهي تحتاج الى قليل من الإيضاح . ولنتخذ سواد العراق مثلاً فان عمر بن الخطاب (رض) وضع على الجريب قفيزاً ودرهماً . وقال بعضهم انه وضع على جريب الحنطة اربعة دراهم وعلى جريب الشعير درهمين . فالجريب مساحته ٣٦٠٠ ذراع مربع اي ٩١٩ متراً مربعاً تقريباً وهومايسميه الترك دونماً . ويبذر في جريب من الأرض المسقوبة الجيدة كأرض السواد ١٨ كيلو غراماً من الحنطة تغل نحو ١٥٠ كيلو غراماً ثمنها اليوم على هبوط اسعار الحبوب ٥٢٥ قرشاً سورياً اي ٨٤ قرشاً مصرياً ذهباً .

وجاء في مجلة الإسلام ان الدينار ٤،٢٥ غرام من الذهب (اي بوزن خمسين قرشاً مصرياً ذهباً) وان وزن الدرهم على أصح تحقيق ٢،٩٧ غرام من الفضة وان نسبة قيمة الفضة الى قيمة الذهب في صدر الإسلام كنسبة واحد الى اربعة عشر ، فيكون الدينار مساوياً لعشرين درهماً تماماً . وعلى هذا تكون قيمة الدرهم قرشين ونصفاً من القروش المصرية الذهبية يمكن ان يشترى بها اليوم ٤،٥ كيلوغرام من الحنطة . فاذا فرضنا مع كثير من المحققين ان قيمة النقود في تلك الأيام كانت ثلاثة أمثالها في أيامنا هذه أمكن شراء ١٣،٥ كيلو غرام من الحنطة بدرهم .

أما القفيز في صدر الإسلام فهو يعادل ٢٧،٥ ليتر اي ٢١ كيلو غراماً ونيفاً (وزن الليتر من الحنطة المتوسطة الجودة ٠،٧٧ كيلوغرام) . فاذا أضفنا وزن القفيز من الحنطة وهو ٢١ كيلو غراماً الى ما كان يمكن ابتياعه بدرهم وهو ١٣،٥ كيلو غرام بلغ المجموع ٣٤،٥ كيلو غرام واذا نسبنا هذا المقدار (وهو الخراج اي قفيز ودرهم) الى محصول الجريب وهو ١٥٠ كيلو غراماً من الحنطة بلغ الخراج ٢٣ في المئة من غلة الحنطة في الجريب .

هذا ما حققناه نحن . أما اذا حسبنا مع الماوردي ان ثمن القفيز من الحنطة كان ثلاثة دراهم يكون الدرهم ثمن سبعة كيلوغرامات من الحنطة . ويكون الخراج ٢١ + ٧ = ٢٨ كيلو غراماً اي دون ١٩ في المائة من غلة الجريب . والدرهم سبعة اعشار المثقال لكنه جاء في كتاب الخراج لأبي يوسف (ص ٣١) ان الدرهم أيام عمر (رض) كان كبيراً بوزن المثقال فعلى هذا يكون الدينار عند ذاك ١٤ درهماً ويكون الدرهم ٣،٥٨ قرش

مضنتزي ذهباً يمكن أن يشتري بها اليوم ٣ ، ٦ كيلوغرامات من الحنطة وفي تلك الأيام ثلاثة أمثالها أي ١٩ كيلوغراماً . ويكون مجموع الخراج من قفيز ودرهم ٤٠ كيلوغراماً أي ٦ ، ٢٦ في المائة من المحصول .

واذا حسبنا الحساب نفسه لغلة جريب من الشعير ، او لمحصول جريب من الكرم وهو يغل الفاً الى الفي كيلوغرام من العنب ، او لمحصول جريب من النخل ومتوسط ما يحويه عشرون نخلة تحمل واحدتها مائة كيلوغرام من البلح ، او لجريب من الخضر الخ سنجد ان الخراج يختلف بين ٢٠ و ٣٠ في المائة من محاصيل هذه الأنواع النباتية .

وبعد فمهما تكن نسبة الخراج الى الغلة في الجريب ، فهذا الخراج ما كان ثقيلاً على فلاحي السواد للأسباب الآتية خاصة ، وهي كون الخراج كان مقطوعاً عن سنة كاملة على حين أن الأقاليم الحارة ، كالسواد في العراق ، وكالغور في الشام ، اعتادت زرع نوعين نباتيين في سنة واحدة وهذا متيسر في كل أرض خارة غزيرة المياه كثيرة الدمال فالجريب من الحنطة مثلاً كان خراجه قفيزاً من الحنطة ودرهماً في السنة لكن الفلاح كان يستغله في كثير من الأحايين ذرة او سمسماً او خضراً بعد حصاد الحنطة في السنة نفسها وما كان يدفع خراجاً عن تلك الزروع الصيفية التي تعقب الحنطة لأن الامام عمر نهى عن ذلك وجعل الخراج على جريب الحنطة في سنة كاملة مهما استغل الأكار ذلك الجريب في تلك السنة .

والجريب من النخل ايضاً كان خراجه ثمانية دراهم لكنه كان بالامكان زرع زروع سنوية شتى تحت النخل دون ان يجعل عليها لبيت المال شيء وهكذا .

فيستنتج من ذلك ان الخراج في صدر الاسلام ما كان ثقيلاً في السواد البتة ، وانه ما كان يزيد على عشر غلات الأرض الا قليلاً في الجملة . وقد جاء في كتاب الخراج لأبي يوسف (ص ٤٤) ان عمر (رض) سأل عثمان بن حنيف (وكان انتدبه للنظر في خراج السواد) : « انظر لا تكون حملت الأرض ما لا تطيق فقال عثمان حملت الأرض امراً هي له محتملة ولو شئت لأضعفت ارضي » يريد بذلك انه كان في وسعه مضاعفة خراج ارضه الخاضعة دون ان يرهقها بثقل تلك الضريبة .

وجاء في (ص ٤٩) ان عبد الملك بن مروان جعل في الجزيرة والشام والموصل على

كل مائة جريب زرع مما قرب ديناراً وعلى كل مائتي جريب مما بعد ديناراً وعلى كل الف اصل كرم مما قرب ديناراً وعلى كل الفي اصل مما بعد ديناراً ٠ وعلى كل مائة شجرة مما قرب من الزيتون ديناراً وعلى كل مائتي شجرة مما بعد ديناراً ٠ وكان غاية البعد مسيرة اليوم واليومين واكثر من ذلك٠ فالجريب من الأعذاء في الشام يبذر فيه ١٣ كيلو غراماً (١) ويستغل منه ٧٠ كيلو غراماً فتكون غلة مائة الجريب ٧٠٠٠ كيلو غرام ٠ ولما كان بالامكان شراء ١٣٢٥ كيلوغرام من الحنطة بدرهم كامر ذكره وكان الدينار ٢٠ درهماً في الفرط عادل ذلك الدينار ٢٧٠ كيلو غراماً من الحنطة اي نحو ٤ في المائة من غلة مائة الجريب ٠ واذا فرضنا ان الفلاح استغل نصف هذه المساحة وترك نصفها ترتاح ما زادت هذه الضريبة على ٨ في المائة من الغلة اي اقل من العشر ٠ وكل ذلك حول المدن والبلدان ، اما على الأرض البعيدة فلم يجعل الخليفة المشار اليه الا نصف تلك الضريبة ٠٠

والف الأصل من الكرم تغرس في اربعة اجربة تقريباً وتغل ٤٠٠٠ — ٨٠٠٠ كيلو غرام من العنب ٠ فالدينار اليوم يمكن ان يبتاع به ١٥٧ كيلوغراماً من العنب ٠ فاذا فرضنا انه كان يمكن شراء ثلاثة امثالها في تلك الأيام اي ٤٧١ كيلوغراماً وفرضنا ان معدل غلة الف الأصل من الكرم ٦٠٠٠ كيلوغرام بلغت ضريبة الدينار ٨ في المائة من منتوج الكرم في القريب من الأرض و٤ في المائة في البعيد منها ٠

ويلخص ذلك بأن الضريبة الزراعية في بلاد الشام والموصل والجزيرة سواء اكانت عشور الغلات او كانت مقطوعة كما في ايام عبد الملك بن مروان فانها كانت عادلة في الجملة ٠

ولبث العشر والخراج في الممالك الاسلامية على ماذكرنا الى ايام المنصور العباسي ٠ ومن البديهي ان الحروب والفتن ايام الأمويين جعلت الخراج في السواد خاصة فاحشاً على كل ارض يضطر اصحابها الى تركها بلا زراعة في سنة من السنين ٠ لكن هذا الحال شاذة لاتتخذ دليلاً على ثقل الخراج في ذاته ٠ ولو ان العباسيين عندما اتخذوا بغداد عاصمة لهم ووجهوا نظارهم الى السواد ووطدوا فيه الأمن وكروا انهاره الكبيرة وعطفوا على اكرته

(١) جميع ارقامنا في هذه المقالة متوسطة ومن البديهي ان مقدار البذار في المساحة الواحدة يختلف بمختلف كور الشام (انظر ص ٣٤١ من كتاب الزراعة العملية الحديثة) ٠

قلت لو انهم ابقوا الخراج عند ذلك على حاله اي بالمساحة على كل ارض مستغلة بدلاً من جعله بالمقاسمة لكانوا في عملهم اعدل . والمنصور هو الذي جعل خراج السواد بالمقاسمة . ويظهر ان المقاسمة كانت بالنصف ايام المهدي في الارض التي تسقى سيحاً اي بلا تعب وبالثلث في الأرض التي تسقى بالدوالي وبالربع في التي تسقى بالدواليب . اما النخل والاشجار السائرة فلبث خراجها بالمساحة كما كان في صدر الاسلام . ويظهر ان المأمون انزل النصف الى خمسين فيما تسقى سيحاً .

فهذا الخراج هو ما يستثقله الكتاب والمؤرخون خاصةً وهو في الحقيقة ثقيل لكنه لم يدم طويلاً عدا ان له مبررات لا يجوز ان يضرب بها عرض الحائط وهي ان بيت المال كان ينفق وحده على حفر الأنهار واصلاحها وصنع المسنيات (الأسداد) وسد البثوق ، وكان ايضاً يشاطر الأكارين نفقات كري الأنهار العظام . ثم يجب ان لا ننسى ان مالك الأرض هو الإمام ، وان الفلاحين كانوا يعدون شركاء في استغلال الأرض ، ولذلك كان الناس لا ينكرون على بيت المال استيفاءه نصف الغلة او ثلثها او ربعها من غير المسلمين الذين أبقوا في ارضهم في السواد ، على حين انهم ممن غلبوا على بلادهم . افلسنا نرى اليوم اصحاب الأرض المسقوية يستوفون ربع الغلة وثلثها حتى نصفها من الفلاحين الذين يقومون بجميع نفقات استغلال الأرض وتثميرها . ومن البديهي أن صاحب الأرض هو الذي يعطي بيت المال ضريبة الأرض في جملة حصته المذكورة . ومع ذلك نعرف كثيراً من الكور ترفع فيها الضريبة من مجموع الغلة ثم يتقاسم صاحب الارض والفلاح الباقي على ثلث وثلثين .

هذه هي المعلومات التي يركن اليها في كتب الخراج وكتب التاريخ اما ما جاء به بعض المؤرخين من الخلط فشيء كثير . ويجب على الكتاب والمؤلفين ان يمحصوها قبل اتخاذها دليلاً على ظلم الخلافات العربية للرعية مثال ذلك ما جاء في الصفحة ١٥٧ من المسالك والممالك للأصطخري (طبعة ليدن سنة ١٨٧٠) وهو ان خراج الجريب حنطة أو شعيراً في شيراز من بلاد فارس كان ١٩٠ درهماً وان الجريب هناك كبير يساوي ثلاثة اجربة وثلثين من الجريب الصغير (الجريب الصغير ستون ذراعاً في ستين ذراعاً من ذراع الملك وهو الذي تناوله بحثنا) فاذا كان الدرهم الذي ذكره الأصطخري هو الذي عرفناه اي الذي

كل عشرين واحداً منه في الفرط تساوي ديناراً تكون المائة والتسعون درهماً كافية لشراء ٢٥٦٥ كيلو غراماً من الحنطة في تلك الأيام (١٣٧٥ كيلوغرام بدرهم) على حين ان ثلاثة الاجربة وثلثي الجريب تنتج ٥٥٠ كيلوغراماً (غلة الجريب ١٥٠ كيلوغراماً في الأرض المسقوية) فتكون النتيجة على رأي الأصطخري ان الخراج في شيراز يفوق اربعة أمثال ما تغله الأرض فأي عقل يقبل هذا القول . اما اذا كان الدرهم الذي ذكره الأصطخري شيئاً لا نعرفه وكانت قيمته أدنى بكثير من قيمة الدرهم المعروف فعندئذ يزول العجب لكنه يجب في هذه الحال ان لا يتخذ قول الأصطخري حجة على ظلم العرب للأكارين .

ومثاله ايضاً ما نقل عن ابن الأثير من ان خراج الفدان في المغرب ايام عباس بن ابراهيم بن الأغلب بلغ ١٨ ديناراً واستعظم الكتاب هذا المبلغ لكنهم لم يفكر احدهم بما يمكن ان تكون مساحة الفدان . فهي اذا كانت فداناً مصرياً أو فداناً خطاطاً دمشقياً كان كلام ابن الأثير خلطاً لا يعول عليه البتة لأن الثمانية عشر ديناراً في تلك الأيام تفوق ثمن مجموع غلة الفدان اضعافاً . اما اذا كان الفدان كما في اعذاء الشام اليوم اي أكثر من مائة جريب غالباً لا يبقى عندئذ وجه للانتقاد .

والخلاصة ان العرب في إبان مجدهم الزاهر ما كانوا يستوفون من الفلاحين ضرائب كبيرة اجمالاً . واذا ظلم بعض العمال الرعية أحياناً لحاجة الى المال في حرب عدو او اخماد فتنة ، او اذا عاقب بعض الخلفاء سكان احدى الكور بمضاعفة الخراج لعمل شائن اتوه فليس من العدل في شيء ان تتخذ ذلك ذريعة للطعن في الخلافات الاسلامية العربية في الجملة . ثم ليُنعم القارئ النظر في قروض الدول الأوربية الكبرى من رعاياها ومن بعضها بعضاً افلا يجد ان كثيراً من المال المقرض يذهب هدراً أو يذهب قسم كبير من فائدته على الأقل بنتيجة الحروب والازمات الاقتصادية فأي فرق من حيث النتيجة بين هذه الخسارة التي يخسرها الشعب وبين مضاعفة الخراج لأسباب قاهرة . وليبحث عن الضرائب التي تستوفيها تلك الدول من رعاياها ولاسيما الضرائب المتصاعدة افلا يجدها اثقل مما كانت تستوفيه الدول العربية . وبعد فحبذا الانصاف في التاريخ ووُقينا شر الشعوبية والجراء .

مصطفى الشهابي

تاريخ سورية المجوفة

لمعة تاريخية منه في أدبائها وعلمائها

بقلم مؤلفه عيسى اسكندر المعلوف عضو المجمع العلمي العربي بدمشق



تمهيد

سبقت لي كلمة في وصف (تاريخ سورية المجوفة) الذي وضعته بتطويل ولا يزال مخطوطاً وذلك في هذه المجلة في المجلد السادس والصفحة ٢٨٩ — ٢٩٤ في سنة ١٩٢٦ م ونقلت منه قطعة مختصرة في تحليل الاعلام ونشرت اشياء منه في مجلة المقتطف والمقتبس والعرفان والآثار وجريدة البشير وغيرها من الصحف ايضاً كامثلة تدل عليه وتعرّفه للمطالعين ووعدت بانتخاب غير ذلك لهذه المجلة فهاك الآن لمعة عن أدباء سورية المجوفة وعلمائها أقتطفها من مباحثه المطولة فأقول :

— أدباء سورية المجوفة وعلماؤها —

نشأ في هذه البقعة عدد كبير من العلماء الاعلام قديماً وحديثاً ممن استللت تراجمهم من كتب كثيرة مخطوطة ومطبوعة بحسب ما وصلت اليه يد البحث والتنقيب على قلة المصادر وتبعثر الكتب المخطوطة في المكاتب الشرقية والغربية ، وصعوبة الحصول على ما ضنّ به مقتنوها أو حفظوه لهم فلم آلُ جهداً في التتبع والاستعلام حتى حصلت على ما ربما يروي الغليل من تلك الآثار التي تتناول لبنان وادي التيم ووادي بردى الغربي وبلاد بعلبك والبقاع الى ما يحيط بها من الأماكن . فاقتصر الآن على علماء بلاد بعلبك فقط :

ادباء بعلبك

كانت هذه المدينة المشهورة بآثارها القديمة العجيبة مظهراً من مظاهر العظمة وميداناً للعبادات القديمة والأساطير الغريبة فنبغ فيها المتفننون من بنائين ونقاشين ومصورين ورياضيين وفلكيين ومهندسين ومخترعين ومؤلفين كما تشهد بذلك أعمالهم الباقية وأبنيتهم الشامخة ونقوشهم الرائعة وهندستهم الفائقة وتآليفهم الشائقة ·

وكانت بعلبك فوق ذلك ولاسيما في ايام العرب دار علم وحديث ومباءة للعلماء يرحلون اليها في طلب المعارف وتحقيق الدروس فقصدها كثير منهم حصلوا فيها ما حصلوا بالدرس على علمائها ونبغ من ابنائها وما يجاورها كثير ممن تشهد لهم آثار اقلامهم الى اليوم ·

فروى المؤرخون ومنهم الحافظ ابن عساكر المشهور في تاريخ دمشق المطول[1] عن جماعات نشأوا فيها وتخرج عليهم من قصدهم من الطلاب · وذكر غيره كثيراً ممن رحل الى بعلبك ومنهم الشيخ محمد بن مالك الاندلسي مؤلف الألفية في النحو الذي سكن بعلبك وقرأ عليه فيها جماعة ·

(فمن المهندسين) كالنيكوس البعلبكي الذي كان في القرن السابع للميلاد وهو مخترع (النار اليونانية) وهي كرات خزفية رمانية الشكل او صنوبرية محشوة بالنفط والكبريت والقطران وأشباهها من المواد المشتعلة والمنفجرة تشعل بفتيل داخل فيها فتنفجر وتدك الابنية والحصون وكان اول استعمالها في مهاجمة معاوية بن ابي سفيان الأموي للقسطنطينية فردته تلك النيران عن فتحها وفي متحف مجمعنا العلمي في دمشق كثير منها ·

وقسطا بن لوقا البعلبكي اليوناني المسيحي المشهور بالهندسة والرياضيات والفلسفة والفلك

(١) طبع من هذا التاريخ الذي هذبه المرحوم الشيخ عبد القادر بدران خمسة مجلدات قبل الحرب وطوي نشر الباقي الى ان قام بهذا العمل صديقنا الأستاذ احمد افندي عبيد الدمشقي صاحب مكتبة العرب فنشر المجلدين السادس والسابع بضبط وجودة طبع وحواش ·

ومما طبع من مؤلفات قسطا (كتاب الفلاحة اليونانية) تعريبه طبع بمصر سنة ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م) في ١٤٩ صفحة · وكتاب (في رفع الأثقال) صححه البارون كره دي ڤو وطبعه في باريس سنة ١٨٩٤ ·

والموسيقى والطب وبمعرفة اللغات الكثيرة وبالبراعة في الترجمة وبجودة القريحة وطلاوة الانشاء . وهو معاصر ليعقوب بن اسحق الكندي فيلسوف الاسلام . ذكره ابو الفرج الملطي بقوله : «فلو قلت حقاً انه أفضل من صنّف كتاباً لما احتوى عليه من العلوم والفضائل وما رزق من اختصار الألفاظ وجمع المعاني» توفي سنة ٢٩٦ هـ (٩٠٨ م) في بلاد ارمينية ومؤلفاته أكثر من مائة بين تأليف وترجمة وتصحيح من رسائل ومجلدات في جميع الفنون والعلوم منها (كتاب الفردوس في التاريخ) و(مراتب قراءة الكتب الطبية) و (آداب الفلاسفة) و (والفرق بين النفس والروح) و (ترجمة ديوفنطس في الجبر والمقابلة) و (شكوك كتاب اقليدس[1]) وغيرها . قال عبيدالله بن جبرائيل بن بختيشوع الطبيب النسطوري المشهور : « إن قسطا اجتذبه سنحاريب الى ارمينية واقام فيها فاقترح عليه ابو الغطريف البطريق من اهل الفضل تصنيف كتب كثيرة في اصناف العلوم فوضعها » .

ومن متأخري مهندسيها ابوبكر بن البصيص البعلبكي الذي ذكره صالح بن يحيى البحتري في (تاريخ بيروت) انه استقدم سنة ٧٤٤ هـ (١٣٤٣ م) لبناء جسر الدامور وله اعمال في بلاد طرابلس وجسر نهر الكلب القديم كان من بنائه .

« ومن شعرائها » : عماد الدين ابو الفضل حسان بن سلطان بن رافع اليونيني (نسبة الى قرية يونين من اعمال بعلبك) الفقيه الذي انشد :

لقد منعتني عن سليمى ثلاثة ... اذا ما استعار الجو ثوباً من الهجر
ضياء محيّاها وجرس حليها ... ونفحة نشر دونه عبق العطر
هبَ أن المحيّا قنّعته ببرقع ... وحلت حلاها كيف تفعل بالنشر

وحسان بن ابان الذي كان في زمن المتوكل على الله العباسي في القرن الثالث للهجرة والتاسع للميلاد ومن شعره قوله :

اكتسب مالاً تعيش به ... ليس عيش المرء من نسبهْ
عربيٌ لا يسار له ... صقليٌ القدر في عربهْ

(١) نشرت بعض رسائله في اوربة والشرق ووقفت على كثير من المخطوط منها وفي خزانتي ردُّ قسطا على ابن المنجم ورسالة هذا اليه وردّ حنين بن اسحق على ابن المنجم ورسالة هذا اليه .

وتراهم خاضعين له ما بدا يختال في نشبه
أمرا فيهم وكلهم باسط كفا الى سببه
طمعا في نيل فضته ليس الا ذاك أو ذهبه
وأديب قد رثيت له ما له عيب سوى أدبه
جاءهم فاستدفعوه كما يتقي ذو الداء من جربه
دع لذي جهل تماديه في الذي يدنيه من عطبه
وتوقَّ ما يساء به ان جبن الكلب في كلبه

والحسن بن جعفر بن حمزة ابو محمد الأنصاري البعلبكي المعروف بابن بريك قيل انه من وُلد النعمان بن بشير. وكان يتهم بالرفض توفي سنة ٥٥٢ هـ (١١٥٧ م) ومن شعره قوله في أبيات :

قابل البلوى اذا حلّت بصبر ومسرّه
فلعلّ الله أن يوليك بعد العسر يسره
كم عهدنا نكبة حلّت فولت بعد فتره

وقوله من قصيدة :

كأن صروف الدهر لم تلق منزلاً تحل به غيري فحلّت بجانبي
فاصبحت من وشك الفراق وبينهم من السقم اخفى من دبيب بحاجبي
سميري اذا ما الليل ارخى جرانه لما بي من وجد مسير الكواكب
فمالي وللدهر الخؤون كأنما جنيت فجازاني ببعد الأقارب
فليت الليالي اذ ولعن ببيننا جعلن الردى مقرونة بالمعاطب
ابى الدهر الا شتّ شملي وفرقة وروعة محبوب بغيبة صاحب
واني لذو صبر على كل نكبة وقد هذبتني للأمور تجاربي
وذلك طبعي قبل ان يصدع النوى فمذ صدعت سدّت عليَّ مذاهبي

وبهاء الدين العاملي صاحب الكشكول والمخلاة ولد في بعلبك سنة ٩١٨ هـ (١٥١٢ م) وتوفي بالمصلّى من قرى البحرين سنة ٩٨٤ هـ (١٥٧٦ م) وله موشحات واشعار بليغة منها

ما ارسله الى والده الشيخ الحسين بن عبد الصمد العاملي الحارثي الهمذاني او الى غيره من أدباء عصره . فمن قوله لوالده :

بقزوين جسمي وروحي ثوت بارض الهراة وسكانها
فهذا تغرب عن أهله وتلك اقامت بأوطانها

وقوله في الموت :

ان هذا الموت يكرهه كل من يمشي على الغبرا
وبعين العقل لو نظروا لرأوه الراحة الكبرى

والأمير موسى الحرفوشي امير بعلبك ابًا عن جد[1] توفي سنة ١٠١٦ ه (١٦٠٧ م) بدمشق وهو الملقب (الحرّان) لمواقعه الحارة فانه حاصر خمسة باشوات مع جيشهم في بعلبك وضواحيها وهو وحده فقاتلهم ولم ينالوا منه شيئًا ومن شعره قوله لما فتح غزيرا في لبنان :

غزير طور ونار الحرب موقدة وانت موسى وهذا اليوم ميقات
ألق العصا تتلقف كل ما صنعوا ولا تخف ما حبال القوم حيات

ومن نظمه قوله مفتخرًا :

كأن رأس جيوش الضدّ ليس له علم بأن بلادي موطن الأسد
ومن مهابة سيفي في القلوب غدت أم العدوّ لغير الموت لم تلد
فليرقبوا صدمةً مني معوّدةً أن لا تقرّ لها الأعداء في البلد
ألست بجل عليّ وهو من عرفوا منه المخافة في الأحشاء والكبد
وانني انا موسى منه قد ورثت كفي سيوفًا تذيب الأرض في الجلد

وامير شعراء الحرافشة هو الامير محمد بن علي الحرفوشي الحريري العاملي الدمشقي توفي سنة ١٠٥٩ ه (١٦٤٩ م) وله مصنفات كثيرة رأيت اكثرها في دمشق منها (اللآلي الدرية في شرح الاجرومية) في مجلدين و (شرح التهذيب في النحو) . و (نهج النجاة في ما اختلف فيه النحاة) قال البديعي في ذكرى حبيب « انه كتاب لم ينسج على منواله يعرب

(١) وضعت تاريخاً مطولاً للأمراء الحرافشة ومشاهيرهم وانسابهم وقد نشرت منه أمثلة في مجلة العرفان (في صيدا) واستنسخت ما قيل عنهم في مكاتب اوربة وذلك لأن أجدادي كانوا مقرّبين منهم ونافذي الكلمة لديهم .

عن غزارة فضله » و (طرائف النظام ولطائف الإنسجام) في محاسن الاشعار وغيرها وله الشعر الذي قال فيه البديعي انه : « الشعر الذي ديباجة الفاظه مصقولة . وحلاوة معانيه معسولة » وقال المحبي : وكان في الشعر مكثراً محسناً في جميع مقاصده » فمن شعره قوله في الخال وله فيه مقاطيع بليغة كثيرة :

قال لي من غدا امام أولي الفضـ ـل ورب المباحث الفلسفية
ان عندي برهان حق على نفي الهيولى والصورة الجسمية
قلت : ماهو (؟) فقال شامة حي قد غدت وهي نقطة جوهرية

وقوله من قصيدة في مدح الأمير محمد المنجكي وأبدع في وصف السيف والجواد بقوله :

فدارك حيث صادفت اعتزازاً واهلك ذو الحفيظة والوداد
ولا تصحب سوى عضب نحيل تعشق متنه ضرب الهوادي
صقيل الصفح رق وكاد لولا الـ ـجفين يسيل من طرف النجاد
تخال به وليس به غديراً ترقرق او سعيراً ذا اتقاد
وتحسبه اذا ما استل برقاً تألق في الدجى غب العهاد
والا ظهر مرحوب سليل الفحول من المطهمة الجياد
يرى عاراً مسابقة النعامى ويأنف نعله مس الصلاد
فلو وطئ القطا ما ارتعن منه نياماً وانتبهن من الرقاد
بدا كالخيزرانة من نحول من الادلاج في مجل البوادي
يمر على الغدير به غليل فيهجره لفرط الاجتهاد
تساوى عنده حزن وسهل وآكام مروعة ووادي

ومن متأخري شعراء بعلبك في القرن الثاني عشر للهجرة ابوالحسن علي بن محمد الشمعة من بيت علم وفضل فمن شعره قوله في كتاب (التحفة الظريفة) للسيد حسن بن عثمان الحكيم الذي جمعه سنة ١١٨٨ هـ (١٧٧٤ م) :

ابدى لنا الحسن الشريف لطائفاً قد صاغها لذوي النهى مجموعا
كل المفرق من محاسن عصره اضحى لدى (مجموعه) مجموعا

وقوله مضمناً :

لما بفكري مرَّ طيف خياله واردتُ انظر وجنة لم تلثم
كادت تسيل لطافة لكنه «من عادة الكافور امساك الدم»

وقوله مشطراً لبعضهم :

«أحمامة الوادي بشرقيّ الغضا» قد طاب مغناك ولذَّ لمسمعي
ورميتِ في قلبي تباريح الجوى «ان كنت مسعدة الكئيب فرجعي»
«انّا تقاسمنا الغضا فغصونه» لك معهد يسقى بسحّ الأدمع
وظلاله لي موطن وزهوره «في راحتيكِ وجمره في أضلعي»

ومنهم من نبغ في هذا العصر مثل شاعر القطرين خليل بك المطران . والشيخ علي النقي زغيب والمرحوم عساف الكفوري وغيرهم .

زحلة : عيسى اسكندر المعلوف



التدوين في الاسلام



كتب سيدي عبد الحي الكتاني احد اعضاء مجمعنا في المغرب الأقصى مقالاً في موضوع التدوين والتصنيف في الاسلام نشره في (مجلة المغرب) فرأينا ان ننشر خلاصته في ما يلي :

ابتدأ التدوين في الاسلام بعد الهجرة فكان للنبي صلى الله عليه وسلم كتب في الصدقات والزكوات وكتابه الى أهل اليمن بانواع الفقه وكتبه الى الملوك وأمراء الأطراف وقد أمر صلى الله عليه وسلم أن يقيدوا له في ديوان من أسلم قال وهو اصل الديوان العمري الذي صار فيما بعد أقنوماً يرجع اليه في معرفة انساب القوم وسوابقهم في الاسلام ·

وجمع ابو بكر وعمر وعثمان القرآن في مصحف · وجعل عمر تابوتاً لجمع صكوكه الرسمية ومعاهداته الأممية · وكتب ابن عباس الفتاوى التي كان يُسأل عنها · ودوّن ابن زيد في الفرائض والمناسك · وغير هؤلاء كثيرون من الصحابة والتابعين : منهم عبيد بن شرية الذي دون كتاب الأمثال وكتاب الملوك وأخبار الماضين بطلب من معاوية رضي الله عنه ودوّن (علامة بن كريم الكلابي) في عهد يزيد بن معاوية (كتاب الأمثال) في نحو خمسين ورقة · وكتاب مثله لصحار العبدي · ولأبي مخنف الأزدي من اصحاب علي رضي الله عنه كتب : في (الردة) و (فتوح الشام) و (فتوح العراق) و (الجمل) و (صفين) و (النهروان) و (الخوارج) ومقتل علي ومقتل محمد بن ابي بكر ومقتل الأشتر ومقتل عثمان ومقتل الحسين و(الشورى) و(وفاة معاوية وولاية يزيد) و(وقعة الحرة) و(حصار ابن الزبير) و(المختار بن ابي عبيد) و(مرج راهط وبيعة مروان ومقتل الضحاك بن قيس) و(مصعب وولاية العراق) و(مقتل عبد الله بن الزبير) و(مقتل سعيد بن العاص) و(حديث حميراء)

و(مقتل ابن الاشعث) و(بلال الخارجي) و (حديث الأزارقة) وغير ذلك من حوادث ذلك العصر وقد سرد في الفهرست أسماء عدة كتب صنفها السلف في تفسير القرآن ونزوله وأحكامه . وقال ياقوت (كان خالد بن يزيد يقول كنت معتنياً بالكتب وما أنا من العلماء ولا من الجهال) ومن تصانيفه (السر البديع في الرمز المنيع) في الكيمياء و(كتاب الفردوس) وغيرها . ويظهر ان ابا بكر رضي الله عنه اول من بدأ في التدوين بدليل ما في كتاب (التعريف) لأبي عبد الله محمد بن عبد السلام بن اسحق الأموي في ترجمة ابي بكر قال (كان عمر قاضيه . وعثمان كاتبه . وسعد مولى مصاحفه) والمراد بالمصاحف عندهم الكتب فهذا يدل على أن ابا بكر كان لديه كتب كثيرة تحتاج الى قيم يلي أمرها لكثرتها ثم ما زالت تزداد الى زمن عمر الذي كان له صندوق اوقادوس يجمع فيه عهوده مع الأمم كما في خطط المقريزي (جزء ٢ ص ٧٤) . وامر الديوان الذي دونه عمر باسماء التابعين ومراتبهم معروف . الى ان كان زمن عثمان فبالغ الناس في الوراقة وتجويد الكتابة والاعتناء بزخرفة الكتب . وفي كتاب (البيان والتحصيل) لابن رشد (قال ابن القاسم : وأخرج الينا مالك مصحفاً لجده فحدثنا انه كتب على عهد عثمان بن عفان فوجدنا حليته فضة وأغشيته من كسوة الكعبة) فدل ذلك على حالة الوراقة يومئذ وعلمهم بكيفية تحليل الفضة وتحلية الكتب بها وجعل الأغشية لها حتى من كسوة الكعبة . وفيه ايضاً (قال مالك كان قاض في زمن عثمان رضي الله عنه (أو في زمن ابنه أبان[1]) رفعت اليه كتب تقادم أمرها والتبس الشأن فيها فأخذها (ذلك القاضي او أبان نفسه) وأحرقها بالنار . فقيل لمالك أتحسن ذلك ؟ قال نعم (إني لأراه حسناً) وكانت هذه الكتب في الخصومات التي تقادم عهدها حتى التبس امرها على الحكام وكان غرضه من إحراقها ان يستأنف اصحابها خصوماتهم فتسجل من دون ان يقع فيها التباس . فيستدل بهذا على ان الناس في ذلك العهد (عهد[2] أبان بن عثمان رضي الله عنه) بلغ بهم الأمر ان يضبطوا سجلات المرافعات

(١) [المجمع] ثم ذكر كاتب المقال حكاية يستدل منها ان (أبان بن عثمان) هذا ليس هو ابن عثمان بن عفان ثالث الخلفاء بل هو احد فقهاء الأندلس . فحرق سجلات المرافعات والحجج والخصومات كانت في عهد ذلك الفقيه الأندلسي لكنه على كل حال كان في عهد متقدم قبل الامام مالك رضي الله عنه .

والخصومات والحجج امام المحاكم الشرعية. وفي حسن المحاضرة ان المفضل بن فضالة اول قضاة مصر الذين طولوا كتابة الأحكام والمرافعات والوصايا والديون في السجلات وكانت قبله تكتب باختصار . اما اول من أمر بكتابة نسخة عن الكتاب قبل تبييضه فهو زياد ابن ابي سفيان فقد أملى على كاتبه كتاباً الى معاوية بخصوص عمران بن الفضل البرجمي فلما وصل الكتاب الى معاوية كتب الى زياد (كتبت في كتابك عمران بن الفضل) ولم تذكر له ما يتصل به (كأنه يعني قوله البرجمي) فسأل زياد كاتبه فقال انت أمليته فقال حديث نسي فلا تكتبوا كتاباً من بعد الآن الا جعلتم له نسخة فكان اول من وضع النسخ . وكانت لمعاوية مكتبة ولها خدمة وأعوان يتعاونون على احضارها له وقراءتها عليه يجلس لذلك في أوقات معينة لا يتخطاها وجاء بعده حفيده خالد فكبرت مكتبته بالكتب العربية والمعربة وجعله بعض الباحثين اول من جمعت له الكتب وجعلها في خزانة في الاسلام والحال ان الفضل في ذلك لأبي بكر ثم لعمر ثم لمعاوية قبل ان يكون لخالد . فمعاوية هو الذي بنى لحفيده خالد الأساس ونجر له هذا المقياس :

ولما ظفر طارق بن زياد في الاندلس بما ظفر به من الكتب القديمة التي تتضمن الطلسمات وعمل الصنعة (الكيميا) واصباغ اليواقيت ومنافع الاشجار والاحجار وغير ذلك من العلوم والصنائع والحكم ارسلها الى خليفة دمشق الوليد بن عبد الملك وذلك سنة ٩٢ للهجرة ولولا علمه بعناية الوليد بجمع الكتب ما وجهها اليه من المغرب الى المشرق . وفي آخر القرن الأول كان لعمر بن عبد العزيز خزانة كتب وقد عثر فيها على (كتاب ابن اهكين) في الطب فأخرجه الى الناس ليستفيدوا . وكتب عمر الى سالم بن عبد الله بن عمر ان يرسل اليه رسائل عمر وسيرته وقضاياه وهذا يدل على ان عمر رضي الله عنه جمع رسائل وترك آثاراً مكتوبة مدونة . ولما راجع عمر بن عبد العزيز سليمان بن عبد الملك في مسألة إرثية قال سليمان يا غلام اذهب فأتني بسجل عبد الملك الذي كتب في ذلك (اي في مسألة الارث) . وكتب عمر بن العزيز رسالة في الرد على نفاة القدر وهي مقدار كراسة متوسطة . وقال معمر كنا نرى اننا قد اكثرنا عن الزهري (يعني في الأخذ عنه) حتى قتل الوليد بن يزيد فاذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خزائنه ويقال انها من علم الزهري (اي من الروايات المأخوذة عنه) .

وكان ابن شهاب الزهري يجلس وكتبه حوله مشتغلاً بها حتى عن زوجته فغارت وقالت والله لهذه الكتب أشد عليّ من ثلاث ضرائر . وكان الزهري يقول : (إياك وغلول الكتب قيل له وما غلول الكتب) قال حبسها عن اصحابها اه . واصل معنى الغلول في اللغة السرقة من الغنائم قبل قسمتها بين الغانمين . ولما سعى الساعون بالزهري ضربوه بالسياط وعلقوا كتبه في عنقه .

وكُتُب عبد الحميد الكاتب التي كان ينشؤها مشهورة في جودتها وكبر حجمها حتى ان الكتاب الذي كتبه الى ابي مسلم الخراساني على لسان (مروان) كان يحمل على جمل من كبر حجمه فمهما كانت رقوقه غلاظاً فهو في حجم مجلد على الأقل .

وقولهم ان جمع الكتب في خزائن لم يعهد قبل الرشيد والمأمون — فيه نظر لما ذكرناه من الحوادث الثابتة . وقد نقل القاضي عياض عن مالك انه قال : (كانت عندي صناديق كتب لو بقيت لكانت أحب اليّ من اهلي ومالي) وروي انه قال : كتبت بيدي مئة الف حديث وقال بعض اصحابه دخلنا منزل مالك بعد دفنه فاذا فيه سبعة صناديق كتب من حديث ابن شهاب وصناديق أخرى من كتب اهل المدينة فجعل الناس يقرؤون ويدعون وعن امام الحرمين أن مالكاً أملى في مذهبه نحواً من مئة وخمسين مجلداً في الأحكام الشرعية وفي تنوير الأبصار للحصكفي ان محمد بن الحسن المتوفى سنة ١٨٩ هـ صنف في العلوم الشرعية ٩٩٩ كتاباً .

انتهى تلخيص مقال سيدي الكتاني وظاهر انه لم يرد من مقاله ان الأمة الاسلامية فاقت غيرها من الأمم في جمع خزائن الكتب لأن هذا أمر معروف وانما اراد أن يثبت ان عناية المسلمين بالكتابة والتدوين وجمع الكتب ابتدأ منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم خلافاً لمن قال انه ابتدأ في القرن الثاني للهجرة .

المغربي

رحلة اوليا جلبي

«في البلاد العربية»

— ٦ —

وبعد ان استلم السلطان سليم حماة بالامان جعلت سنجقاً تابعاً لايالة طرابلس الشام ، ويبلغ عدد جندها حين السفر مما هو في بطانة اميرلوائها ومن الجبجية الذين يقدمهم ارباب التيمار والزعامة نحو الفين(١) وفيها مشائخ للمذاهب الاسلامية الاربعة (١) ونقيب أشراف ووجهاء وأعيان وكتخدايري وسردار

(١) كانت الدولة تتخلى عن حقها في العشر والرسوم الاخرى الى اصحاب الخاص والزعامة والتيمار أو توقفه على جهة من الجهات الخيرية وفاقاً لطريقة الاقطاع التي كانت جارية في القرون الوسطى . وتقسيم الأراضي الى خاص وزعامة وتيمار كان باعتبار حاصلاتها المقيدة مثال ذلك ان الارض التي غلاتها اكثر من مئة الف اقجة (الاقجة ضرب من العملة تعادل ثلث البارة) يطلق عليها خاصاً وتحال على الوزراء والامراء وغيرهم من بطانة السلطان ومقربيه والتي غلاتها من عشرين الف اقجة الى مائة الف اقجة يطلق عليها زعامة وتحال على دفتردار الخزينة في الايالة ورئيس الالاي في اللواء وقواد القلاع ومن كان في منزلتهم والتي غلاتها من ثلاثة آلاف اقجة الى عشرين الف اقجة يطلق عليها تيمار وتحال على المستحقين من الجنود وكان كل من صاحب الخاص والزعامة مكلفاً بان يجهز وقت الحرب عن كل خمسة آلاف اقجة جندياً بعدته الكاملة وصاحب التيمار مكلف بان يجهز عن كل ثلاثة آلاف اقجة جندياً واحداً . واستمرت هذه القاعدة التي كانت سائرة في البدء سيراً حسناً الى سنة الف من الهجرة ثم شابها سوء الاستعمال الى ان الغيت سنة ١٢٥٥ .

انكشارية (١) وجري باشي (رئيس جند) ويوزباشي (رئيس مئة) ودزدار قلعة ومحتسب ويجبي قاضيها من نواحيها في كل سنة ستة أكياس ويجبي امير لوائها ثلاثين كيساً . وفي حماة قلعة بنيت فوق تل صناعي على شاطىء العاصي لكن اكثر أبراجها وأسوارها منهدمة (٢) . وفي حماة كثير من القصور

(١) كانت رتب قواد جند الانكشارية تبدأ بآغا الانكشارية ثم برئيس السكبان ثم بكتخدا القول وهو معاون الاغا الكبير او رئيس اركان حربه ثم بكتخدا يري وهو وكيل كتخدا القول وصلة الوصل بين الاغا الكبير وجميع جند الانكشارية يبلغ اوامر الاغا بمعرفة الكتاب الى الدزدارين اي محافظي القلاع والسردارين اي قواد الجند .

(٢) قال الصابوني : بنيت قلعة حماة على صورة قلعة حلب فوق تل صناعي عال فقد كانت على هيأة من الاتقان غريبة ينظر الداخل الى باب لها مشمخر بحجارة عظيمة على خمسة جسور مرتفعة فوق الخندق ثم يدخل الى منعطفات الابراج فيرى البلد من النوافذ المفتوحة للحراسة الواسعة من الداخل والضيقة من الخارج ومن فوقها النوافذ الواسعة التي سدت بشبك من الحديد عظيم وبعد اجتياز المدخل بنايات عظيمة من دار الحكومة ومحل الذخائر وبيوت السكن يحيط بها سور عظيم مرتفع وفي مقابلته جامع ابي الفداء وجامع للقلعة ذي منارة شامخة ومنه الى الجهة القبلية بمسافة واسعة حمام كبيرة جداً وفي طرفها الشرقي المطل على طريق باب الجسر بئر واسعة فيها ماء عذب جداً يأتي من مكان خفي من نهر العاصي ولها طريق تحت الارض يصل الى العاصي من جهة الشمال ماراً من تحت بستان الدوالك متصلاً ببعض البيوت وكانت مرصوفة بالحجر الاملس من اسفل الخندق الى حيطان السور لئلا يصعد اليها العدو وللقلعة خندق دائر حولها عميق جداً وكان العاصي مرتفعاً عنه ولهذا الخندق طريق الى الماء من المكان المسمى الآن جسر الهوا في مدخل محلة باب الجسر كانوا اذا ارادوا الحصار يفتحون منه ماء العاصي فيمتلىء الخندق . وقد أشار الى ذلك ابن جبير وياقوت اه .
قلت وقد ظلت هذه القلعة على هذا المنوال الى ان جاء هولاكو طاغية التتر في سنة ٦٥٨ هـ فخربها واحرق ما فيها من الذخائر والعتاد ثم اعاد ملوك حماة الأيوبيون ترميمها الى ان قضى

الفخمة ذات الحدائق الغناء والأحواض والمياه الدافقة وأشهرها قصر محمد باشا الارناؤط وهو مبني على شاطيء العاصي وفيه ثلاثمائة غرفة (!) وقاعات عديدة وحمامات وحدائق ولم أر مثل هذا القصر الا في دمشق وقد أولموا فيه لمولانا مرتضى باشا وليمة يعجز اللسان عن وصفها (١) . واشتهر ايضاً

عليها تيمورلنك في سنة ٨٠٣ القضاء الاخير وامست من ذلك الحين ليس فيها الا بعض بيوت وجدران قائمة وسجن للحكومة وانقاض الى بعد مرور اوليا چلبي في القرن الحادي عشر . وفي القرنين الماضيين جردت الاطلال ونقضت الاحجار واستعملت في بناء قصور الكيلانيين والعظميين وغيرها فأضحى سطح التل قاعاً صفصفاً ليس فيه من تراث الاقدمين الا بعض كسور الاحجار وأسس جدران من الآجر الى ان جاءت منذ سنتين بعثة أثرية دانيماركية وشرعت تحفر فيه فكشفت حتى الآن من آثار العرب عدداً غير يسير من الأواني الخزفية وقطع الفسيفساء والقنابل اليدوية الخزفية التي كان يستعملها العرب في حروبهم وغير ذلك وهي دائبة في ربيع كل عام على الحفر وتأمل ان تصل بعد آثار العرب الى آثار البيزنطيين والحثيين .

(١) ذكر جرجي يني مؤلف تاريخ سورية في اسم باني هذا القصر مراراً في فصل طرابلس فما قاله ان محمد باشا الارناؤطي ولي ايالة طرابلس في سنة ١٠٥٠ هـ وانه بنى على نهر رشعين قصراً وكلف الرعايا اموالاً ثم عزل واعيد ثلاث مرات وذلك من شدة جوره وعسفه وكان في كل مرة يعاد بعد مدة وجيزة وفي المرة الرابعة ارسل الى حماة واستقر بها اه . قيل ان هذا الباشا اعقب في حماة وانه لايزال من اعقابه بعض نساء وانه على الرغم من عسفه كان ولوعاً ببناء القصور والمساجد والحمامات فقد بنى في حماة القصر الذي ذكره الچلبي وبالغ في عدد غرفه ويظن انه هو دار الحكومة التي احترقت في حادثة حماة في سنة ١٣٤٤ هـ ويظهر من وصف الچلبي ان البناء الملاصق للدار المذكورة الذي كانت فيه مدرسة التجهيز ودور بعض السراة المجاورة كانت كلها من مشتملات هذا القصر الفخم . ومحمد باشا بنى ايضاً في حماة جامعاً قرب جسر السرايا يسمى جامع المدفن لأنه دفن فيه

في حماة قصر الشيخ ابراهيم افندي بن الشيخ عبد القـادر الكيلاني(١) . اما جوامعها فكثيرة منها جامع ابو عبيدة بن الجراح فاتح حماة وهو في السوق الأعلى قيل انه كان في الأصل كنيسة قديمة وانه بني بمال الخراج الذي أداه اهل حمص وقد زبرت على رخامة فيه النفقات التي صرفت في انشائه والصقت على احد جدرانه (٢) . وهناك جامع قاسم باشا المعروف بكوزجله وهو اول

وعلى قبره تاريخ وفاته في سنة ١٠٦٨ وكان وقف له عقاراً كثيراً ومن الذين اتصلوا بخدمته وخدمة ابنه علي باشا شاعر حموي اسمه حسن الدفتري المعروف بابن قبنق .

(١) الشيخ ابراهيم الكيلاني جد بني الكيلاني في حماة وهو على ما قيل ابن شرف الدين ابن احمد بن علي الهاشمي ولد في سنة ١٠٤١ وتوفي في بغداد في سنة ١٠٦٨ كان ذا ثروة ومكانة عظيمتين احتجنها بتصوفه ومشيخته بنى قصره الذي ذكره الجلبي من انقاض قلعة حماة وبنى في جانبه جامعاً ولا يزال هـذا القصر عامراً باعقاب المترجم وهم يؤلفون اسرة كبيرة لبعض افرادها حظ وافر من سعة الملك ووفور الثروة والوجاهة في حماة وضواحيها . والقصر على شاطئ العاصي الأيمن في محلة تدعى جسر بيت الشيخ يقصده السياح لرؤية ما فيه من محاسن البناء العربي كالقصور والقاعات .

(٢) في حماة جوامع ومساجد كثيرة نخص بالذكر منها (الجامع الكبير) الذي ذكره الجلبي وهو في محلة المدينة وجد من عهد ابي عبيدة وكان يسمى الجامع الأعلى قيل انه جدد في خلافة المهدي من خراج حمص على ما نقش على رخامة فيه ثم جاء المظفر عمر فزاد فيه وبنى مدرسة بجواره ثم جاء ابراهيم الهاشمي فانشأ منارته الشمالية سنة ٨٢٥ كما زبر ذلك على رخامة فوق بابها وبنى ايضاً الحرم الصغير في جانب المسجد من جهة الشرق ورواق الجامع ايضاً بناه سنة ٨٣٢ وفي غربي فناء هذا الجامع قبة صغيرة تدعى بيت المال او الخزنة تشبه قبة جامع بني أمية في دمشق بنيت على ثمانية اعمدة ذات تيجان يونانيـة وتحتها بحرة صغيرة وعلى الأعمدة كتابة عربية قديمة وله حرم واسع جداً وفي جانبه الغربي ضريح المظفر وابنه وليس في حماة جامع مثله في اتساعه وعظمته وله في جهة القبلة منارة مقطوعة الرأس بابهـا

من الحجر الأسود وكان لهذا الجامع اوقاف كثيرة اندرست ولم يبق الا القليل .

وصف الاثري هرزفيلد هذا الجامع فقال : ان اصل حرمه كان كاتدرائية للنصارى غريبة الشكل وله ثلاثة أقبية مختلفة السعة وثماني دعائم وخمس قباب ومن كل ناحية خمسة عقود او اقبية ويظهر ان الحائط الغربي كان حائط رواق الكنيسة والحائط الجنوبي من العهد السابق للنصرانية كما هو الحال في جامع دمشق كان معبداً ثم بيعة ثم جامعاً . والى جهة الشرق قامت منارة قديمة منفردة وهي مربعة الزوايا زينت عليها كتابة كوفية ربما كانت من القرن الخامس . وتحيط بصحن الجامع الجميل أروقة معقودة وهناك سدة بمحرابين أمام الحرم وسدة أخرى لها حوض ماء ومحراب منفرد في الرواق الشمالي وخزنة قائمة على ثمانية اعمدة قديمة وفي الرواق الشرقي تربة ومصلى ولها نوافذ صلبة معمولة من النحاس من عهد المماليك ومن الرواق الغربي يصل الانسان الى قبة الملك المظفر محمود وله تابوت معمول بالخشب الجميل المنقوش وهناك منارة ثانية قامت في الخارج وسط الرواق الشمالي ويستدل من كتابته وشكله انه من عهد المماليك وفي جامع حماة تجلت خاصية من هندستها تجلياً غريباً وذلك ان ظاهر الحيطان مزين بنقوش رسمت بالوان تشبه الفسيفساء لمراوحتهم في صفها بين حجر الحوّري الأسود والحجر الكلسي الأبيض . ومن جوامع حماة (جامع الحيات) في باب الجسر كان متسعاً وقد هدم من جهة الغرب فذهب نصفه وعدا عليه الجوار فأخذوا من ارضه الشرقية ربعه . بناه ابو الفداء وعمل لحرمه من جهة الشرق شباكين كبيرين بينهما عمود كبير من الرخام على شكل افاعي ملتفة ولهذا سمي جامع الحيات وعمل فيه خزانة كتب كبيرة كان فيها سبعة آلاف مجلد فذهبت فيما ذهب منه ونقش حربه بالذهب والفسيفساء والرخام الملون في جدرانه وارضه وعمل له من الغرب شباكين كما في جهة الشرق غير انهما هدما وادخلا في البستان المجاور له . وعلى يمين مدخل الجامع الذي ينزل اليه بدرج غرفة فيها ضريح الملك المؤيد ابي الفداء المتوفى سنة ٧٣٢ اصلحها بعد دثورها منذ سنتين العالم المصري احمد زكي باشا . وبنى رجل ايضاً حموسيه متوسط الحال يدعي الانتساب الى السلطان بدر الدين حسن اخي ابي الفداء منارة جميلة في جانب الضريح مكان المنارة القديمة المندثرة . و (جامع السلطان) في محلة الدباغة بناه السلطان حسن

من حكم حماة من العثمانيين بعد فتح السلطان سليم(١) . وأشهر تكاياها «تكية عبد القادر الكيلاني» وهي عامرة ومزخرفة وذات ايراد جزيل وتعج بالدراويش(٢) . وأسواق حماة وان لم تكن عامرة بقدر أسواق حلب لكنها حافلة بجميع أنواع البضائع القيمة ويكثر فيها الصياغون والحلاقون . وحر حماة شديد لوقوعها في وسط الاقليم الرابع وتهب من بريتها ريح سموم

شقيق ابي الفداء على هيأة جامع الحيات ومشتملاته و(الجامع النوري) في محلة باب الناعورة بناه نور الدين الشهيد في سنة ٥٥٨ بعد الزلزال الكبير الذي هدمت فيه حماة واوقف له اوقافاً كثيرة لم يبق منها اثر وكان له باب شاهق من الغرب درس وباب آخر من الشرق باقي حتى اليوم وبين هذين البابين تاريخ بناء الجامع محفور بخط جميل وحروف ضخمة . وصفه هرزفيلد فقال : هذا الجامع على الشاطئ الأيسر من العاصي في ارض منحدرة وعلى بناء تحتي عال . بني هذا الجامع على عهد نور الدين وعلى ما دخله من الترميمات الكثيرة تشاهد فيه الى اليوم اجزاء مهمة من البناء القديم ولا سيما الحرم الطويل الذي عقوده حديثة العهد بالنسبة لمجموع الجامع وكذلك القباب الثلاث من الرواق الشمالي المختلفة الأشكال . والأبنية التحتانية من الجهتين الشرقية والشمالية والحائط الخارجي الشمالي من الجامع . وربما كان الجزء الأسفل من المنارة بما فيه الحجارة المنحوتة البيضاء والسوداء قديم العهد ايضاً . وفي هذا الجامع بقايا منبر جميل عمل من الخشب يرد الى زمن نور الدين ثم محراب زين اجمل زينة فيه اعمدة من الرخام المجزع من عهد الملك المظفر محمود (٦٢٦ـ ٦٤٢) وفي مكان آخر من الشرق محراب ذو اعمدة من المرمر زبر في تيجانها اسم ابي الفداء .

(١) هذا الجامع لم يعرفه احد ممن سألتهم في حماة ولا سمع بهذا الاسم . فمن أين أتى الجلبي بذلك .

(٢) نفى الصابوني وجود التكايا الآن في حماة . اما التكية الكيلانية فقد أسماها زاوية وقال أنها من بناء بني الكيلاني القاطنين في حماة منذ القرن السابع . والذي علمته ان الايراد الذي ذكره الجلبي اندثر والدراويش لم يعد لهم أثر .

لذلك يكثر السمر في اهلها ويقل الجمال في نسائها (كذا) . ويلبس الرجال جبباً وغنابير ملونة تكون في موسريهم من الحرير ومتوسطيهم من القطن أو الصوف وتلبس النساء في أرجلهن أحذية طويلة الساق ويلتحفن بملاآت بيضاء .

ويصنع فيها شراشف ومناشف ومناديل حريرية . ولكثرة الشبان الذين يتجندون تكثر الفروسية بين اهلها ويصنع فيها سروج ولجم جميلة متقنة . اما قمحها فيماثل القمح الحوراني في الجودة . وكذا الأمر في شعيرها وقطانيها . وتكثر في حماة الخيول الاصيلة . اما حماماتها فكثيرة وعلى غاية من الحسن واتقان الخدمة أخص بالذكر حمام (١) محمد باشا الارناؤد الذي لم أر في ديار الروم مايماثله في الإبداع الا ان يكون حمام محمد كراي في بغجه سراي عاصمة بلاد القريم .

وفي حماة نواعير عظيمة منصوبة على نهر العاصي يسمع القادمون الى هذه البلدة أنينها من مسافات بعيدة . وهي دواليب مؤلفة من اخشاب واعمدة ومسامير حديدية على غاية من الطول والضخامة . وتنصب المياه من هذه النواعير في قناطر تذهب بها الى قصور البلدة ودورها وحماماتها ومساجدها وخاناتها . ولكل ناعورة اوقاف ذات ايراد وخدم ونجارون مهيأون لخدمتها . واذا اقترب الزائر الغريب منها تكاد آذانه تضم من شدة الضجة . والاغرب

(١) هو حمام الباشا الذي كان في جانب جامع المدفن . والحمام والجامع من بناء محمد باشا الارناؤط الذي مر ذكره . وقد اندرس هذا الحمام منذ قرن في جملة المعالم الكثيرة التي اندرست في حماة وبيعت وهي عامرة للحجارين كدار الفرح في محلة باب الجسر كانت وقفاً للأفراح فمن أراد ان يتزوج مثلا يأخذ مفتاحها من متوليها ثلاثة ايام ذكره الصابوني .

من كل ذلك رؤية غلمان حماة المتشردين يتعلقون باطراف الناعورة ويدورون بدورانها حتى اذا علت بهم القوا بانفسهم الى العاصي فيغوصون فيه ويسبحون . وفي حماة مئات من الحدائق والبساتين التي تروى من هذه النواعير . ولا يخلو كل بستان من ناعورتين او ثلاث على ان أعظم ناعورة بينها هي ناعورة المحمدية التي سارت بذكرها الركبان (١) . وفي حماة قبران لعالمين من الترك احدهما المولى حامد جلبي الشهير بطاشكوبري زاده والثاني المولى ابراهيم جلبي الآذري وكلاهما مدفون بجوار التكية الكيلانية وتاريخ وفاة الجلبي الآذري سنة ٩٩٣ هـ (٢) .

(١) نواعير حماة كثيرة وهي من صنع الآراميين والعرب وكان منها في زمن ابي الفداء ٣٢ ناعورة . اما الآن فهي أقل من ذلك أكبرها ناعورة المحمدية التي ذكرها الجلبي وهي في باب النهر أنشئت في أيام المعز الاشرف السيفي كافل حماة في سنة ٧٦٣ لسقي الجامع الاعلى ومنها ناعورة المأمورية قرب جسر السرايا أنشئت هي وقناتها بامر الحاج بلباك كافل حماة في سنة ٨٥٧ تسقي جهة السوق . وقد اقتبس الصليبيون فيما اقتبسوه من بلاد الشام صنع النواعير ايضاً فأوجدوا في ألمانيا في واد صغير في فرانكوني على مقربة من بايروت نواعير كالتي في حماة لاتزال دائرة . ذكره سوبرنهايم في المعلمة الاسلامية .

(٢) قيل انه كان في جوار الزاوية الكيلانية مقبرة للكيلانيين درست وبني في محلها دور ولعل هذين القبرين اللذين ذكرهما الجلبي كانا فيها . اما حامد چلبي فلم اعثر على ترجمته ولعله كان قاضياً في حماة ورث القضاء والعلم عن ابيه اوجده عصام الدين ابي الخير احمد بن مصطفى الشهير بطاشكوبري زاده مؤلف كتاب الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية وكتاب موضوعات العلوم وغيرهما وكان عصام الدين من اعظم علماء الترك العثمانيين افضل من الف منهم ونظم باللغة العربية توفي في سنة ٩٦٨ . وآذري چلبي كان على ماقاله شمس الدين سامي مؤلف قاموس الاعلام — من الفضلاء المبرزين في عهد السلطان سليم الاول

كان عالماً شاعراً لطيف المعشر سلك مسلك القضاء وما زال يتنقل في قضاء مدن شتى في الاناضول حتى كانت خاتمة مطافه حماة توفي فيها سنة ٩٩٣ ودفن في خارجها وله ديوان شعر تركي سماه « نقش خيال » .

قلت ويبلغ عدد سكان حماة الآن اربعين الفاً تسعة اعشارهم من المسلمين واكثر البقية من الروم الارثوذكس واقلها من السريان القدماء والسريان الكاثوليك والبرتستانت وحماة مابرحت قاعدة لمتصرفية كان يتبعها اقضية حماة وحمص وسلمية ومصياف ثم فصلت عنها حمص وجعلت متصرفية والحقت مصياف بحكومة اللاذقية ولم يبق لحماة سوى قضاءها المركزي وقضاء سلمية يتبع الاول نواحي حماة وطار العلا والحميري والحمراء ويتبع الثاني نواحي علي كاسون ومعرشحور وعقيربات وسلمية . وحماة بلدة زراعية اكثر منها صناعية وجل علائق سكانها مع الفلاحين والبدو فاذا جادت السماء والامطار واقبلت المواسم حسنت حالتهم وان شحت حصل الجدب وعم الضيق . اما صناعاتها فهي البياض ومنسوجات الحرير وقد كان لها في الماضي القريب مكانة كبرى وكان المرتزقون منها في حماة — ومثلها في حمص ودمشق وحلب وطرابلس — يعدون بالالوف ذكر في (سالنامة ولاية سورية) لعام ١٣٠٥ ه انه كان في حماة ٥٠٠ نول يشتغل بها ٨٠٠ عامل يصنعون في كل عام ٣٠٠٠٠ من عدة الحمامات كالمناشف والفوط و ٣٦٠٠٠ ثوب من البياض و ١٠٠٠٠ شرشف فراش مما كان يبلغ ثمنه ٧٠٠٠٠ ذهب عثماني اه . بدأ هذا الوارد يتضاءل منذ اليوم الذي كثر فيه اقبال الشرقيين على استعمال الثياب والفرش الافرنجية وزادت ضؤولته بعد الحرب العامة على اثر فصل بلاد الشام عن الاقطار المجاورة التي تروج فيها هذه المصنوعات واخصها بر الاناضول والقطر المصري وتزيد رسوم المكس عليها الى ان بطل استعمالها في الاناضول وتعذر تصديرها الى مصر فماتت هذه الصناعة او كادت وساء حال مرتزقيها .

وتصدر حماة للخارج أعتاق الخيول العربية وانواع الحبوب والسمن الحديدي الفاخر المشهور والصوف والجلد . وفيها كثير من الجوامع والكنائس والمدارس الميرية - احداها مدرسة تجهيز والمدارس الخاصة كدار العلم والتربية التي تقيم في قصر بني العظم

الاثري وفيها الصيارف والاطباء والصيدليات والمحامون وتجار السلع المختلفة ومن هذه السلع ما هو خاص بالبدو . ويكثر في اهل حماة القرع وامراض العيون لكثرة العجاج وشدة الحرارة والرطوبة في الصيف وقلة العناية بالصحة . وابهج الفصول في حماة الربيع - تزدان فيه حقولها وحدائقها وازوارها بحللها السندسية ويقصد الحمويون آنئذ المتنزهات والمقاصف المشرفة على تلك المرتبعات فيضربون الخيام ويقضون فيها اياماً واسابيع ويجلب البدو الذين يكثر وجودهم في براري حماة — اللبن الخاثر الجيد ومشتقات الحليب كاللباء والزبد والكشأة وجميعه مما تباهي حماة بوفرته وجودته . واردأ الفصول فيها الصيف والخريف فانهما شديدة وطأتهما . وقد انجبت حماة في العصور الغابرة علماء وأدباء كثيرين ذكروا في كتب التراجم ومابرح اهلها في الجملة ذوي شغف بالدراسة وبينهم الآن لاسيما في الطبقة الوسطى عدد غير يسير من حملة الشهادات المتوسطة والعالية في مختلف المسالك . هذا وينقص حماة لتحسين جمالها الطبيعي تغيير شكلها الموروث منذ قرون وذلك بتنظيم شوارعها وتنظيفها وتشييد المباني على الطراز الحديث وايجاد الفنادق والمطاعم والمسارح التي تجذب اليها الغرباء والسائحين وجلب الماء القراح ونور الكهرباء واصلاح بساتينها واعادة النواعير كما التي ذكرها ابن بطوطة وشيخ الربوة : الى آخر ما هنالك من وسائل العمران التي قصرت فيه عن بقية مدن الشام .

« للبحث صلة » : وصفي زكريا

وقال في ص ٦٧ — لم تخاف اناملہ · والصواب لم تخلف ·

وفي ص ٦٨ — يعدن عداة زور · والصواب عدات ·

وفي ص ٦٩ — باوصال الحسين · والصواب فأوصال ·

وفي ص ٧٠ — واعلم لقد خشيت صدر اخ · والظاهر ولقد خشنت اي اوغرت

وفي ص ٧١ — ان الضيف يخسر ما رأى · والظاهر مخبر ·

وفي ص ٧٢ — من المشترين الغدر · والصواب من المشتوين القد ·

وفي ص ٧٢ — اي يأخذون العهد الخ · والصواب ان هذا نثر وليس بشعر

وفيها · امرأة عبد الصمد · وسياق القول يقضي بان تكون أم عبد الصمد ·

وفي ص ٧٣ — شعار المولدين · والصواب اشعار ·

وفيها · لا ازرها · والصواب لا ازورها ·

وفي ص ٧٤ — بقول عبد الصمد · والصواب يقول ·

وفيها · عمرو بن فرخ الرججي والمعروف الرخجي ·

وفيها · وايضاً لقبح مسبته · والصواب واتقاء ·

وفي ص ٧٥ — لقيب اعرابياً · والصواب لقيت ·

وفيها · ضخم ضجر عضوب · والصواب ضخم حضجر غضوب ·

وفيها · نايض اوقار · والصواب اوتار ·

وفيها · له في الغيبة بعد الغيبة عند الخليفة · والظاهر في الفينة بعد الفينة ·

وفي ص ٧٦ — وما ادي · والصواب وما ادري ·

وفيها · فمن تبك لم اصبر · والأولى فديتك لم اصبر ·
وفي ص ٧٧ — على عتب الضمير · والصواب غيب ·
وفيها · لى ان جرى · والصواب الى ان جرى ·
وفيها · فبدل منا بمشهد بمغيب · والصواب فبدل منها مشهد بمغيب ·
وفيها · الى شر يومها قد همع · والى عارضها قد لمع · والظاهر الى شؤبوبها قد لمع والى عارضها قد همع ·
وفيها · بالوعيد قد اروى · والصواب اورى ·
وفيها · داهية نار · والظاهر نآد ·
وفي ص ٧٨ — سهلت لك الوعود : والصواب الوعوز ·
وفيها · من ركن الملم · والأولى ركن يلملم وهو جبل على مرحلتين من مكة ·
وفيها · موضع السيف من عاتقه فتعفو عن قتله · · والظاهر من عنقه فيمنعني من قتله ابقائي · ·
وفي ص ٧٩ — الحقد داء ردي · · والصواب داء دوي ·
وفيها · جعلت نلبي كطارق السبك ؛ والصواب كطرف · ·
وفيها · قيس بن الكشوح · وفي إمالي القالي ابن مكشوح ·
وفيها · تمثل به على · · راى عبد الرحمن · والصواب لما رأى :
وفي ص ٨٠ — الا تبقي الحياء · ورواية البيت الا تتقي الحياء كما في امالي القالي ·
وفي ص ٨١ — طاط من اشرافه · والصواب طأطي ·
وفي ص ٨٣ — الى الفلا · · · حاورا · والصواب الى العلى · · حاروا
وفيها · يعول اثنا عشر · · والصواب اثني عشر ·
وفي ص ٨٤ — انما طيب الثناء · والأولى طيبك الثناء ·
وفي ص ٨٥ — ومونه موته لا بموته الداني · والأولى وموته خزيه · ·
وفيها · اخذ هذا البيت الراضي · والصواب الرضي ·
وفيها · اليت الشرى · والصواب أليث الشرى وروى هذا البيت · هكذا بنفسي ثرى ضاجعت ·

وفيها • يذكر بخدمة سلفها • والأولى يذكرة بحرمة •

وفي ص ٨٧ — بطيع هو الصابي • والصواب هوى • •

وفي ص ٨٨ — قطعت الياء من ديومة • والصواب اليك من •

وفيها • دمغ المتروع باثر •• والصواب دمع المودع نحو ••

وفيها • مادمت انت ان تقوم • والصواب اسقاط ان •

وفي ص ٨٩ — كايشرف غيرهم • والصواب كما يشرف •

وفيها • قطع متن الشعراء •• والصواب متن الشعر •

وفي ص ٩٠ — اعطاك سَورة • والصواب سُورة •

وفيها • لعمرو ابن هند عضبة • والصواب غضبة •

وفيها • وحقر المشارك • والأولي وحقد •

وفي ص ٩١ — في حياتك لي عظاة • والصواب عظات •

وفيها • تستقل ملك العباد • والصواب بملك ••

وفي ص ٩٢ — بالسطان الانفس خائفة والصواب بالسلطان الانفس جائعة •

وفي ص ٩٣ — صوالح صدغيها • والصواب صوالج •

وفي ص ٩٥ — يضيق بالضرر وسعه • والصواب ويسعه •

وفيها • لحياه رعدة • والصواب لحَياه •

وفيها • باصحاب الجدوذ ••• المطروزة • والصواب باصحاب البرود ••• المطرزة •

وفي ص ٩٦ — ويقل شبا • والصواب ويفل ••

وفيها • وان قلباً لم ينصحه • وفي الاصل لم ينضجه

وفيها • اسفرت الخلوة عن وجهة • والصواب عن وجهه

وفي ص ٩٧ — خليعت خجلة • والاولى خلعت •

وفي ص ٩٧ — صار بحراً مروجه في اليدين • والصواب صار مجرى بروجه كما في الديوان •

وفيها • تجاريا الى مدد • والصواب الى أمد •

وفي ص ٩٩ — عزني فيها لئيم وسامني • والاولى وساءني •

وفي ص ١٠٠ — ولما احتفل القائد . والصواب القائل .

وفيها . بلاد حل بها الشباب تمائمي . والصواب بلاد بها حل ...

وفي ص ١٠١ — ذكر ان سكرته تعطي . والصواب ان غول بسكرته يغطي .

وفيها . مقدار فضيلته في . والظاهر في قوله .

وفي ص ١٠٢ — فاستهلت بمدامعي شوقي . والظاهر لشوقي .

وفي ص ١٠٣ — باردات النوائب . قال في الذيل النوائب جنبا يعني الانياب ولم اجدها بهذا المعنى ولعلها الانايب اصلها انابيب جمع انياب .

وفي ص ١٠٤ — فاهتاج معتز . والاولى فاجتاح .

وفيها كأن ببغداد . والصواب كأن بغداد ... وبذلك يستقيم الوزن

وفي ص ١٠٤ — شوق الى وجه وليس بصحيح الوزن . والاولى الى وجهه .

وفي ص ١٠٥ — تخذتكم دُرعا . والصواب درعا .

وفيها . فيها منقوشه . والصواب منقوشة .

وفي ص ١٠٦ — امتطى بالجوزاء . والصواب الجوزاء .

وفيها . موثوقة بالوثاقة . والأولى موصوفة او موسومة .

وفيها . فهمي حمى . والصواب فهي ...

وفيها . قبل الخط مجرى . والصواب قبل الخطو نحوها مجرى .

وفي ص ١٠٧ — شرافته ... شرافات . والصواب شرفاته ... وشرفاته .

وفي ص ١٠٨ — يقفي زمامه . والصواب ذمامه .

وفيها . قوى الاستقلال والاضطباع . وقال في الذيل الاضطباع النهوض . والصواب اضطبع الشيء ادخله تحت ضبعيه اي عضديه وربما كان الاصل والاضطلاع .

وفي ص ١٠٩ — ولا بليت عذرا . والصواب ولا أبليت .

وفيها . ولولا النعمة بالزيارة نعمة لم تزل ... وصواب العبارة . وله . احق النعم بالزيادة نعمة لم تزل ...

وفيها . عادية احكامها ... والصواب غادية لانها تقابل رائحة في الجملة الآتية .

وفيها . قبض الله من الأمير . والصواب قيض ...

وفيها · القي عصا التيار · والصواب التسيار ·

وفي ص ١١٠ — فانسي به حادث الكلم · والصواب وآسى به ·

وفيها · اذا تغذيت ... بالغذاء ..والصواب تغذيت · بالغداء وبه تحصل المجانسة

قوله اراغ دائي ·

وفيها · آذى قفاه ما ذاق فاه · والظاهر اذا قفاه اذاق فاه

وفيها · من عجبهن زحام · والظاهر من جمهن ·

وفيها · فرعى الله طويل حياة · والصواب فدعا الله طويلا يرجى ·

وفيها · وافاه بعد تأبين بشر · والصواب بعد يأس بشير وحينئذ يصح المعنى ·

وفيها · بدا بين ايدينا عمودا · والصواب عمود اوترى بين ايدينا عموداً ·

وفي ص ١١٢ — خرراسه · والصواب حز اوجذ ·

وفيها · قد كسى الباطن ... والاولى حذف قد ·

وفيها · وصفر من بنات · والصواب وصفر ·

وفيها · واظهرها عواري · والصواب عوار ·

وفيها · وامست تنتج · والصواب وليست ·

وفيها · لكل ساري · والصواب سار ·

وفي ص ١١٣ — ويزوغ عنه · والصواب ويروغ عنه ·

وفيها · فبعد الترك · والظاهر فبعض الشوك ·

وفي ص ١١٤ — جم الزلال · والصواب جم الزلازل ·

وفيها : اذا سئلوا جادت سيوف اكفهم ⁂ عرائك احداث الزمان الجلائل

وهو ملفق من بيتين وهما :

اذا سئلوا جادت سيوب اكفهم ⁂ تطاير جمات التلاع السوائل

خليقون مروا ان تُلين اكفهم ⁂ عرائك احداث الزمان الجلائل

وفي ص ١١٦ — من هجنه الرد · والصواب من هجنة ·

وفي ص ١١٧ — في الذيل · المتخمط هنا الثائر المائج ؟ والمتخمط القهار الغلاب الذي له جلبة من شدة غضبه ولم ارها بمعنى الثائر ·

وفيها · بيبتين اهلنا · والاولى يحلن ·

وفيها · برياك يغذو ربنا بلداً قفرا · والاولى برياك تعروري بنا ···

وفيها · الرتاج الاغلاق · والصواب هو الباب العظيم او المغلق عليه باب صغير ·

وفي ص ١١٨ — تلهب جمر الفرقد · والصواب الغرقد وهو شجر عظام ·

وفيها · نذود النفوس الضاريات والاولى الصاديات ·

وفيها · في الذيل مرجحنة متاوجة · والاولى ثقيلة واسعة مائلة من ثقلها ·

وفي ص ١١٩ — كقول الطرماح ؛ النور · والصواب في الثور ·

وفيها · عتباً بحبكم · طال بحبكم · والصواب بحبكم في الموضعين ·

وفي ص ١٢٠ — بوصل منى تطالبه والصواب متى تطالبه ·

وفي ص ١٢٢ — وليس ذا حين الزيادة · والصواب حين الزيارة ·

وفيها · ما قلت للطيف الملم الا ابتعد · والبيت في الديوان هكذا :

ما قلت للطيف المسلم لا تبعد تغشى ولا كفكفت حامل كاسي

وفيها · فلم يدر ثغر مادها وجيد · وفي الديوان فلم يدر نحر ·

وفي ص ١٢٣ —

أني أهتدي في ظل اخضر مغدق حتى تيمم بالعناء وسادي

وصوابه : انى اهتدى في ظل اخضر مغدف حتى تيمم بالعراء وسادي

وفي ص ١٢٤ — ممنوناً ولا نزقا · والصواب ولا نزقا ·

وفيها · كمن يعيي بحجته وسط النداء · والصواب يعيا ··· وسط الندي ·

وفيها · مالي ومالك شبه حين اذكره · والأولى انشده ·

وفي ص ١٢٥ — دون الخير من شر · والصواب من ستر ·

وفي ص ١٢٦ — كالشراب الرقراق · والصواب كالسراب ·

وفي ص ١٢٧ — كسوة من اعز ادرع · والصواب اغر اروع ·

وفيها · برد المضاع · والصواب برد الصناع ·

وفي ص ١٢٨ — على عقوق الثروة · والصواب على حقوق ·

وفيها · في اخش رتان · والظاهر زمان ·

وفي ص ١٢٩ — موكل بحب الاجل . والصواب الآجل .

وفي ص ١٣٠ — لبسته الخالدة .. والصواب الخالدة .

وفي ص ١٣٢ — والظافر به عزيمة . والأولى والظفر به .

وفيها . سقائج جهله . والظاهر سقائج .

وفي ص ١٣٣ — لايحل الفاقة ولايحل خناقة . والصواب لايحل اننافه ولايحل خناقه

وفي ص ١٣٣ — عوانها اذا الوحوش . والصواب عنوانها .

وفي ص ١٣٦ — لا يقع الا في البذر . وفي رسائل البديع الا في الندر .

وفي ص ١٣٧ — الا قفص اللفظ . وفي الرسائل الاقنص اللفظ .

وفي ص ١٣٨ — ويفل تحجج خصمه بس كتاب حكمه . والظاهر بمسكتات حكمه .

وفي ص ١٣٩ — ومن اللغات اذا تعهد المهمل . والصواب اذا تعد وبه يستقيم الوزن .

وفيها . كل قيمة نضيرة . والظاهر خطيرة .

وفيها . وتحنو على الرقة والتجفي ... وسياق القول يقتضي ان يقال على الرقة له والتجفي به ...

وفيها . ولم يختلط به قلب معاب . والظاهر ثلب معاب .

وفي ص ١٤١ — في التعزية قررت عيناً افديك . والظاهر اسقاط قررت عيناً .

وفيها . توجب انه ملك لايحقق اعطاء ولا يحصل . والأولى توجب انه ملق لايحقق وعطاء لا يحصل ...

وفيها . تخييل فهل فيكم له اليوم ثائر . والصواب اليوم ثائر .

وفي ص ١٤٢ — ويتزرن على العوانك . قال في الذيل العوانك جمع عانكة وهي المحمرة من الطيب والمراد هنا الارداف . والصواب العوانك جمع عانك وهي الرملة المنعقدة المرتفعة وهي كذلك في امالي القالي .

وفيها . ويتهادين على الدوانك وقال في الذيل الدوانك جمع دونك وهو الوادي . والصواب الدرانك جمع درنك وهي الطنافس .

وفيها . وعن الحيساء حوز . وقال في الذيل حور مترددات . والصواب وعن الخنا نور جمع نؤور وهي النفور من الريبة .

وفي ص ١٤٣ — هو داء تداوي به النفوس . والصواب تدوى به .

وفيها . وحمى مضطرم . والصواب وجمر مضطرم .

وفي ص ١٤٤ — وقد ذكرت ابصار قلوب ابنائها والظاهر كسرت .

وفي ص ١٤٥ — وليس بخافي . والصواب بخاف .

وفي ص ١٤٦ — يجني بها ثمر الانام . والصواب الاثام .

وفي ص ١٤٧ — لقد جمعتنا ظرفاً . والصواب جمعتا .

وفيها . قال اللبحتري . والصواب البحتري .

وفي ص ١٤٨ — نطاقها مجرب وازارها محصب . والصواب نطاقها مجدب وازارها مخصب .

وفيها . واستوفى ماء الحسن . والظاهر اقسام الحسن .

وفيها . صورة تجلي الأبصار . والأولى تجلو .

وفيها . كان خده سكران من خمرة فمه . والسجع يقتضي . خمرة طرفه .

وفي ص ١٥٠ — وتشوك رغفران خطه . والظاهر تشوك زعفرانه .

وفيها . فارقنا خشفاً . والصواب خشفاً .

وفيها . والاظفار حما . والظاهر حمى .

وفي ص ١٥٣ — ويخد خذ . والصواب خد .

وفي ص ١٥٤ — وزري ملكي . والظاهر وزي ملكي .

وفي ص ١٥٧ — أتحت سروره . وفي الديوان أبحت .

وفي ص ١٥٨ — وللماء ما دارت عليه القوانس . وقال في الذيل القوانس اعالي الرؤس . وفي الصحاح القونس أعلى البيضة من الحديد . وبعد ذلك فرواية البيت هكذا :

(وللماء ما دارت عليه القلانس)

وفيها : وحكى الذباب بها فليس ببارح . والرواية وخلا الذباب .

وفي ص ١٦٠ — يعادوني قطع . والصواب يعاودني قطع .

« للبحث صلة » سليم الجندي

جامع التواريخ

— أو —

« نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة »

— ٦ —

وحدثني قال حدثني القاضي احمد بن سيار قال حدثني شيخ من التجـار بعمان قال كنت بالايلة أريد الخروج الى البحر فرأيت سائلاً بباب الجامع فصيح اللسان مليح المسألة فرققت له واعطيته دراهم صالحة وخطفت في الوقت الى عمان فاقمت بها شهوراً ثم قُضي لي ان مضيت الى الصين فدخلتها سالمًا فاذا انا يومًا اطوف فاذا الرجل بعينه قائمًا في السوق يتصدق فتأملته فعرفته فقلت له ويحك سائلاً بالابلة وسائلاً بالصين فقال قد دخلت الى هـذا البلد ثلاث دفعات وهذه الرابعة لطلب المعيشة فلا اجدها الا من الكدية فارجع الى الابلة ثم ارجع الى هاهنا قال فعجبت من شدة حرمانه ·

***

وحدثني قال حدثني قاضي القضاة ابو محمد بن معروف رضي الله عنه قال حدثني بعض اهل بغداد عن ابي عبد الله بن ابي عوف انه قال ضاق صدري في وقت من الأوقات ضيقًا شديداً لااعرف سببه فتقدمت الى من

حمل لي طعاماً كثيراً وفاكهة وعدة من جوار الى بستان لي على نهر عيسى وامرت (١) غلماني واصحابي ان لا يجيئني احد منهم بخبر يشغل قلبي ولو ذهب مالي كله ولا يكاتبوني وعملت على ان أقيم في البستان بقية اسبوعي أتفرج مع أولئك الجواري قال وركبت حماري وقد تقدمني كلما أمرت بحمله فلما قربت من البستان استقبلني فيج (١) معه كتب فقلت له من أين وردت فقال من الرقة فتابعت نفسي ان أقف على كتبه وأخبار الرقة وأسعارها فقلت له تعرفني فقال نعم فقلت انت قريب من بستان لي فتعال معي حتى اهب لك دنانير وأغير حالك وأطعمك وتستريح الليلة في البستان وتدخل بغداد غداً فقال نعم ومشى معي راجعاً حتى دخل البستان فأمرت من فيه ان يدخله حماماً فيه ويغير ثيابه ببعض ثياب غلماني ويطعمه فابتدروا معه في ذلك وتقدمت (٢) الى غلام لي فاره فسرق كتبه وجاءني بها ففتحتها وقرأت جميع مافيها وعرفت من أسرار (٣) التجار الذين يعاملوني شيئاً كثيراً وتفرجت (٤) بذلك ووجدت جميع الكتب محشوة الى التجار بان يتمسكوا بما في ايديهم من الزيت ولا يبيعوا منه شيئاً فانه قد غلا عندهم وعز ويوصونهم بحفظ مافي أيديهم فأنفذت الى وكلائي في الحال فاستدعيتهم فجاؤا فقلت لهم خذوا من فلان الناقد وفلان الناقد كلما عندهم من العين والورق الساعة ولا ينقضي اليوم اويبتاعون (٥) كلما يقدرون عليه من الزيت وا كتبوا الي عند انقضاء النهار بالصورة فمضوا فلما

---

(١) ناقل البريد . (٢) بالاصل : وفقدت . (٣) بالاصل : اسار بحذف الجار .
(٤) لعله : وفرحت . (٥) لعله : ولا ينقضي اليوم أو تبتاعوا الخ .

كان العشاء جاءني خبرهم بانهم قد ابتاعوا زيتاً بثلاثة آلاف دينار فكتبت اليهم بقبض الوف دنانير أُخر وبشري كلما يقدرون عليه من الزيت وأصبحنا ودفعت الى الفيج ثلاثة دنانير وقلت له ان أقمتَ عندي دفعت اليك ثلاثة دنانير أُخرى فقال أفعل وجاءتني رقعة أصحابي بانهم ابتاعوا زيتاً باربعة آلاف دينار وانه قد تحرك سعره لطلبهم إياه فكتبت بان يبتاعوا كلما يقدرون عليه وان كان قد زاد وشاغلت الرسول اليوم الثالث ودفعت اليه في اليومين ستة دنانير وأقام ثلاثة ايام وابتاع أصحابي باربعة (١) آلاف دينار أُخرى وجاؤني عشياً فقالوا كان ما ابتعناه اليوم زائداً على ما قبله في كل عشرة نصف درهم ولم يبق في السوق شيءٌ يفكر فيه فصرفت الرسول واقمت في بستاني اياماً ثم عدت الى داري وقد قرأ التجار الكتب وعرفوا خبر الزيت بالرقة فجاؤني يقرعون ويبذلون في الزيت زيادة اثنين في العشرة فلم أبع فبذلوا زيادة ثلاثة في العشرة فلم أبع ومضى على ذلك نحو من شهر فجاؤني يطلبون زيادة خمسة وستة فلم أفعل فجاؤا بعد ايام فبذلوا للواحد الواحد فقلت في نفسي تركُ هذا خطأ فبعته بعشرين الف دينار فنظرت فلم يكن لضيق صدري وانفرادي في البستان ذلك اليوم سبب الا ما أحبه الله تعالى ان يوصل اليّ ربح عشرة آلاف دينار .

***

وحدثني قال حدثني صائغ كان يخدم في خزانة الامير معز الدولة يعرف بطاهر قال كنت أشرب يوماً في منزلي وعندي جماعة من إخواني

(١) الصواب : ثلاثة كما يظهر .

فانقطع بنا النبيذ فخرجت احتال لهم شيئاً من ذلك فلقيني ركابي فقال الامير يطلبك فقلت قل انك لم تجدني قال لا افعل فقلت خذ مني ديناراً وقل انك لم تجدني قال لا أفعل قال وانا معه اذ جاء ركابي آخر فبذلت لهما دينارين فأبيا وجاء الثالث فمضيت وحملت معي غلاماً كان لي فحين دخلت الى الامير قال لي امض فانظر مايقول لك علي المغني في الخزانة فافعله فجئت الى الخزانة فقلت لعلي ايش تريد فاخرج الي مناطق كثيرة ذهباً موكدة(١) بلاسيوف مما أخذه معز الدولة من تركة اخته(٢) وكانت الاخت تشدها في اوساط الجواري وتلبسهن القراطق والخفاتين وتلك المناطق فوقها ويخدمونها(٣) كذلك فلما حصلت لمعز الدولة لم يستحسنها فامر بكسرها وصياغتها مراكب وسيوفاً ومناطق اعجمية فقال لي اجلس واقلعها حتى ننظر كم يجتمع منها ويصاغ قلت ليس معي آلتي التي تستعمل فقال انفذ من يحضرها فأنفذت غلامي فأحضر بعض الآلة فما زلت اقلع واغتفل المغني واسرق واجعل ذلك في كمي وتحت عمامتي وارمي إلى غلامي فاذا حصل معه شيء قلت له هات المبرد (٤) هذا قد كل فامض وجئني بغيره او هات الآلة الفلانية فيمضي وحصل(٥) ماقد سرقناه ويجيء بالآلة واسرق واعطيه واطلب آلة أخرى على هذا الى ان جاء المساء فجمع علي المغني تلك المناطق واخذ الوعد علي في الحضور في غد

---

(١) بالأصل : مولدة . (٢) بالاصل : أخيه .

(٣) الصواب يخدمنها . (٤) لعله سقط : الفلاني او الآخر .

(٥) لعله : ويحصل اي يضع في البيت .

ومعي الصناع وشريكي الموسوم (١) معي بالخدمة في الخزانة فانصرفت فوزنت ماقد حصل عندي وكان اربع مائة وثمانين مثقالاً. فقلت اقبالي هذا جملت اليه كرهاً حتى اخذته بعد أن بذلت ان اعطي دينارين جعلاً ولا امضي وحدثتهم (٢) بالقصة فلما كان من الغد حضر الصناع وشريكي وجلسنا نفكك الباقي واحضرنا شيئاً آخر فمااستوى لنا ان نسرق الامائة وستين مثقالاً قاسمته عليها وعجبت من رزقي في ذلك ·

* * *

حدثني ابو الحسن ثابت بن ابراهيم بن هارون (٣) الحراني الصابيء الطبيب قال حدثني ابي قال كنت بين يدي الموفق يوماً فقال لي يا ابراهيم انا اشتهي شهوة منذ سنتين وهو ذا استقبح ان أطلبها وقد عنّ لي الساعة مواضعتك على طلبها قال قلت يأمر امير المؤمنين قال ويحك انا والله منذ سنين كثيرة اشتهي كبود الدجاج وقوانصها مطبهجة وأستقبح ان أطلبها فيظن صاحب المائدة ان نفسي قد تابعتــه شحاً به عليهم لان رسمهم جار بان يرتفقون (٤) بأخذه وبيعه وأريد اذا قدمت المائدة وجلست معي للأكل ان تشتهي ذلك عليّ وتشير به من طريق الطب لاتقدم اليهم باتخاذ شيء منه بشيء يسير فيصير ذلك القدر رسماً في كل يوم لا يؤثر عليهم قدره ويبيعون هم الباقي فانه كثير واكون قد قضيت شهوتي قال فعجبت من كرمه وفرط حيائه من خدمه

(١) لعله : المرسوم · (٢) لعله : ولم أحدث أحداً · (٣) الصواب : زهرون راجع عيون الانباء ١ : ٢٢٧ (٤) الصواب : يرتفقوا والضمير للمستخدمين في المطبخ ·

حتى يلفق الحيلة في الوصول الى شهوته من غير ايحاشهم او تعرض لذمهم وقدمت المائدة فجلس يأكل عليها وحده وجلست مع الندماء آكل على مائدة بين يديه فلما اكل بعض اكله قلت له لِمَ لا يأمر امير المؤمنين الناصر بان يُتخذ له شيء يسير في زبديات من كبود الدجاج المسمن وقوانصه بالبيض والمري فيطحن (١) بعضه فيولع منه بالشيء اليسير فان في ذلك كذا وكذا واخذت اصف ما حضرني في الوقت ونحن ايضاً نشتهي ان نأكل منه فقال يصلح لنا من غد كذا وكذا زبدية مطحن(٢) وكذا وكذا زبدية من كبود الدجاج المسمنة وقوانصها فاصلحوا ذلك وصار رسماً جارياً ولم يفطن احد منهم بما جرى ·

* * *

حدثني عبيد الله بن احمد بن بكير قال حدثني ابو جعفر الضبي الفقيه الحنفي وقد شاهدته انا وكان من شيوخ التجار المستورين فقيهاً يحضر مجلس ابي للخلاف ويناظر ولم اسمع منه هذه الحكاية قال حدثني شيخ من التجار بسيراف قال كان عندنا نفسان يمشيان في طريق فرأيا صرة فيها دراهم ملقاة في الطريق فقال احدهما للآخر خذها واحفظها لصاحبها فقال الرجل لا افعل فقال لكني آخذها واحفظها فان وجدت صاحبها رددتها عليه قال فأخذها ومشى فاذا برجل يصيح فقالا له مالك فقال صرّة صفتها كذا وكذا فيها دراهم لي سقطت مني الساعة فقال الذي هي معه خذها فانها هذه فسلمها اليه ثم قال لصاحبه أليس لو كان الناس كلهم على مذهبك في ان لا يحفظوا على

(١) لعله : فيطجن · (٢) لعله : مطجن ·

الناس لضاعت اموالهم فقال له الآخر أليس لو كان الناس كلهم على مذهبي ماضاعت الصرة ولكانت تبقى في الطريق مكانها حتى يرجع صاحبها فيأخذها ·

***

حدثني ابو الحسين علي بن النظيف المتكلم على مذهب ابي هاشم قال كنت مجتازاً بناحية وردان ممايلي سجستان ومكران وقد كان يسكنها الخليفة من الخوارج وهي بلدهم ودارهم فانتهيت الى قرية لهم وانا عليل فرأيت قراح بطيخ فابتعت واحدة فأكلتها فحممت في الحال ونمت يومي وبقية ليلتي (١) في قراح البطيخ ما عرض لي احد بشيء وكنت قبل ذلك قد دخلت القرية فرأيت شيخاً خياطاً في مسجد فسلمت اليه رزمة ثيابي وقلت له تحفظها لي فقال دعها في المحراب فتركتها ومضيت الى القراح فلما أفقت من الغد عدت الى المسجد فوجدته مفتوحاً ولم أر الخياط ووجدت الرزمة نشرها في المحراب فقلت ماأجهل هذا الخياط ترك ثيابي وحدها وخرج ولم أشك في انه قد حملها بالليل الى بيته وردها من الغد الى المسجد انتظاراً لي فجلست ففتحها وأخرج شيئاً شيئاً فاذا بالخياط فقلت له كيف خليت (٢) فقال أفتقدت منها شيئاً ؟ قلت لا فقال ما سؤالك قلت أحببت ان أعلم (٣) قال تركتها البارحة في موضعها ومضيت الى بيتي فأقبلت أخاصمه وهو يضحك وقال أنتم

(١) لعله : بقية يومي وليلتي · (٢) لعله سقط : هذه الثياب ·
(٣) قد سقط شيء معناه : حقيقة الامر ·

قد تعودتم اخلاق الارذال ونشأتم في بلاد الكفر التي فيها السرق والخيانة وهذا لا نعرفه هاهنا لو بقيت ثيابك مكانها الى ان تبلى ما أخذها احد غيرك ولو مضيت الى المشرق والمغرب ثم عدت لوجدتها مكانها فانا نحن لا نعرف لصاً ولا فساداً ولا شيئاً مما عندكم ولكن ربما لحقك في السنين الطويلة شيء من هذا فتعلم انه من جهة غريب قد اجتاز بنا فنركب وراءه ولا يفوتنا فندركه فنقتله اما نتأول عليه بكفره وسعيه في الارض بالفساد أو نقطعه كما يقطع السراق عندنا من المرافق فلا ترى شيئاً من هذا قال وسألت عن سيرة أهل البلد بعد ذلك فاذا الامر كما ذكره واذاهم لا يغلقون ابوابهم بالليل وليس لاكثرهم أبواب انما هي شرائج (١) ترد الكلاب والوحوش .

« للبحث صلة »



(١) الشريجة بالمهملة نوع من الستائر قال في الفرج بعد الشدة (١ : ١٢٥) رأيت شريجة مشوشة ففتحتها ودخلت ودورتها كما كانت أو هي الشريجة بالمعجمة وهي باب من قصب يعمل للدكاكين .

آراء وافكار

—(())—

«دَرْ»

كلمة فارسية معناها (باب) وفي اللغة العربية (القديمة والحديثة) عدة كلمات مبدوءة بكلمة (دز) مما يدل على أن أصلها أعجمي . من ذلك :

❊دَرْبان❊ استعملها العرب بمعنى (البوّاب) اي حافظ الباب وحارسه وجمعوها على (درابنة) وانشد الجوهري للمثقب العبدي يصف ناقته (كما كان الدرابنة المَطين) .

(دَرْبَند) كلمة (بند) من مصدر (بندن) الفارسي ومعناه الربط ومنه البند والبنود لضفائر المرأة ولحمائل السيف والرايات . ومعنى (دربند) الباب المربوط اي المغلق الموثق فالدربند الباب الذي لا يمكن النفوذ منه بسبب غلقه ثم سمي (الغَلَق) نفسه (دربند) والعامة تسمي غلق الدكان (دروند) بقلب الباء واواً . والعرب يسمون مضيق الجبل (دربند) وهو من الفارسية بالطبع لأن مضايق الجبال يكون فيها غلق او سد من العمد أو الأخشاب أو سد من الخفراء والحراس ومنه مدينة (دربند شروان) ويسميها جغرافيو العرب (باب الأبواب) وهي مدينة على بحر قزبين وراء جبال القفقاس مما يلي بلاد الروس منسوبة الى (كسرى انوشروان) وكأنها سميت (دربند) لحصانتها أو لما أقيم فيها من الحراس والجنود ومتين الاغلاق .

❊درب❊ يطلقها المولدون على الطريق السالك ومنه قول ابن الوردي :

(لا تقل قد ذهبت أربابه — كل من سار على الدرب وصل)

وأما هي في كلام فصحاء العرب فيراد بها (الباب الكبير) و (المضيق في الجبل) وقد سميت المضايق الواقعة على حدود بلاد الروم لجهة الشام والعراق (دروب) وهي الثغور

ايضاً يُدخل منها الى بلاد الاسلام ويُخرج. ويقال أدرب الجند اذا سلكوا تلك الدروب واجتازوها . وتسميتها بذلك قديمة ومنه قول امرئ القيس :

(بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن انا لاحقـان بقيصرا)

فالدرب كلمة فصيحة ولعل فعل (درّبه يدربه تدريباً) جاء من الدرب اذ أن التدريب في الاصل ان يعوّد المرء سلوك الدروب ثم عمّ كل عمل آخر وسمعت بعض الاساتذة يلفت نظر تلميذه وهو يمتحنه الى كلمة (الدرب) في شعر امرئ القيس ويلومه على كونه لم يزيفها ولم ينتقدها من جهة انها كلمة عامية مبتذلة وقال الأستاذ كان على امرئ القيس ان يقول (بكى صاحبي لما رأى النهج دونه) فان (النهج) افصح من (الدرب) . ولا أرى الأستاذ على صواب فيما قال : (اولاً) لأن الدرب ان كانت ابتذلت في زماننا فانها لم تكن مبتذلة في الجاهلية . ولكلمات اللغة تاريخ واطوار . و (ثانياً) إن امرأ القيس لم يرد (بالدرب) ما يريده عامتنا من معنى الطريق أو الزقاق وانما أراد الثغور والمضايق المعهودة الواقعة بين بلاد الروم والعرب . فكلمة (الدرب) أو (الدروب) اصبحت اسماً علماً لا يجوز لامرئ القيس ولا لغيره ان يبدل بها كلمة (نهج) و (مناهج) . و (درب) العجمية كما قال صاحب المصباح فتكون منحوتة من كلمة (دربند) السابقة فان (البـاب الكبير) و (المضيق في الجبل) و (مدخل بلاد الروم) — كلها أبواب ذات اغلاق وسدود وحرّاس لا يمكن النفوذ منها . « راجع كتاب (الألفاظ الفارسية المعربة) لمؤلفه السيد ادّي شير الكلداني» .

❋درويش❋ معروف معناه وهو مركب من (در) بمعنى باب و (ويش) بمعنى أمام قدام فمعنى الدرويش في الأصل انه فقير يقف على الأبواب لسؤال الصدقة أو على باب الله يسأل العفو والمغفرة .

❋ درباس ❋ هو في لغتنا الدارجة اسم لحديدة تعترض خلف الباب فلا يعود يمكن فتحه . والدرباس في فصيح اللغة العربية اسم للأسد وأنشد في (العباب) لرؤبة بن العجاج (كأنه ليس عرين درباس) ومن المستبعد أن يكون اسم (درباس) بمعنى الباب مأخوذاً من معنى الأسد العربي والأقرب أن يكون أعجمي الأصل من (در) بمعنى باب و (باس) عرف (باص) من مصدر (باصمق) التركي بمعنى الشدّ والتضييق والكبس والعصر . ولا جرم أن حديدة الدرباس يُشدّ بها على الباب فلا يُفتح .

❊درابزين❊ يراد بها اليوم أخشاب بشكل خاص توضع حاجزاً على الدرج اوحول السطوح وهي مركبة من (در) بمعنى باب و(يزين) بمعنى تحت كذا في (كتاب الألفاظ الفارسية المعربة) ومعنى (تخت) في الفارسية (خشب) فيكون معنى (درابزين) باب خشب فلعله كان يطلق في اول استعماله على حاجز خشبي يوضع على الأبواب ثم توسعوا في اطلاقه على المعنى الذي نستعمله فيه اليوم ٠

❊درفة❊ يطلقها عامتنا اليوم على غَلَق الباب والشباك فهل هي محرفة عن (دربة) تأنيث درب أو مركبة من (در) بمعنى باب وكلمة أخرى مبدوءة بفاء ؟ وقد صرح صاحب التاج ان (درفة) عامية فقد قال (ودرفة الباب مصراعه ولكل باب درفتان هكذا يستعمله العوام) اهـ ٠

❊درسعادت❊ اسم للقسطنطينية في عهد الاتراك العثمانيين ومعناها باب السعادة ٠ قال شمس الدين سامي وقولهم (درعليه) غلط اهـ ٠ يريد ان قولهم (درسعادت) يفهم منه معنى (باب السعادة) ٠ أما (درعليه) فلا يصح ان يفهم منه (باب العلية) إذ لا معنى له لكن يقال ان (درعلية) مختصرة مثلاً من (درسعادت عليه) اي باب السعادة العلية ٠

المغربي

كتاب تذكرة النوادر

« من المخطوطات العربية »



عنَّ لجلالة السلطان (مير عثمان علي خان) صاحب حيدر اباد خاطر شريف في نشر العلم فأصدر أمره بتأليف كتاب يحتوي على صفوة المخطوطات العربية النادرة فتلقت جمعية دائرة المعارف أمره بالارتياح ورشحت لهذا العمل (الأستاذ هاشم الندوي) فرحل في نواحي الهند منقباً في بطون الخزائن فظفر بنصيب وافر مما اراده وسعى اليه واودعه كتاباً سماه (تذكرة النوادر) وهو على شكل بديع : يذكر اسم الكتاب برقمه الخاص ثم اسم المؤلف وتاريخ وفاته وذكر شيء من مناقبه . ثم يذكر مزية الكتاب وتاريخ كتابته والخزانة التي عثر عليه فيها . وقد قدم كتب السلف على الخلف . ورتبه على العلوم بحسب خطورة أمرها فابتدأ بالقرآن ثم بالحديث الخ . وأول كتاب ذكره هو كتاب (إعراب القرآن لأبي عبيدة المتوفى سنة ٢١٠ هـ) وآخر كتاب ختم به كتاب (الكمالات الإلهيـة في الصفات المحمدية) للشيخ عبد الكريم الجيلي .

انتهى ملخصاً من مقال نشر في مجلة (الضياء) الهندية جزئهـا الخامس بقلم الأستاذ تقي الدين الهلالي وقد ختم الكاتب مقاله ببيان رأيه في الكتاب : من ذلك انه كان على المؤلف ان يذكر حجم كل كتاب وعدد اجزائه ليعرف الأمر من يريد استنساخه وليعرف ان كان الكتاب مطولاً أو متوسطاً أو مختصراً . وقال أن من رأيه ان يضرب الصفح عن ذكر ما لاقيمة له من مصنفات المتأخرين — وقال قد فات مصنف الكتاب ذكر كتب نادرة في اقطار العالم الاسلامي ولا سيما المغربين الأدنى والأقصى .

(المجمع) لم يعجبنا نقـد الأستاذ (الهلالي) للأستاذ (الندوي) فيما يتعلق باهماله نوادر الكتب في الأقطار الاسلامية . فان هذا غير مستطاع وان استطاعه المؤلف فانه يعوزه مراجعات ومراسلات ونفقات وغير ذلك مما يثبط الهمم عن إنجاز المشروعات وانما كل ما نريده من الأستاذ الندوي ان ينشر لنا أخبار المخطوطات الهندية . واما الأقطار

لا ُخرى فلها علماء ينقبون عنها أو عليهم أن ينقبوا ثم ينشروا خبرها فالشكر للفاضل الندوي ٠

***

وفي مجلة (الضياء) ايضاً أن (حكومة الأيالات المتحدة) في الهند نشرت تقريراً عن المطبوعات التي طبعت في السنة الأخيرة (في الهند بالطبع) وقد جاء فيه ذكر الكتب والصحف التي نشرت في مختلف اللغات فكانت الكتب الهندية (٢٠٥٨) والأوردية (٥٦٠) والانكليزية (٣٠١) والسنسكريتية (١٣٠) وغير ذلك من البنغالية والكجراتية والفارسية التي لم ينشر فيها الا تسعة كتب فقط اما لغة القرآن العربية فقد كسدت سوقها في هذه الديار على ما يظهر والصحف التي نشرت باللغة الهندية (٣٥٣) والأوردية (٢٢٥) والانكليزية (٨٤) ٠

من نوادر المخطوطات
« في دار الكتب الظاهرية »
— ٧ —

(ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض) : تأليف ابي العباس احمد بن محمد التلمساني المعروف بالمقري المتوفى سنة ١٠٤١ ه في القاهرة وهو صاحب نفح الطيب . أوله : الحمد لله الذي اعلى مراتب العلماء الاعلام الخ . نسخة في ٦٤٤ صفحة كبيرة بخط محمد الخضري [رقم ٨٣٠ التاريخ]

(غريب القرآن) — تأليف عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ أوله : برحمة الله نفتتح كتابنا هذا ونذكر اسماء الله الحسنى وصفاته الخ . وهو مرتب على سور القرآن . نسخة في ٢٩٠ صفحة صغيرة تنتهي الى سورة اذا الشمس كورت . كتب بخط نسخ ومضبوط بالشكل يرجع الى القرن السادس [رقم ٣٣ اللغة] .

(صفوة الصفوة) : تأليف جمال الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن ابي الحسن المعروف بابن الجوزي البغدادي المولود سنة ٥٠٨ المتوفى ٥٩٧ ببغداد . اختصرها من كتاب حلية الأولياء لابي نعيم فبدأ بالحرمين الشريفين ثم عاد الى بغداد فجعلها مركزاً فذكر ما كان في شرقها من البلاد ولما انتهى منها ذكر ما كان في غربها من البلاد وختم الكتاب بعباد الجن مرتبة على الطبقات . الموجود منها نسخة في اربع مجلدات ملفقة من خطوط مختلفة ومن نسخ مختلفة ومن هذه المجلدات تتألف نسخة فيها اكثر الكتاب أوله : الحمد لله الذي يعلم ماظهر وما خفى وما تكدر وما صفى الخ [رقم ٦٧ — ٧٠ التاريخ] .

(طبقات الحنابلة) :[1] تأليف ابي الحسين محمد بن محمد بن الحسين ابي يعلى الحنبلي الفراء الشهير سنة ٥١٦ . أوله : الحمد لله العلي العظيم السميع البصير ذي الفضل الواسع

(١) اختصار شمس الدين بن عبد الله محمد بن عبد القادر النابلسي المتوفى سنة ٧٩٧ ه طبع بمعرفة السيد احمد عبيد سنة ١٣٥٠ ه .

والمتن التوابع والنعم السوابغ الخ • ورتبها على ترتيب الطبقات الأولى والثانية على حروف المعجم وما بعدهما على تقديم العمر والوفاة انتهى فيهـا الى سنة ٥٦٥ هـ • نسخة في ٦٤٠ صفحة كبيرة كتبت بخط نسخ سنة ٨٣٥ هـ [رقم ٥٩ التاريخ] •

(المفاضلة بين الصحابة رضي الله عنهم) تأليف محمد علي بن محمـد بن سعيد المعروف بابن حزم الأندلسي صاحب الملل والنحل وغيرها من المؤلفات المتوفى سنة ٤٥٦ وهي رسالة في ٨٠ صفحة صغيرة كتبت بخط نسخ سنة ٧٥٥ هـ • [رقم ٤٥ الآداب المنثورة] •

(ثمار المقاصد في ذكر المساجد) تأليف يوسف بن حسن بن عبـد الهادي الحنبلي الدمشقي المتوفى سنة ٩٠٩ نسخة في ٢١٠ صفحات صغيرة بخط المؤلف [رقم ٨٧ الآداب] •

(سفر السعادة وسفير الافادة) تأليف ابي الحسن علي بن محمد السخاوي المتوفى سنة ٦٤٣ • أوله : باسم الله الذي باسمه تفتتح الاوائل الخ • الموجود منه جزآن في مجلد واحد عدد صفحاته ٣٢٠ بخط عبد الملك بن يوسف سنة ٦٣٧ [رقم ١٤ الآداب] •

(شرح مقصورة ابن دريد المشهورة) تأليف ابي عبد الله محمد بن احمد بن هشام اللخمي المتوفى سنة ٥٥٧ نسخـة في ٢٨٠ صفحة صغيرة كتبت بخط نسخ سنة ١٠٣٠ [رقم ٢٦ الآداب]

حسني الكسم

رحلة الى القاهرة

«١٣٤٩ هـ و ١٩٣١ م» (١)



اذا ركبت قطار السكة الحجازية في محطة القنوات بدمشق فانطلق بك صاخباً ينساب بين حدائق الغوطة الغناء تحت باسقات الادواح وبين قصيرات الجنبات وطويلات الأنجم وخلال مخضرات البقول على انواعها ، سيراً مع قني بردى وسواقيه التي لاتحصى ، وقد آذنت تباشير الربيع بتفتق البراعم والعيون عن افانين الزهر ومخضل الورق ، وبدت عن يمينك بلاس وداريا وغيرهما من القرى فذكرتك بقول الصنوبري :

ونعم الدار داريا ففيها … صفالي العيش حتى صار أريا
ولي في باب جيرون ظباء … اعاطيها الهوى ظبياً فظبيا
صفت دنيا دمشق لمصطفيها … فلست اريد غير دمشق دنيا

ثم طلع بك الجبل المانع وهو يلهث تعباً فاستقبلتك اللجاة بحرتها السوداء، فطواها على عجل الى حوران حيث تذكر قول جرير في صفاتها :

هبت شمالاً فذكرى ماذكرتكم … عند الصفاة التي شرقي حورانا
هل يرجعن، وليس الدهر مرتجعاً، … عيش بها طال ماحلولى ومالانا

حتى اذا بلغ بك وادي اليرموك فانحدر فيه قلقاً حذراً يتئد في سيره ، وانت تذكر روعة التاريخ في وقعة ذلك الوادي الشهير ، وتمتع ناظريك بأزهاره الفتانة التي تنبتها الطبيعة على انواع واصناف لاتعد ، ثم استقبلك نهر الأردن وبدت امامك بحيرة طبريا فقف هنالك واذكر دمشق وقل مع اليزيدي :

(١) محاضرة القاها الأمير مصطفى الشهابي في ردهة المجمع العلمي العربي في ٦ تشرين الثاني «نوفمبر» سنة ١٩٣١

ما ذا بقلبي من دوام الخفق اذا رأيت لمعان البرق
من قبل الأردن او دمشق لأن من اهوى بذاك الأفق
ذاك الذي يملك مني رقي ولست ابغي ماحييت عتقي

وتبدو لك بعد قليل بيوت بيسان واشجارها وهي تنظر من عل الى غور الأردن كأنها تدفع عنه صروف الدهر • ومن العجيب انك لاتشاهد حولها كرماً مع ان خمورها كانت مضرب الأمثال فيامضى • ولاازال اذكر البيت الذي قاله عبدالرحمن بن سيحان بن أرطاة في سبيئة بيسان اي خمرها وهو :

سبيئة من قرى بيروت صافية عذراء اوسبئت من ارض بيسان

وليس في مرج ابن عامر ما يلفت نظرك سوى كثرة الصهيونيين فيه ، وفي السهول التي تقطعها في اليوم الثاني الواقعة جنوبي حيفا الا طول كرم وقلقيلة ورملة ولد فانها حمت نفسها منهم ولا يزال يصح فيها قول كثير :

حموا منزل الأملاك من مرج راهط ورملة لد ان تباح سهولها

وكأني بك ذاكر قبيل الغروب وقد بلغ بك القطار غزة قول الامام الشافعي فيها :

واني لمشتاق الى ارض غزة وان خانني بعد التفرق كتماني
سقى الله ارضاً لو ظفرت بتربها كحلت به من شدة الشوق اجفاني

ومتى ارخى الليل سدوله رأيت القطار يضرب بمن فيه صحراء التيه دون ان يتيه ، لأن السكة امامه ممدودة تتلوى كالأرقط وهو كما قال حافظ : حديد ينساب فوق حديد ، فلا خوف في دخوله التيه ، ان يضل كما ضل قوم موسى او يجازف مجازفة المتنبي في قوله :

ضربت بها التيه ضرب القما ر اما لهذا واما لذا

واذا ماجزت قناة السويس في القنطرة وركبت قطار مصر فانطلق بك في دساكر القطر ومستغلاته ، فلا تطمع بان تمتع نظرك في الليل البهيم الا بمصابيح البلدان والمدن التي يمر بها القطار حثيثاً ، او يقف بها هنيهة وقفة القلق الذي لم يبلغ الغاية في سيره ، حتى اذا بدت لك مصابيح القاهرة المشرقة حق عليك ان تحيي مصر بصرخة شبيهة بالتي خرجت من فؤاد الشاعر الياس فياض :

سلام على مصر ولو عشت ادهراً لما كنت الا طول عمري مسلما
على موطن لو خير المرء موطناً من الارض لم يختر ابر واكرما
سرت في اهاليه عذوبة نيله وسال فما ان تعرف الماء منهما

ولاتعجبن بعد خروجك من المحطة ليلاً لوفرة الأنوار المتألقة في ساحتها ، وفي شارع الملكة نازلي الطويل البديع ، ولا لروعة تمثال نهضة مصر الذي يجب ان تحييه تحية من يعشق الحرية اينما كانت ، فكيف في عاصمة الفاطميين والأيوبيين ، ولا لازدحام السيارات والعجلات وضخامة الابنية ، وكثرة المارة ، ونظافة ارض الشوارع المصقولة صقلاً ، فأنت في مدينة اوربية في عظمتها ، شرقية في روعتها ، وهذا المزيج هو مايستخفك ويستهويك ، فلست في الاسكندرية ولا في بورسعيد حيث رطانات الاجانب بمختلف الألسن الأعجمية ، يحملك تتمنى ان تُصم اذناك الى حين ، وحيث يظهر هؤلاء امامك بمظاهر تود معها لو كان لك عينا المعري ريثما تنسل من بينهم بسرعة الكهرباء .

انك اينما سرت في القاهرة تجد شوارع نظيفة واسعة ، وابنية كبيرة شاهقة ، وحدائق مزدانة باجمل اشجار البلاد الحارة ، وتجد ايضاً جوامع قديمة وحديثة ، وقصوراً مبنية على الطراز العربي تأخذ نقوشها وزخارفها وتطاريزها بمجامع القلوب . فحدائق الأزبكية والنباتات ، والقناطر الخيرية والحيوانات ، والأسماك والمعادي وغيرها وهي كثر ، ثم جوامع السلطان حسن والرفاعي وابن طولون وسيدنا الحسين والأزهر ومحمد علي وعشرات غيرها من آيات الفن المنبثة في انحاء المدينة كلها ، تحملك على الاعتقاد بأن القاهرة هي اروع مدينة لا في الشرق العربي وحده بل في الشرق الأدنى بلا جدال . واجمل من المدينة سكانها فأنك لا ترتطم فيها بعدد كبير من صلفاء الأجانب ، بل الجمهور الذي تقع عليه عينك احد اثنين مصري اسمر بشوش مرح محتفظ بطربوشه القصير ، او مصرية سمراء كحلاء هيفاء في الغالب لفاء في الأقل ، تختال في الحرير الأسود سافرة الوجه اومسبلة عليه نقاباً أرق من دين صاحب البيت الآتي في الخمرة وهو ابو نواس .

عتقت في الدن حتى هي في رقة ديني

نعم لقد رقت النقب على وجه السيدات المصريات حتى طار نصفها لدى نصفهن ، واوشك النصف الثاني أن يلحق بأخيه ، وصرت ترى السيدة المصرية تجلس بجانب الرجل في

مجالس الأدب ، وابهاء المحاضرات والحدائق والمسارح وغيرها دون ان يعد ذلك منها خروجاً على المألوف من العادات . وولدت المدنية الاوربية هذه الحال تدريجياً فالمرأة المصرية أسلم فيها عاقبة من المرأة التركية التي حملوها قسراً على أخبث ما في السفور من أمور مستقبحة . ومن المعروف ان القرويات في مصر كالقرويات في الشام لا يتخذن النقاب على أوجههن . وأنت اذا أردت شبهاً لصور المصريات في المتاحف وعلى الستائر ، بقدودهن الهيف ، وعيونهن السود التي يشبهونها بفلقة اللوزة ، وما أوجدته الطبيعة في الأهداب من كثافة وكحل ، وفي الحواجب من استقامة وقصر ، الى غير ذلك من الصفات التي تلفت نظرك في صور المرأة المصرية القديمة ، فانك واجد هذا الشبه في فتيات القرى المصرية لا فتيات المدن .

ومتى رحت تبحث في القاهرة عن كل ما يجب عليك ان تراه وتدرس بامعان كل ما يحتاج الى درس حق عليك ان تسلخ فيها اشهراً بل سنوات . ولو جشمت نفسك التأليف في ذلك لما خرجت بسفر بل بأسفار . وبعد فماذا تراني محدثك عما شاهدته فيها خلال أيام معدودات ، أأذكر دار الآثار المصرية ، وفيها تتجلى عظمة المصريين الأقدمين فيما خلفوه من هياكل وتماثيل ونصب مصنوعة من الحجر الصلد ، واثاث ورياش وحلي مذهبة ، قرأتم عنها فيما كتب عن توت غنخ آمون خاصة الى غير ذلك مما يجعل تلك الدار لا تقل في عظمتها وغناها عما شاهدناه في أكبر المتاحف الأوربية . أم أذكر دار الآثار العربية وهي ان لم تستثر دهشتك من حيث عظمة ما فيها من مخلفات الأجداد فتنتك بما تحويه من دقيق النقش والوشي والزخرف وأعادت الى نفسك ذكرى روعة الممالك العربية في إبانها . أم أتحدث عن اهرام الجيزة وسقارة وابوصير وغيرها . اواكتفي بهرم خوفو الأكبر في الجيزة وهو من اقدم ما بنته يد الانسان ، رسا اصله على ٢٣٣ متراً من الأرض ، وعلا جرمه فوقها حتى بلغ ١٤٧ متراً . وهنالك يربض ابوالهول الجبار الذي هزأ بالدهر كالهرم ، وصارع احداثه مثله ، حتى ناجاه امير الشعراء بقوله :

ابا الهول طال عليك العصر وبلغت في الأرض اقصى العمر
فيا لدة الدهر لا الدهر شب ولا أنت جاوزت حد الصغر

ومتى ذكر ابو الهول وجب ان يتصور الانسان اسداً رابضاً من حجر طوله ٥٧ متراً

وعلوه ٢٠ متراً وله رأس آدمي تبلغ أذنه ١٤٣٧ متر ويبلغ فمه ٢٦٣٢ متر ولو وقف رجل على فرع أذنه ومد يده لمابلغت قمة رأسه . ام انتقل بك طفراً الى مصر الجديدة حيث ترى الآيات البينات في بناء المدن الحديثة ، من قصور شاهقة ، وشوارع نظيفة واسعة ، وحدائق هي بهجة للناظرين . ولو شاهدت اجمل الأحياء في المدن الأوربية لما تركت في نفسك اثراً يفوق الأثر الذي تطبعه فيها رؤية مصر الجديدة . اماسير بك الى حي الزيتون والمطرية وواحة عين شمس فتتذكر هنالك قول امير الشعراء في قصيدته « المطرية تتكلم » .

لولا حلى زيتوني النضر ما ... اقسم بالزيتون ربّ العباد

الواحة الزهراء ذات الغنى ... تربي التي ما مثلها في البلاد

تزيك بالصبح وجنح الدجى ... بدور حسن وشموس اتقاد

. وبين الزيتون وواحة عين شمس ترى بيت الامام محمد عبده رحمه الله وقد اوشك يتداعى فتنقبض لذلك نفسك وتود لو ان الحكومة المصرية على غناها رممته وجعلته بيتاً من بيوت الأمة يحج اليه ابناء الشرق العربي كافةً . وكنت ادليت بهذا الرأي الى معالي وزير الزراعة حافظ حسن باشا فاستصوبه .

. أم نصعد الى القلعة التي كان أمر ببنائها السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب على أحد منحدرات المقطم ، فنحظى بمنظر لا تقع العين على اجمل منه لبيوت القاهرة الجميلة ، وجوامعها البارزة ، ومآذنها الشاهقة ، وقبابها الكروية ، وجنانها الفردوسية ، ونيلها الهادي ، تنساب مياهه بجلال وعظمة . وهنالك ندخل قصر محمد علي الكبير فنتذكر أيامه الغر ، وايقاعه بظلام المماليك ، واستئصاله شأفتهم . وندخل الجامع الذي بناه ذلك الرجل العظيم ، وأتمه الخديوي سعيد باشا على طراز جامع نور عثمانية في فروق ، بقبته البيزنطية العظيمة ومآذنه الرشيقة العالية ، فنحيي فيه ضريح مؤسس النهضة الحديثة باحترام وخشوع . أم نمتطي السيارة فنطلقها شمالاً الى شبرا فالقناطر الخيرية حيث تشاهد ذلك السد العظيم الذي بدأ به محمد علي ، فأقامه في وجه النيل وأتمه بعده خلفاؤه ، وحيث تقع العين في الجزيرة التي والتها الترع على حديقة غناء من اجمل حدائق العالم تتسابق فيها بالجمال اشجار الفصيلة الصنوبرية ، وهن ملوك دوحة النبات واشجار الفصيلة النخلية وهن أمراؤها ، دع أنواع السنط والجميز ومختلف الأزهار . واعجب لأرض الحديقة كيف

اوجدوا فيهـا تلك المنعطفات والمنحدرات والتلال الصنعية وكيف زينوها بتزاويق الزهر وتعـاريجه • فاذا ما اضفت الى خضرة الحديقة وزرقة النيل حمرة وجوه الحسان المرحات فانت اذن في الجنة التي فضلها أمير الشعراء على جنة الخلد عند ماهتف ببيتيته المشهورة في الأندلس:

وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني اليه بالخلد نفسي

أم نيم الجنوب في القطار الى حلوان بلدة عبـد العزيز بن مروان ، فنعيد الى الخاطر ما كان بنى الأمير فيها من دور وقصور وما زرع من بساتين وكروم ، ثم نزور حمامهـا الكبريتي الشهير فنرى بنـاء عربيًا ضخمًا بنته الحكومة يحتوي على عشرات من الغرف والمقاصير النظيفة فيها مغاطس تملأ بالمياه الكبريتية أو الميـاه العادية وقاذفات للبخار أو للهواء الحار • وكأني أراك أمام هذه الوسائل الحديثة ذاكرًا حالة حماماتنا الكبريتية في طبريا والحمة وضمير والسخنة وتدمر وغيرها ، وهي كما اوجدتها الطبيعة لم تعمل بها يد انسان، ولم ينفق فيها دانق واحد •

أم ترانا نترك الجد الى حين فنفلت بضع ليالـ في شارع عماد الدين ، وما عهدنا عماد الدين الكاتب الذي جعله صلاح الدين في خاصته ، اخا لهو وطرب بل عهدناه على حد وصف الجاحظ لأمثاله « الف تفكير وتنقير ودراسة كتب وحلف تبيين » • ولو لم يكن كذلك لما الف «خريدة القصر وجريدة العصر» في عشر مجلدات ، والبرق الشامي وهو سبع مجلدات في التـاريخ ، وديوان شعر وديوان رسائل وغيرها • فاذا صحت نسبة الشارع المذكور اليه « ولست اعلم عمادًا للدين غيره تصح فيه هذه النسبة » كان من عبث الدهر وهزله ان تجتمع انواع الملاهي في شارعه حتى صار يعرف بها وصارت تعرف به • فهنالك تشاهد يوسف وهي اشهر ممثل انجبته مصر ومسرحه يعرف بالجد سواء من حيث التمثيل أم من حيث الآداب التي يشترط على المتفرجين ان يتحلوا بها • فانت لاتجد هنالك اخلافًا بالمواعيد أو قهقهة أومسامرة أوشرب ماء أو تدخين تبغ اثناء قيام الممثلين بعملهم • ومتى فرغ الممثلون من تمثيل احد الفصول جعلوا لك بينه وبين اخيه وقتًا تدخل فيـه بهوًا واسعًا فتأكل وتشرب وتدخن وتطلق للسانك العنان • ويكاد يكون مسرح فاطمة رشدي متحليًا بالصفات المذكورة • وهو يمتاز بصاحبته التي تحلت برشاقة القد وجمالـ

الصورة وجودة التمثيل ، فكانت أشهر ممثلات مصر على الاطلاق . ولقد أبدعت في رواية مجنون ليلى تلك الرواية التي تعد من فرائد شوقي شاعر العرب الأكبر ، كما أبدع رفيقها احمد علام . ولا شك ان التمثيل العربي في مصر لم يبلغ بعد مستوى التمثيل في دار الأوبرا الملكية حيث تمثل فرق اجنبية غالباً ، وهو لا يزال بعيداً عما شاهدناه من الروايات في اوربة . ولكن القصور على ما أرى ليس في غواة التمثيل المصريين ، ولا في مؤلفي الروايات التمثيلية بل في ضيق ذات يدهم جميعاً . فلو مدتهم الحكومة بالمال الكافي لبرهن كل منهم على انه اخو عبقر في عمله ، ولنهضوا بالتمثيل العربي الى المستوى الذي تتوق اليه .

وفي ذلك الشارع تسمع صوت عبد الوهاب يزينه تفنن صاحب الصوت بالغناء وانتقاؤه قصائد شوقي المتينة الحوك والجميلة المعنى ، ولو أعطيت ام كلثوم صناعة عبد الوهاب ثم لو انتقت على الأقل قصائدها الغزليـة من نظم فحول الشعراء المتقدمين أو المتأخرين لبلغت سدرة المنتهى ، ولتضاعف تأثير صوتها العذب الذي ما حاكاه صوت رجل أو امرأة في البلاد العربية على ما نعلم . ولا شك أن لحوك القصائد ومعانيها تأثيراً كبيراً في نفس المستمعين فشتان من حيث السبك والمعنى ما بين قولك :

متى يا جميل المحيا أرى رضاك ويذهب عنا الغضب
واني محب كما قد عهدت ولكن حبك شيء عجب

وبين قول الثاني :

ليلى تردد في سمعي وفي خلدي كما تردد في الأيك الأغاريد
اغير ليلاي ناديا ام بها هتفوا فداء ليلى الليالي الخرد الغيد

والقصيدتان أصبحتا أشهر من نار على علم ، الاولى تنشدها ام كلثوم والثانية عبد الوهاب . واما من حيث الفن فلا يزال ينقصنا الشيء الكثير من التنويع والتشكيل والمفاجآت فقد مللنا من الانغام المحزنة وما فيها من نواح وعويل . ولست اقصد بذلك تقليد الفرنجة بانغام باردة كالتي اخذ بعضهم يلحنونها في هـذه الأيام ليست بشرقية ولا غربية وهي جديرة بثقب طبلة الأذن قبحاً وسماجة . وبعد هذا ماذا تراك ملاقياً في شارع عماد الدين ؟ انك ملاق فيه ممثلين للروايات الهزلية ودوراً للروايات السينمية وفرقاً للرقص والخلاعة مما يجعل عماد الدين الكاتب رحمه الله يتمنى لو كان سمي بأي اسم آخر او لو انصفه الذين احيوا

تجليد اسمه نخلدوه في غير هذا الشارع ·

ولنعد بعد هذه الجولات الليلية الى حياة الجد في النهار ، ولنزر على عجل ما يتاح لنا زيارته ركضاً في ايامنا المعدودات · ولنبدأ بدار الكتب المصرية فهنالك يلقاك مديرها العالم اسعد بك برادة بوجهه البشوش ويعرفك ببعض مساعديه ، وكل منهم استاذ فاضل بحاث عن الكتب ، نقار خلال سطورها ، يدرك منها بالعين المجردة مالا يراه غيره بالمجهر · ولله ماحوته تلك الدار من نفائس الرقوق والمصاحف القديمة وغالي المخطوطات والكتب فانها ثروة في البلاد اي ثروة ، واعجب لجهود الذين يطبعون الكتب الادبية في مطابعة تلك الدار فيخرجونها في تلك الحلل القشيبة التي اكتسى بها كتاب الأغاني وكتاب الأصنام وديوان مهيار الديلمي وعيون الأخبار للدينوري ونهاية الأرب في فنون الأدب للنويري وأشباهها ·

وهل يجوز ان نعود من مصر دون ان نزور رجال الأدب والصحافة فيها ولا سيما الشاميين منهم وهم في ذلك البلد قوة يحسب لها الف حساب · خدموا اللغة العربية بجهودهم وأناروا الأذهان بمنتوجات عقولهم ، ومابرحوا الى اليوم قابضين على أهم الصحف اما مالكين لها أو كتاباً فيها[1] · وبأي يجب ان نبدأ ، وأي صحيفة أحق بالاكبار من المقتطف شيخة مجلاتنا العلمية ورأسهن ، وأي ذكرى في عالم الصحافة العربية أحق بالتخليد من ذكرى العلامة الفقيد الدكتور يعقوب صروف وهو من لم يجاره احد قبل مماته ولا بعده بسلاسة لغته العلمية وصحتها ، وسلسلة الأبحاث فيها ، حتى أصبح جميع الكتاب الذين يقام لقولهم وزن يجزمون بان العلوم الطبيعية خاصة لم تكتب بقلم أصلح من قلم الدكتور يعقوب · ولئن حالت الأقدار دون رؤية الفقيد فقد متعتك بخليفته فؤاد صروف وهو يبدو لك شاباً في رزانة الشيوخ وحنكة أصحاب السياسة والادارة ، ليس له بساطة العلماء واسترسالهم في الأحاديث ، وان كان منهم بل تراه يزن كلامه كما يزن بعينيه مخاطبه · وقد دل حتى اليوم على انه جدير بأن يقوم بحمل المقتطف الثقيل خير قيام ·

ونجد في تلك الدار دار المقتطف والمقطم ذلك الشيخ الجليل والسياسي الاقتصادي

(١) من البديهي اننا لم نتعرض للمذهب السياسي الذي دان به كل رجل من رجال الادب والصحافة الذين تناولناهم في بحثنا هذا ·

المحنك الدكتور فارس نمر الذي له علينا حق المواطن على ابن بلدته (حاصبيا) وحق الصحافي القديم الذي مابرحت صحيفته تسير على وتيرة واحدة منذ نصف قرن تقريباً . وهنالك ايضاً خليل ثابت بك رئيس تحرير المقطم ولولبها الذي يسيرها بحكمته المعروفة على الخطة التي رسمت لها .

واذا ماانتقلنا الى دار « الاهرام » وهي أقدم الصحف اليومية الحاضرة ، دهشنا لعظمة ذلك البناء ، وظننا نفسنا في احدى دور الصحف الاوربية الكبرى . وهنالك وجدنا شخصيتين بارزتين مشهورتين في عالم الادب والصحافة اولاهما شخصية الاستاذ داود بركات رئيس تحرير « الاهرام » بل قلبها الخفاق وسر الحياة فيها ، وهو يشجيك بدهائه وفرط ذكائه ووفرة نكاته التي يأخذ بعضها برقاب بعض . ولم اجد اقدر منه على القيام باعمال مختلفة في آن واحد . فقد كان في مكتبه يقص علينا من نكاته العذبة ، وينظر في قصيدة بعث بها احد الشعراء ، ويصحح عدة اخبار قبل نشرها ، ويتلقى وصفاً لأحدى الحفلات ، كل ذلك في آن واحد وبسرعة البرق ، وبدون ان يمل احد او يهضم حق احد ، حتى قلت لنفسي اذا كانت قوة المرء على تدوير دولاب الأعمال الصحافية تقاس بعدد الأحصنة، فأن ما في دماغ الاستاذ بركات من قوة يساوي الف حصان على الأقل ...

أما الشخصية الثانية في «الاهرام» فهي شخصية الكاتب الفذ والوطني الصادق الوطنية الأستاذ اسعد داغر وقد وجدناه على ما عرفناه منذ اثنتي عشرة سنة في دمشق لم يبدل ادنى شيء في مبدأه ومشربه . وأما دار « الهلال » فلم تعد داراً لمجلة الهلال وحدها كما تركها المؤرخ الشهير الذي خدم قراء العربية اجل خدمة المرحوم جرجي زيدان صاحب تاريخ التمدن الاسلامي وتاريخ آداب اللغة العربية وتاريخ العرب قبل الاسلام وروايات زيدان التاريخية الخ بل قام ابناؤه الأفذاذ من بعده بعمل كبير فأصدروا مجلات « المصور » و« كل شيء » و « الحياة المصورة » و « الفكاهة » بالعربية وليزيماج (Les images) بالفرنسية حتى صرنا نجد في تلك المجلات رسوماً جميلة للحوادث السياسية والاجتماعية وللكائنات الغريبة مما لا عهد لقراء العربية به من قبل . وقد فقدت الهلال بعد مؤسسها مادتها التاريخية لكنها اعتاضت بها مقالات أدبية لعدد من ادباء اليوم كما ازدادت رونقاً وبهاء بما ذكرنا فصارت مجلة طبقة من الشعب اكثر عدداً من التي كانت تقرأوها فيما مضى

ذلك انه اذا بدأ المرء شيئاً من مبادئ العلوم في مدارس التجهيز ودور المعلمين والمدارس الأهلية والأجنبية لذت له قراءة مجلات دار الهلال واستفاد مما فيها من معلومات ومتع نظره بصورها وتفكه بما حوته من نكات مستملحة واحاديث لذيذة . أما اذا حملته على قراءة المقتطف بما فيها من مواد علمية جافة فسرعان ما يمل منها لأن تلك المجلة ليست لمثله بل هي لمن زادت معارفهم على معارفه . ولما كان عدد خريجي مدارس التجهيز وخريجي المدارس العالية محدوداً اذا قيس بسواد المتعلمين كان قراء مجلات دار الهلال أكبر عدداً من قراء المقتطف . وانت ترى ان كلاً من مجموعة دار الهلال ومجلة المقتطف ضرورية لقرائها .

ومن الشاميين الأحامس الأستاذ محمد علي الطاهر صاحب جريدة «الشورى» المعروفة ببلائها في سبيل القضية العربية ومن الأدباء الذين يعمل واحدهم عمل الجماعة صديقنا الأستاذ محب الدين الخطيب صاحب مجلتي « الزهراء » و « الفتح » الذي صحح وطبع «ادب الكاتب» لابن قتيبة و « البيان والتبيين » للجاحظ و «خزانة الأدب» للبغدادي . وقد بدأ اخيراً بمعجم لسان العرب فطبع جزءه الأول وهو مثابر على تنقيح اجزائه السائرة وطبعها . وله على الاشتغال باللغة وآدابها همة لا تحاكيها الا همة الجبابرة .

ومنهم شاعر دمشق الأكبر خير الدين الزركلي صاحب قاموس الأعلام في تراجم اشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين في الجاهلية والاسلام والعصر الحاضر وهو سفر ثمين في ثلاثة اجزاء . ومن الغريب ان عيني لم تكد تقع على عينه حتى تذكرت قصيدته التي يحن بها الى الشام حنين الثكلى الموجع الى فقيدها تلك القصيدة التي بكيت عند ما تلوتها منذ بضع سنوات ومطلعها :

العين بعد فراقها الوطنا   لا ساكناً ألفت ولا سكنا

وهو يختمها بقوله :

ان الغريب معذب ابداً   ان حل لم ينعم وان ظعنا

لو مثلوا لي موطني وثناً   لهممت أعبد ذلك الوثنا

رده الله الى دمشق ليسمعنا صداحه الفتان في بردى والربوة والنيربين ودمر وجيرون والغوطة فكلها له مشتاقة .

ومن الذين لهم شخصيتان بارزتان الأولى علمية والثانية سياسية العلامة الدكتور شهبندر فقد ألفيت جميع العلماء المصريين والشاميين يحترمون فيه غزارة المادة العلمية ولا اظن احداً غيره جمع هاتين الشخصيتين تجلى بهما الا العلامة الأمير شكيب ارسلان وهو الذي لا يضاهيه احد بين كتاب العربية بكثرة منتوجات قلمه ، حتى ان الانسان ليحار كيف يجد الأمير متسعاً من الوقت لكل ما تخطه انامله ، ويسيل به دماغه على القراطيس .

اما الآنسة التي اختارت لنفسها اسم «مي» (ولله ما أعذبه اسماً) فهي كبيرة أديبات العربية في يومنا هذا بلامنازع . زرتها مع صديقي العلامة امين باشا المعلوف صاحب معجم الحيوان بعدان تلطفت واجتمعت بي مع رهط من العلماء والادباء في فندق «كونتننتال» فاذا بي في دارها كأني في هيكل الأدب الأسمى وقدس النبوغ والعبقرية . واذا باحاديثها تنم على أدق ماتلمسه مشاعر الانسان وقد خيل لي انني في حضرة احدى سيدات الملأ الاعلى اللواتي كنت أقرأ عنهن في كتب كبار الأدباء الفرنسيين . وماكدنا نودعها ونخرج حتى ابتدرني الصديق الأمين قائلاً : «انها مخيفة» فقلت صدقت ياباشا وماذا أخافك منها قال حدة ذكائها ووفرة معلوماتها الأدبية ، قلت اما انا ففرط احساسها لدقائق الحديث حتى كدت أرى نفسي غير قادر على مجاراتها فيه .

ومن الكتاب الشاميين الذين يكتبون في الصحف المصرية الاستاذ شامي السراج والاستاذ توفيق اليازجي وهما من فحول الكتاب الصحفيين ولهم في الجرائد المصرية تأثير أي تأثير ومنهم الكاتب نجيب شاهين والكاتب حنا خباز وكلاهما مجيد وقد اشتهر الدكتور شخاشيري بما يكتبه في المقتطف من الفصول الطبية الطلية . كما اشتهر الاستاذ نسيم صيبعة بمقالاته السياسية والاقتصادية عن الشام . ولم أر من يعالج قضية البلاد بمثل قلمه وخبرته وحفظه للوقائع والحوادث .

وهناك ترى خليل مطران شاعر القطرين بل شاعر الحياة والحقيقة والخيال معاً الذي قال فيه أخي الشهيد عارف الشهابي في تذكرته منذ ٢٤ سنة « نعم ان شعره شعر المستقبل الذي ستزدهر فيه آداب اللغة العربية . ولقد كسر الشاعر قيود التكلف وهدم صروح التقليد واندفع بعامل الشعور والاحساس فهتف بما هتف وكان هتافه شعراً . ولو لم يكن من فضائل ديوان الخليل سوى خلوه من المجو والمديح (عدا قصيدة أو قصيدتين) لكفى» انتهى .

هذه صورة صغيرة للصحافة الشامية في مصر لمن حظينا بمشاهدتهم من ارباب الاقلام الشاميين فيها . ولكثير ممن لم نسعد بالتعرف بهم فضل كبير كالعلامة الجليل صاحب المنار والاستاذ اسكندر مكاريوس صاحب اللطائف المصورة وهي منتشرة في الشام والأستاذ المعروف اسعد خليل داغر والكاتب الفذ نقولا الحداد والاستاذ يوسف اليان سركيس صاحب معجم المطبوعات العربية والمعربة وغيرهم . اما الصحافة المصرية فهيهات ان نتمكن في ايامنا المعدودة من ابداء رأي فيها وفي رجالها الافذاذ . وكيف وقد صار لدى اخواننا المصريين جرائد ومجلات لاتقل قيمتها عن قيمة امثالها في الغرب وذلك بغزارة مادتها وتنوع حوادثها واخصاء كتابها بمختلف الموضوعات ووفرة النسخ التي تطبعها. مثالها جريدة السياسة والسياسة الاسبوعية والبلاغ والبلاغ الاسبوعي والجهاد والفلاح والضياء والكوكب وغيرها وهي كثر . وصار يكتب فيها ادباء وكتاب ذاع صيتهم واستفاضت شهرتهم امثال العقاد والمازني وهيكل وعوض وذياب ولطفي جمعة وعبدالرازق ومنصور فهمي وعنان وغيرهم . وقد كنت اتمنى ان اجتمع خاصةً بالعقاد الشاعر الرقيق والأديب الكبير والوطني الصادق الوطنية فاذكره بقوله :

يا نديم الخلوات اقبل الليل فهات

فإذا به في خلوة ما كان ليرقبها ولا ليتمناها له احد في العالم العربي . واذا به سجين في قضية سياسية وكأني به في محبسه يردد قوله :

ايه يادهر هات ماشئت وانظر عزمات الرجال كيف تكون
ما تعسفت في بلائك الا هان بالصبر منه ما لا يهون

ولقد ذكرني سجنه بابياته البديعة في هذا الكون الأحمق :

ياشمس ما ضرك لو لم تشرقي ياروض ماضرك لو لم تعبق
ياقلب ماضرك لو لم تخفق سيان في هذا الوجود الأحمق
من كان مخلوقاً ومن لم يخلق

وهل يجوز ان نعود الى الشام قبل ان نزور الجامعة المصرية ونشاهد أبنيتها وحدائقها الجميلة في الجيزة وهنالك يلقانا من اساتذتها المعلمان الشهيران احمد امين وعبدالوهاب عزام ويجمعنا في اليوم التالي برهط من الرجال الافاضل الذين تتألف منهم لجنة التأليف والترجمة

والنشر فاذا بكل منهم عالم أخصائي في فرع من العلوم واذا بهم يبسطون لنا على منصة كبيرة نحو أربعين كتاباً عربياً ألفوها أو صححوها وطبعوها طبعاً غاية في الدقة والنفاسة .

وكيف نغادر القطر قبل ان نجتمع ببعض العلماء المصريين الذين تربطنا بهم رابطة العمل في موضوعات متقاربة والفضل في تعريفنا بهم يعود للصديقين الكريمين امين باشا المعلوف والدكتور عبد الرحمن شهبندر فقد مهدا لنا السبيل لرؤية العلامة المحقق الدكتور احمد عيسى صاحب معجم اسماء النبات وكتاب التهذيب في أصول التعريب وكتب ورسالات شتى في ابحاث طبية خاصة . والعالم المجد الذي يناقرني من حين الى آخر وأناقره الدكتور محمد شرف صاحب معجم العلوم الطبية والطبيعية وهو أول معجم كبير في بابه يستحق المؤلف على ابرازه للعالم العربي كل ثناء . والدكتور الأديب الدمث الأخلاق احمد زكي ابو شادي الذي نقرأ اشعاره وابحاثه في ديوانه وفي المقتطف والذي اجاد في ترجمة «العاصفة» خاصة وهو من غواة احد فنوننا الزراعية اي تربية النحل وله فيه كتاب ومجلة وله اليه دعوة ونداء . والشيخ الجليل العلامة احمد زكي باشا صاحب دار العروبة (وحق على كل عربي يدخل مصر ان يزورها) الذي له على اللغة العربية وآدابها أكرم يد بما جمع ورمم من شتيت مخطوطاتها وصحح وطبع من غالي دررها القديمة . وهو ما فتئ منذ عشرات من السنين يناضل عنها وعن ابنائها بقلم العالم الناضج .

وممن اجتمعنا بهم المحامي القدير والقانوني الكبير محمد علي باشا وزير الاوقاف السابق الذي له على العالم العربي يد المدافع عن البراق مدافعة البطل الغيور وله الرأي الصائب في ايجاد معلمة (موسوعة) يتوفر عليها علماء الشرق العربي كافة . ومنهم الأديب المعروف السيد علي عبد الرازق صاحب كتاب « الاسلام وأصول الحكم » وهو الكتاب الذي ترك في العالم الاسلامي دوياً لأن صاحبه توخى فيه اثبات أن لا خلافة في الدين الاسلامي . ومنهم الأديب العراقي الكبير الشيخ كاظم الدجيلي وكذا الدكتور احمد قدري قنصل العراق العام في مصر وكان رفيقنا في باريز ايام الدراسة وكنا نسميه قنصل العرب لما كان له من العطف على جميع التلامذة العرب . ومنهم طلعت باشا حرب مدير بنك مصر ومؤسس نهضة مصر الاقتصادية وهو الرجل الكبير الذي قرن العلم الى العمل فأوجد للمصريين قوة كبيرة من المال المشترك كان الأجانب يمصون ثروة البلاد بمثلها . واذا شئت ان تعلم

مبلغ ثقة المصريين بهذا المصرف وبطله الذي صار بعد من رجال التاريخ الحاضر فسله عن مقدار الأمانات اي الودائع التي سلمه الأهلون اياها ينبئك انها كانت دون الثمانين من آلاف الجنيهات في السنة الأولى من تأسيس المصرف اما اليوم فانها بلغت تسعة ملايين من تلك الجنيهات وهو مبلغ كبير . وقد تمكن المصرف من تأسيس شركات وطنية مهمة لحلج الأقطان والغزل والنسج والنقل والملاحة وصيد الأسماك والطباعة وغيرها وأسس فروعاً له في انحاء القطر المصري وفي بيروت ودمشق ، وبنى داراً بديعة للتمثيل العربي في حديقة الأزبكية ، كما بنى لنفسه بناء في شارع عماد الدين جاء آية من آيات الفن . واذا شئت ان تعرف كيف توصف القصور وزخارفها فاقرأ وصف هذا البناء الرائع بقلم الاديب الكبير الشيخ عبد العزيز البشري في عدد ٦ حزيران « يونيو » سنة ١٩٢٧ من جريدة السياسة الغراء .

وحق علينا ونحن ما برحنا منذ عشرين سنة نعالج الشؤون الزراعية والاقتصادية ان لا نعود الى دمشق قبل ان نزور المعرض الزراعي الصناعي الذي أقيم في السنة الحاضرة في أرض الجمعية الزراعية الملكية في الجزيرة وقبل ان نلقي نظرة على مدرسة الزراعة العليا في الجيزة وعلى مؤسسات وزارة الزراعة المهمة . ولقد يممت لبلوغ هذه الغاية معالي وزير الزراعة حافظ حسن باشا فاذا استقباله لي يدل على وفرة أدبه وشدة عطفه واذا به ممن زاروا الشام في الأيام الخالية ، ومن النادر ان يزورها مصري كريم دون ان تترك في نفسه اثراً جميلاً .

وتقدم الوزير المشار اليه الى السيد حلمي احد مفتشي الوزارة بان يكون دليلنا غير مكره فكان مثالاً للرجل الوديع من جهة وللمهندس الزراعي الخبير بلاده من جهة ثانية فاما المعرض الزراعي الصناعي فقد تجلت فيه جهود المصريين حكومة وشعباً في سبيل الانتاج الزراعي والصناعي فكان اجمل صورة لذلك الشعب الشيخ الفتى والنائم المستيقظ فهنالك اجود مجموعة للأقطان في دار الجمعية الملكية الزراعية ، وهنالك مصنوعات ادارة السجون من مفروشات ومناشف ومنسوجات حريرية وصابون وسجاد واحذية وكراسي ومماسح الخ كلها متقنة الصنع ، ومصنوعات المدارس الصناعية في انحاء القطر من نسج حريرية وآلات زراعية وأثاث ورياش ، ومنتوجات المدارس الزراعية ومعروضات أقسام وزارة

الزراعة كقسم الحشرات وقسم النباتات وقسم الأقطان وقسم البساتين وغيرها . وهنالك اجود محاصيل القطر الزراعية على انواعهـا من حبوب وفواكه وخضر ونباتات صناعية وهنـالك ايضاً مصنوعات الشركات التي أسسها بنك مصر والغرف المختصة بمديرية الصحة والاسعاف وهي جديرة بأن تسمى مدرسة لحفظ الصحة . واذا اضفنا الى ذلك معروضات معامل الجلود والتبغ والصناعات الصغيرة المختلفة نكون قد اوجزنا في كلمتين ما احتجنا في زيارته الى اربعة ايام وما نحتاج في درسه الى شهر على الأقل وليس الخبر كالمعاينة .

ومما لا شك فيه ان اخوانـنا المصريين لم يلحقوا الشاميين بالصناعات الوطنية الحديثة وليس لديهم اليوم امثال ما لدينا من معامل الدباغة والجوخ و « الكريب » وسائر النسج الحريرية و « التريكو » والجوارب وقمصان الكتان ومراويله وانواع الحلويات وعود الكبريت والسمنت وغيرها مما لا أثر فيه لرؤوس المال الأجنبية لكنه ليس ثمة ما يمنعهم من اللحاق بنا ومن تخطينا بمراحل. ولا شك ان السبّاق في هذا المضمار سيكون بنك مصر بمعامله . ومن البديهي ان مصر كالشام لا يمكن ان يكون فيها صناعات كبيرة لخلوها من الفحم الحجري والحديد لكن في وسعها ان تنسج كل ما يلزم لسكانها من الألبسة القديمة والحديثة وان تصنع كل ما قلنا انه يصنع اليوم في الشام فتستغني عن دفع ملايين من الجنيهات سنوياً الى البلاد الأجنبية .

وأما مدرسة الجيزة الزراعية العليا فهي لا تقل بمخابرها ومعداتها ووسائل التعليم فيها عما خبرناه في المدارس الأوربية الشبيهة بها . ومن بواعث السرور ان جميع الدروس تلقى فيها باللغة العربية دون غيرها . وكذا في مدارس الزراعة المتوسطة الواقعة في مشتهر والمنيا و منهور وفي مدارس التجهيز كافة . وقد اخذت العربية تحل محل الانكليزية والفرنسية في سائر المدارس العليا كالطب والحقوق والهندسة وغيرها .

***

وبعد هذه صورة جد صغيرة لما شاهدته في رحلتي القصيرة الى القـاهرة . ونحن اذا رحنا نلخصها في بضعة اسطر حصلنا على النتيجة الآتية وهي ان تلك المدينـة الرائعة اصبحت اليوم رأس مدن الشرق العربي بعمرانها وبروعة آثارها الشرقية وان فيها نهضة علمية تتجلى في جماعة المجمع المصري للثقافة العلمية وفي عديد من الأخصائيين بمختلف العلوم ، ونهضة

أدبية واسعة النطاق تسطع في جماعة ذلك الكتب المصرية ورجال لجنة التأليف والترجمة ونوابغ الشعراء وفحول الادباء من أساتذة ومؤلفين ، ونهضة وطنية وسياسية لم نتعرض لها ولكنكم تلمسونها كل يوم فيما تقرأونه في الصحف المصرية ، ونهضة صحافية كبيرة لاعهد لمصر بمثلها من قبل وهي قائمة بجهود عدد لا يستهان به من حملة الأقلام المصريين والشاميين ، ونهضة مالية واقتصادية لها في حياة القطر المصري الشأن الأكبر ومبعثها بنك مصر خاصة .
فاذا اضفتم الى ذلك ان القاهرة عاصمة بلاد غنية يبلغ عدد سكانها ٥ امليوناً من الناطقين بالضاد ادركتم الأسباب التي تجعل مصر زعيمة الشرق العربي بلا منازع .

مصطفى الشهابي

اثنا عشر كوكبا

— ٢ —

(الحالة السياسية في زمن الباعونية)

قبل ان نصف أسفار الباعونية الى مصر ثم الى حلب ثم موتها نذكر مجملاً من الحالة السياسية في بلاد الشام ومصر إذ ربما كان لسفراتها علاقة بهذه الحال كما يأتي :

كان المُلك في مصر والشام (لصلاح الدين) الايوبي واولاده واولاد اخيه الملك (العادل) الذي نحن الآن في مدرسته (العادلية) ونلقي هذه المحاضرة بجانب ضريحه . وتسمى دولتهم (الدولة الايوبية) . ثم قام بالمُلك بعدهم مماليكهم الشراكسة واشهرهم الملك (الظاهر بيبرس) المدفون في المدرسة الظاهرية امام العادلية حيث دار الكتب العربية . ومنهم الملك (المنصور قلاوون) وابنه (الاشرف خليل) و (الظاهر برقوق) الذي بنى جسر الشريعة .

ومنهم الملك (قانصوه الغوري) وهو آخرهم . وقد استقام الملك في بني ايوب ومماليكهم الشراكسة نحو اربعة قرون : القرن السادس للهجرة والسابع والثامن والتاسع ولم يستهل القرن العاشر حتى كانت دولتهم قد هرمت وتطرق اليها الخلل والفساد وعلى العكس الدولة التركية العثمانية التي كانت تتكون يومئذ في بلاد الاناضول وتشتد وتتسع رقعة مملكتها بالتدريج .

وكان السلطان سليم العثماني معاصراً لآخر ملوك الجراكسة (قانصوه الغوري) . وفي زمن هذين السلطانين كانت عائشة الباعونية حية وقدملاً ذكرها وفضلها مصر والشام .

حارب السلطان سليم ملكَ العجم (اسماعيل شاه) وكاد يتغلب عليه ويستولي على بلاده لولا ان (قانصوه الغوري) سلطان مصر كان يساعد ملك العجم ويمده سراً . فشعر

السلطان سليم بذلك وعلم أن الاستيلاء على بلاد العجم لا يتيسر له ما لم يستول على مملكة (قانصوه الغوري) التي تعترض طريقه الى بلاد العجم فرجع الى الاستانة وجهز جيشاً عرمرماً زحف به على بلاد الشام حيث يترصده عدوه الألد قانصوه الغوري وجرت بينهما معركة (مرج دابق) بقرب حلب فوقع قانصوه الغوري تحت سنابك الخيل قتيلاً . وتمزقت عساكره شذر مذر واستولى السلطان سليم على بلاد الشام ومصر من يومئذ . وذلك سنة (٩٢٢) وهي السنة التي ماتت فيها عائشة الباعونية .

(أسفار الباعونية ووفاتها)

«وهل لوفاتها علاقة بالحالة السياسية المذكورة»

مر معنا ان (الباعونية) ارسلها أهلوها في صباها الى مصر والشام لطلب العلم فنبغت هناك . وهذه اول سفرة من سفراتها وبعدها عادت فاستقرت في وطنها دمشق الشام .

وفي سنة (٩١٩) (اي قبل وفاتها بثلاث سنين) سافرت الى القاهرة . وفي الطريق أصيبت بمؤلفاتها وقصائدها التي كانت تحملها معها . ولا نعلم كيف أصيبت بها : فاما ان يكون أصابها مطر أتلفها . أو أغارت على القافلة عصابة من اللصوص فكانت كتب الباعونية في جملة ما نهبوا وسلبوا . لكن لما ذا سافرت الباعونية الى مصر في وقت تكاد تشب نار الحرب بين السلطان سليم وبين قانصوه الغوري ؟ ؟

يفهم من كلام المؤرخ (الغزي) انها ذهبت الى مصر «لقضاء مأرب لها يتعلق بولدها» . وما هو هذا المأرب يا ترى ؟؟

ليس امامنا سوى طريق التكهن في معرفة هذا المأرب : فاما أن ولدها كان تاجراً وله مشاكل مع عملائه في مصر فذهبت معه اليها لتساعده بجاهها عند ولاة الأمور . أو هو موظف في الحكومة وقد نسبوا اليه قصوراً أو تقصيراً فذهبت به لتثبت أهليته . أو تبرأ ساحته .

وما يدرينا ان يكون ابنها قد كلف الخدمة العسكرية فذهبت الى (قانصوه الغوري) ملك مصر تطلب منه ان يعفي ابن الشيخة من هذه الخدمة الشاقة التي لا يحسنها وقد يتعرض الى الهلاك بسببها وهي في حاجة اليه يخدمها . ويكفيها مؤونة العمل خارج بيتها ؟ كل ذلك مما يدخل تحت الامكان .

وكان مصاحباً لها في سفرها الى مصر (ابو الثناء محمود الحلبي رئيس ديوان الانشاء

في الحكومة المصرية) فلما وصلوا جميعاً الى القاهرة أنزلها ابو الثناء في داره . واكرمها واكرم ولدها . وكانت هي من قبل مدحته بقصيدة مطلعها :

(روى البحر اخبار العطا عن نداكمو ونشر الصبا عن مستطاب ثناكمو)

ثم ان (ابا الثناء) قدمها الى شيخ الادب والادباء في الديار المصرية وهو (السيد الشريف عبدالرحيم العباسي) وعرفه بها فأعجب بها السيد المذكور وبعث اليها بقصيدة من بديع نظمه فاجابته بقصيدة مطلعها :

(وافت تترجم عن حبر هو البحر بديعة زانها مع حسنها الخفر)

ثم ارسل اليها ابو الثناء قصيدة أخرى قال في مطلعها :

(ليهنك مجدٌ طارفٌ وتليدُ يخصُّك آباءٌ به وجدود)

الى ان يقول مخاطباً لها :

(فياروضة العلم التي بان فضلها وليس من الفضل السري مديد)
(فمنثور ما تبديه قد ضاع نشره ومنظومه فوق النحور عقود)
(وورق المعاني فوق دوح بيانها له بديع السجع فيه نشيد)
(اذا ماتغنى مطرباً عندليبها تميل قلوبٌ لذةً وتميد)

فأجابته الباعونية تقول :

(تساميتَ مرمىً للحاق بعيدُ وحسبك ما ابدعت فهو شهيدُ)
(حصلتَ على الغايات مجداً وسؤدداً وفضلاً مبيناً ليس فيه جحودُ)
(وأصبحت في روض العلوم مفكّهاً تجولُ وتجني ما تشا وتفيد)
(وكم بوجيز اللفظ أشرعتَ منهلاً يطيب به للظامئين ورود)
(موارد آداب صفا سلسبيلها وحام عليها مهتدٍ ورشيد)

ثم رجعت الباعونية من مصر الى دمشق الشام وبقيت الى سنة (٩٢٢) .

في هذه السنة نشبت معركة (مرج دابق) بين السلطان سليم وقانصوه الغوري كما ذكرنا وقد سافرت الباعونية الى حلب في تلك السنة .

قال المؤرخ (ابن الحنبلي) : «جاءت الباعونية الى حلب سنة (٩٢٢) وكان في حلب يومئذ (السلطان الغوري) وكان لها عنده مصلحة تريد قضاءها . فاجتمع بها من وراء حجاب

كلٌّ من (البدر السيوفي) وتلميذه (الشمس السفيري) وغيرهما . ثم عادت الى دمشق وتوفيت في السنة المذكورة » . انتهى ماقاله المؤرخ ابن الحنبلي . ولم نجد طريقاً الى حل الطلاسم عن سفرتها الى حلب في هذا الوقت العصيب سوى طريق التكهن ايضاً فنقول :

اجتمعت الباعونية وهي في حلب مع (البدر السيوفي) وغيره من الأعيان وكأنها كلمتهم في المصلحة التي قال عنها ابن الحنبلي : إنها انما جاءت الى حلب من أجل قضائها .

وما هي هذه المصلحة ياترى في وقت ينتظر فيه السلطان الغوري قدوم عدوه السلطان سليم ؟ ثم جاء سليم وحارب الغوري وقتله كما مر ؟ ربما كانت مصلحة الباعونيـة في هذه السفرة الى حلب تتعلق بولدها ايضاً ؟؟ .

لعل الآباء والأمهات كانوا في ذلك الوقت — وقت اشتباك الحرب في وجل شديد على اولادهم . وفلذات اكبادهم . كما خافوا عليهم في عصرنا الحاضر أي منذ بضع سنين حينما كانت الحرب ناشبة بين الترك ودول الحلفاء . وكان جمال باشا يمسك الشبان ليجندهم بالقهر .

فكم آباء وأمهات ماتوا حسرةً على اولادهم بهذا السبب . فهل يا ترى وقع شيءٌ من هذا القبيل للباعونية ؟ فأن المؤرخ (الغزي) قال انها رجعت من حلب الى دمشق وتوفيت وذلك في نفس السنة التي قُتل فيها الغوري في مرج دابق . أعني سنة (٩٢٢) . هكذا قالوا عن وفاة الباعونية لكنهم لم يذكروا لنا سنة ولادتها . لنعلم كم عاشت من العمر .

(اين قبر الباعونية)

ماتت الباعونية في بلدها دمشق . وذلك منذ اربعمائة سنة : فاين قبرها يا تُرى .

الفصل ربيع . والهواء عليل . والبرية بر"اقة . وجداول الماء خرارة . والأشجار مزينة بالأزهار . والأغصان ترقص على غناء الأطيار . ونزهة الصباح تنفي عن النفس الهموم والاكدار . نذهب الى النزهة في ضواحي دمشق ميممين الجسر الأبيض ومن هناك نسلك طريق الشيخ محي الدين الجـديد مشياً على الأقدام . نصل الى نصف الطريق . نجد على يميننا زقاقاً الى البساتين . نسلك هذا الزقاق ويسمى (زقاق طاحونة الأحمر) . نمر بالطاحونة المذكورة عن يميننا . ثم بساقية ماء عن شمالنا . ثم نقف أمام باب بستان . فيقال لنا أن اسمه (بستان الباعونية) واصحابه بيت الشلبي . فتخطر ببالنا للحال شيختنا

(الباعونية) التي قرأنا تاريخها وسمعنا اخبارها فنقول في انفسنا : ياترى هل سمي هذا البستان بستان (الباعونية) نسبة الى شيختنا المذكورة ؟ ؟

ثم نمشي قليلاً حذاء سياج البستان فنصل الى عمارة قديمة كالمدرسة الصغيرة مبنية بالحجر المنحوت وطول واجهتها نحو ١٢ ذراعاً ولها ثلاث نوافذ مسدودة بالحجر . وقد كتبت على واجهتها بحروف خط واضح جميل هذه العبارة ؟

(هذا مقام حضرة السيدة الباعونية رضي الله عنها) . فلا يبقى عندنا شك أن في هذا البناء قبر (شيختنا الباعونية) إذ أيَّةُ باعونية غيرها لها مثل شهرتها في دمشق .

ثم نمشي قليلاً حذاء سياج البستان المتصل بالمدرسة فنجد في اسفل الدك حجارة منحوتة وآثار بناء . وطول هذا السياج نحو اربعين ذراعاً ولا نزال نمشي حتى نصل الى طرفه أو زاويته . فنجد أثراً يلفت النظر ويستدعي الانتباه هذا الأثر هو بقية عضادة كعضادة البوابة الكبيرة مركبة من ثلاثة احجار ضخمة وهي في ضخامتها ولونها تشبه احجار هذه المدرسة العادلية . فمن يرها يقل انها بقية بوابة بناء كان مشيداً هناك بجانب قبر الباعونية .

شيء آخر أهم : قد طُرح على الأرض بجانب العضادة حجر آخر كبير طوله ذراعان وعرضه ذراع عليه كتابة بحروف نافرة منحوتة في الحجر . وهي واضحة تمام الوضوح ومقروءة كلها سوى بعض كلمات . ويظهر من نقص الكلام أن الحجر كان طويلاً فكسر من جهة رأسه نحو ثلثه وبقي ثلثاه . والكتابة التي على طول الحجر تتركب من خمسة اسطر يقرأ الباقي منها بعد انكسار الحجر هكذا :

السطر (١) ...... رحمه ربه القدير نسل الدولة كافور الحر الحسامي .

السطر (٢) ...... خانكاه على طائفة من الصوفية المجردين باسم سكنهم .

السطر (٣) ...... المسلمين ومنه جميع المزرعة والكرم الذين بارض .

السطر (٤) ...... فمن بدله بعد ما سمعه . فانما إثمة على الذين يبدلونه .

السطر (٥) ...... من شهر رجب سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة .

وخلاصة ما يفهم من هذه الكتابة أن كافور الحسامي بنى خانكاه (اي زاوية) باسم الصوفية لتكون مسكناً لهم وانه وقف عليها مزرعة و كرماً وذلك في شهر رجب سنة ٩٢٣ اي بعد وفاة عائشة الباعونية بسنة واحدة .

ولكن لا يوجد في هذه الكتابة ذكر لعائشة الباعونية . وانما تاريخها موافق فقط لتاريخ وفاة الباعونية . فلعل احد اهل الخير شيد هذه الزاوية على قبرها وأسكنها الصوفية يقرأون القرآن ويذكرون الله ويهدون ثواب ذلك اليها .

وبينا نحن واقفون هناك نسائل الديار . ونستنطق الأحجار . اذا جماعة من اهل الجوار الساكنين في تلك المحلة احدقوا بنا نساءً ورجالاً وكان بينهم امرأة ذات إزار ونقاب فقالت لنا ان البستان المدفونة فيه (الباعونية) ملك بيت الشلبي وان امها هي من بيت الشلبي وقد عاشت امها نحو سبعين سنة . قالت وقد أخبرتني أمي انه كان يوجد في هذا البناء المشيد بجانب قبر الباعونية فرن وقف يخبزون فيه صفيحة وشعيبيات ويفرقونها على المارين من الفقراء والمساكين مجاناً من دون ثمن ثم أخبرنا بعض الرجال المسنين مؤكداً قول المرأة الشلبية وقال انه سمع خبر الصفيحة من رجل مسن وهو سمعه من رجل مسن آخر رأى الفرن بعيني رأسه .

ولعل في هذا الخبر مبالغة وأن الفرن انما كان يخبز الصفيحة والشعيبيات في بعض أيام السنة (كأيام رمضان والمولد النبوي) لا في كل يوم من أيام السنة .

وبعد أن نشاهد القبر من واجهته البرانية نتوق أن ننظر اليه والى حالته الجوانية . فيقال لنا ان الدخول اليه يكون من باب بستان الشلبي . فنرجع الى البستان وندخل اليه من بابه ثم نمشي فيه بين زريعة البصل والفول والسلق حتى نبلغ البناء الذي فيه القبر . فننزل اليه نزولاً لأن ارض البستان أعلا من أرضه . فنرى في وسط المكان قبراً متناسب الشكل وهو من الحجر النحيت . وعلى طول القبر حجر واحد بشكل جمالون [1] واحجار القبر متزعزعة متخلخلة ولولا ان هذا الجمالون الضخم قد أمسكها وحفظها والا كانت سرقت كما سرقت الأحجار الأخرى . وليس على القبر ولا في الجدران كتابة أو نقوش وليس للبناء سقف . ويظهر انه كان له سقف بدليل وجود قنطرتين من حجر كانتا تحملان السقف وما زالتا قائمتين الى اليوم . ويزعم بعض بيت الشلبي أن اجداده بنوا السقف المرة بعد المرة لكنهم كانوا كلما بنوه يصبحون فيجدونه قد تهدم وتفرقت احجاره . يعني بأعجوبة

(١) الجمالون في اصطلاح الناس حجر مستطيل محدب على شكل سنام الجمل ولعله من هنا سمي جمالون أو جملون .

سماوية . وتزور القبر معنا سيدة أفرنسية[1] فهذ ترى أنه لا سقف فوق قبر الباعونية وتسمع من ابن الشلبي أن اجداده كلما بنوه طار . وتعنّت منه الآثار تسمع ذلك فتقول مازحة : يظهر إن السيدة الباعونية لا تريد أن يسترها عن ربها ستار . ولا يحول بينها وبين السماء سقفٌ ولا أحجار .

هذا هو قبر (الباعونية) : نراه فلا نملك نفوسنا من رهبة الموت . وجلال الذكرى . نذكر المرأة التي اذا عُدّ العلماء المؤلفون كانت واحداً منهم . واذا عُدّ الشعراء المتأدبون كانت في طليعتهم . واذا ذُكر الزهاد المتنسكون كانت لها المنزلة العظمى بينهم .

ان كانت الباعونية ماتت فان ذكرها لم يمت . وان غاب عنا جسمها . فلم يغب عنا فضلها وعلمها .

ان كانت الشجرة يبست وتحطمت وأضحت تراباً فإن أثمار الشجرة مازالت غضة طرية بعد مرور أربعمائة سنة عليها . وكم امرأة من النساء ذات جاهٍ وعظمة ومالٍ وجمال ماتت ونُسي ذكرها اما الباعونية فانها ما زالت حية الى اليوم بفضلها . وثمرات عقلها .

اذكرن أيتها السيدات (عائشة الباعونية) . وزرن قبرها . وقصّوا على بناتكن أخبارها . ورو ين بنهن أشعارها . ثم لعلكن تأخذكن الغيرة عليها فتر ممن مزارها . وتحفظن من السرقة أحجارها .

ولعمري ايتها السيدات ! إن (الباعونية) تستحق منكن اكثر من هذه العناية : لأنها رفعت قدركن في الحياة . فأحيوا ذكرها ولا تضيعوا كرامتها بعد الممات[2] .

المغربي



(١) هي مادام (مريم هري) الكاتبة القصصية المشهورة وقد أقامت في سورية وفلسطين وحوران اياماً ولها كتابات وروايات قصصية عن أهل هذه البلاد .

(٢) بلغني أن طائفةً من السيدات خرجن من ردهة المحاضرة وذهبن تواً الى قبر عائشة الباعونية لزيارتها وإهداء الفواتح الى روحها .

رحلة اوليا جلبي

« في البلاد العربية »

— ٧ —

ويجدر بنا بعد اجتياز حماة ان نصف ما في براريها الشرقية من الأماكن القديمة نخص بالذكر منها سلمية وقصر ابن وردان وخربة الأندرين ٠

فسلمية قرية كبيرة او بليدة في شرقي حماة الى الجنوب بينها طريق غير معبدة بعدُ طولها ١٢٠ كيلو متراً ويسير قاصدها بعد ان يخرج من حاضر حماة في نجد فيه تلعات متموجة وأودية احدها يدعى العميق تنحدر مياهها في الشتاء نحو العاصي وليس بينها ذو ينابيع واشجار ذليلة سوى وادي عين القصارين ووادي الكافات ٠ والسائر يرى على يمينه في غربي العاصي جبل تقسيس « علوه ٦٨٥ متراً » وفي سفحه في منخفض العاصي تختفي قرى البالجية وسريحين وجنان والجرنية وتقسيس وبينها أزوار تروى بالنواعير ٠ ويرى على يساره سلسلة آكام وهضاب من اعضاد جبل العلا بينها وبين الطريق من الضياع الصغيرة التي يملكها سراة حماة ام جرن وصماخ ومباركات وغيرها ٠ وتربة هذه الأرضين تميل الى الاصفرار والبياض كلما ذهبت مشرقاً ٠ ومن غريب امر آكام جبل العلا المؤلفة من الحرات السوداء ، الموحشة لتجردها عن الاشجار والأنجم بل كل اخضرار — أن امتدت في بعض منحدراتها وسفوحها الوعرة سلاسل من الأحجار من صنع الأقدمين مما يحمل على الظن بأنهم كانوا يملأون اجوافها بالغراس والكروم ٠ ترى ، هل ضاقت هذه السهول الشاسعة في القرون الخالية بسكانها حتى اضطروا للتعلق باذيال الجبال وكيف كان يتم لهم ذلك وهذه البقاع الفقيرة بالامطار لا سبيل لنمو الغراس والكروم الاعذاء فيها ؟ هذا

وبعد ان يجتاز السائر قرية الكافات يشاهد عن بعد قلعة شميميس تطل من وراء الآكام المحيطة بها ثم بقرية تل الدرة واهل هاتين القريتين اسماعيلية وبضعة طواحين في جنوبها امرج القريم وبعين ماء كبيرة تدعى عين الزرقاء الى ان يدخل في سهل افيح مترامي الأطراف جثمت فيه سلمية .

وسلمية قاعدة قضاء من اعمال لواء حماة يقطنها زهاء ثمانية آلاف من الاسماعيلية بينهم عدد ضئيل من الغرباء السنيين هم موظفون أوباعة . وفي قضائها اربع نواح : معرشحور وكاسون وعقيربات وسلمية ، يتبع كلاً منها قرى وضياع عديدة تمتد شرقاً الى سفوح جبل البلعاس حيث ينتهي العمران وشمالاً الى ما بعد محطة كوكب على سكة حديد حماة — حلب ، يقطن اكثرها الاسماعيلية والنصيرية واقلها البدو والشركس . وهواء سلمية جاف جيد وتشتد فعل الرياح الغربية فيها لوقوعها في السهل فتثير العجاج وتحول دون نمو اثمار الاشجار ويستخرج ماؤها من الآبار وهو قريب الغور ووسط في عذوبته وقد يصل البرد في الشتاء الى درجة الصفر كما ان حر الصيف قد يبلغ الاربعين على ان جفاف الهواء يخفف وطأتها فلا يشعر بها كما في حماة وكمية الأمطار السنوية قليلة لا تنيف عن الاربعمائة ميليمتر في معظم السنين . ولذا لاتخصب تربتها الرملية الكلسية الصفراء الا اذا جادها الغيث بكثرة ولا تنمو الزروع الصيفية وكذا الكروم في مستهل حياتها الا اذا رويت . وقد اشتهرت سلمية بسعة كرومها وبساتينها واراضيها الاعذاء واجل غلالها التي تصدرها الى بندري حمص وحماة على السواء الحنطة والشعير والقزح والبصل وصنف من العنب يدعى البياضي يتأخر نضجه حتى انتهاء الخريف . وقد تمت في السنين الأخيرة زراعة القطن المصري والاميركي واتسعت . وهي تصدر عدداً غير يسير من اطايب الخيول العربية . ويرجع الفضل في عمران سلمية الى القنى القديمة البيزنطية والعربية الممتدة فيها وفي ضواحيها كخيوط الشباك مما لا نظير له في بلاد الشام الا قليلاً في اقضية منبج ودوما والقطيفة . وهذه القنى من العجائب الشاهدة بمقدرة الأقدمين في نقر الصخر الصلد ورسوخهم في علم استنباط المياه وجرها . يحتفر اهل سلمية هذه القنى وقد يزعوا في تتبع آثارها وفتح اسرابها وآبارها ويسيلونها . ويوشك اذا دامت هذه العناية ان تصبح كورة سلمية غوطة مصغرة وبعود

اليها مجدها الغابر الذي ذكره جغرافيو العرب ونعتوه بكثرة المياه والشجر ووفرة الخصب والرخاء .

قال اليعقوبي من رجال القرن الثالث في كتاب البلدان : وسلمية وهي مدينة في البرية وكان عبد الله بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابتناها واجرى اليها انهراً واستنبط ارضها حتى زرع فيها الزعفران واهلها من ولد عبدالله بن صالح الهاشمي ومواليهم واخلاط من الناس تجار وزراعين . وقال ياقوت : سلمية بليدة في ناحية البرية من اعمال حماة بينهما مسيرة يومين (كذا) وكانت تعد من اعمال حمص ، اتخذها صالح بن علي بن عبد الله بن عباس منزلاً وبنى هو وولده فيها الأبنية ونزلوها وبها المحاريب السبعة (!) يقال تحتها قبور التابعين ، وفي طريقها الى حمص قبر النعمان بن بشير وينسب اليها بعض اهل العلم اه . وكان ينتظر من ابي الفداء — وسلمية كانت على مقربة من عاصمته — ان يصفها بتفصيل ولكنه رحمه الله اكتفى بقوله : سلمية من اعمال حمص ، بلدة نزهة ومياهها قنى ولها بساتين كثيرة ، قال ابن حوقل وسلمية الغالب على سكانها بنو هاشم وهي على طرف البادية خصبة ، قال في العزيزي ومدينة سلمية على ضفة البرية كثيرة المياه والشجر رخية خصبة اه .

واسم سلمية قديماً (Salamias) — وان لم نعثر على تاريخها في العصور القديمة — الا انها كانت ولاسيما في عهد الروم البيزنطيين عامرةً بدليل العثور على كثير من الآثار والعاديات فيها وضواحيها ينبشها الاهلون من المباني والمدافن القديمة ويبيعونها من غواتها باثمان جيدة . وتاريخها في عهد المسلمين غامض لم يذكره المؤرخون الا الفينة بعد الفينة وعرضاً . والمفهوم من أقوال الجغرافيين التي نقلناها ان سلمية خربت عقيب الفتح الاسلامي لوقوعها في طرف البادية والا فما معنى قولهم « ابتناها عبد الله بن صالح وأجرى اليها أنهراً » وقولهم « وبنى هو وولده فيها الابنية ونزلوها » وما معنى وجود كثير من الأحجار والانقاض البيزنطية في تضاعيف مبانيها العربية القديمة . واذا حسبنا ان هذه هي المرة الاولى التي خربت وعمرت فيها سلمية يثبت معنا ان عمرانها هذا دام وازدهر خلال ثلاثة قرون في عهد سكانها بني عبد الله بن صالح الهاشمي الذين ذكرهم الجغرافيون . واول

ماورد اسمها في التواريخ كان في حديث المعركة التي نشبت في مرج الأخرم الذي صار اسمه في يومنا مرج القريم غربي سلمية بين عبد الله بن علي العباسي اول قائد وعامل عباسي في الشام وزياد بن عبد الله الأموي قائد جيش قنسرين الذي انتقض على العباسيين وكانت الدائرة على زياد فثبتت أقدام العباسيين وقضى على آمال الأمويين في الشام . ويظهر ان بني هاشم الذين أخفقوا مراراً في الوصول الى كرسي الخلافة في عهد الأمويين ثم العباسيين ظلوا في موطنهم سلمية يحاولون ويبثون دعايتهم السياسية . وكان أخصهم في ذلك محمد الحبيب بن جعفر الصادق بن محمد المكتوم بن اسماعيل . واسماعيل هذا هو الذي تعتقد الاسماعيلية ان الامامة انتقلت اليه من أبيه جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب . وكان محمد الحبيب يرسل من سلمية الدعاة والمبشرين لمبدإه . وقد استعان اذ ذاك بعبدالله بن ميمون القداح وكان هذا من بقايا مجوس الفرس الساعين لهدم كيان العرب والاسلام تحت ستار الدعوة الاسماعيلية يشتغل بها في اصفهان والأهواز والبصرة فوافى سلمية مليئاً طلب محمد الحبيب وأقام فيها الى مماته مشتغلاً بالدعوة وذلك في منتصف القرن الثالث . ويظهر ان القداح جر وراءه جمعاً من هؤلاء الدعاة فصارت سلمية من ذلك الحين مركزاً لهم ولشيعتهم . منهم ابو عبد الله الشهير بالشيعي نشأ في سلمية وذهب الى المغرب ووفق الى إزالة دولة الأغالبة ثم لحقه عبيد الله محمد وكان ممن نشأ في سلمية ايضاً تلقب بالمهدي وادعى انه من نسل فاطمة وتوصل الى تأسيس الدولة الفاطمية التي انتقلت بعد حين الى مصر ونازعت العباسيين الخلافة . وفي سنة ٢٩٠ جاء القرامطة ويظهر انهم كانوا حانقين على بني هاشم يتقصدون استئصالهم ففتكوا بهم وباهل سلمية كما فتكوا في حماة والمعرة . قال ابن الأثير في حوادث هذه السنة : ثم سار القرمطي الى سلمية فمنعه أهلها ثم صالحهم وأعطاهم الأمان ففتحوا له بابها فبدأ فيها من بني هاشم وكانوا جماعة فقتلهم أجمعين ثم قتل البهائم والصبيان بالمكاتب ثم خرج منها وليس بها عين تطرف وسار فيما حولها من القرى يسبي ويقتل ويخيف السبيل اه . ولم يذكر ابن الاثير ان كان القرمطي خرب سلمية أم اكتفى بتقتيل سكانها وإخلائها ولم يذكر متى وكيف عاد العمران والسكان . وهل كانت حينما جاءها سيف الدولة بن حمدان في سنة

٣٤٤ آهلة أم خالية . ففي تلك السنة جرت في المروج الممتده شمالي سلمية بين سيف الدولة وأعراب البادية من بني عامر بن صعصعة وعقيل وقشير والعجلان وقد كانوا ثاروا عليه فلحقهم الى تلك المروج وفتك بهم فامتدحه المتنبي بقصيدة جاء فيها :

فاقبلها المروج مسومات ضوامر لاهزال ولا شيار
تثير على سلمية مسبطراً تناكر تحته دون الشعار

وسكتت التواريخ عن بيان شيعة السكان الذين عمروا سلمية للمرة الثانية بعد حادثة القرامطة أكانوا من الاسماعيلية أم من غيرهم . لأنه لم يرد لهم ذكر مع ساكني قلاع الدعوة اتباع راشد الدين سنان وخلفائه الذين كانوا يجندون الفدائيين لاغتيال ملوك المسلمين وأمرائهم . وعادت التواريخ لذكرها في عهد الأيوبيين ابناء صلاح الدين . قيل ان الملك المعظم عيسى صاحب دمشق جاء في سنة ٦١٩ فحاصر ابن اخته الملك الناصر قليج أرسلان صاحب حماه لاخلاف هذا بوعده في دفع مال مشروط عليه فنهبت جنوده اذ ذاك سلمية لانها من توابع حماه . ولما جاء الملك الكامل صاحب مصر في سنة ٦٢٦ ليخلع الملك الناصر ويجلس مكانه أخاه الملك المظفر حاصر حماه بعث بجيش سلم قيادته الى الملك المجاهد أسد الدين شيركوه الذي سيرد ذكره في بحث حمص . ولما تم له ما أراد انتزع سلمية من المظفر وسلمها الى شيركوه فانسلخت سلمية من ذلك الحين عن حماه وظلت علة الشحناء بين أبناء الاعمام ملوك حمص وحماه لاسيما بعد أن عمر شيركوه في سنة ٦٢٧ قلعة شميميس وقطع ماء القناة التي كانت تجري من سلمية الى بساتين حماه . ولما جاء التتار بقيادة هولاكو في سنة ٦٥٨ وغازان في سنة ٦٩٩ نالوا من سلمية كغيرها من مدن الشام فانحط شأنها لكنها لم تخرب على ما يظهر بالكلية ويهجرها أهلها للمرة الثالثة الا في منتصف القرن الثامن في عهد المماليك حينما اختلت ادارتهم وازدادت فتن أعراب البادية ووثب بعضهم على بعض . قال في خطط الشام في حوادث سنة ٧٤٨ : «وفي هذه السنة اقتتل سيف الدين ابن فضل امير العرب وأتباعه مع احمد فياض من الأمراء في جمع عظيم قرب سلمية فانكسر سيف ونهبت أمواله وكانت هذه الحروب ضربة قاضية على بادية حماه فطفق البدو ينهبون القرى ويغيرون على حماه والمعرة ففر الفلاحون ودرست القرى اهـ .

وظل هذا الخراب مستمراً خمسة قرون يضرب البدو في ارجائها ويرعون انعامهم بين اطلالها لقاء اتاوات يؤدونها للحكومة العثمانية التي عدت سلمية وما حولها لواء اتبعته لحماه وحمص بايالة طرابلس الشام وما هو بلواء حقيقي . قال كاتب چلبي في جغرافيته «جهان نما» المطبوعة في الاستانة في سنة ١١٤٢ : ولواء سلمية هو في ايامنا في حوزة امراء عشيرة الموالي يأخذونه من آل عثمان اه . وظل اسماعيلية الجبال الغربية في تلك القرون يرنون نحو الشرق في لهفة وحسرة ويترقبون الفرصة ليعودوا ويعمروا سلمية احياء لمنشأ شيعتهم وتوسعاً في الأرضين وتخلصاً من مثل المذبحة التي ذاقوها من النصيرية في مصياف في سنة ١٨٠٧ م على ما ذكره بروكهارت سائح تلك الايام . ولما استتب الأمن والنظام في الجملة في العقد الأخير من القرن الماضي جاء نفر منهم الى سلمية قبيل سنة ١٢٨٠ او عقيبها واعتصموا بادئ ذي بدء في الحصن الذي هدم وبني مكانه دار للحكومة وشرعوا يزرعون حوله ويدرأون عن انفسهم عيث البادية ومازالوا يزدادون بانسلال ابناء جلدتهم من جهات مصياف والقدموس والخوابي وعكار ويمتدون الى الشرق يعمرون القرى الخربة حتى كثر عددهم . ولما استقر امرهم جعلت الحكومة سلمية في غرة قرننا الحالي قاعدة ناحية دعتها (مجيد آباد) ثم جعلتها بعد حين قاعدة قضاء دعي باسمها واتبعته بلواء حماه . وقد زاد عدد الاسماعيلية في السنين الأخيرة في سلمية وغيرها من القرى الآهلة بهم واخصها تل التوت وبري الشرقي والغربي ومنفر الشرقي والغربي وجدوعة وعقارب وصعن وسعين وذلك بانضمام ذويهم النازحين من مواطنهم في جبال النصيرية لأنهم وجدوا الرخاء والخصب في السهول الشرقية الواسعة والعزة التي نالها السلميون من السلطة الافرنسية لقاء تفانيهم في خدمتها خلال ثورة الشام في سنة ١٣٤٥ اه هي أكثر منها في قراهم الغربية الجبلية الضيقة .

ويفترق الاسماعيلية من حيث المذهب الى حجاوية وسويدانية يعتقد الأولون بالوهية آغا خان الزعيم الهندي المعروف في نوادي انكلترة وفرنسا بيذخه وترفه ويؤدون له الزكاة والثانون لا يشاطرون اولئك ذلك الغلو . وكل سكان سلمية وقراها القدماء وسكان القرى المجاورة لقلعة الخوابي من الفريق الأول بينما القدموسيون والمصيافيون من الثاني . والنفور من جراء هذا التباين سائد بين النحلتين . ويفترق الاسماعيلية أيضاً بحسب الطبقات

الى عامة وخاصة ، فمن خاصتهم المشايخ ذوو الزعامة الروحية بينهم من هو مولى بجباية اموال الزكاة وايصالها الى الهند . والأمراء ذوو الزعامة الزمنية ، وهذه الامارة مختصة بافراد قلائل يتوارثونها على انها ما برحت مجهولة الارومة والسلسلة . ويغلب على الاسماعيلية طول القامة وعرض الهامة وصحة الجسم ويمتاز نبلاؤهم بزرقة العيون وشقرة الشعور والجمال في نسائهم غير يسير . وهم في الجملة ذوو حالات غريبة في تقيتهم وجفوتهم اهل السنة وقسوة عريكتهم وبينهم عصبية قوية ينقادون الى مشايخهم وأمرائهم ويتضامنون في الدفاع عند الطوارئ لذا ترى قراهم ومزارعهم في أمن من عيث البادية وجشع سراة الحضر . والجهل سائد في جميعهم وعدد متعلميهم قليل جداً أنشئت في السنين الأخيرة بمساعي بعضهم حركة اصلاح نحو الرجوع الى المبادئ الاسلامية لا يعلم مداها .

هذا واكثر دور سلمية قباب مخروطية الشكل من اللبن والتراب كما هو الحال في القرى الممتدة شرقي حمص وحماه وحلب . على انها صارت تبدلها من عهد قريب دور حجرية جلها من الطراز القروي البسيط لغلبة السذاجة على اصحابها .

« للبحث صلة » وصفي زكريا

حفلة تأبين

«حافظ بك ابراهيم»

أقام المجمع العلمي العربي يوم ٥ تشرين الاول سنة ١٩٣٢ حفلة تأبين لحافظ ابراهيم بك شاعر النيل أحد أعضائه الراحلين تحت رعاية صاحب الدولة حقي بك العظم حضرها جمهور غفير من جميع الطبقات الرسمية والعلمية والشعبية فافتتح الحفلة الاستاذ الشيخ عبد الله المنجد شيخ قراء دمشق بآيات من الذكر الحكيم ، ثم وقف صاحب الدولة حقي بك العظم فألقى خطاباً ، وجاء بعده الاستاذ فارس بك الخوري أحد أعضاء المجمع وألقى خطاباً ، ثم جاء الاستاذ محمد بك كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي فذكر حياة حافظ ، وجاء بعده الاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي أحد أعضاء المجمع وألقى خطاباً ، ثم وقف الاستاذ شفيق بك جبري فألقى قصيدة ، وختم الحفلة سعادة محمد سري بك قنصل المملكة المصرية جواباً على الخطباء ، واليكم صوراً مما قيل في تأبين فقيد اللغة والشعر رحمه الله .

***

خطاب صاحب الدولة حقي بك العظم

«رئيس مجلس الوزراء في الجمهورية السورية»

سادتي

ليس شاعر النيل حافظ ابراهيم بالرجل الذي يحتاج أن يعرف اليكم . أن فجيعة الآداب به عظيمة جداً على العرب والعربية . لأن أدبه من الأدب الذي يرفع مستوى اللغة والأخلاق والاجتماع . يستظهر الناس شعره ونثره ويتلى باعجاب في الأندية والمجالس منذ نحو أربعين سنة .

اني اذا ذكرت حافظاً أذكر عظيماً من أكبر خدام لغتي الذين أعادوا اليها بهاءها بقرائحهم الوقادة ومادتهم الواسعة . هؤلاء من أحيوا شعرنا فأحيوا شعورنا . وهل الشعر العالي الا الشعور العالي .

أذكر صديقاً باراً عاشرته وجاورته سنين طويلة . وما شهدته ، ويشهد الله في عامة أدوار حياته الا مولعاً بخدمة مصر بل بخدمة العربية وأدبها القومي بل بخدمة كل قطر يتكلم أهله العربية . ومن منا ينسى قوله من قصيدة تحت عنوان «الامتان تتصالحان» ألقاها في حفلة بمصر اذ قال :

هذي يدي عن بني مصر تصافحكم   فصافحوها تصافح نفسها العرب

فسبحان من أنزل الحكمة والبلاغة على لسانه وقلمه وسبحانه أن قضى بفراقنا . والموت مصير كل حي .

ولكن مثل حافظ ياسادتي لا يموت لانه حي بشعره وأثره في الأرواح على وجه الدهر . تذكره الأجيال بعد الأجيال وينعم أهلها بما يقتبسون من عبقة كلامه . فهو زين الشعراء الخالدين . وما أقلهم حتى في عدة أعصار وأمصار .

حافظ بدل أسلوب الشعر العربي بديباجته المتينة وسبكه الرائع وما تخلل قوله من الحكم والعبر والدعوة الى إصلاح النفوس والمجتمع . وما شعره الا الشعر الذي ينفع الأمم ويرقي عقول أفرادها وقل ان داناه فيه أحد .

* * *

أحسن المجمع العلمي العربي باقامة هذه الحفلة لحافظ لأنه أبان عن عواطفنا نحن السوريين نحو شاعر النيل بل نحو مصر المحبوبة التي صرفت فيها شطراً من حياتي فأكرمت وفادتي في أشد أيام المحن . يوم كنت متطوعاً صغيراً في خدمة سورية ومقاتلة الظلم والاستبداد .

ان الروابط الكثيرة التي تربطنا معاشر أهل هذه الديار بمصر تدعونا الى ان نشعر بشعورها في كل حين . فاذا فقدت مصر رجلاً من رجالها عددناه هنا كأنه منا . واذا أصابتها سعادة فرحنا لسعادتها . وكذلك نحن يوم تحزن وتألم .

واني لأرجو لمصر ولرجال مصر حياة طيبة سعيدة لمكان الثقافة التي تدين بها الشعوب العربية بما لعلماء القطر الشقيق وأدبائه وشعرائه . وأسأله تعالى أن يخلق لمصر ولغير مصر عشرات من فقيدنا العزيز يدعون الناس الى مكارم الأخلاق . ويلطفون من شعورهم وعواطفهم ، ويصلحون من مجتمعهم وعاداتهم . يعملون على كل ما فيه نهضتهم على نحو ما فعل ويفعل شعراء الغرب لعهدنا . فان الغربيين اليوم على نحو ما كان عليه أجدادنا في الدهر السالف اذا نبغ فيهم نابغة اغتبطوا وسعدوا بنبوغه ، واذا فقدوه عدُّوا فقده خسارة دونها كل خسارة .

قال حافظ لاحد أصدقائه منذ سنين وفي هذه الدار ، اذا أنا مت لا تدمع علي عين احد لأني لا اخلف ورائي اماً ولا اباً ولا زوجاً ولا ولداً . فاجابه صديقه . انت اذا مت يا حافظ تبكي عليك عيون العرب كلها وكفى بهم أسرة كبيرة . وكذلك كان فانا لله وانا اليه راجعون .

وقال حافظ في آخر قصيدة له القاها في بيروت — وهو كما علمتم حبيب الشاميين عامة ولطالما نوه بهم وعطف عليهم في شعره الرائق .

وقد وقفت على الستين اسألها أسوفت ام أعدت حر كفاني

وكان ان قدر الله فرحل عنا في الستين وبضعة اشهر رحمه الله عدد أياديه البيضاء على هذا الشرق العربي ولا حول ولا قوة الا بالله .

***

خطاب الأستاذ فارس بك الخوري

هذه هي المرة الثانية التي نجتمع بها في هذا المكان لتكريم هذا الرجل الخالد والعلم الشاهق بين اعلام الشعر والأدب العربي .

اعتاد الناس ان يحتفلوا بالغزاة والفاتحين ويقيموا لهم المواسم والاعياد تذكاراً لفتوحهم وتقديراً لما جلبوا لقومهم من المغانم والخيرات. وفي هذا العصر صارت ثروة الأمة الأدبية أعز عليها وأغلى لديها من الثروة المادية ، وأصبحت الاحتفالات لتكريم رجال العلم والأدب أكثر رواجاً وأوسع انتشاراً وأجلب للرضى والارتياح العام من مثلها لابطال الفتح ومغاوير القتال . ولا غرو ان فتوح العلوم والفنون ابقى على الدهر من فتوح السيوف والنيران فقد زال أشيل وهكتور وبقي هومر كما زال سيف الدولة ودولته وبقي المتنبي على القرون والأدهار .

المرة الاولى منذ اربعين شهراً في ١٧ حزيران سنة ١٩٢٩ اجتمعنا في دار المجمع هذه للاحتفاء بشاعر النيل المحبوب حافظ ابراهيم عند زيارته الاولى والأخيرة لمدينة دمشق وكثيرون من شهدوا تلك الحفلة الشائقة التي أسرع اليها أماثل هذه المدينة ووفود المدن الأخرى ليرحبوا بالزائر العزيز فحظوا برؤيته وكان ملء قلوبهم حباً ووقاراً وملء صدورهم تبجيلاً واحتراماً .

وما زلنا نذكر وقفته الوقورة على منبر هذا المجمع يشكر الحفل الغفير الذي اشترك بتكريمه وأولياء الأمر الذين عرفوا كيف يكرمون وسام الإستحقاق السوري بتعليقه على صدره .

لم يكن في دمشق ولا غيرها من البلاد العربية من يجهل مكانة حافظ فقد سبقه الينا من شعره الرائق رسل كرام جاءتنا عنه بالنبإ اليقين . وانما وجدنا بعد ان أسعدنا الحظ بمجالسته انه لا يقتصر على السيادة بين الشعراء والكتاب بل هو جليس لا يشق له غبار

وسمير لا يسار معه في مضمار ، محدث واسع الرواية وظريف حاضر النكتة ومتكلم نقي العبارة يستهوي جلاسه ويمسك على السامع أنفاسه . يجول في كل حديث جولة العالم المعتمد على علمه والأديب الواثق من نفسه .

في تلك الزورة القصيرة مكن حافظ لذاته في قلوب الدمشقيين حباً صميماً واعجاباً عظيماً وترك لنا واحدة من الذكريات الطيبة التي ما زال الدهر بها ضنينا .

وهذه هي المرة الثانية التي يقوم بها المجمع العلمي لتكريم حافظ ميتاً بعد أن اكرمه حياً . فجمع به الأدب العربي بمنظومه ومنثوره فانهد له ركن من اركانه الراسخة وتداعى له صرح من صروحه الباذخة وفقد مجمعنا العلمي به عضواً من أنجب اعضائه وأضاع بمصرعه ابا من أبر آبائه .

الأمة العربية اليوم ليست فقيرة بشعرائها فانهم يعجزون العد وتعيا باسمائهم الحوافظ . وخزائن الأدب العربي ليست بحاجة لديوان من الشعر يضاف اليها فان فيها من الدواوين ما يجمع اكداساً .

ما أكثر الشعراء في سوريا والعراق . انك لا تكاد تقرأ صحيفة أو مجلة الا تراها مزينة بقصيدة لشاعر معروف أو مجهول . ولا يحدث في البلاد حدث كبير أو صغير الا تتسابق قرائح هذا الجيش من الشعراء لتدبيج القصائد الجيدة في وصفه وتفصيله وبينما كان الذين يقرضون الشعر في الجيل الماضي نزراً يسيراً صاروا اليوم جماً غفيراً .

بعد ان وضعت قواعد الصرف والاعراب وتعينت أوزان الشعر بالتفاعيل وصار علم العروض في متناول الجميع لم يعد نظم الشعر سليقة لا يملكها الا من منّ الله عليه بها كما كان امره عند العرب قبل الاسلام وفي صدره . بل أصبح صناعة يستطيعها كل من تعلمها ومارسها فيأتي بالكلام الموزون المقفى ويستعين بمحفوظاته ومطالعاته ليستعير المعاني ويصوغها في قالب خاص منطبق على شرائط الوزن والقافية فيعد نفسه أنه قال الشعر ويجد من ينعته به وينظمه في سلك الشعراء .

بيد أن الشاعرية ليست بهذه السهولة التي يتخيلها فيها دارس علم العروض فالمركب وعر والسلم بعيد المدى وليس كل من نظم القصائد شاعراً كما أشار الى ذلك حافظ بقوله :

قالوا صدقت فكان الصدق ماقالوا ما كل منتسب للقول قوال

والشعراء لا يخلدون بكثرة ماينظمون بل يخلدون بما يمازجون به من قريضهم طباع الناس وأساليب التفكير الرجيحة ويعالجون الأدواء الاجتماعية ويحللون العواطف النفسية باوصاف منطبقة على الحقائق الواقعة التي يشعر بها الخلق في أطوارهم المعاشية . وأنت ترى أن الشعر الذي يثير فيك الاعجاب هو ما تجده مؤتلفاً مع ماعندك من الشعور وموافقاً لما في نفسك من فكر عميق لا تقدر على تصويره بالكلام أو مثيراً فيك عزة كامنة أو مذكراً اياك بخلق ترضاه فان كان ذلك من طباعك وسجاياك اعتززت به وافتخرت وان لم يكن تمنيت لو كان لك منه نصيب . وهذا مطلب صعب المرتقى كما وصفه أحدهم :

الشعر صعب وطويل سلمه اذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به الى الحضيض قدمه يريد أن يعربه فيعجمه

وهذا الذي جعل اكثر العلماء المتقدمين وأشهر الأدباء الأولين مثل ابن خلدون وابن المقفع يتجانفون عن ركوبه ويتحامون النزول في مضماره . وعند ما سئل ابن المقفع لماذا لا تنظم الشعر قال : ما يرضيني لا يلبيني وما يلبيني لا يرضيني . فلو حذا حذوه الذين لم يخصهم الله بسجية الشعر وتركوا أمثال هذا العمل لأمثال حافظ من النابغين لخلت خزانة شعرنا من توافه الكلام . أن حافظاً لم يكن مكثاراً في نظمه فكان لا يقول القصيدة الا اذا دعاه اليها داع واحب التلبية فكانت قصائده متباعدة الآجال تطلع على الناس مثل ورد الربيع بنضارتها ومثل فيض النيل بجزالتها فلا تكاد تصدر عنه الا تتخطفها العيون والآذان وتحتويها العقول والأذهان .

قصائده الشرد السائرا ت لا يختصصن من الأرض دارا
اذا هن فارقن مقوله وثبن الجبال وخضن البحارا

وكم من شاعر كالسموأل احرز مكانة في الصف الأول بين الشعراء بقصيدة واحدة وشاعر بقي في غيابة الخمول وله مئات أو الوف من القصائد .

كثيرون من الشعراء سئموا الحياة وتكاليفها أو اناخ عليهم الدهر فتمنوا الموت ليخلصوا من آلام الحياة ولكن قليلون منهم وصفوا هذه الأمنية بمثل ما وصفها حافظ :

سلام على الدنيا سلام مودع رأى في ظلام القبر انساً ومغنما
أضرت به الأولى فهام بأختها وان ساءت الأخرى فويلاه منهما

فهي رياح الموت نكباء واطفئي سراج حياتي قبل أن يتحطما
فما عصمتني في زماني فضائلي ولكن رأيت الموت للحر أعصما
فياقلب لا تجزع اذا عضك الأسى فانك بعد اليوم لن تتألما
ويا عين قد آن الجمود لمدمعي فلا سيل دمع تسكبين ولا دما
ويا يد ما كلفتك البسط مرة لذي منة أولى الجميل وأنعما
فلله ما أحلاك في انمل الردى وان كنت أحلى في الطروس واكرما
ويا قدمي ما سرت بي لمذلة ولم ترتقي الا الى العز سلما
فلا تبطئي سيراً الى الموت واعلمي بان كريم القوم من مات مكرما
ويا قبر لا تبخل برد تحية على صاحب وافى علينا وسلما

وهذا كلام يحلي مرارة الموت ويحرض النفس على اقتحام غمرته بالطمأنينة والحبور .

وقع احتلال مصر منذ خمسين سنة فرافق حافظاً منذ كان صبياً الى أن أدركته المنية فقضى نحبه وفي نفسه غصة على حال قومه وبلاده اظهرها في كل قصيدة من قصائده . وقد جرت في زمانه جميع الحوادث الخطيرة التي صاحبت هذا الاحتلال وكانت سبباً لتوليد الروح الوطني وانبعاث الأماني القومية في ذلك القطر الشقيق ويسّرت مجالاً فسيحاً لشعراء وادي النيل ليثيروا باشعارهم النعرة الوطنية ويسكبوا على بزورها النامية قطرات الري والإنعاش ويربوا في الناشئة المصرية هاتيك الروح الوثابة التي هي أساس نهضة الأقوام وعليها يتوقف استقلال الشعوب .

نجد قصائد حافظ ملأى بنقد الحياة الاجتماعية في مصر خاصة وفي بلاد العرب عامة فيها من الجرأة والصراحة بذكر الحقائق المؤلمة مانبه القوم الى مواطن الضعف في نظامهم الاجتماعي وعدم كفاءته للثبات في هذا الكفاح العمراني الذي أبحجته تزاحم الشعوب الحديثة . فهبوا الى الدرس وتلافي النقائص الموجودة واصلاح الفاسد من مرافق حضارتهم كان هذا التحريض عاملاً قوياً لتلك النهضة الجريئة التي دشنت مصر عهدها وسبقت بها غيرها من الأقطار الشرقية فكانت لها قائداً ودليلاً .

انظروا الى مثال من مصارحته قومه منذ ثلاثين سنة يذكرهم بتقصيرهم في سياق الحياة ويحرضهم على النهوض .

وهل في مصر مفخرة — سوى الألقاب والرتب
وذي ارث بكاثرنا — بمال غير مكتسب
وفي الرومي موعظة — لشعب جد في اللعب
أروني بينكم رجلاً — ركيناً واضع الحسب
أروني نصف مخترع — أروني ربع محتسب
أروني نادياً حفلاً — باهل الفضل والأدب
وماذا في مدارسكم — من التعليم والكتب
وماذا في معابدكم — من التبيان والخطب
وماذا في صحائفكم — سوى التمويه والكذب
فهبوا من مراقدكم — فان الوقت من ذهب
وهذي أمة اليابان — جازت دارة الشهب
فهامت بالعلى شغفاً — وهمنا بابنة العنب

فهو قد صدق قومه حين كاشفهم بحقيقة حالهم والصديق من صدق لا من صدق · رحم الله حافظاً ونفع قومه العرب بأدبه العالي وأخلاقه السامية · وانظر الى قوله يصف حال مصر وحاله مع المحتلين ·

فقد غدت مصر في حال اذا ذكرت — جادت جفوني لها باللؤلؤ الرطب
كأنني عند ذكري ما ألم بها — قرم تردد بين الموت والهرب
اذا نطقت فقاع السجن متكأي — وان سكت فان النفس لم تطب

وهذا عين ما يشعر به ولا يستطيع وصفه بمثل هذه الديباجة الرائعة كل من رأى في قومه ضيماً فهو يتردد بين الاقدام لدفعه فيسحقه كيد الظالمين أو السكوت على الأذى أو الاغماض على القذى فيبقى حليف الغصة وصريع الهموم ·

بماذا يرثى حافظ وهو أمير الرثاء وها هي مراثيه للأفذاذ الذين خلدهم بآيات رثائه المثل الأعلى في الاعجاز والابداع · حتى ان أمير الشعراء تمنى هذه الأمنية في مطلع قصيدته التي رثى بها حافظاً حيث قال :

قد كنت أوثر ان تقول رثائي — يا منصف الموتى من الاحياء

فهرست الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

د . آسر علي زكي ، حسن الكمشوشي

الإضاءة – ط ١

الإسكندرية : دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ٢٠٠٨.

١٧ × ٢٤ سم .

أ- العنوان

الناشـــــــر : دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

العنـــــــوان : بلوك ٣ ش ملك حفني قبلي السكة الحديد - مساكن درباله – فيكتوريا - الإسكندرية

تليفـــــاكس : ٠٠٢٠٣/٥٢٧٤٤٣٨ (٢خط)

الرقم البريدى : ٢١٠٣١ - الإسكندرية - جمهورية مصر العربية

E_mail : dwdpress@yahoo.com

Website : www.dwdpress.com

رقـــم الإيـــداع : ٢٠٠٨ / ١٧٤٧٤

I.S.B.N 977-327-685-6

﷽ حياة حافظ ابراهيم ﷽

«للاستاذ محمد بك كرد علي»

ولد حافظ ابراهيم في اليوم الرابع من شهر شباط سنة ١٨٧١ في مدينة الاسكندرية وكان والده مدير شرطة جرجا . فنشأ نشأة ابناء الموظفين ليصبح كأبيه موظفاً . وبعد ان انجز دروسه الابتدائية والثانوية في المدارس الاميرية . دخل المدرسة الحربية وخرج منها برتبة ملازم ثان في المدفعية فأرسل الى السودان في خدمة الجيش المصري .

وفي السودان تجلى استعداده للشعر ، وكان ينظمه وهو يافع للتسلية والتحلية . وعرف بين اقرانه بشدة عارضته ، وقوة حجته ، فكانوا ينتدبونه اذاحزبهم حازب للدفاع عنهم في المحاكم العسكرية ، فيربح القضايا ببلاغته وحضور ذهنه . ولذلك عدوه الصدر المقدم فيهم على صغر سنه ، لما أوتيه من خفة الروح ، وجميل النادرة ، ولعطفه على لداته ، ولما خص به من الفصاحة التي لم يكتب مثلها لاحدهم .

ووقعت في السودان مؤامرة اوشبه مؤامرة في الجيش ، فكان حافظ في جملة من اتهموا بتدبيرها ، لانه كان كبش الكتيبة ، فسرح مع من سرح من الخدمة ، وعاد الى مسقط رأسه ، آسفاً للظلم الذي ناله فأضاع مستقبله ، فرحاً بانقاذه من عيش قاسى فيه الامرين في بلاد الزنوج من غطرسة بعض ضباط البريطانيين ، وبرئ بعد حين مما اتهم به بتوسط كبير من أحبابه ، ومنح رتبة رئيس ، ثم دخل الشرطة سلك أبيه فعزفت نفسه عنها ، ولم يلبث ان غادرها لعدم ملاءمتها لنوازع نفسه .

ولقد اورثته التربية العسكرية مضاء وحزماً وسلطاناً على النفوس ، وكان مما خص به جهارة الصوت ، كأنه قائد يأمر جنده وقت التعبية والمصاف ، وكأنه الآمر الاكبر يملي ارادته على مأموريه ، ولكن بلطف شاعر ، لا بعنف آمر . واجتمعت له رفاعة الصوت الى جمال الالقاء ، فكان تأثيره عظيماً في يوم الحفل اذا انشد . وظل حافظ منذ خرج من

الخدمة في سنة ١٩٠١ الى ان عين رئيساً للقسم الادبي في دار الكتب المصرية سنة ١٩١١ يتوفر على حرس حقل الادب يزرعه ويجنيه ، وهجيراه مطالعة (كليلة ودمنة) و (العقد الفريد) و(الاغاني) يقرأوها ثم يقرأوها ثم يقرأوها ، حتى هضم مافيها وتمثله وتصفح دواوين الشعر واختار بيتاً فذاً لكل شاعر أصاب معنىً شريفاً .

وساعده الطالع فاتصل منذ كان في السودان بصلة النسبة الى الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، وكان شكا اليه بالمراسلة بثه وحزنه ، ومايلقاه من جور الدهر ، ولما عاد الى مصر التى مفتي الديار المصرية في روعه من جميل حكمته ، ومحكم تجاربه مااستعدت به نفس الشاعر الى الانتقال الى طور آخر في الشعر يجرده من اوضاعه القديمة ، ويكسوه ثوباً قشيباً ، ويكسره على المطالب الوطنية العالية ، يضرب فيه على العرق الحساس في الناس ، وكانت نفوسهم سئمت مارأت من ابتذال الشعر في الغزل والمديح وماالیهما ، وهي الى بضاعة جديدة أشوق ما كانت منها الى أطمار بالية .

وكان الرعيل الصالح الذي يلتف حول الاستاذ الامام صفوة أئمة الثقافة العالية في عصره وكلهم ممن بلغ في العلم والأدب أطوريه كحفني بك ناصيف والشيخ سيد المرصفي من رجال الأدب القديم ، ومحمود سامي باشا البارودي واسماعيل باشا صبري من مجددي الشعر الحديث ، وابراهيم بك المويلحي وابنه محمد بك المويلحي من الكتاب المجودين الى عشرات أمثالهم من الأدباء والعلماء والقضاة والاجتماعيين والسياسيين أمثال قاسم بك امين وأحمد فتحي زغلول باشا وسعد زغلول باشا وحسن عاصم باشا واحمد حشمت باشا واحمد تيمور باشا في نفر من أساتيذ المدارس العالية ولاسيا جماعة دار العلوم . وكلهم كما قال حافظ في الاستاذ المفتي .(يعرف مهر الكلام ومقدار كد الافهام).هؤلاء كانوا لحافظ عشراء ومعلمين وموحين ومنشطين ، وهم من قادة الأفكار في الأمة المصرية ، اما ناشئتها المنورة فما ينقضي عجبها من شعر حافظ كلما رأته موضع إعجاب أولئك الاعلام .

وبدأت شهرة حافظ تعظم بين المصريين لان نفسه كانت تألم للظلم حلّ به أم بغيره ، يحس مطالب الشعب ، لأنه يعيش بين ظهريه ، ويستمع لشكواه وبلواه ، وما فتئ منذ تطوع في خدمته ، ينطق بمايفرج عنه كربته ، ويدعوه الى النهوض ، ويشحذ منه العزائم ، يزيده على اطراح سفساف الأمور ، والتذرع بما يبقي عليه ثروته ، ويعيد اليه مجده ،

ليستوي شعباً فاضلاً في المدينة الفاضلة . وكان من يشعر شعور حافظ من الشعراء قبل نبوغه قد يقع لأحدهم البيتان والثلاثة في معنى الاصلاح أوالشكوى . اما الشاعر المجدد فأنشأ ينشئ القصائد تلو القصائد .

وكان العقد الذي مضى بين خروجه من الخدمة الى ان عاد اليها (١٩٠١—١٩١١) من أخصب ايام شاعرنا انطلق يتفنن في النظم على وجوه جديدة في أبواب الإجتماع والسياسة ، ومصر بل كل مصر لا تعدم الحين بعد الحين نهزة حوادث تفتق لسان الابكم بالكلام ، فكيف بوب البلاغة والفصاحة ، يضاف ذلك الى ما في تلك البيئة الغنية من العظات، ومالذلك البلد الطيب الذاهب بفضل السبق بين الاقطار العربية من الموقع الجغرافي المتوسط بين المشرق والمغرب .

عبر كلها الليالي ولكن اين من يفتح الكتاب ويقرا

وكانت الأمة المصرية في تلك الحقبة من الزمن تشتد في بلوغ هدفها الاسمى في الاستقلال، وتقوي كل يوم في بنيها الدعوة الى الوطنية والقومية ، وكان عهد استمتاعها بحريتها في القول والعمل على صورة ماعهدت مثلها في تاريخها ، فكان للشاعر من مطالب أمته موضوع جذاب متسع الاطراف ، اتساع أفق الشاعر الذي توفر على الزهد في موضوعات الشعر القديم، خصوصاً وهو بمأمن مما يعبث بالحرية المدنية والوجدانية ينعم بنعمة حرية القلم واللسان .

وما اقترب مترجمنا من ارباب المقامات العالية الا بالقدر النسبي لا يحرق فيه نفسه ، مجتزئاً بما يغنيه عن الفناء فيمن هواهم في الحقيقة الاحتفاظ بسلطانهم ، ولا يرضون عن الشعراء والكتاب الا اذا باعوا منهم الاستقلال الفكري بشيء من حطام الدنيا ومظاهرها الخلابة ؛ ومن كانت الأمة تصفق له، وعلى رأسها اولئك السادة يناضلون عنه ، لتفرسهم فيه الخير ، يستوي عنده رضا الكبراء وغضبهم . فحافظ اذاً هو وليد النهضة الاخيرة ولسانها الجريء ، ارتبطت مصلحته بمصلحة الأمة منذ عاهد ربة الشعر على الوفاء لها ، فاصبح شاعر مصر الاجتماعي والوطني غير مدافع ، لا ينتج الا للادب ، ولغة العرب .

سئل المرحوم اسمعيل صبري باشا شيخ شعراء مصر عن الثلاثة المبرزين من شعراء القطر (شوقي وحافظ ومطران) فقال (شوقي ينظم ، وحافظ يبني، ومطران يبتدع) هذا حكمه

عليهم وهم في الكهولة ، فاي حكم يصدر ياترى وهم في سن الكمال ، يبدعون هذا الابداع ويعيدون بصنيعهم الى شعرنا ما كان له من اشراق الجزالة في القرن الرابع بالبحتري والرضي وابي الطيب وابي تمام ·

نعم ان حافظاً في الشعر بناءٌ وأي بناء ، ماعهد عصرنا شاعراً يصقل شعره كصقله قبل ان يخرجه للناس ، ولا كاتباً يطيل النظر في كلامه إطالته ، ولا اديباً اروى منه للاشعار والاخبار ، يسقط على مناجم الأدب فيستخرج منها كنوزها الدفينة · هو بناء مُقدّر يتعذر على احذق النقاد ان يتبين الخلل في تضاعيف نسجه ، يصور فيه حالة عصره وروح اهله وعشيرته ، ويسرهم وعسرهم ، وما ديوان شعره على اختصــاره الا صورة ظاهرة للوقائع التي شغلت قلوب اهل جيله وقبيله · وليس في ايقاع ما يوقع على قيثارته من قوافيه وضروبه الا مايفعل في الارواح ، فتترنح له الاشباح غير متعملة ، يشدو به وينوح ، ويطرب ويعجب ، ويهز به اوتار القلوب ·

مااستفاضت شهرة حافظ الا لسيره بشعره مع حاجة العصر ، فأثر به هذا التأثير القليل النظير ، واحتظى به هذه الحظوة عند العرب كافة · بيد انه حاول ان تكون له مثل هذه المنزلة في النثر فكتب كتاب ليالي سطيح وعرّب البؤساء لهوغو وخرج بها بعدا كراه السليقة مستقيمين له كما أراد لا كما يُراد · اخطأهما التوفيق الذي كان يتوقعه من نشرهما ، وجاءت عليهما مسحة من التعمل ، وهذا ماعافه الناس بعد ان ابتلوا قروناً بقراءة دواوين المتكلفين من الناثرين والناظمين · اما كتابه الموجز في علم الاقتصاد الذي نقله الى العربية مع صديقه خليل مطران بك فكان من اجمل مانقله الناقلون في العهد الاخير ·

واذا كان حافظ قد تخطاه الحظ في منثوره على الجملة ، فذلك لأن من الموضوعات ماتشتد حاجته الى سلاسة في التقرير وسلامة في التعبير ، اكثر من وصف الألفاظ واحكام الجمل · فمن ثم كان حافظ في نثره نحاتاً باهراً لا بناء ماهراً ، ما كتب له على متانته في أجزاء بنائه ان يورث النفوس روعة اذا نظر اليه بمجموعه · والروعة في المبنى تنبعث من روح الباني ولا تتأتى بتعمل واجهــاد ، والبلاغة في الاسلوب اكثر ما هي في القوالب وما تعطيه من المعاني ·

ولئن عصى بيان حافظ على التبريز في النثر ، فقد كان مطواعاً له اذا حدث وحاضر ،

كان يسحر الطبقات المختلفة بما يورد عليهم من احاديثه ومروياته ، ويسقيهم من معين محفوظه الذي لا ينضب ، اعذب ماظفر به من كلام القدماء والمحدثين ، وكان بحضور ذهنه ، وغريب بديهته ، على مايندر في الادباء مثله ، يتنادر بكل ذلك بحسب المجالس التي يصير اليها ، رصيناً في الفاظه ومعانيه ، بارعاً في مختاراته ، يردفها ابداً بما يوائمها من حاضر الوقت ، يطرب بها نفس الفرح والمكتئب ، ويود جليسه لو طال مكثه في حضرته يتغنى كالبلبل الغريد ، وقل جداً في كبار الكتاب والشعراء من حيز لهم بيان اللسان كحافظ ، اللهم الا ان كان مايروى من احاديث اناتول فرانس كاتب فرنسا الاكبر الذي سارت بقصصه وافاكيهه الركبان ، واعجبت بمجالسه الرجال والنسوان .

اطلع حافظ على شعر الافرنج بقدر ماواتته ملكته من اللغة الافرنجية ، اطل منها على ادبهم اطلال مخالسة . اما وقوفه على شعر العرب فهناك الامتاع ، وهناك الابداع . وفي الحق انا لانعرف في هذا العصر اديباً عربياً جزل قسطه من جيد المحفوظ كما جزل قسط حافظ من استظهار ادب العرب ، ولاغرو فهو حافظ الادب ، ولكل اسم من مسماه نصيب .

كان حافظ يتبسط في احاديثه مع جلسائه ، يلقي على مسامعهم من كل صنف في ساعة ماتجمد حافظة غيره عن ايراده في ايام . يلعب بالعقول والقلوب حتى ينسي سامعيه كل مهم لهم . هو جد طروب ، جد لعوب ، لايحزن الالفقد حبيب ، ولذلك تراه قد جود من وراء الغاية في رثاء من رثاهم من معاصريه ، وهو لا يتكلف الندب لانه مخلق بمن يحب ويُحب . وقل ان تنقبض نفسه الا اذا حلت بامته كارثة فيكون في طليعة من يواسيها ، ولا تتهيأ له اسباب القول الا يوم تعرض للقوم كبريات المسائل فتستدعي اشتراكه بطبيعة الحال . وكان لكلامه ابداً موقع من القبول في القلوب ، لانه مؤمن حق الايمان بما يقول .

كان رحمه الله في الغاية من حسن الوفاء مع كل من عرفه ، يمثل منذ وعى على نفسه الاخلاق الفاضلة والتعاليم السامية ، وتتجلى فيه البطولة وقوة الارادة . ماعهدت فيه كزازة اليد ، ولا خطر بباله جمع المال ، فكان طول حياته كاسباً واهباً ، يسخو سخاء الاغنياء ، وهو في الواقع بائس مقتر عليه ، وربما اخرج من جيبه كل ما يملك من الدراهم فنزل عنه لطالب عطائه لا سيا اذا كان من المتأدبين ، يعطي وهو مغتبط لتلبية الطالب ،

وقيامه بالواجب ، وان اضطرته الحال بعد ساعة الى ان يقترض ديناراً ليطعم به ·

كان حافظ لا يعرف الرياء والمصانعة والدس، كذلك كان وهو يشكو بؤسه، وكذلك كان وهو عامل من عمال المعارف موسع عليه في الجملة ، وضعف جسمه فكان في اعوامه الاخيرة لا يعمل الا مضطراً ساعة من نهار ، اما فكره ففي شغل شاغل ابداً بايجاد اللفظ الانيق للمعنى البديع · وآضت به الحال بأخرة ان لا يختلف الى مقر عمله الا يوم قبض الراتب ثم يعود ادراجه · وكان لا يتأنق في لباسه ولكنه يتأنق كثيراً في طعامه وشرابه وتدخينه ·

هذا ياسادتي حافظ وهذه سيرته وسيره وادبه · لاجرم انه رجل حس عال ، عاش في ألم وأمل · ألمه لما أصاب قومه من الانحطاط ، وأمله ان يرى العرب يقالون من جدهم العاثر ويستعيدون مجدهم الغابر ، وما اصطنع الشعر الافتتة بجماله ، فكان صناعة له استخدمها في أفضل المروآت ، وأنبل الغايات · هو غريب في بابه ، منقطع القرين بين أترابه · ما تهنأ الحياة كثيراً ، وما عرف سعادة البيوت ، وعطف البنين ، عاش للمجتمع ، وشقي ليسعد الناس وما خلف الا هذا الشعر الخالد ، الذي تفنى الايام ولا تبلى جدته ، وما أجدرنا أن نخاطبه وقد هدأ ذاك العصب الحساس ، وسكت ذاك الجرس الفاتن ، وهو رهين بحفرته يقول أستاذه اسماعيل صبري في راحة القبر :

ان سئمت الحياة فارجع الى الار ... ض تنم آمناً من الأوصاب ·
تلك أم أحنى عليك من الأ ... م التي خلفتك للأتعاب
لا تخف فالمات ليس بماح ... منك الا ما تشتكي من عذاب
كل ميت باق وان خالف العنـ ... ـوان ما نُص في غضون الكتاب ·
وحياة المرء اغتراب فان ما ... ت فقد عاد سالماً للتراب ·

❋ حافظ ابراهيم واللغة العربية ❋

« للاستاذ المغربي »

ليس إحتفال مجمعنا العلمي بتأبين (حافظ) وإكبارنا الفجيعة فيه لأنه كان صديقاً لنا : إذ ما كل صديق نحتفل بتأبينه — ولا لكونه شاعراً من شعراء أربعة أو خمسة تعقد البلاد العربية عليهم الخناصر — ولا لكونه كان نديماً ظريفاً . ولا أخبارياً محدثاً — بل ولا لكونه من أعضاء مجمعنا العلمي: إذ لم يأخذ المجمع على نفسه أن يحتفل بكل واحد من أعضائه .

الفجيعة في حافظ أيها السادة هي فجيعة اللغة العربية فيه ولم ينشأ المجمع العلمي الا لخدمة هذه اللغة . والحرص على إرضائها: فاذا بكت اللغة بكى المجمع . واذا صاحت اللغة : واثكلاه واوحيداه صاح المجمع صياحها : واثكلاه واوحيده ! وهذه لغة الضاد في موت (حافظ) أقامت مأتماً عاماً شمل بلاد العرب كلها : من طنجة الى السليمانية : تبكي في مأتمها هذا حافظاً وتندبه .

(أبنان[1] يبكيه . وتبكي الضاد من حلب الى الفيحا الى صنعاء)

وان اجتماعنا هذا أيها السادة صورة مصغرة للمأتم الكبير الذي أقامته اللغة لتأبين حافظ . وأقوالنا في هذه الحفلة انما هي صدى ندبها وعويلها :

(لقد[2] رزئت أم اللغات وحيدها فان لم تكنه فالأب البر والجدا)
(مشت تتلوى خلف نعشك كلما دعا باسمها الداعي أجد لها وجدا)
(فلما بلغت القبر خرت لوجهها تضج وتشكو من تباريحها الجهدا)

حافظ أيها السادة هو الشاعر الشاعر . وهو فوق ذلك لغوي وأخباري .

---

(١) من مرثية احمد شوقي في حافظ .

(٢) من مرثية احمد محرم في حافظ .

أما كونه شاعراً فأمر لا يجهله أحد . ومن يجهل أن « حافظاً » كان اذا قال شعراً لا يلبث أن تتناقله الأفواه . وتتلمظ بحلاوته الشفاه ؟

شعرُ حافظ يمتزج بالعاطفة فيوآتد فيها رقة الشعور . ويمتزج بالنفس فيوآتد فيها ذوق اللغة . ويمتزج باللسان . فينغرس فيه ملكة الفصاحة .

مدارسة كتب الأدب . واستظهارُ الفصيح من نوادر اللغة لا يمنح النفسَ واللسان ملكة الفصاحة بقدر مايمنحها شعرٌ كشعر حافظ : نقيُّ اللفظ منسجمُ الأسلوب مشرق الديباجة . يُعبر عن خوالج النفس الوطنية الثائرة فيحفزها نحو مطامحها العظمى . ويُنير أمامها الطريق الى مثلها الأعلى .

شعر حافظ كالمصباح يمشي نورُه بين أيدي أبناء أمته . فيهديهم الطريق . لا بعيداً عنهم يمشي وحده . ويتركهم في ظلمات لا يبصرون .

شعرٌ مثل شعر « حافظ » يحيي لغتنا . ويحقق قوميتنا . ويثبّت أقدامنا في أوطاننا .

كان (حافظٌ) رحمه الله يقول الشعر لخدمة أمته . لا لخدمة شهرته .

وإن فتىً عربياً أو فتاة عربية يحفظ من شعر حافظ قصيدة (غادة اليابان) أو قصيدة :

(خرج الغواني يحتججـ ـن ورحت أرقب جمعهنه)

فتستفيد منها ملكةً في اللغة الفصحى . وحميةً في حبّ الوطن . أكثر من مئة قصيدة غامضة المعنى . أعجمية الأسلوب .

ولولا أني أتكلم عن (حافظ) من ناحيته اللغوية لسردتُ لكم شواهد تؤيد ماذكرت . على أن أحداً منكم قلما يجهل ذلك من أمره . ومعظمكم يستظهر الكثير الطيب من شعره .

* * *

نحن معشر العرب أصبحنا منذ سنين نهاجم في عقائدنا وفي تقاليدنا وسائر أوضاع اجتماعنا .

ولم تخلُ لغتنا المحبوبة من هذه المهاجمة العنيفة أيضاً : لم تخلُ من تنين هائل يوائبها . ويحاول القضاء عليها . ذلك التنينُ هو فكرةٌ مشؤومة ترمي الى إحياء اللغة العامية وإماتة اللغة الفصحى .

ها هي اللغة العربية في حدود سنة (١٩٠٠) أي منذ ثلاثين سنة تقف على ضفاف النيل . شاحبة اللون . مرتجفة الأعضاء والهةً ذاهلة : تندب نفسها . وتشكو مصابها :

(يا ويح أهلي أبلى تحت أعينهم على الفراش ولا يدرون مادائي)

داؤها أيها السادة هو ما خامر نفوس أبنائها من زهدهم فيها . وانصرافهم عنها الى غيرها من اللغات الأجنبية . والى نصرة الفكرة المشؤومة : فكرة إحياء اللغة العامية . تلك الفكرة الممثّلة في أحد دهاة الانكليز (المستر ويلمور) .

هبط (المستر ويلمور) مصر في ذلك الحين . وقام بدعاية واسعة النطاق للغة العامية المصرية . وخطب في الموضوع وكتب . وحاور وناظر . وألف كتاباً نشره على المصريين . يدعوهم الى فكرته . ويقنعهم بصحة نظريته .

ومما يؤسف له أيها السادة أن يجد (ويلمور) أنصاراً له من الشعوبيين . شايعوه على رأيه . وأقاموا ضجة في القطر المصري اهتزت لها البلاد العربية قاطبة . وكادت تكون لويلمور ولأشياعه الغلبة لولم تصدمهم نهضة حماة اللغة الفصحى . وفي طليعتهم فقيدنا بالأمس (حافظ ابراهيم) فيرفع صوته في وسط تلك الضجة . منشداً قصيدته الخالدة . على لسان اللغة الفصحى : تخاطب أبناءها وتسألهم أغاثتها . فتقول :

(أيطربكم من جانب الغرب ناعب ينادي بوأدي في ربيع حياتي)
(ولو تزجرون الطير يوماً علمتمو بما تحته من عثرة وشتات)

ثم تلوم الصحف على خوضها في هذا الموضوع فتقول :

(أرى كل يوم في الجرائد مزلقاً من القبر يدنيني بغير أناة)
(وأسمع للكتاب في مصر ضجة فأعلم أن الصائحين نعاتي)

ثم تحضهم على الأخذ بالحزم في دفع الضر عنها :

(فياويحكم أبلى وتبلى محاسني ومنكم اذا عز الدواء أساتي)
(فلا تكلوني للزمان فإنني أخاف عليكم أن تحين وفاتي)

ثم ذكرتهم بجدودهم أبطال الجزيرة الذين كانوا يغارون عليها :

(سقى الله في بطن الجزيرة أعظماً يعز عليها أن تلين قناتي)
(حفظن ودادي في البلى وحفظته لهن بقلب دائم الحسرات)

وعاتبتهم على ميلهم الى اللغة العامية الممزوجة بالألفاظ الافرنجية .

(أيهجرني قومي عفا الله عنهمو الى لغة لم تتصل برواة)

(سرت لوثة الإفرنج فيها كما سرى لعابُ الأفاعي في مَسيل فرات)
(فجاءت كثوب ضم سبعين رقعةً مشكلة الألوان مختلفات)

وعادت اللغة الفصحى الى وصف مزاياها والتساؤل لماذا عقَّها بنوها . وهي لم تقصر في خدمة دينهم وحضارتهم . فقالت :

(وسعت كتاب الله لفظاً وغايةً وما ضقتُ عن آيٍ به وعظاتِ)
(فكيف أضيق اليوم عن وصف آلةٍ وتنسيق اسماء لمخترعات)
(أنا البحرُ في أحشائه الدرّ كامنٌ فهل سألوا الغوّاص عن صدفاتي)

ثم عيرت أبناءها بالغربيين الذين عزُّوا لما عزَّت لغاتهم فقالت :

(أرى لرجال الغرب عزّاً ومنعةً وكم عزّ أقوامٌ بعزّ لغاتِ)
(أتوا أهلهم بالمعجزات تفنُّناً فياليتكم تأتون بالكلماتِ)

ثم ختمت شكواها بتقديم إنذارٍ مخيف الى الكتّاب الحسني الظن بلغات الافرنج وآداب الافرنج . فقالت :

(الى معشر الكتّاب والجمع حافلٌ بسطت رجائي بعد بسط شكاتي)
(فإما حياةٌ تبعثُ الميتَ في البلى وتُنبتُ في تلك الرموس رُفاتي)
(وإما مماتٌ لا قيامة بعده مماتٌ لعمري لم يُقس بمماتِ)

كانت هذه القصيدة من شعر (حافظ) من أمضى الأسلحة التي شُهرت في وجه (المستر ويلكوكس) فأخفقت دعوته . وطويت رايته . ونكص على عقبيه الى بلاده .

وكأن أمير الشعراء (احمد شوقي بك) يُشير الى هذا الموقف المحمود الذي وقفه (حافظ) في وجه دعوة (ويلكوكس) فقال في رثائه له :

(يا حافظَ الفصحى وحارسَ مجدها وإمام من نَجلت من البلغاء)
(ما زلتَ تهتفُ بالفصيح وفضله حتى حميتَ أمانة القدماء)

وكما حنقَ (حافظ) على (ويلكوكس) حنق أيضاً على المستر (بلنت) الانكليزي الذي اشتهر في الدفاع عن القضية المصرية ضدّ قومه الانكليز : فان هذا المستر كان يرفع من شأن القصص العربية السخيفة العبارة ويقول عن قصة (بني هلال) انها نوع من القصص المسمى (إپيك) وانها إلياذةٌ عربيةٌ صغيرة .

فما كان قوله هذا لِيَسُرّ (حافظاً) بل كان يحسبه خدعةً ودعوةً الى اللغة العامية ·

***

ثم إن فوز (حافظٍ) في هذه المعارك نشّطه الى متابعة العمل في نصرة اللغة · فاستمرّ يحيي فصيحها · ويَنثر الدرّ من كلمها الى آخر نسمةٍ من حياته · بل كان في مجالسه · وبين طلاب الأدب المطيفين به — كأنه (استاذٌ سيّار) بصحح أغلاطهم · ويرشدهم الى الفصيح من القول · والصحيح من الأساليب :

قال الدكتور (زكي مبارك) ما ملخصه :

استنشدني (حافظٌ) يوماً شيئاً من شعري فأنشدته قولي :

(يامن يَعِزُّ علينا أن نجازيهم صدّاً بصدٍّ وإغضاءً باغضاء)

ونطقتُ (يعِزّ) بكسر العين فقال (حافظٌ) يظهر يا مبارك أنه يحسن أن تقول (يَعَزّ) بفتح العين لأن (يَعزّ) هنا بمعنى (يَشقُّ) لا بمعنى (صار عزيزاً) حتى تكسر العين ومع هذا أرجوك أن تراجع القاموس· قال فراجعته فوجدته يقول بجواز الوجهين: الكسر كما قلت أنا · والفتح كما قال حافظ · قال الدكتور : ومع هذا فقد استفدتُ من حافظٍ فائدتين : (١) اللطف في تصحيح أغلاطِ الإخوان · و(٢) الشعور بقيمة الدقةِ في نطق كلمات اللغة : إذ كان من رأي حافظٍ أن نخصّ (يَعَزّ) المفتوح العين لمعنى يشقّ والمكسور العين لمعنى صار عزيزاً ·

***

ولا يخفى عليكم أيها السادة أن المجامع العلمية اللغوية إذا كانت إنما أُنشئت لغرض حماية لغة الوطن— فأن (حافظ ابراهيم) عضو من أعضاء مجامعنا اللغوية بفطرته · وبنابل من غيرته على لغته ·

قال الدكتور (حسين هيكل) «إن لحافظ ميلاً شديداً الى أن يظهر اللغة العربية في كمال قوتها · وأنها تضاهي أحدث اللغات صقلاً وحياة · وهو يهزأ بالمزاعم التي كانت توجه اليها من أنها لغة قديمة عاجزة عن ان تجاري الحياة الحديثة اه) ·

وقال الشيخ عبد العزيز البشري في مرآته :

(ولا ننس لحافظٍ يداً جليلةً على اللغة العربية : فلقد طالما استخرج من مَجْنُوّ اللغةِ

صيغاً طريفةً بليغةً أدت كثيراً من المعاني التي تتحرك في أنفس الناس ٠ ويعيي أداؤها على الاقلام) ٠

***

أما مقدرة (حافظ) اللغوية العملية فتتجلى لنا في الالفاظ الفصيحة التي كان يودعها قصائده ومصنفاته ٠ وقد شهد له بهذه المقدرة (الشيخ ابراهيم اليازجي) : فقد كان يستجيد ذوق حافظ في اللغة ٠ واختيار فصيح كلماتها ٠

وقال الشيخ عبد العزيز البشري ايضاً :

« إن (حافظاً) لا يرى جلال الشعر وبهاءه في التعلق بدقائق المعاني : لأن هذه المعاني تقع للدهماء والعامة ٠ وانما جلال الشعر وبهاؤه في إشراق الديباجة ٠ ونصاعة القول » ٠

وقال خليل بك مطران :

« لحافظ غرام باللفظ لا يقلُّ عن الغرام بالمعنى : وهو يؤثر البيت الذي جاد لفظه على البيت الذي جاد معناه ٠ فاذا فاته الابتكار في تصور المعنى ٠ لا يفوته الابتكار في تصويره باجزل الألفاظ ٠ وأبلغ الأساليب » ٠

إذن يمكننا القول بان (حافظاً) كان لغوياً من الوجهة العملية التطبيقية كما كان لغوياً من الوجهة العاطفية القومية ٠

***

وكثيرون من نقاد الأدب المعاصرين حمدوا الله على ان كان أسلوب (حافظ) في شعره ٠ غير أسلوبه في نثره : فقد كان رحمه الله يتأنق في شعره مع مراعاة السهولة والسلاسة ٠ أما في نثره فأمره على العكس : كان يتأنق فيه وينصب نفسه في انتقاء كلماته ٠ لكنه لم يوفق الى جعله سهلاً سلساً ٠ فلم يعد نثره مقبولاً الا لدى الخاصة وجهابذة الأدب ٠

على أن بعضهم مهّد لحافظ طريق العذر : كالدكتور لطفي جمعة فانه قال :

« ان (حافظاً) على كلٍ قد أحسن الى قراء العربية وكتابها : وذلك لأنه أنعش أسلوب الكتابة ٠ وحفز الهمم للبحث عن الألفاظ الجزلة ٠ وأثر في كتابة الصحف أثراً نافعاً » ٠

ثم إن عناية (حافظ) باستعمال غريب اللغة كان على أشده في ترجمة (البؤساء) فلم يُرض ذلك أنصار الأدب الحديث . وإنما أرضى أنصار الأدب القديم كالشيخ محمد عبده فانه رحمه الله كان يُعجَب بكتابة حافظ وما تضمنته من الألفاظ الجزلة وكان يقول : « ان كان بؤس حافظ هو الذي أدى الى استخراج كتاب (البؤساء) فندعو الله أن يريده بؤساً حتى يزيدنا من هذا الأدب الجميل » .

***

ولا غرو أن يرحب مجمعنا العلمي بنثر (حافظ) كما رحب به الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده . لأننا معشر أعضاء المجمع أول مايهمنا من الآثار الأدبية ان تكون لغتها صحيحة . وأن تستوعب من روائع كلمات اللغة ما كاد يميته الجهل . ويطمس عليه شيطان الشعوبية .

واللغات أيها السادة ! كما تنمو باضافة كلمات أجنبية اليها تنمو باحياء القديم الفصيح من كلماتها .

وقد تفطن (حافظ) الى هذا فأودع مصنفاته الكثير الطيب من تلك الكلمات .

فكتابه (الاقتصاد السياسي) ألّفه أو ترجمه (مع صديقه خليل بك مطران) ليثقف الطلاب على هذا العلم . ويقرر لهم قواعده . لكنه أودعه من (الألفاظ الكتابية) ماجعله كتاب أدب ولغة . أكثر مما هو كتاب علم واقتصاد .

وكذلك شأنه في كتابه (سطيح) الذي نقد فيه أحوال المصريين وأفرغ حوادثه في قالب قصة نسب روايتها الى من سماه (سطيحاً) . فالكتاب إذن رواية قصصية وكان ينبغي ان تستجمع شرائط القصة وليس من شرائطها أن تكون بهذه الأساليب الفخمة . وأن تحتوي هذا القدر من الألفاظ الجزلة .

وهذا كتابه (البؤساء) الذي نقل فيه الى العربية بؤساء (ڤيكتور هيكو) . وڤيكتور هيكو جعل أبطال بؤسائه من طبقات مختلفة . وجعل كل بطل منهم يتكلم باللهجة التي اعتادتها طبقته . فالسوقي العامي مثلاً لايتكلم بلغة العالم الأديب . ولا العكس . وطريقة (هيكو) هذه مطابقة للمبدإ الذي قرّره أديب العرب الأكبر (الجاحظ) في كتابه الحيوان : من أن الواجب في نقل عبارات السوقة وألفاظ العامة أن تُروى كما هي

أي مغلوطة ملحونة والا ذهب رونقها وضعف تأثيرها .

وشاعرنا (حافظ) رحمه الله كان كلفه بفصيح اللغة وجزل ألفاظها يحمله على أن يترجم كلام السوقة من أبطال البؤساء بعبارة فخمة الألفاظ لا ينطق بها عادة الا الفصحاء .

فالبنّاء الذي يبني رصيف الشارع اذا أراد أن يتكلم هل ينطق بكلمات (تبا من ثم تيسـاسر) و (ركب الحجّة) و (ما أخلقك يا فلان بكذا) . هكذا (حافظ) ترجم لنا كلام البنّاء الافرنسي .

ووصف لنا فرساً بأنه (سحير . عملب . أهنع . أدك . مفتوح اللبان) و (فلان لبث معلّقاً بخيط من الأجل تحت شقّي مقص الفناء) .

وكذلك استعمل كلمة (أفجر) بمعنى أدركه الفجر و (بسل) بمعنى حرام و (انتعل أديم الأرض) أي سار بلا حذاء . و (قنابل قنابل) بمعنى جماعات جماعات . الى غير ذلك مما حمله ولوعه به على استعماله في غير مواطنه . مواطن هذه الكلمات كتب الأدب و (المقامات) . لا القصص والروايات . فحافظ بهذا الأعتبار خليق لغوياً كاتبـاً . بل كاتباً مقاماتياً قديماً . لا كاتباً روائياً حديثاً .

أما هو في الشعر فعلى العكس : اذ كان لا يستعمل غريب اللغة بكثرة تدل على شرهه وحرصه . فمن ثم لم يكن لغوياً في شعره . كما كان لغوياً في نثره .

ولكن هذا الشره الى غريب اللغة في النثر إن كان ساء أقواماً فإنه لم يكن ليسوء مجمعنا العلمي الذي يحرص على أن تحيى اللغة العربية بإحياء النصيح من كلماتهـا . والقديم الرائع من تعابيرها .

لذلك كانت فجيعة المجامع اللغوية بحافظ من جهة لغته ونثره . تعادل بل تفوق فجيعة الأمة العربية به من جهة نظمه وشعره .

* * *

وصفنا لكم أيها السادة (حافظاً) العضو في مجامع اللغة والأدب أما (حافظ) العضو في مجالس الأنس والطرب فاليكم طرفاً مما يتسع له المقام :

يظهر أن أهل (حافظ) تنبأوا يوم ولادته بأن سيكون مولودهم كثير الحفظ لأخبار العرب وأشعارهم ومستملح نوادرهم فسموه (حافظاً) .

روى أصدقاؤه (حافظ) أنه كان يعمل على وضع مصنف في المرقص من شعر العرب : يختار فيه لكل شاعر بيتاً من أروع أبياته وقد جمع مواد ذلك الكتاب . حتى بلغ نصفه . فاختار لبعض الشعراء مثلاً قوله :

(ولا بدّ لي من جهلة في وصاله فهل من كريم أودع الحلم عنده)

واختار لغيره غيره وهكذا .

وان اتساع (حافظ) في حفظ بليغ أشعار العرب على هذه الصورة أثر فيه ذوقاً في اللغة العربية . فكان أنقى الشعراء المعاصرين عبارة ، وأصحهم تركيباً . وأكثرهم تدقيقاً في اختيار الفصيح الرائع من الألفاظ .

وليس هذا فقط بل إن حفظه لأخبار العرب جعله نديماً ظريفاً : غير مملول المجلس . ولا مأجوم الحديث .

وقد استحسن الدكتور (زكي مبارك) ان نطلق على (حافظ) ومن كان على شاكلته من حفّاظ أخبار العرب — كلمة (محدّث) قال : وهو الذي يسميه الافرنسيون (Causeur) وأنا لا أوافق الدكتور على ما قال : لأن لقب (المحدّث) غلب في لغة الاسلام على راوي أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وان في آدابنا العربية كلمةً أخرى أحق بالقبول وأجدر وهي كلمة (أخباري) نسبةً الى التبحر في الأخبار . والاتساع في الرواية .

وقد كان (الجاحظ) أكبر (أخباري) قام في الاسلام . وبعده المسعودي والمحسّن التنوخي صاحب نشوار المحاضرة وغيرهم كثيرون .

وسمّى (الجاحظ) هذا العلم (علم الخبر) وأُثر عنه أنه قال (علم الخبر هو علم الملوك) . وعلى هذا يمكننا أن نقول : إن حافظاً كان أكبر المعاصرين في (علم الملوك) عندنا . كما كان (أناتول فرانس) أكبر أستاذ في هذا العلم عند الافرنسيين .

وكان (حافظ) رحمه الله يعرف من نفسه التفوّق في هذا العلم : استأذن يوماً على المغفور له (سعد زغلول) وكتب اليه هذين البيتين :

(قل للرئيس جزاه الله صالحةً بأنّ شاعره بالباب ينتظر)

(إن شاء حدّثه أو شاء أتحفه بكلّ نادرة تروى وتبتكر)

وقد اتفقت كلمة من ترجم لحافظ كما اتفقت كلمة فضلاء دمشق الذين حضروا مجالسه

في زيارته الأخيرة لبلدهم — أنه أبرع أخباريٍّ وأظرفُ نديم عرفوه في حياتهم .

ولولا وقارُ (مأتم التأبين) لروينا لحضراتكم شيئاً من مُلحه الأدبية مما يدلُّ على شدَّة ذكائه . وقوة حفظه .

* * *

على أنني مهما أغفلتُ ذكر خبرٍ من أخبار حفظه . لا أحب أن يفوتني ذكر خبرٍ مستغربٍ اتفق له مرة في نسيانه :

ذلك أنَّ (حافظاً) يحفظ أخبار الأولين والآخرين ويروي ما يحفظه بكل دقةٍ وتثبُّت . ولكنه مع هذا ذَهلَ مرةً عن خبر (قصر الجزيرة) الذي كان للخديوي اسماعيل ثم اتخذ فندقاً لكبار السياح ثم صار قصراً لآل لطف الله — فروى لنا (حافظ) أن هذا القصر أصبح (بستان حيوان). وذلك قوله من قصيدة[1] وصف فيها ذلك القصر :

(كنت بالأمس جنَّة الحوريا قصـ ـر فأصبحت جنَّة الحيوان)

مع أنَّ الذي تحوَّل الى (جنة حيوان) انما هو (قصر الجيزة) لا (قصر الجزيرة).

ولعمري إنَّ نسيان (حافظ) لخبر هذين القصرين اللذين هما على مرمى سهم من نظراته . وطالما لمحها في غدواته وروحاته — أمرٌ مستغربٌ جداً نرويه في غرائب أخباره بعد مماته . كما كان رحمه الله يروي غرائب أخبار من كان قبله في حياته .

وهذا النسيان من (حافظٍ) يُشبه ما روي عن الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده أنه استأذن يوماً على بعض إخوانه . فسأله الحاجب عن اسمه . فأطرق يتذكر .

رحم الله (الشيخ عبده) ورحم (حافظاً) . وهل ترون الزمان . أيها الإخوان . يُخلف علينا مثلها في العلماء والشعراء ؟ إنْ فعل نكن حقاً من السعداء .

---

(١) هذه القصيدة منشورة في ديوان حافظ المطبوع سنة (١٩٠٧) ولم أجدها في ديوانه الذي طبع سنة (١٩٢٣) .

﴿ قصيدة الاستاذ شفيق بك جبري ﴾

سنون عامًا على كره تعانيها | هدأت عنها ولم تهدأ لياليها
ما زلت منها على يأس تغالبه | حتى طواك على الأشجان طاويها
فاطرح شدائدها عن كاهل دهمت | من جانبيه ولم تهدم عواديها
ياوقفة لك في افيائها انحدرت | عنك العواطف مدنيها ومشجيها(١)
ناجيت فيها صبًا ولت نواعمه | بدلت شيخوخة منه تناجيها
فتوة ملئت بؤسًا نضارتها | وكبرة أفعمت سقمًا حواشيها
أهبت بالموت من سقم ومن شجن | كأنما الموت آمال تناغيها
فنم هنيئًا فلا جسم تراوحه | تلك الشجون ولا نفس تغاديها

* * *

غنت قوافيك بالاحزان مالجة | تكاد تنطق عن بؤس اغانيها
على قريضك من أناتها أثر | اراه يفصح عن اقصى مراميها
ما في اغاريدها ان ناح ناقحها | الا تهاويل من شكوى تزجيها
تجهمتك الليالي في تصرفها | ففاض شعرك في الافاق تأويها
فما تمليت في يوم مضاحكها | ولا تمهلت الا في مباكيها
أمعنت في طلب الدنيا فما ابتسمت | لك الحياة ولا هشت امانيها
سعت بك القدم المشؤم طالعها | فلم تؤد الى نجح مساعيها
على نعالك من تبريحها دفع | من نائىء الندم لم تنشف جواريها

(١) اشارة الى قوله رحمه الله :

وقد وقفت على الستين اسألها | أسوفت أم اعدت حر اكفاني .

حتى وددت لوان النفس عاد بها ... من قبل أن تسأم الاشجان باريها
أو كان في مسبح الحيتان مطرحها ... أو في مسارح من هلك مآويها
المانوية لم تعتق مذاهبها ... على قوافيك رسم من اماليها
لله شعرك كم هاجت هواجسه ... بفيقة في حواشي النفس تضنيها
قذفت منه على السودان طائفة ... صورت بلواك تصويراً يجليها
لو لحنوا البؤس في شعر نردده ... لكان بؤسك ألحانا نغنيها
ودعت دنياك توديعاً ترقرقه ... شكوى يذوب على الآلام شاكيها
فما لعينيك في لألائها انس ... وانما الأنس في أدجى دياجيها
كأنما قبرك المأنوس متسع ... لعيشك المر من جلى تقاسيها
العبقرية ما زالت معذبة ... في الشرق ما جمدت يوماً مآقيها

* * *

لكن نفسك لم تصرع جوانبها ... ظلماء من خيبة الآمال تبريها
هزأت بالعمر لم تعبأ بغمته ... وعشتها عيشة طلقاً نواحيها
داويت بالكأس آلام الحياة وهل ... بغير اشراقها قلب يداويها
لقبتها ضرة الاحزان زاكية ... غراسها مستطابات مجانيها
الكاس والطاس والصهباء ماثلة ... في شعرك الطلق تزهي في مزاهيها
شتت شمل الليالي في تناولها ... على رخيم من الأنغام تحييها
لئن نظرت الى الدنيا وبهجتها ... بمقلة ما رأت الا مساويها
لقد خلعت على الأحزان مشرقة ... من الحبور طوت من شجو شاجيها
وما الحياة اذا اسودت جوانبها ... وما الليالي اذا لم يصف صافيها
خير من العمر ممدوداً سرادقه ... على الأسى لحظة تجلو ثوانيها
لله مجلسك المحشوك كم طربت ... فيه القلوب وكم بشت بواكيها
فقد تكون حزين البال متعبه ... وقد نراك ضحوك العين ساجيها
تلك الأحاديث قد ذقنا حلاوتها ... في كل نادرة سحر يحليها

تزداد حسناً اذا ازدادت روايتها   رقيقة سكبت من روح راويها

* * *

لكن روحك ان جدت وان هرمت   لم تنس مصر ولم تهمل مغانيها
غنت بوادي الحمى في فجر نهضته   وخاضت النهضة الحمراء واديها
قد كنت بلبلها الغريد هيجه   غول على مصر محتل روابيها
أحببت مصر وسارت في محبتها   قصائد من عباب النيل ترويها
يجول فيها هوى الفسطاط مزدحماً   على فؤاد عناه خطب أهليها
أيقظت منها غفاة في مضاجعهم   والشعر يوقظ في الأقوام غافيها
كم أمة رسفت في القيد أطلقها   من القيود فلم تملك نواصيها
أمضك الجرح في احشاء عترتها   فكنت في شعرك الريان آسيها
اردتها حرة لا النير يثقلها   اذا تهادت ولا الأصفاد توهيها
فما تخوفت الا لعب لاعبها   ولا تخشيت الا لهو لاهيها
فكم بكيت على مصر وحاضرها   وكم حنوت على مصر وباقيها
جادت لها عينك الريا محاجرها   باللؤلؤ الرطب من حالي تعانيها
اذا سكت فلم تأمن هوادتها   وان نطقت فلم تأمن منافيها
آسيتها يوم دنشواي وروعته   يايوم دنشواي ما أبقى الأذى فيها
جلد وشنق وفي الامرين مهزلة   تلك الجنايات باسم العدل جانيها
كشفت عنها غطاء كان يسترها   حتى تمثل للعينين قاسيها
ضحوا بشعب بديلاً من قتيلهم   تلك الجراحات لم تضمد دواميها
ويح الحضارة كم راقت ظواهرها   هذي العيون وكم ساءت خوافيها
في طيها الموت خفاق سبائبه   مكشوفة عن ضحاياه محابيها
ذئب تلفف في جلد الشياة وهل   يخفي الذئاب طلاء في مغاطيها
خير من العلم جهل لا يشنعه   عسف الشعوب وهزء من اضاحيها

* * *

ما كان شعرك الا وحي عاطفة　　ظل الجزيرة والاهرام موحيها
عليه من مضر الحمراء منزعة　　محبوكة الوشي مرصوص مبانيها
لئن جفت مصر ارض الشام واطرحت　　هوى العروبة كم . انبت جافيها
صافحت جلق لم تنقض مواثقها　　على البعاد ولم تنكث اواخيها
فان بكتك على جرح تعالجه　　فقد رأتك على الاهرام تبكيها



خطاب قنصل مصر

« في حفلة تأبين حافظ »

ألقى سعادة قنصل مصر في بيروت في الحفلة التأبينية لشاعر النيل المرحوم حافظ بك ابراهيم الخطاب الآتي :

دولة رئيس الوزراء — سادتي

ليس هذا يوم مصر فقد قامت مصر بقسط ا من واجب التأبين واحياء ذكرى الراحل العظيم ولم يبق فيها صغير ولا كبير الا اشترك بقلبه أو لسانه في تمجيد شاعر النيل بل شاعر الشرق المغفور له حافظ بك ابراهيم · وانما اليوم يومكم · يوم سوريا الخالدة ورجالها الأمجاد ، يوم حماة العربية لتمجيد ذكرى شاعر العربية · وعلم النهضة الفكرية · وحامل لواء الشعر في البلاد العربية · · · اليوم يومكم فليس لي ان اطيل الكلام بينكم وقد وفى خطباؤكم المقام حقه فأجادوا وأبدعوا · وانما وقفت لاعبر لكم عن خالص شكري وتقديري لشعوركم واغتباطي لما تظهره سوريا دائماً نحو شقيقتها مصر من العطف والود والاخلاص · ويزيد اغتباطي وسروري ان هذه المظاهرة لا تبدو في ناحية واحدة من نواحي الحياة بل تبدو في جميع الظروف والمناسبات فلا تمر فرصة أدبية كانت أو عملية

اقتصادية أو تجارية ، اجتماعية أو سياسية لاتظهر فيها تلك العواطف بأجلى وضوح ...
ولا شك ان هذا الود المتبادل هو أكبر عامل من عوامل التقارب بين البلادين كما انمثل مانحن مجتمعون له اليوم له اثره الفعال في زيادة الروابط الروحية والنفسية بين الشعبين الشقيقين شعب سوريا وشعب مصر ... عاشا صديقين تؤلف بين قلبيهما عواطف الولاء والحب والإخلاص .

ولا يفوتني ان اسدي اجمل الشكر لحضرات رئيس واعضاء المجمع العلمي الذين يكرمون في الراحل الكبير لاابن مصر فقط ولاشاعرها الفذ بل يكرمون فيه فقيد اللغة العربية وفقيد الشرق باجمعه كما واني أشكر حضرة صاحب الدولة حقي بك العظم رئيس الوزارة السورية على تعطفه بوضع هذه الحفلة التاريخية تحت رعايته السامية .

قراران في تأليف
« المجمع العلمي العربي »
(١)
قرار (١٣٥)
بوضع القانون الأساسي للمجمع العلمي العربي والمكتبة الوطنية في دولة سورية

ان رئيس مجلس الوزراء

بناء على القرار رقم ٢٩٨٠ بتاريخ ٥ كانون الأول سنة ١٩٢٤ القاضي بتأسيس دولة سورية

وبناء على قرار تعيينه رقم ١٨١٢ بتاريخ ١٤ شباط سنة ١٩٢٨ ·

وبناء على قرار صلاحيته رقم ١٨٢٤ بتاريخ ١٥ شباط سنة ١٩٢٨ ·

وبناء على القرار رقم ٢٨٣ بتاريخ ١٥ آذار سنة ١٩٢٦ القاضي بوضع نظام الجامعة السورية وفصل المجمع العلمي العربي عنها ·

وبناء على اقتراح وزير المعارف ·

« يقرر »

المادة الاولى   المجمع العلمي العربي جمعية علماء غايتها ومهمتها حفظ اللغة العربية وترقيتها والتدقيق في البحث عن تاريخ سورية وتاريخ اللغة العربية ·

المادة الثانية   مركز المجمع العلمي العربي في دمشق ويمكن ان يكون له شعبة في حلب واعضاء مراسلون في البلاد المشمولة بالانتداب والبلاد الأجنبية ·

المادة الثالثة   يشرف المجمع العلمي العربي على دور الآثار في دولة سورية من الوجهة العلمية ·

المادة الرابعة   يربط المجمع العلمي العربي ادارةً بوزارة المعارف ·

ان وزير المعارف مكلف بدرس الأمور المتعلقة بالمجمع العلمي ولاسيا الأمور التي يجب ان تعرض على رئيس الدولة أو المفوض السامي (فمن هذه الأمور) .

(١ً) يهيء الوزير جميع قرارات رئيس الدولة المتعلقة بنظام المجمع أو تعيين رئيسه واعضائه . وهذه القرارات تعرض على المفوض السامي للمصادقة عليها .

(٢ً) يدقق في مطالب رئيس المجمع العلمي بشأن الاعانات ويرسلها الى رئيس الدولة مشفوعة بملحوظاته .

المادة الخامسة يدير المجمع العلمي رئيس ينتخب بالتصويت السري لمدة ثلاث سنوات من بين الأعضاء وبناء على اقتراح زملائه يجوز تجديد انتخاب الرئيس .

المادة السادسة يساعد رئيس المجمع العلمي مجلس مؤلف من جميع الأعضاء .

أعضاء المجمع العلمي عشرون .

وعندما يتوفى أحد الأعضاء أو يقدم استقالته ينتخب مجلس المجمع خلفه ولا يصبح هذا التعيين مبرماً الا بعد موافقة رئيس الدولة وتصديق من المفوض السامي .

يجتمع مجلس المجمع العلمي مرة في السنة بجلسة اعتيادية بناء على دعوة الرئيس الذي يمكنه ان يدعوه ايضاً للاجتماع في جلسة غير اعتيادية .

وعدا ذلك فانه يساعد الرئيس عضوان اداريان دائمان ينتخبهما المجمع ضمن الشروط نفسها التي ينتخب بها الرئيس .

المادة السابعة يدرس المجمع العلمي جميع المسائل المتعلقة بالمجمع ليقدمها الى وزارة المعارف فمن هذه المسائل تهيئة الموازنة والنظام الداخلي وبرنامج مباحث التاريخ والالسنة والنشر والمطبوعات التي يجب القيام بها وادارة المكتبة الوطنية في دولة سورية الخ ...

يبدي المجمع العلمي امانيه ومطاليبه المتعلقة بالحفر أو بالمباحث الأثرية التي تظهر له ضرورة القيام بها وبالتمثيل والاشتراك في المؤتمرات العلمية الدولية .

المادة الثامنة تحدد فيما بعد بقرار خاص الشروط التي يجب بموجبها على المؤلفين والناشرين وأصحاب المطابع والمكاتب أن يقدموا الى المكتبة الوطنية ثلاث نسخ من كل كتاب أو صحيفة أو جريدة أو مجلة مطبوعة في دولة سورية أو من تأليف وطني سوري ومعدة للبيع في دولة سورية .

المادة التاسعة يتمتع المجمع العلمي بالشخصية المعنوية وله زيادة على ذلك استقلال في ميزانيته وتتكون واردات موازنة المجمع العلمي من محصول العطايا والاعانات التي تجود بها دولة سورية .

أما النفقات فانها تشمل ما يأتي :

زاتب الرئيس والعضوين الاداريين .

راتب موظفي الادارة والخدمة الذين يدخل في عدادهم موظفو المكتبة .

التعويضات الخاصة التي تعطى بعد قرار وزاري الى الأعضاء للأبحاث والمحاضرات التي يكلفهم بها المجمع .

حفظ المفروشات والأماكن والأجرة والتنوير والتدفئة وفرش الأماكن المعينة للمجمع ولشعبه وللمكتبة الوطنية .

نفقات نشر الكتب والمخطوطات القديمة مع اعمال المجمع . نفقات المراسلات والاشتراك والنشريات .

نفقات اشتراك وتمثيل المجمع العلمي في المؤتمرات الدولية العلمية وذلك بعد موافقة وزير المعارف وقرار رئيس الدولة .

ايجاد جوائز لمكافأة اعمال اللغة والتاريخ وتاريخ اللغة والآثار .

شراء كتب مطبوعة ومخطوطة للمكتبة الوطنية . والعناية بتجليدها وحفظها ووضع فهرس عام للمكتبة .

ينفذ تنظيم هذه الموازنة التي يصدقها رئيس الدولة بناء على اقتراح وزير المعارف طبقاً لقواعد المحاسبة العامة .

يقوم رئيس محاسبة وزارة المعارف بدون راتب اضافي بوظيفة محاسب المجمع العلمي العربي

أحكام التطبيق

المادة العاشرة ان جميع موافقات رئيس الدولة المنوه بها في هذا النص تصدر بصورة قرار .

المادة الحادية عشرة ان الرئيس والعضوين الاداريين الدائمين الموجودين الآن في وظائفهم يبقون على رأس وظائفهم مدة ثلاث سنوات اعتباراً من نشر هذا القرار .

المادة الثانية عشرة تلغى أحكام النصوص النظامية المتعلقة بادارة المجمع العلمي المخالفة لهذا القرار وعلى الأخص القرار رقم ١٣٢ المؤرخ في ١٥ حزيران سنة ١٩٢٣ .

المادة الثالثة عشرة ان وزير المعارف ووزير المالية مكلفان بتنفيذ هذا القرار الذي يطبق اعتباراً من يوم نشره للأعمال الادارية ومن ابتداء كانون الثاني سنة ١٩٢٨ من الوجهة المالية . دمشق : في ٨ أيار سنة ١٩٢٨ .

وزير المعارف	شوهد مندوب المفوض السامي	رئيس مجلس الوزراء
محمد كرد علي	ديليله ديلوج	محمد تاج الدين الحسني

شوهد وصدق في ٨ أيار سنة ١٩٢٨ تحت رقم (٦٧٠)

المفوض السامي (بونسو)

— ٢ —

قرار رقم (١٤٠٩)

ان رئيس مجلس الوزراء بدولة سورية

بناء على قرار تأسيسها تاريخ ٥ كانون الاول سنة ١٩٢٤ رقم ٢٩٨٠

وعلى قرار تعيينه رقم ١٨١٢ بتاريخ ١٤ شباط سنة ١٩٢٨

وعلى قرار صلاحيته رقم ١٨٢٤ بتاريخ ١٥ شباط سنة ١٩٢٨

وعلى القرار رقم ٢٨٣ القاضي بوضع نظام الجامعة السورية

وعلى القرار رقم ١٣٥ تاريخ ٨ أيار سنة ١٩٢٨ القاضي بوضع نظام المجمع العلمي

وعلى القرار رقم ١١٣ القاضي بوضع ملاك التعليم العالي . وحيث ان التقلب في ادارات المعاهد العلمية الكبرى يحول دون رقيها .

وبناء علي اقتراح وزير المعارف

« يقرر »

المادة الاولى تبدل المادة الثالثة من القرار رقم ٢٨٣ تاريخ ١٥ آذار سنة ١٩٢٦ بالأحكام الآتية :

المادة (٣) يدير الجامعة السورية رئيس يعين بقرار من رئيس الدولة بناء على اقتراح وزير المعارف وينتخب من أساتذة التعليم العالي ولا يجوز ان يجمع بين وظائف أخرى ذات راتب يدفع من موازنة الدولة أو موازنة ملحقة بها ٠

المادة الثانية تبدل المادة التاسعة من القرار رقم ٢٨٣ تاريخ ١٥ آذار سنة ١٩٢٦ بالأحكام الآتية :

المادة (٩) يدير كلاً من معهدي الطب والحقوق رئيس ينتدبه رئيس الدولة بقرار الى مدة خمس سنوات بناء على اقتراح وزير المعارف ٠

ينتخب رئيس لكل معهد حتماً من بين المرشحين الذين يقترحهم مجلس المعهد ذي العلاقة من جهة ومجلس الجامعة من جهة أخرى ٠ وكل من هذين المجلسين ينظم بهذا الشأن لائحة تحتوي على ثلاثة أسماء مرشحين من بين الاساتذة القائمين على رأس العمل في المعهدين ومن الممكن تجديد مهمة رئيس المعهد ٠

المادة الثالثة يعين رئيس المجمع العلمي بقرار من رئيس الدولة بناء على اقتراح وزير المعارف الى مدة خمس سنوات ٠ وينتخب من لائحة تحتوي ثلاثة أعضاء في المجمع يهيئها المجمع المذكور باجتماع عام ٠ ومن الممكن تجديد مدة رئيس المجمع العلمي ٠

المادة الرابعة يمكن انهاء مهمة رئيسي المعهدين ورئيس المجمع العلمي العربي بناء على اقتراح وزير المعارف بموجب قرار من رئيس الدولة تبين فيه الاسباب الموجبة ٠

كل رئيس معهد أو رئيس مجمع علمي يعزل من مهمته لا يمكن ان يكون فيما بعد موضوع انتخاب رئيس الدولة الا بعد مضي خمس سنوات ٠

المادة الخامسة يتقاضى رئيس الجامعة السورية ورئيس المجمع العلمي الراتب المنصوص عليه بالقرار رقم ١١٣ ويتقاضيان ايضاً باسم نفقات تمثيل تعويضاً شهرياً قدره خمسون ليرة سورية لبنانية ٠

ويتقاضى رئيسا معهدي الحقوق والطب عدا الراتب الخاص بكرسيهما المنصوص عليه بالقرار رقم ١١٣ تعويضاً شهرياً قدره خمسون ليرة سورية لبنانية ٠

المادة السادسة تلغى أحكام القرارات رقم ٢٨٣ و١٣٥ و١٣ ؛ فيما هو مخالف لهذا القرار ٠

المادة السابعة وزيرا المعارف والمالية مكلفان كل بما يخصه بتنفيذ هذا القرار ٠

دمشق : في ايلول سنة ١٩٢٩

وزير المعارف وزير المالية شوهد — المندوب رئيس مجلس الوزراء
محمد كردعلي محمد جميل الالشي (بروير) محمد تاج الدين الحسني

شوهد وصدق بتاريخ ٧ ايلول سنة ١٩٢٩ تحت رقم (١٢١٤)

عن المفوض السامي

التوقيع (تيترو)

قرار رقم ٢٣٧٦

ان رئيس مجلس الوزراء

بناء على القرار رقم ٢٩٨٠ بتاريخ ٥ كانون الاول سنة ١٩٢٤ القاضي بتأسيس دولة سورية وبناء على قرار تعيينه رقم ١٨١٢ في ١٤ شباط ١٩٢٨ ٠

وعلى قرار صلاحيته رقم ١٨١٤ في ١٥ شباط سنة ١٩٢٨ ٠

وبناء على قرار رقم ١٣٥ القاضي بوضع نظام المجمع العلمي ٠ وبناء على اقتراح وزير المعارف وبعد استطلاع وزير العدلية ٠

« يقرر »

المادة الاولى عندما ينتهي طبع كل مطبوع سواء اكان هذا المطبوع يصدر في وقت معين ام لا وكل قطعة موسيقية وكل رسم مصور الخ — على صاحب المطبعة أن يودع المكتبة الوطنية في الدولة السورية نسختين منها والا كان عرضة لجزاء يتراوح بين ١٠ و ٥٠ ليرة ورقًا وتحتوي وثيقة الايداع على اسم صاحب المطبعة وعنوانه واسم المطبوع وعدد نسخه ويعطى بالنسختين وصل مرقم مؤرخ ٠ يستثنى من ذلك اوراق الانتخاب ٠ ورسائل وبطاقات الدعوات وبيانات العنوان وعنوان الفواتير والاسهم المالية والعهود والاذاعات التجارية والصناعية ٠

المادة الثانية يجري الابداع الاجباري المنصوص عليه في المادة السابقة ٠

اما رأساً في المكتبة الوطنية (المجمع العلمي) بدمشق ٠
واما رأساً في مصلحة المعارف بحلب ٠
واما بموجب كتاب مضمون باسم محافظ المكتبة الوطنية (المجمع العلمي) بدمشق ٠
عند ما يجري الايداع رأساً يعطى الوصول فوراً وعندما يرسل بواسطة البريد يعطى الوصول بالطريقة نفسها ٠

وعلى كل الأحوال يوضع رقم الوصول بالحبر على النسختين المودعتين بجانب اسم صاحب المطبعة يستعمل سجل خاص حسب تتابع الأيام مرقم من (١) الى (ن) في المكتبة الوطنية وسجل آخر في مصلحة المعارف بحلب لتسجيل الايداعات ٠

المادة الثالثة تجري التعقيبات من قبل النيابة العامة في المركز الموجودة فيه المطبعة المخالف صاحبها وهذه التعقيبات تجري اما من قبل النيابة العامة مباشرة واما بناء على طلب رئيس المجمع العلمي أو رئيس مصلحة المعارف بحلب ٠

المادة الرابعة تلغى جميع الأحكام المخالفة لهذا القرار وأحكام القوانين السابقة التي تتعلق بايداع نسخة واحدة من بعض المؤلفات الى مصلحة المعارف ٠

المادة الخامسة وزيرا المعارف والعدلية مكلفان كل بما يخصه بتنفيذ هذا القرار ٠

دمشق : في ٢٦ آب سنة ١٩٣٠

وزير المعارف	شوهد وزير العدلية	رئيس مجلس الوزراء
التوقيع (محمد كرد علي)	التوقيع (صبحي النيال)	التوقيع (محمد تاج الدين الحسني)

شوهد وصدق بتاريخ ٦ ايلول سنة ١٩٣٠ تحت رقم ٨٨٧٦

المندوب

التوقيع (بروبير)

رياسة المجمع العلمي العربي

انتهت مدة رياسة المجمع العلمي العربي فكتب معالي وزير المعارف مظهر باشا رسلان الى رياسة المجمع كتابا بتاريخ ٢٨ حزيران ١٩٣٢ هذا نصه :

- « نرجو ان تأمروا بجمع اعضاء المجمع العلمي لانتخاب رئيس له بحسب الاصول وتفضلوا باعلامنا النتيجة وقبول فائق الاحترام سيدي . »

فانتخب المجمع ثلاثة من أعضائه عملاً بقرار رقم ١٤٠٩ل وهم الاساتذة محمد بك كرد علي والدكتور اسعد الحكيم والامير مصطفى الشهابي فاختارت وزارة المعارف الرئيس الاول وكتبت الى المجمع بتاريخ ٢٧ آب سنة ١٩٣٢ الكتاب الآتي :

« لمعالي رئيس المجمع العلمي العربي الافخم

هيأنا مرسوماً بتجديد انتخاب معاليكم لرياسة المجمع العلمي العربي وسنرسله اليكم متى صدق فنأمل أن يستمر المجمع في رياستكم الجديدة في سبيل التقدم والترقي وان يزداد ازدهاراً وتفضلوا بقبول فائق الاحترام سيدي » .

وهذه صورة المرسوم العالي الوارد بتجديد تعيين الرئيس

« ان رئيس الجمهورية السورية

بناء على الدستور المنشور في ١٤ أيار سنة ١٩٣٠

وبناء على القرار رقم ١٣٥ بتاريخ ٨ أيار ٩٢٨ القاضي بوضع نظام المجمع العلمي

وبناء على القرار رقم ١٤٠٩ل بتاريخ ايلول ٩٢٩ القاضي بوضع نظام تعيين رؤساء المعاهد

وبناء على قرار المجمع العلمي بتاريخ ٢٤ آب سنة ١٩٣٢

وبناء على اقتراح وزير المعارف

« يرسم مايلي »

المادة ١ — يجدد تعيين الاستاذ محمد بك كرد علي رئيساً للمجمع العلمي العربي لمدة

خمس سنوات اعتباراً من ١٦ حزيران سنة ١٩٣٢

المادة ٢ — يذاع هذا المرسوم ويبلغ الى من يجب ٠

دمشق في ربيع الآخر سنة ١٣٥١ ه وفي آب سنة ١٩٣٢ م

١٣ جمادى الاولى سنة ١٣٥١ ه و١٣ ايلول سنة ١٩٣٢ م

صدر عن رئيس الجمهورية — التوقيع : محمد علي العابد

وزير المعارف — رئيس مجلس الوزراء

التوقيع : مظهر رسلان — التوقيع : حقي العظم

آراء وافكار



« جامع أو جامعة القرويين »

ان فاخر المشرق بالأزهر وقدم الازهر فان المغرب الأوسط جدير بان يباهي بجامع الزيتونة . والمغرب الأقصى بجامع او جامعة القرويين . وان هذا الأخير أسبق زمناً من رفيقيه بل ربما كان أقدم مدرسة جامعة في العالم .

أسست جامعة القرويين امرأة وهي فاطمة أم البنين سنة ٢٤٥ ھ وما زالت تلك الجامعة منذ ذاك التاريخ الى الآن تهدى الى مختلف الأقطار في الشرق والغرب حظاً من ثمار رجالها الذين خدموا العلم بنشاط واخلاص ونثروا في كل جهة بزور الفنون المختلفة سواء منها ما يتعلق بالدين أو الدنيا . وما كان تعصب هؤلاء الرجال لدينهم بالذي يمنعهم ان يفتحوا صدورهم لقبول كل شيء ودرس كل ما من شأنه ترقية الفكر واصلاح الضمير .

ولنسرد على سبيل المثال طائفة من هؤلاء الرجال :

(١) عبد الله بن حجاج صاحب الأرجوزة في الجبر والمقابلة (توفي سنة ٦٠١ ھ) .

(٢) الإمام ابن البنا الفلكي المهندس الفيلسوف (نيف و٧٢٠ ھ) .

(٣) احمد بن شعيب الجزنائي الطبيب الأديب (٧٤٩ ھ) .

(٤) محمد بن عمر الفلكي (٧٩٤ ھ) .

(٥) ابو زيد الجاديري الفلكي الشهير (٨١٨ ھ) .

(٦) عبد الله اليفرني اليحسوبي الكبير (٨٥٦ ھ) .

(٧) ابو عمران بن العقدة موسى الصلتاني (٩١١ ھ) .

(٨) ابو العباس احمد المطرفي المعدل (١٠٠١ ھ) .

(٩) ابو زيد البعقيلي الفلكي (١٠٠٦ هـ) .
(١٠) محمد بن ابي القاسم بن القاضي الرياضي (١٠٤٠ هـ) .
(١١) أبو الحسن بن عبد الواحد صاحب المؤلفات في الطب والتشريح والفلك (١٠٥٢ هـ) .
(١٢) عبد الوهاب بن ابي حامد الميقاتي المهندس (١٠٧٩ هـ) .
(١٣) محمد بن سليمان الرواني مخترع كرة الدوائر الفلكية الشهيرة به المتوفى بالشام (١٠٩٥ هـ) .
(١٤) ابو زيد عبد الرحمن الفاسي اسيوطي زمانه الذي قيل فيه أنه أعرف بكل فن من اهل كل فن مؤلف كتاب الأقنوم ومخطط الخرائط الجغرافية والفلكية الخالدة (١٠٩٦ هـ) .

هذه طائفة ممن اشتهر بعلوم الدنيا اما علماء الدين فانهم يفوقون الحصر . وكانت جامعة القرويين على اختلاف الاعصار مثابة لطلاب الاقطار يفدون اليها رغبة في التزود من معينها والكرع من ينابيع رجالها فقد قبلت عديداً من طلبة مصر وافريقية والاندلس وانكلترا وروما وغيرها وقد قال بعض علماء الروسية (ان أقدم كلية في العالم ليس في اوربا كما كان يظهر بل في افريقية في مدينة فاس عاصمة بلاد المغرب سابقاً اذ تحقق بالشواهد التاريخية ان هذه المدرسة كانت تدعى (كلية قيروان) وقد أسست في القرن التاسع للميلاد (أي الثالث للهجرة) وعليه فهي ليست فقط أقدم كليات العالم بل هي الكلية الوحيدة التي كانت تتلقى فيها الطلبة العلوم السامية في تلك الأزمنة وقت ان لم تكن سكان باريس واكسفورد وباردو وبولونيا يعرفون من الكليات الا الاسم ولذلك كانت الطلبة تتوارد على (كلية قيروان) من انحاء اوربا وانكلترا فضلاً عن بلاد العرب الواسعة للانخراط في سلك طلابها وتلقي العلوم السامية باللغة العربية مع الطلبة الافريقيين والمصريين والاندلسيين وغيرهم ومن جملة من تلقى علومه في هذه الكلية من الأوربيين البابا (سلفستر) وهو اول من ادخل الى اوربا الأرقام العربية وطريقة الأعداد المألوفة بعد أن اتقنها جيداً في هذه الكلية كما يظهر من رسالته الى الامبراطور (أتون) مساعده التي أتى فيها على ذكر الصفر بقوله : إني اشبهك بالرقم الأخير من الاعداد البسيطة العشرية التي تزداد قيمته بوضع اعداد

أخرى عن يساره اه . وقول هذا الكاتب الروسي ان اسم تلك الكلية (كلية قيروان) تغيير في الترجمة وصوابه (كلية القرويين) وقد رأى القاريء من اسماء العلماء السابقين انهم كانوا بحوراً في علوم الدنيا كالطب والفلك والهندسة وهذا في القرن الثالث عشر النسيحي بعد بحق عصر الاسفاف في الافكار والانحطاط في الهمم وقد أشار الى ذلك كثيرون ممن تعرضوا للمغرب في كتابتهم من الاوربيين أمثال الموسيو (بونه مورو) مؤلف كتاب الاسلام والنصرانية في افريقية . ومن العلماء المعاصرين الذين تلقوا العلوم الحديثة في جامعة القرويين .

(١) — الطبيب سيدي عبدالسلام العلمي وله مصنف في البواسير ومصنف آخر سماه (ضوء النبراس في حل الفاظ الانطاكي بلغة فاس) وقد ذكر في آخر هذا الكتاب انه شرع في وضع معجم للمصطلحات الطبية الجديدة ومقابلتها بالمفردات العربية واللهجة المغربية ولا نعلم ان كان أتمه او حالت المنية دون الاتمام .

(٢) — ابو عبد الله الأغزاوي المهندس .

(٣) — سيدي ادريس البلغيثي الفلكي .

(٤) — السيد محمد الايرايسي الموسيقي البارع الذي استمر يدرس الموسيقى بظهر صومعة القرويين الى آخر العقد الثالث من هذا القرن .

ولسنا ننكر ان في هذه الجامعة فوضى تحتاج الى إصلاح ونظام متين ولعل هذا في جملة الاسباب التي دعت جلالة السلطان مولاي الحسن الى إيفاد البعثات العلمية رغبة في الاستفادة من العلوم الحديثة وتطبيق برنامج ثابت في جامعة القرويين تنال من ورائه الفائدة المبتغاة ان شاء الله . انتهى ملخصاً من مقال لسيدي محمد علال الفاسي نشره في (مجلة المغرب) «المغربي» .

—«✯✯»—

« الفهرس العام »

(لما في هذا المجلد من المواد والموضوعات مرتبًا على حروف الهجاء)

حرف الهمزة (ألف)

حرف الباء

حرف التاء

حرف الواو

حرف الهاء

—((✲✲))—

فهرست الاعلام

« اي اسماء كتاب المقالات المنشورة في هذا المجلد مرتبة على حروف المعجم »

حرف الواو

جدول الخطأ والصواب

ورد في اجزاء هذا المجلد اغلاط مطبعية نبهنا اليها فيما يلي :

جاء في ص ٢٣ س ١ اهو صوابها هو . وفيها س ٢ للغة صوابها اللغة . وص ٢٦ س ٤ بوغه صوابها نبوغه . وص ٣٩ س ٦ لظ ية صوابها لظبية . وص ٤٩ س٥ من ا صوابها من أن . وص ٥٨ س ١٣ الحبة صوابها الحسبة . وص ٦٦ س ١١ يكن صوابها يكون . وص٧٢ س ٩ زهرةالجريس صوابها زهرة الجُلجُل . وص٨٧ س٦ conte صوابها comte . وفيها س ١٠ مقمة صوابها مقامة . وص ٩٥ س ٢٣ بلاد صوابها ببلاد . وص ١١٣ س ١٨ بعده صوابها بعدها . وص١٢٥ س ٦ ويتذقون صوابها ويتذوقون . وص ١٥١ س ٢ فسل صوابها فصل . وفيها س ٧ والفسل صوابها والفصل . وص ١٥٤ س ٢٠ فظا صوابها لفظاً . وص ١٥٧ س ٨ يقذوا صوابها يقذفها وص١٥٩ س٥ الاستكره صوابها الاستكراه . وص١٧٨ س١٤ التفحية صوابها التفاحية . وص١٨١ س٢٢ بالنقظ صوابها بالنقط . وص١٩٢ س٨ — ١١ صوابها واواً . وص١٩٥ س ٦ و لاخر صوابها والآخر . وص ٢٣٠ س ١٣ القطلب صوابها البقس . وص ٢٤٥ س ١٠ عاملة صوابها معاملة . وفيها س ١٣ بعدي صوابها لبعدي . وص ٢٤٧ س ١٩ يترضى صوابها فيترضى . وص٢٥٩ س ٧ وقي صوابها وفي . وص٢٦٢ س ١٢ فصوابها في . وص ٢٩٥ س ١٤ ـويا صوابها قويا . وص ٣٠٠ س ٢٢ الممد د صوابها الممدود . وص ٣٠٣ س ٨ نزله صوابها منزله . وص ٣٠٤ س ٧ حلقه صوابها خلقه . وص٣٢٧ س ١٢ خالدة صوابها خامدة . وص ٣٨٤ س ٢٠ المفاخرة صوابها المعاصرة . وص٣٩١ س ١ الأشار صوابها لأشار . وص ٣٩٩ س ١٠ الطلحب صوابها الطحلب . وص ٤٠١ س ٢ وعاؤها صوابها وعاءها . وص٤٠٩ س٨ (١) صوابها ١٠ . وص ٤١٨ س٢ عرب صوابها تركمان . وفيها س ٣ سراة التركمان صوابها سراتهم . وفيها س ٥ في زهاء صوابها وزهاء . وفيها س ١٥ (١٣٥) صوابها ١٣٥١ . وص ٤٤٤ س ٤ قي صوابها في . وص ٤٤٦ س ٦ وضعه صوابها وضمنه . وص ٤٤٨ س ١٥ (٤) صوابها (٠) وص٤٥٤ س ١ رجع صوابها نرجع . وص ٤٦١ س ٢٠ تم صوابها ثم . وص٤٦٤ س١٩ و وى صوابها

وروى · وص ٤٧٤ س ١١ يقنص صوابها بنقص · وص٤٧٩ س ٢٢ وربما صوابها وبما · وص٤٨٠ س١٢ الحرار صوابها الحرى · وفيها س١٨ طمى الحرات صوابها الطمي الحرّيّ · وفيها س ٢٠ تعميق صوابها بتعميق · وص٤٨٥ س ١ متعددة صوابها متمددة · وفيها س ١ مقعرة دنانئة صوابها مقعرة أونانئة · وص ٥١٧ العنوان محمد يحيى الاثري صوابها محمد يحيى الهاشمي · وص٥٢٣ س٣٠ نحتاج صوابها نحتاج · وص٥٢٦ س١٧ المترادفة صوابها المترادفة · وص٥٥٠ س٢٢ (٤٩ — ٥٠ صوابها ٤٠ — ٥٠ · وص٥٥٣ س٣ البيان صوابها البنيان · وص٥٥٦ س٦ (٦٣) صوابها ٦٣٠ · وفيها س٧ (٦٨٩) صوابها ٦٧٩ · وص٥٥٩ س١٣ اربعع صوابها اربع · وص ٥٦٧ س ١٠ قلت الصواب فقلت · وص٥٧٢ س٨ التي تعاوته الصواب التي تعاورته · وص٥٨٦ س ٢٠ لكمات الصواب الكمات · وفيها س ٢١ — احاجة الصواب حاجة · وص٥٩٥ س ١١ أصبح الصواب فأصبح · وص٥٩٧ س ٠ : يحفى الصواب يخفى · وص ٦١٠ س ٨ الداوية اي الفرسان الهيكليين — الصواب الاسبتار اي فرسان مستشفى ماريوحنا · وص ٦١٣ س ١٦ الزيادات صوابها الزيارات · وص٦١٥ س٢٤ له صوابها عليه · وص٦١٦ س١٨ يتثل صوابها يمثل · وص٦١٩ س١٨ متكسرا — صوابها منكسراً · وص٦٢٨ س ٢ فيفتح صوابها في فتح · وص٦٥٦ س٨ حمسين صوابها خمسين · وص ٦٥٧ س٤ جريب صوابها جريب · وفيها س ١١ نياتيين صوابها نباتيين · وص٦٧٤ س ١٤ في اسم صوابها اسم · وص ٦٧٥ س١٤ كالقصور صوابها كالعقود · وص ٦٧٦ س ٢١ رجل ايضاً صوابها ايضاً رجل · وص ٦٧٨ س ٢ غنابير صوابها غنابيز وص٧٠٠ س٦ دبة صوابها دربة · وص٧٠٢ س١ — لأخرى صوابها الأخرى · وفيها س٩ هذه صوابها في هذه · وص ٧٠٨ س ١٥ توت غنخ صوابها عنخ · وص ٧١٦ س ١ مصر لمن صوابها مصر ولمن · وص٧٢٣ س٦ نظمه صوابها نظمه وفيها س ١٠ محاظباً صوابها مخاطباً · وص٧٢٥ سطر ٢٥ ي صوابها أي · وصفحة٧٢٨ سطر١٢ الحرات السوداء صوابها حجارة الحرار السود · وصفحة ٧٣٢ سطر ١ جرت في صوابها جرت معركة في · وصفحة٧٤٩ سطر ١٤ لخاظبه صوابها لمخاطبه · وصفحة ٧٥٢ سطر ١ ياويح صوابها ياويح · وصفحة٧٥٦ سطر ١١ الفصيح صوابها الفصيح ·

